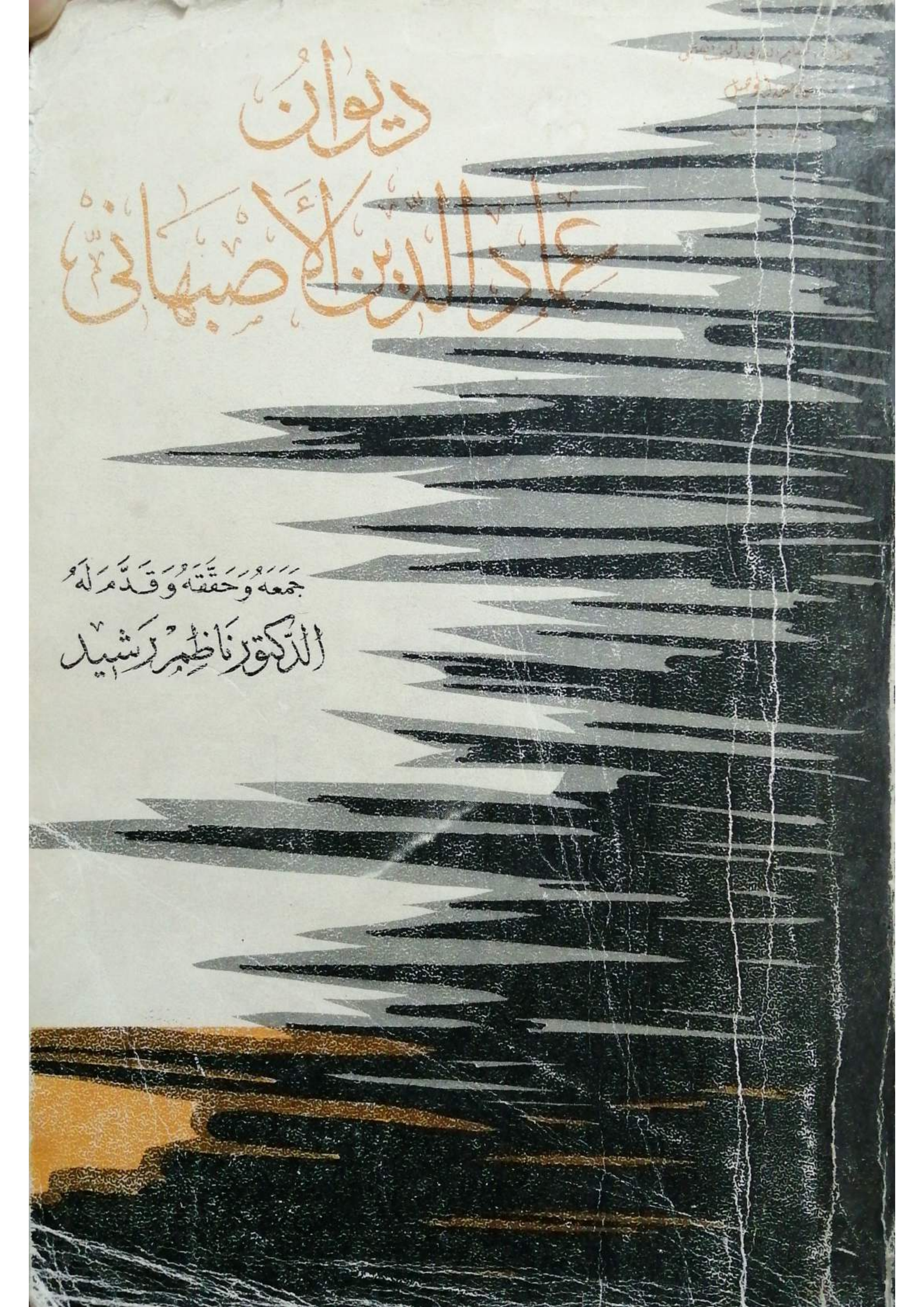

ديوان
عماد الدين الأصبهاني
جمعه وحققه وقدم له
الدكتور ناظم رشيد

ديوان
عماد الدين الأصبهاني

جمعه وحققه وقدم له

الدكتور ناظم رشيد

كلية الآداب - جامعة الموصل

١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ازدهرت الحركة الفكرية في الشام ومصر في عهد بني أيوب ازدهاراً كبيراً ، ونالت الفنون ، خاصة الفن الشعري – كما يقول بروكلمان (١) – دفعة قوية . وظهر شعراء نابهون يرقى شعرهم الى مرتبة شعراء العصر العباسي الأول . وحظيت دواوين فريق منهم بعناية المحققين ورعايتهم أمثال أسامة ابن منقذ ، وعرقلة الكلبي ، والقاضي الفاضل ، وابن سناء الملك ، وابن الساعاتي ، والملك الأمجد مجد الدين الأيوبي ، وفتيان الشاغوري ، وابن النبيه المصري ، والبهاء زهير ، والصاحب شرف الدين الأنصاري ... وثمة دواوين لشعراء آخرين لاتزال تنتظر أنامل الغيورين على التراث أن تفكّها من أغلال الخزائن .

وكان عماد الدين الأصبهاني شاعراً بارزاً ، وشعره ألطف من نثره – كما يقول الصفدي (٢) – وهو في زمانه – كما يرى أبو شامة المقدسي(٣) – فارس الشعراء الفحول في وصف المعارك ، ونعت القواد الشجعان ومثله في مرافقة صلاح الدين الأيوبي والتقاط صور منازلاته في ساحات الوغى كمثل أبي الطيب المتنبي في مرافقة سيف الدولة الحمداني في حرب الروم .

نظم عماد الدين شعراً كثيراً ، شبهه السُّبكي – وإن بالغ – بالبحر الذي لاساحل له (٤) ، ولكن هذا الشعر أخنى عليه الدهر ، ولم تصل إلينا الاّ زبدته التي تجاوزت فيما جمعناه ثلاثة آلاف وأربعمئة وخمسين بيتاً وعدداً من الدوبيت ، قيدتها في هذا السفر ، مقدماً لها بدراسة موجزة ، لعلها تفيد اخواني الباحثين في حقبة الحروب الصليبية .

---

(١) تاريخ الادب العربي ٥ : ٦٣ .

(٢) الوافي بالوفيات ١ : ١٣٣ .

(٣) الروضتين ١ : ٢٣٥ .

(٤) طبقات الشافعية ٦ : ١٨٢ .

ويطيب لي أن أشكر كلية الآداب بجامعة الموصل على احتضان هذا العمل ، والأخذ بيد صاحبه للكتابة في أدب العصور المتأخرة .

وفّق الله العاملين على كشف كنوز الأجداد ، وسدّدَ خطاهم لما فيه خير البلاد ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور
ناظم رشيد
كلية الآداب – جامعة الموصل

العماد الأصبهاني :

هو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد ، المشهور بالعماد الأصبهاني (١) .

ولد بأصبهان سنة ٥١٩ للهجرة ، ونشأ بها ، وتعلّم مبادئ اللغة العربية وآدابها ، وقدم بغداد مع أبيه ، ثم دخل المدرسة «النظامية» ، وانتظم في سلك تلامذتها ، ليغترف من مناهل أساتذتها .

وحينما تفتحت أكمام غرسه ، وتوسعت دائرة معارفه ، بدأ في ارتياد المحافل العلمية ، والمجالس الأدبية ، ومواجهة أرباب السيف والقلم . وأوّل محفل حضره ، وجاذب الحديث فيه ، كان في مدينة الموصل ، حين زارها — وهو في إيهاب الشباب — ومدح وزيرها المعروف بالكرم والسخاء جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي الأصبهاني ، وصرّح بذلك ، فقال (٢) : « وكنت أنا في ذلك العهد ببغداد مُتفقـها ، واتفق حضوري بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، فحضرتُ عند جمال الدين بالجامع في جمعتين وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسألتين . ومما مدحته به قصيدة — وذلك من أول نظمي — أوّلها :

أظنهـم ، وقـد عزمـوا ارتحـالا
ثنوا عنّا جِمالاً لا جَمالا

ثم عاد إلى بغداد ، ومنها إلى أصبهان . قال (٣) : «ودخلت أصبهان في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة في زي العلماء ، وحضرت المحافل في مناظرة الفضلاء ، ومناضلة الكبراء . ولقيت بها مشايخ أترعتُ حوض النحر من الفهم من بحرهم ، واستسقيت روض الفضل من قطرهم ».

---

(١) معجم الأدباء ٧ : ٨١ ، الجامع المختصر ص ٦١ ، وفيات الأعيان ٥ : ٤٧ ، الوافي بالوفيات ١ : ١٣٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ٩٧ .
(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٩٤ ، الروضتين ١ : ٣٤٦ .
(٣) الخريدة قسم العجم ، ص ٥٨ ب .

وبعد مكوثه مدةً قصيرةً سافر إلى الحجاز ، وأدى مناسك الحج ، وعاد إلى أصبهان ، فأخذ يستكمل مسيرته العلمية . وفي سنة ٥٤٩ للهجرة غادرها إلى غير رجعة . واستقرَّ في بغداد ، وبدأ صعوده في سلّم المجد والرفعة شاعراً وكاتباً له مكانته السامية ومنزلته العالية .

تولّى العماد نيابة واسط والبصرة في وزارة عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة ، ولكنه هوى من منصبه إثر وفاة الوزير المذكور . وصدرت أوامر الخليفة المستنجد بالله باعتقاله ، فبعث من سجنه إلى عماد الدين علي بن الوزير عضد الدين محمد — وكان حينئذ أُستاذ الدار — (١) قصيدة طويلة (٢) يطلب فيها أن يشفع له عند الخليفة في فك وثاقه واطلاق سراحه. وتحقّق له ماأراد ، فأقام في بغداد مدّة — كما يقول ابن خلكان — في عيش منكّد ، وجفن مُسهّد (٣) . ولمّا ضاقت به الحال ، وخشي أن يقع في مذّلة السؤال ، قرّرَ أن يشدَّ الرحال صوب دمشق .

وصل العماد دمشق في شعبان سنة ٥٦٢ للهجرة ، وسلطان الشام يومئذ الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، فأنزله قاضيه كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري بالمدرسة «النورية» التي سميت فيما بعد بالمدرسة «العمادية» نسبة إليه . وقرّبه من نور الدين ، وعرّفه به ، وسمع قصيدته المدحية التي يقول في مطلعها (٤) :

لو حفظت يوم النوى عهودَها

مامطلت بوصلكم وعودَها

ونال إكرام نور الدين، وعُين في دولته منشئاً إلى جانب التدريس بالمدرسة التي نزل فيها . ثم أصبح مشرفاً على ديوان الإنشاء مضافاً إلى كتابة الإنشاء.

---

(١) استاذ الدار : هو متولي الأخذ وقبض المال (صبح الأعشى ٥: ٤٥٧) .

(٢) الخريدة ، قسم العراق ، ١ : ١٧٢ .

(٣) وفيات الأعيان ٥: ١٤٨ .

(٤) الديوان ، العصدة رقم ٥٩ .

عاش العماد في سعة من العيش ورغده ، ولما توفي نور الدين ، سنة ٥٦٩ للهجرة ، خبا نجمه ، وبدأ حسّاده يضايقونه ، قال (١) : «ولما توفي نور الدين ، اختلّ أمري ، واعتلّ سري ، وفاض دمعي ، وغاض بحري ، وعلت حسّادي ، وبلغ مرادهم أضدادي » .

وآثر العماد السلامة ، فقرّر مبارحة دمشق إلى بغداد . فأغذّ السير ، وحينما بلغ الموصل داهمه المرض ، فاضطر أن يمكث فيها ثلاثة أشهر ، قال (٢) : « أقمت بالموصل ثلاثة أشهر ملازماً للبيت ، أنتظر فرجاً ، وأرتقب لقصد العراق منهجاً». وفي أثناء ذلك جاءه البشير بسيطرة صلاح الدين على مقاليد الحكم . وكان قد تعرّف عليه حينما عمل في الدولة النورية ، كما له سابق معرفة بأبيه نجم الدين أيوب من تكريت . فكرّ راجعاً إلى الشام ، والأمل يحدوه في أن ينال مقاماً محموداً عنده ، ويغيظ حاسديه الذين حاربوه ونغّصوا حياته .

لقد تحقّق حلمه ، ونال مبتغاه ، إذ استطاع أن يلتقي بالسلطان صلاح الدين في مدينة حمص ، وأن ينشده قصيدته التي يقول في أوّلها (٣) :

أجيـران «جيـرون» مـالي مجيـرُ
سوى عطفكـم ، فاعدلوا أو فجوروا

وأصبح في الدولة الأيوبية كاتباً للسرّ ، ومسؤولاً عن ديوان الاستيفاء ، وصحب صلاح الدين ، وشهد أغلب الوقائع الحربية معه ، وكتب كثيراً من الرسائل على لسانه ، وتغنّى شعراً بمناقبه وبطولاته .

وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ للهجرة ضعفت مكانة العماد ، وقلّت هيبته بين العباد . قال ابن خلكان (٤) : « لم يزل العماد الكاتب على مكانته

(١) سنا البرق الشامي ١ : ١٥٩ .
(٢) الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٧٢ .
(٣) الديوان ، القصيدة رقم ٧٨ .
(٤) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٢ .

ورفعة منزلته ، الى ان توفي السلطان صلاح الدين ، رحمه الله ، فاختلّت أحواله ، وتعطّلت أوصاله ، ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً ، فلازم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف » .

واشتغل العماد بالكتابة في حكومة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين ولكن سرعان ماطلب الاستعفاء ، وانصرف الى التصنيف والتدريس والإفادة حتى وافته منيته بدمشق يوم الاثنين مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٧ للهجرة وهو في الثامنة والسبعين من العمر .

مصنفاته :

كان العماد طالب علم ومعرفة طوال حياته ، يقرأ ، ويُدرِّس ، ويُؤلِّف الى جانب اشتغاله في مراكز الدولة المهمة قال الذهبي (١) : « وكان بطيء الكتابة ، ولكنه دائم العمل ، وله توسع في اللغة » . وكانت له قدرة كبيرة على حفظ الشعر وترديده وتدوينه منذ مطلع حياته ،وصرّح بذلك ، فقال : (٢) : « وكنت – مع صغري – كبير الهمّة ، كثير الاهتمام باثبات أبيات تُنشد ، وتطلّب ضاله فاضل تنشد . أُوثر سماع مايؤثر عنهم رواية ، وأختار كتب مااستحسنه حديثاً ونظماً وحكاية » . وقيل (٣) : « إنه كان يحفظ شعر البحتري ، ودواوين العرب المشهورة » . وقد ساعدته الدراسة ، والحفظ ومتابعة ماخلّفه السلف ، والاتصال بعلماء العصر وأُدبائه على التأليف والتصنيف والترجمة .

لقد تجاوزت آثار العماد خمسة وأربعين مجلداً، أحصاها أَحد الباحثين(٤) وساذكر ماوصل الينا منها وهي :

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٥٧ ب .

(٢) الخريدة ، قسم الشام ، ٢ : ٤٧٣ .

(٣) مرآة الزمان ٨ : ٥٠٥ .

(٤) مقدمة كتاب سنا البرق الشامي ص ١٤ – ٢٣ ، وانظر مقدمة الخريدة ، قسم العراق ، ٧١ – ٨٠ .

١ – خريدة القصر وجريدة العصر (١) .

٢ – الفتح القسي في الفتح القسي (٢) .

٣ – نصرة الفترة وعصرة القطرة (٣) .

٤ – البرق الشامي (٤) .

٥ – البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزّمان (٥) .

ديوان شعره :

نظم العماد الشعر منذ يفاعته ، وجمعه بنفسه (٦) ، ورتّبه قبل سنة ٥٧٢ للهجرة . واستنسخه في زمانه أحمد بن عبد الرحمن بن علي المعروف بنشو الدولة . قال العماد في ترجمته (٧) : « شاب مجدٌ للفضل ، حريص على تحصيله ، بجملته وتفصيله ، وقد كتب ديوان شعري ورسائلي » ويضاف الى هذا الديوان الشعُر الذي نظمه من سنة ٥٧٢ للهجرة الى سنة وفاته ٥٩٧ للهجرة .

واختلف الباحثون القدامى في حجم ديوانه ، فقال ياقوت (٨) – وهو

---

(١) وصل كتاب الخريدة كاملا ، وهو أقسام ، طبع منه قسم شعراء مصر ، وشعراء الشام ، وشعراء العراق ، وشعراء المغرب .

(٢) طبع مرات في أوربا والبلاد العربية .

(٣) منه نسخة في مكتبة بودليان بأكسفورد رقم ٦٦٢ وأخرى في المكتبة الوطلية بباريس رقم ٢١٤٥ . لخصه الفتح بن علي البنداري سنة ٦٢٣ هـ، ووصل إلينا ، وله عدة طبقات في أوربا والقاهرة وبيروت بعنوان « زبدة النصرة ونخبة العصرة » ، أو بعنوان « تاريخ دولة آل سلجوق » .

(٤) وهو في سبعة مجلدات ، وصل إلينا منه الجزءان الثالث والخامس ، وهما في مكتبة بودليان بأكسفورد ارقم ١١ ، ٤٢٥ (في مكتبتي نسخة مصورة منهما) .

(٥) نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٥٩ .

(٦) الجامع المختصر ٩ : ٦١ .

(٧) الخريدة ، قسم الشام ، ١ : ٣٢٩ .

(٨) معجم الأدباء ٧ : ٨٧ .

قريب من عصره – إنه في مجلدين . وقال ابن خلكان (١) : إنه في أربعة مجلدات ، وتابع الصفدي ابن خلكان في عدد المجلدات (٢) .

لقد ضاع ديوان العماد مع ماضاع من مؤلفاته النفيسه ؛ وحينما نهد الباحثون الى دراسة مابقي من شعره ، تضاربت أحكامهم ، واختلفت موازينهم . فقال أحدهم في رسالة جامعية (٣) : « ولم يصل إلينا من شعره سوى قصائد قليلة » . وقال آخر (٤) : « إن ديوانه مفقود ، ولم يصل إلينا ، ومنه بعض قصائد في الخريدة والبرق الشامي وغيرهما » . ولما أدليت بدلوي معهم ، وبدأت في البحث عن شعره في المصادر ، مطبوعها ومخطوطها ، تبين لي خلاف ذلك .

اذ بلغ الشعر المجموع مئتين وثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة في ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت . وأظن أن هذا العدد سيزداد بعد توجيه النور الى مخطوطات مخبأة في خزائن متناثرة في دول كثيرة من العالم .

وجدير بالاشارة هنا أن العماد نظم ديوان شعر صغيراً لنور الدين محمود جميعه دوبيتات في معنى الجهاد (٥) . وله دوبيتات على الحروف أغلبها في الغزل محفوظة بمكتبة ليدن برقم ١٥٩٢ .

وقد اعتمدت في صنعي لديوان العماد هذا على مصنفاته أولاً ، ألتقط منها مابثه فيها من شعره ، قبل النظر في الكتب الأخرى ، ورتبت مااجتمع لدي على حروف الهجاء ، وذكرت الأوزان ، وشرحت الغريب ، وعرفت بما يجب التعريف به من أعلام وبلدان ومصطلحات ، والحقته بفهارس تفصيلية .

---

(١) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٠ .

(٢) الوافي بالوفيات ١ : ١٣٥ ، وانظر كشف الظنون ١ : ٨٠٢ .

(٣) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ص ٢٩٨ .

(٤) مقدمة محقق كتاب سنا البرق الشامي ١ : ١٥ .

(٥) الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٤٢، ٤٣ . الروضتين ١ : ٥٢٨ .

فنون شعره :

نال شعر العماد رعاية كبيرة من لدن الدارسين القدامى ، ونقلوا منه جزءاً كبيراً — كما لاحظنا سابقاً — ورأوه أسلس من نثره وأجمل ، لاحتفاله بالمعنى والصورة ، ومزجه بين الطبع والصنعة ، وتصويره للأحداث المثيرة التي شاهدها في أثناء مرافقته للأبطال الشجعان في الدولتين النورية والصلاحية الى جانب تصوير حياته الخاصة ومافيها من انفعالات وجدانية . وسنحاول دراسته من خلال النصوص لنتبين مذهبه الفني ومكانته بين شعراء القرن السادس للهجرة .

المديح :

نحا الخلفاء العباسيون المتأخرون منحى آبائهم العظام في رعاية أرباب المواهب ، في ميداني الشعر والنثر ، واسناد الوظائف الكبيرة إليهم ، وكان العماد الأصبهاني — وهو الناشيْ في بيت السؤدد والكتابة — واحداً من العاملين معهم ، وقد دفعه طموحه في ارتقاء المناصب العالية ، واعتلاء المنازل الرفيعة الى التقرب منهم ومدحم ، والثناء عليهم ، وبيان مآثرهم . وكان حصيلة ذلك مجموعة من القصائد في الخلفاء الأربعة : المقتفي لأمر الله ، والمستنجد بالله ، والمستضيْ بأمر الله ، والناصر لدين الله .

إن أول خليفة حرك العماد لسان الإعجاب به كان المقتفي لأمر الله وصرح بذلك ، فقال (١) : « وكان وصولي الى بغداد في الأيام المقتفويّة وفي ظلّها المنشأ ، وفي فضلها المربى ، وفي جوارها حصل الأمن ، ووصل المنّ ، وبخدمتها عرفتُ ، وبنعمتها تعرفتُ ، وفي جنابها حلا الجنى ، وعلا السنا . وأولُ من مدحته من الخلفاء المقتفي — رضي الله عنه — خدمته في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، بقصيدة عقيب انكشاف الحصار

---

(١) الخريدة ، قسم العراق ، ١ : ٣٦ .

برحيل محمد شاه عن بغداد (١) ، أولها (٢) :

أضحتْ ثغورُ النّصرِ تبسمُ بالظّفَرْ
وغدتْ خيولُ النّصرِ واضحةَ الغُرَرْ

والقصيدة – وإن تناول فيها الشاعر جوانب حماسيّة ، اقتضتها المناسبة ترسم صورة لخليفة المسلمين ، وهو يسوس العباد بالعدل والإنصاف ، ويبعد عنهم الحيف والاعتساف ، ويُصرّح في خاتمتها ، وبصياغة جميلة ، أسباب هجره الأوطان ، ونأيه عن الخلان ، وانتماءه إلى أطيب بيت وأندى منبت :

لما أُريتُ منارَ بيتِكَ كعبةً
وافيتُ فيمن حجَّ بيتكَ واعتمرْ

وهجرتُ أوطاني إليه ، ومَنْ رأى
شرفاً له في أن يفارقها هَجَرْ

ونأيتُ عن قومي ، ليرفع دونهم
قدري اصطناعك لي ، فجئت على قَدَرْ

وللعماد قصيدة أُخرى في مدح الخليفة المقتفي لأمر الله آلف فيها بين أساليب القدامى ومنازع المحدثين ، فأطال في مقدمتها الغزلية ، وتحدث عن الوصل والهجران ، والعتب الشديد للحبيبة التي لامته ، لأنه جعل وكده ندى الكرام ، فقال (٣) :

---

(١) قال ابن كثير : « سبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المقتفي يطلب منه أن يخطب له في بغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همذان إلى بغداد ليحاصرها ... وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلعه في همذان ، فانشمر عن بغداد اليها في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (البداية والنهاية ١٢: ٢٣٤) وانظر تفاصيل هذا الحصار في كتاب تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٨ .

(٢) الديوان ، القصيدة رقم ٦٤ .

(٣) الديوان ، القصيدة رقم ١٦٣ .

مضريّة عذلتْ على حبّ النـــدى

من ليس يسمعُ فيه عـذلَ العاذلِ

ياهذه ! لولا السماحــةُ لــم يكــن

ينميــك خبــر عشائــر وقبائـــلِ

عنّفت في حبّ السّماحــة مؤثـــراً

عُدْمَ الكريـم على ثراء الباخـلِ

أَو هـل يخاف العدمَ من وجد الغنـى

من جـود مولانا الإمـام العـادل

ويسرف في وصف كرم الخليفة وجوده ، وتشبيهه بالبحر ، وصورة البحـر – وإن تقلّب عليها الشعراء – مبالغ فيها إلى حـدٍّ غيـر معقـول :

ولقد وردت فنـاء بحـر النـــدى

أَغنى بـه عن أنهـر وجــداول

في كفّــه للجود خمسة أَبحـــر

فياضــة ، تسمّى بخمس أنامــل

إن هذا الشعر – على مايبدو – صادر عن اللسان لاالجنان ، اتخذه الشاعر وسيلة لغاية معلومة هي الجاه والمال كما نوّه بذلك في قوله :

وإذا حظيت من الإمام برتبـــة

فيها الفخار على جميع الناس لـي

لازلتَ غيث مواهب ، وبقيت غَوْثَ

ممالك ، وسلمت كهـف أرامـل

وحينما مدح الخليفة المستند بالله قال فيه مثل ماقال في الخليفة المقتفي

لأمر الله . وزاد في التهويل والمبالغة حين وضعه في الذروة من المجد والسمو والكرم والبأس والمهابة والبطولة ... وتكاد قصيدته التي مدحه بها – بعد إلقائه في غياهب السجن إثر وشاية لُفقت عليه – يكون من أكثرها وقعاً في النفوس ؛ لأنها صدرت عن تجربة مريرة ، ومعاناة صادقة ، استهلها بقوله (١) :

أعيذكم أن تغفلوا عن أموره
وأن تتركوه نهبةً لمغيره

وأطال في مقدمتها ، وجعلها على غرار حجازيات الشريف الرضي ، فضمنها كوامن النفس وهواجسها ، ومنها قوله :

أيا نجد ، حياك الحيا بأحبتي
بهم كنت كالفردوس زين نحوره

وما طاب عرف الريح إلاّ لأنّه
أصابَ عبيراً منك عند عبوره

وكان المأثور أن يتغنّى بمقام الممدوح وأعماله الجليلة ، وفضائله النبيلة ، وخصاله المحمودة إلاّ أنه اهتم بنفسه ، فذكر صفاته ومحامده ، وأرومته التي ينتسب إليها ، والآلام التي يعاني منها عُقيب كبوته ، مازجاً ذلك بفيض من الحكمة وتجارب الحياة :

وما كنتُ أدري أنّ عقلي عاقي
وأن سراري حادث من سُفوره (٢)

أرى الفضل معتادٌ له خسَف أهله
كما الأفقُ معتادٌ خسوف بدوره

---

(١) الديوان ، القصيدة رقم ٩١ .

(٢) عاقلي : مقيدي . سراري : خفائي .

أقولُ لعزمي : إن للمجدِ منهجاً
سهولُ الأماني في سلوكِ وعورهِ

فهوِّن عليكَ الصَّعبَ فيه ؛ فإنَّما
بأخطاره تحظى بوصلِ خطيرهِ

وبعد تخلّص ذكي ، فيه شيءٌ من البراعة ، استطاع أن يبرئ نفسه من التهمة التي لحقته ، وأقضّت مضجعه ، وحرّمته لذّة الكرى ، ويلين قلب ممدوحه ، خاصّة في قوله :

لماذا حبستم مخلصاً في ولائكم
وما الله ملقي مؤمن في سعيرهِ ؟

وأبرز ممدوحي العماد من الخلفاء العباسيين ، هو المستضيء بالله ، فقد خصّه بقصائد كثيرة ، وأشار إلى ذلك بقوله (١) : «ولي فيه مدائح تناسب منائحه كثرة وغزارة ، وأيام دولته غضارة ونضارة» ، ووصلت من هذه المدائح ست قصائد ، كان قد بعث بها إلى بغداد وهو في دمشق ، وهي طويلة ، خلع عليها الكثير من تجاربه الفنية في الزخرف والتصوير ، ولا سيما في قصيدته الصاديّة التي يقول في أوّلها (٢) :

أطاع دمعي ، وصبري في الغرام عصى
والقلب جرّع من كأس الهوى غصصا

وإن صفو حياتي ما يكدره
إلاّ اشتياقي إلى أحبابي الخلصا

ماأطيب العيش بالأحباب لو وصلوا
وأسعد القلب من بلواه لو خلصا !

---

(١) الخريدة ، قسم العراق ، ١ : ٦٣ .
(٢) الديوان ، القصيدة رقم ١٠٩ .

زمّوا فؤادي وصبري والكرى معهم

غداة بانوا وزمّوا للندى القلصا

وقفتُ أُتبعهم قلبي يسايرهم

وأُرسل الدمع في آثارهم قصصا

إن هذا الفيض من الحديث عن الأحباب الخلصاء ، وحلاوة وصالهم ومرارة فراقهم ، وما يعاني من أرق وقلق ، استنبطها خياله الخصب من مخزون ذكرياته عن العراق الذي عاش فيه زمن شبابه ، وبقي يحنّ إليه طوال حياته التي قضاها في ربوع الشام . وها هو ذا يعاتب الغانيات الحسان اللواتي زهدن فيه بعد أن علا الشيب مفرقه :

ما بالهنَّ زهدن اليوم فيه ، وقد

أفادَهُ الشيبُ تجريباً وثقلَ حصى

كرهن بعد سواد الشيب لمته

لما رأين بياضاً خلنه برصاً

وحينما وصل إلى ممدوحه أمطر عليه وابلاً من عبارات الإطراء ، وألفاظ الإعجاب ، في إطار من التملّق والتزلّف ؛ كي ينال رضاه ، ويكسب ودّه ، ويفتح يده لقضاء حاجته كما يقول :

سأجتدي وابلاً من جوده غدقاً

وأمتري حافلاً من خلفه لَخِصا (١)

ونال الناصر لدين الله قصيدة واحدة من مديح العماد الأصبهاني . ذلك الخليفة الذي حكم سبعاً وأربعين سنة ، ووقعت في زمنه أعنف المعارك وأشدها في الشام بين الصليبيين والمسلمين ، وكانت معركة « حطين » دافعاً لنظم تلك القصيدة ، ومجالاً رحباً لتقديم الطاعة والولاء له (٢) :

---

(١) الغدق : الغزير . أمتري : استدر . الحافل : الضرع الممتلىء لبنا . الخلف : حلمة ضرع الناقة . لخص : كثير اللحم لايكاد يخرج اللبن منه إلا بشدة .

(٢) الديوان ، القصيدة رقم ١٠ .

الدهرُ ينصرنـــي مادام ينسبـــني
لخدمة الناصر المنصور نسّابُ
بطاعة الناصر بـــن المستضيْ أبي
الـعباس أحمد للأيام أصـحــابُ

وهكذا نرى العماد في مديح الخلفاء ، يتحرك في محيط ضيق من المعاني والصور لينال الجاه ، ويحظى بالجوائز ، ويأمن عوادي الدهر وغوائله ويسلم من كيد الحساد ومؤامراتهم . ولكن المديح يختلف عندما يصبح الشاعرُ صاحباً ورفيقاً للمدوح في حلّه وترحاله ، وهذا مانلمسه بوضوح في قصائده التي قالها في الملوك الزنكيين والأيوبيين والقواد الكبار والرجال الأبرار الذين صمدوا في وجه الجيوش الزاحفة من الغرب وردّوهم على أعقابهم خاسرين .

لقد كان العماد من أبرز الشعراء الذين رافقوا الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي المشهور بالشهيد ، ومدحوه ، وسجلوا مآثره ومجّدوا مواقفه ، وخلّدوا وقائعه ، ونشروا انتصاراته . قال في إحدى قصائده (١) :

أتمنـــى في الشام ، أهــلي بـــبغـدا
دَ ، وأين الشآم من بغــــداد
ما اعتياضي عــن حُبـّهم يعلم اللـــه
تعالى ، إلاّ بحبّ الجهـــــاد
واشتغالي بخـدمة الملك الـعــــادل
محمود ، الكــريـم الجــواد

وكان صدر نور الدين ينشرح بلقيا العماد ، ويستأنس بشعره ، ويطرب لسماعه ، خاصة شعر الجهاد ، وماينظم بعد كلّ معركة ضاريه ينجلي

---

(١) الديوان ، القصيدة رقم ٤٩ .

الموقف عنها لصالح المسلمين ، ويعود الجنود الفرسان حاملين ألوية النصر والظفر . ولا غرابة اذا مارأيناه في إحدى وقائعة يطلب منه أن ينشده ماجادت به قريحته . قال العماد بعد انتصار نور الدين على الخصم الباغي في منطقة حوران : كنتُ راكباً في لقاء الفرنج مع الملك العادل نور الدين محمود وهو يقول : كيف تصف ماجرى ؟ فمدحته بقصيدة (١) :

عقدت بنصرك راية الإيمـــــان
وبدت لعصرك آيــة الإحسـان

وتعدُّ هذه القصيدة صورة لإحدى الملاحم الخالدة التي انتصر فيها جنود الحق على قوى البغي والعدوان . وكان للعماد الفضل في نقلها إلينا وثيقة إلى جانب الوثائق التاريخية عن الحقبة التي دارت رحى الحرب الضروس فيها بين الشرق والغرب . والجدير بالملاحظة أنها تشير الى وحدة الأقطار العربية آنذاك وتضافر القوميات المختلفة في محاربة جيوش الغدر والحقد :

وبلغت بالتأييـد أقصى مـبـلـغ
ماكان في وسع ولا إمـكـانِ

دانت لك الدنيـا ، فـقاصيـهـا إذا
حققتَهُ ـ لنفاذ أمرك ـ دانِ

فمن العراق الى الشـام الـى ذرى
مصرْ الى قوص الى أُسـوانِ

لم تلْهُ عـن باقي البلاد وإنـمـا
ألهاك فرضُ الغزو عـن همـدانِ

للروم والإفرنج منك مصـائـب
بالترك ، والأكراد ، والعربانِ

لقد أدرك العماد أن الأعداء يخشون الوحدة ، ويعلمون أنها تقصم

(١) الديوان ، القصيدة رقم ١٩٦ .

ظهورهم ، وتبدّد شملهم ، وتزيحهم من المواقع التي احتلوها ، وتخرجهم من المنازل التي دخلوها عنوة . لذا نراه يستطرد في كثير من قصائده المدحية الى الحديث عنها والدعوة إليها ، والحث على قيامها لكي يسهل تطويق الغزاة وتحرير الأراضي المسلوبة والأماكن المقدّسة من سيطرتهم ، من ذلك قوله (١) :

اغزُ الفرنجَ ، فهذا وقت غزوهـــمُ
واحطم جموعهم بالذابل الحطـمِ
وطهّر القدسَ من رجس الفرنج وثبْ
على البغاث وثوب الأجدل القطمِ
فملك مصر ، وملك الشام قـد نظمـا
في عقْد عزّ من الإسلام منتظمِ
محمودُ ، الملك الغازي ، يسوسهمـا
بالفضل ، والعدلِ ، والإفضالِ ، والنعمِ

وبلغ العماد القمة في مدائحه للبطل صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي قاد الجيوش ودوّخ بها الفرنج ، وكسر شوكتهم ، وصرع كماتهم ، وحطم قلاعهم ، وخرّب حصونهم ، وطردهم من القدس الشريف . وتكاد هذه المدائح التي وصل إلينا منها بضع وعشرون قصيدة ، تكون ملحمة خالدة تصلح لأن تكون درساً بليغاً للأجيال في الفروسية والتضحية والفـــداء .

وعُرف صلاح الدين بحبّ الشعر ، وحفظه ، وترديده ، مُنْذُ كان قائداً في جيش نور الدين محمود . وأدرك الشعراء هذا الحب ، فالتفوا حوله ، وتقربوا إليه ، وقدموا مدائحهم بين يديه ، وكان العماد من أوائلهم ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة قصيدته الأولى التي نظمها سنة ٥٦٢ للهجرة ، أي

---

(١) الديوان ، القصيدة رقم ١٨٣ .

قبل توليه الحكم بخمسة أعوام ، فقال (١) : «واتصلت بيني وبين صلاح الدين يوسف مودّة ، تمّت لي بها على الزمان عدّة ، ولم يزل يستهديني نظمي ونثري ، ويشعرني أنه يميل إلى شعري ، فأول ماخدمته به هذه القصيدة :

كيف قلتم في مقلتيه فتورُ
وأراها بلا فتور تجورُ

والقصيدة في خمسة وثمانين بيتاً تغزّل في مقدّمتها بالحبيب الذي ملأ عليه قلبه ، وانتقل إلى ممدوحه ، فوصف شجاعته عند النزال ، وصبره في مقارعة الفرسان ، وأطال في رشاء مديحه ليوثق علاقته به ، ويصطفيه خليلاً له يستعلي به على الأقران والزمان بعد نزوحه إلى دمشق واتخاذه إياها سكناً :

وببغدادَ قيل إن دمشقاً
مابها للرَّجا سواك مجيرُ

مايرى ناظرٌ نظيركَ فيها
فهي روضٌ بما تجودُ نضيرُ

لمطاوي الإقبالِ عندكَ نشرٌ
ولميتِ الآمال منكَ نشورُ

ومن النائبات أني مقيمٌ
بدمشقٍ وللمقام شهورُ

لاخليل يقولُ هذا نزيلٌ
لاأمير يقول هذا سميرُ

ونعِمَ العماد بحياة هانئة ، وعيشة راضية في ظل صلاح الدين وألطافه ، حيث أصبح معتمده في الكتابة والمراسلة بعد القاضي الفاضل ، وشاعره الذي

(١) الديوان ، القصيدة رقم ٧٧ .

يعكس صدى سيرته في السلم والحرب ، ومؤرخه الذي يسجل أحداث أيامه في الشدّة والرخاء .

لقد بسط القول وأطال في ممدوحه الجديد ، فهو عنده أنبل ملك ، وأمثل قائد في الشجاعة والكرم والإباء والشمم ، يجير المستجير ، ويجالد المغير. يطمئن الأهل والأصدقاء ، ويبعث الرعب والهلع في نفوس الأعداء . ففي إحدى مدائحه التي بلغت ثمانية وتسعين بيتاً قال (١) :

أرى الصدق في ملكه المستقيم
ومـلك سواه ازورارٌ وزورُ

لعزّ الوليّ ، وذلّ العدوّ
نوال مبرٌّ ، وبأس مبيرُ

بنعمته للعفاة الحبورُ
بسطوته للعداة الثبورُ

ولا يستطيع العماد أن ينسى مأساة «القدس» أو يسلو عنها ، إذ نراه يعرّج على ذكرها ، ويدعو صلاح الدين إلى النهوض إليها ، وإسعافها ، وتخليصها ، وكشف كربتها :

نهوضاً إلى القدس ، يشفي الغليل
بفتح الفتوح ، وماذا عسيرُ

سل الله تسهيل صعب الخطوب
فهو على كلّ شيءٍ قديرُ

إليك هجرتُ ملوك الزمان
فمالك — والله — فيهم نظير

ويرقى العماد الذورة في قصيدته السينية التي دبّجها إثر فتح صلاح الدين أبواب القدس ، ودخولها ، ورايات النصر تعلو خفاقة فوق هامات جنوده

(١) الديوان ، القصيدة رقم ٧٨ .

البسلاء ، وزغاريد الفرح تنطلق من الحناجر ، وأناشيد الاستقبال تُدوّي في الميادين العامة ، وأولها (١) :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نَفَسا
وتعتاض من ذكراكُمُ وحشتي أُنسا

ومقدمته تلائم الموضوع ، فهي تتحدّث عن الحبيب الغائب ، ولعله القدس ، والمشوق المنتظر ، وآلام الوجد ، وتباريح الصبابة :

وإن نهاري صار ليلاً لبعدكم
فما أبصرت عيني صباحاً ولا شمسا

بكيت على مستودعات قلوبكم
كما قد بكت قدماً على صخرها الخنسا

فلا تحبسوا عنّي الجميل فإنني
جعلت حُبّي لكم مهجتي حَبْسا

وبعد أن رسم لممدوحه صورة مثلى ، وجعله قائداً فذّاً ، وفارساً شهماً ، ينتزع مرابع المسلمين من الأعداء بالقوة والعزيمة ، انتقل إلى فكرة الوحدة التي نادى بها ، وسعى إليها ، فطلب من صلاح الدين أن يتوكل على الله ويقضي على الإفرنج الباقين في الشام ، ويتوجّه نحو الديار الشرقية ، ويضمّها إلى دولته ، ويخضع شعوبها لحكمه :

توكّل على الله الذي لكَ أصبحت
كلاءته درعاً ، وعصمته ترسا

ودمر على الباقين ، واجتث أصلهم
فإنك قد صيرت دينارهم فلسا

ولا تنسى شركَ الشرق غربك مروياً
بما الطلى من صاديات الظُبى الخمسا

---

(١) الديوان ، القصيدة رقم ٩٦ .

وإن بلاد الشرق مظلمة فخذ

خراسان ، والنهرين ، والترك ، والفرسا

ولم يكن صلاح الدين هو الوحيد من الأسرة الأيوبية الذي نال مديح العماد ، بل هناك كثيرون تقلّدوا غرر قصائده ، منهم والد صلاح الدين نجم الدين أيوب ، وعمه أسد الدين شيركوه ، وأخوه توران شاه ، وأبناه الأفضل علي والظاهر غازي ، وأبنا أخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرّوخ شاه ... ولم يهبط العماد في مستوى شعره الذي قدمه لهؤلاء الملوك المجاهدين والأبطال المنصورين ، والكرماء المشهورين ، بل خصّهم بأجمل الصور وأبدع التعابير . ومثال على ذلك قصيدته التي مدح بها أسد الدين شيركوه حين تقلّد الوزارة في مصر سنة ٥٦٤ للهجرة ، ومطلعها (١) :

بالجد أدركت ماأدركت لا اللعب

كم راحه جُنيت من دوحة التعب

وهي تشابه — وزناً وقافية — قصيدة أبي تمام البائية المشهورة التي مدح بها الخليفة المعتصم بالله بعد فتح عمورية . وبعد تبيان واف عن شخصية الممدوح وبخاصة قدرته القتالية ، وقابليته في الاقتحام والالتحام ، تحوّل إلى موضوع القدس الذي حرص على إبرازه — كما لاحظنا — في كثير من قصائده .

فتحت مصر ، وأرجو أن تصير بها

مُيَسَّراً فتح بيت القدس عن كثب

قد أمكنت أسد الدين الفريسة من

فتح البلاد ، فبادر نحوها وثب

ومما يجلب النظر في القصيدة وجود دعوة أخرى ترتبط بفكرة الوحدة التي شغلت باله ، ولوّح للقراء بها ، وهي إعادة الأجزاء التي خرجت عن

---

(١) الديوان ، القصيدة رقم ١٦ .

طاعة بغداد ، وأبطلت ذكر اسم الخليفة العباسي من فوق المنابر :

ردَّ الخلافة عباسيّة ، ودع الدَّعي
فيها يصادف شرَّ منقلب

لاتقطعن ذنب الأفعى وترسلها
فالحزم عندي : قطع الرأس كالذنب

وللعماد مدائح في الشخصيات العلمية والأدبية البارزة آنذاك في العراق والشام ومصر ، تعرّف عليهم في أثناء الإشتغال بالتصنيف والتأليف أو العمل في دواوين الدولة أمثال : تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، المقرئ النحوي الأديب ، والقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي العسقلاني الكاتب المشهور ، وعضد الدين محمد بن عبد الله ، ونجم الدين بن مصال ، وجمال الدين محمد بن علي الأصبهاني ، وشرف الدين بن أبي عصرون... وتكاد صور العماد ومعانيه في مدائحهم تكون منتزعة من الجو الذي عاش فيه ، فحينما سكن الشام قريباً من صرير الحديد ، وصهيل الخيل ، وطراد الفرسان ، آثر أن ينقل السامع إلى ميادين المعارك التي أصبحت آنئذ شغل الناس الشاغل . من ذلك مثلاً قوله في قصيدة مدح بها القاضي الفاضل (١) :

ملكٌ كتيبتُهُ كتابتُهُ
فردٌ بجيش النّصر في جُند

الأسمرُ الخطّيُّ تابعُهُ
في حكمه والأبيضُ الهندي

والنائبات بحدّه أبداً
مثلومةٌ مغلولةُ الحدِّ

كم مأزق نقّى الغرار به
للرعب من جفن ومن غمد

---

(١) الديوان ، القصيدة رقم ٥٢ .

والسُّمرُ داميــــة مطاعنهـــــــا

كمــراود في أعيـــن رمـــــــد

فرجتــه بشبـــــا ملطفـــــــة

وردت بقســور القســور الــورد

فاليراع الذي يتحرك بيد الممدوح على الصحائف في هذه الأبيات لايختلف عن الرمح العسّال بيد البطل الهمام في ميدان القراع ، والسيف البتّار في قبضة المبارز الكرار في حلبة الصراع .

لقد أستطاع العماد بمدائحه أن يصيب هدفين بارزين ؛ الأول خاص ، وهو كسب ود الممدوحين وكرمهم ، والثاني عام ، وهو دفع هؤلاء الممدوحين إلى الجهاد من أجل تربة الوطن ، وشرف الأمة وعزّتها ، ورفاه الأسر وكرامتها .

الرثاء :

بكى العماد بدموع غزار على الأهل والأصدقاء ، والقادة العظماء ، والرجال النبلاء ، وخصّهم بشعر كثير ، بعضه مقطوعات يغلب عليها طابع الارتجال ، وبعضه الآخر قصائد طويلة تتجلى في أعطاف أبياتها الوقفات المتأنية واللمحات الدقيقة في إظهار الأوصاب والأشجان ، والآلام والأحزان .

وتمتلئ مراثي العماد في المقربين الى فؤاده بالأحاسيس الصادقة ، فحينما توفي صاحبه المعتمد ابراهيم رثاه بأبيات تعبر عن شعور عميق بالحزن والأسى ، وما أحسن قولهُ (١) :

أردتُ لكَ العمرَ الطويلَ فلم يكـــن

سوى ماأراد الله لاما أردُتـــــه

فيا وحشة مـن مؤنسٍ قد عـــدمتُـهُ

ويا وحدةً من صاحبٍ قد فقدُتهُ

(١) الديوان ، القشيدة رقم ٢٩ .

وغالباً ماينتقل في مقطوعاته – بعد الإشادة السريعة بمنزلة المتوفى وخسارته فيه – إلى حقيقة الموت والحياة ، مثل قوله في رثاء أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين (١) :

نؤمل في دار الفناء بقاءنا
ونرجو من الدُّنيا صداقة ماقت

وما الناسُ إلاّ كالغصون يد الرَّدى
تقرّبُ منها كلَّ عودٍ لناحتِ

فليس للعماد فضل في هذين البيتين سوى تذكير الناس بأن الحياة ظل زائل ، وأنهم خارجون من الدنيا ، وذائقون الموت مهما طال بهم العمر.

وكان العماد مرهف الحس ، سريع التأثر للنبأ المحزن والخبر المؤلم . فهاهو ذايئن ويتفجع لموت الملك المجاهد نور الدين محمود الذي حارب الصليبيين بلاهوادة ، وينظم في رثائه عدّة مقطوعات ، وقصيدة واحدة مطلعها (٢) :

الدين في ظلم لغيبة نوره
والدهرُ في غمٍّ لفقد أميرهِ

ولم يُعبر العماد عن لوعة قلبه وحرقته فقط لرحيل البطل المغوار ، بل عبّر عن حزن الأمة جميعاً وأسفها على حامي ذمارها والذائد عن حماها ويتساءل عن شؤون المسلمين ومصيرهم بعد غياب راعيهم وباني مجدهم .

مَنْ للمساجدِ والمدارس بانياً
لله طوعاً عن خلوص ضميرهِ ؟

مَنْ ينصرُ الإسلام في غزواته
فلقد أُصيبَ بركنه وظهيرهِ ؟

---

(١) الديوان ، المقطوعة رقم ٢٤ .
(٢) الديوان ، القصيدة رقم ٨٩ .

مَنْ للفرنج ، من لأسر ملوكها
مَنْ للهدى يبغي فكاكَ أسيره ؟

مَنْ للخطوب مذللاً لجماحها
مَنْ للزمان مُسَهِّلاً لوعوره ؟

مَنْ كاشفٌ للمعضلات برأيه
مَنْ مشرقٌ في الداجيات بنوره ؟

مَنْ للكريم ، ومن لنعش عثاره
مَنْ لليتيم ، ومن لجبر كسيره ؟

مَنْ للبلاد ، ومن لنصر جيوشها
مَنْ للجهادِ ، ومَنْ لحفظ أُموره ؟

وكانت أُمنية نور الدين في الحياة ، استرداد القدس من الفئة الدخيلة التي دنّست الأرض العربية بأقدامها ، متذرعة بأوهي الأسباب ، على حين كانت تضمر البقاء الدائم ونيل المغانم . ولهذا مضى نور الدين يجاهد من أجلها ، ويمنّي النفس باعادتها مجلوة بأبهى جلوة ، حتى إنه ـ تشوقاً لهذا اليوم الموعود ـ صنع منبراً ثميناً ليوضع يوم الفتح في مسجدها الأقصى ولكن الموت ادركه دون نيل مناه في انتزاع هذه المدينة من أيدي المعتدين وقد أشار العماد إلى ذلك :

أَوما وعدت القدس أنّكَ منجزٌ
ميعاده في فتحه وظهوره

فمتى تجيرُ القدس من دنس العدا
وتُقدّس الرحمن في تطهيره

ويطيل العماد في الدعاء والمغفرة لفقيده ، ويطلب من بارئه أن يجزيه عن الرعية خير الجزاء ، ويدخله الفردوس مع عباده الصالحين .

وحمل صلاح الدين العبءَ من بعد نور الدين ،ونذر نفسه لتحقيق ما تمناه، وجالد سنين طويلة حتى تمّ له ما أراد .ونال حبّ المسلمين ورضاهم، ولما نزل به قضاء الله رثاه عدد كبير من الشعراء ، وكانت حصة العماد منها قصيدة بلغت مائتين واثنين وثلاثين بيتاً ، ولعلّها أطول قصائد الرثاء في الشعر العربي كله ، وصل إلينا منها سبعة وستون بيتاً (١)، مطلعها (٢) :

شملُ الهدى ، والملكُ ، عمّ شتاتُهُ
والدّهر ساءَ ،وأقلعت حسناتُهُ

ويتحدث العماد في تأبينه لصلاح الدين عن فضائله عند الرعية ، إذ يعرض لحكمه القائم على العدل والمساواة ، ودفع الأذى عن المسلمين ، ورفع الحيف عن المظلومين ، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين . ويتناول سيرته الحسنة التي سارت بذكرها الركبان ، ويبين مواقفه المشهودة في مبارزة الكماة الفرسان ، ومضاربة الأبطال الشجعان .

وأدرك الشاعر أن عمود الأُسرة الأيوبية المتين قد انهدّ ، ومن الصعوبة أن يُنصب آخر في مكانه يحمل أمانه الحكم ويحقّق للأُمة الآمال الكبار التي عقد صلاح الدين العزم على إدراكها :

أين الذي ما زال سلطاناً لنا
يُرجى نداهُ ، وتُتّقى سطواتُهُ ؟

أين الذي شرف الزّمان بفضله
وسمت على الفضلاء تشريفاتُهُ ؟

أين الذي عنَتِ الفرنج لبأسه
ذلاّ ومنها أدركت ثاراتُهُ ؟

أغلال أعناقِ العدا أسيافه
أطواق أجياد الورى منّاتُهُ

(١) الروضتين ٢ : ٢١٥ .

(٢) الديوان ، القصيدة رقم ٢٣ .

وصوّر العماد — بعد أن أرسل الرحمة والمغفرة والرضوان له — الآلام التي أصابت الأماكن المقدّسة ،وحالة البكاء التي انتابت الخيول والسيوف التي عزّ عليها فراقه :

وكعادة البيت المقدّس ،يحـــزن لـ
بيت الحرام عليه ، بـــل عـرفاته
مـن للثغـور ، وقـد عـداها حفظـه
مـن للجهاد ، ولم تعــد عاداته ؟
بكـت الصوارم والصـــواهل إذ خلت
من سلّها وركوبـها غـزواتـــه

ويسترسل في ابراز لمحات مشرقة من خطواته البناءة التي شاهدها من كثب في أثناء مرافقته له ، ويطالب من أبنائه البررة أن يقتدوا بها ، ويسيروا على هديها لكيلا ينفرط عقد نظامها .

أبنــي صــلاح الـدين إن أباكـم
مــازال يـأبى مـاالكرام أباتــهُ
لاتقتــدوا إلاّ بسنّـــة فـضلـــه
لتطـيـــب في مـهــد النعيــم سناتُهُ

إن قصيدة العماد جيدة في نوعها، فهي تحكي — في معرض الحزن والأسى — قصّة بطل عاش حياته كلها في نضال وكفاح من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وإسعاد البشر في ظل الرخاء والأمان، وإرضاء الله فيما أمر به ونهى عنه.

الغزل:

جعل العماد للغزل مواضع في صدور قصائده، وخصّه بمقطّعات قليلة، واتخذ شعر الشعراء الأقدمين، خاصة العباسيين الأوائل، مادة لهذا الغزل ، وزاد عليها أحياناً في الصور والمعاني.

ومما يلفت النظر في الغزل عند أغلب الشعراء آنذاك ومنهم العماد عودة الضمير إلى المذكر، ويخيل إلينا أن احتجاب المرأة ، وحجرها في دارها، وعدم السماح لها بمخالطة الرجل ومجالسته ، حتى المقربين منها، قوّى الارتباط بالتقليد ووثق أواصره، فلم يتركوا التغزل بالمذكر إلى الاهتمام بالمرأة ونعت محاسنها ومشاعرها، فبقوا في دائرة التقليد، محتذين حذو أسلافهم العباسيين.

وصف العماد الغلام في أعضائه كما توصف المرأة في قدّها وخدّها وخصرها وردفها وشعرها وثناياها وعينيها، حتى في غنجها ودلالها ، وافتتن بحسن منظره وروائه كما يفتتن الرجل بالمرأة الجميلة الساحرة، ولكنه لم ينحدر إلى المعاني المبتذلة الرخيصة التي نجدها عند أبي نواس، وأبي الحسن السلامي والخبز أرْزي، وابن حجاج ، وابن سكرة الهاشمي ... فهو حين يصف — مثلاً سحر عيني الحبيب ولطافة حركاته يقول :(١)

أفـدي الـذي خلبـت قلبـي لواحظُه
وخلّدت لـذعـات الحبِّ في كبـدي

صفـات نـاظـره سقمٌ بـلا ألـم
سكـرٌ بلا قَدَحٍ ، جـرحٌ بلا قَوَد

معشّقُ الدّلّ من تيه ومن صَلَف
مرنّحُ العطف من لين ومن مَيَد

على محيّاه من نار الصِّبا شُعَلٌ
وورد خدّيه من ماء الحياة نـدي

ويستمتع العماد بشرب الخمرة من عيون الحبيب، ويتلذّذ بتكرار الرشفات ويتولّه قلبه بنظرات ذلك الحبيب وغمزاته :(٢)

---

(١) الديوان ، المقطوعة رقم ٥٥ .

(٢) الديوان ، القصيدة رقم ٩٣ .

شادن كالقضيب لدن المهزّة

سلبت مقلتاه قلبي بغمزَهْ

كلما رمتُ وصله رام هجري

واذا زدتُ ذلّة زاد عزّهْ

وتشارك الخدود المورّدةُ في كثير من صوره العيونَ الساحرةَ في خلب عقله وسلب لبّه:(١)

بخدّكَ من وَهَجٍ شعلةٌ

أحاطت بقلبي فما تنطفي

فإن تُخف ألحاظكَ القاتلاتُ

دمي فبخديك ما يختفي

ومن تولّع العماد بالحبيب، وارتباط فكره به، يتمنّى أن لا يغيب عن ناظريه حتى في منامه (٢):

أتمنّى ليلة من

طيفه في المنام خلْوَهْ

ومتى أطمعُ في الطيـ

ـف، وما للعين غفْوَهْ

ويتناول في الأبيات الآتية مواطن الحسن التي تستهويه، وتزيد من انجذابه نحو الحبيب، وتشدّه إليه (٣):

يروقني في المها مهفهفُها

ومن قدود الحسان أهيفُها

(١) الديوان، القصيدة رقم ١٣٤ .

(٢) الديون، القصيدة رقم ٢٠٣ .

(٣) الديوان، القصيدة، رقم ١٣٨ .

ومن عيون الظباء أفترها
ومن خصور الملاح أنحفها

ومن عذار كأنه حلق
أحكم في سرده مضعفها

ومن خدود حمر موردة
أدومها للحياء أظرفها

وهكذا يبدي إعجابه وافتنانه بملاح الوجوه وحسان القدود في غزل حسي ، ولكنه لايتمادى فيه إلى درجة الفحش والابتذال والتهتك المكشوف . فهو يصف الحبيب وكأنه مظهر من مظاهر الطبيعة الجميلة التي تستوقف الناظر .

ويحاول العماد أن يزيل الصنعة الجامدة والحرفة الباردة من غزله فيضفي على أسلوبه طابع الدعابة والمرح مثل قوله (١) :

رأيته فكدت من
عجبي به أن أدهشا

هممت أحياناً به
لولا التقى أن أبطشا

وقد نضيف إلى ما سلف ، فنذهب إلى ما ذهب إليه بعض الباحثين بأن الغزل بالمذكر عند فريق من الشعراء - ومنهم العماد - لايعبر تماماً عن الواقع ، بل هو من باب العبث البريء ، وهو ضرب من التصنع البديعي لإظهار الحذق ، ذلك أن طبيعة الشعر العربي ونظرية التقليد في الأخذ استدعت مثل هذه الظاهرة واستمرارها في هذا العصر (٢) .

الوصف :

عاش العماد في المدن الكبيرة أمثال : أصبهان ، وبغداد ، والبصرة ، وواسط ، ودمشق ، والقاهرة ، واستأنس بمعالمها الحضارية . وتنقل بين

(١) الديوان ، المقطوعة ، رقم ١٠٤ .
(٢) الأدب في بلاد الشام ص ٥١٧ .

حضان الطبيعة الجميلة واستمتع بمباهجها ومفاتنها ، وصوّر أما شاهده ، ووصف ما أحسّ به .

وكانت دمشق من المدن التي حظيت باهتمامه ، وأصفاها الكثير من شعره لأنه أحبها ، وقضى فيها شطراً من حياته في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ، فهي في نظرة من أجمل المدن وابهاها . (١)

ليس في الدنيا جميعاً

بلدة مثل دمشق

وله قصيدة طويلة، وصف فيها خمائلها وطيب ثمارها ، وجداولها ورقراق مياهها، ورُباها وبديع أزهارها، وساحاتها وحسن تنسيقها ، وميادينها وروعة ترتيبها، ومبانيها وجمال هندستها ... ومما جاء في القصيدة قوله : (٢)

دمشق عندي لاتحصى فضائلها

عدّاً وحصراً، ويحصى رمل يبرينِ

وماأرى بلدةً أخرى تماثلها

في الحسنِ من مصرَ حتى منتهى الصينِ

ويبدو أن العماد شاعر موضوعي ،إذ كان يتحسس موصوفاته ويتعاطف معها وينعتها، فقد رأى في دمشق المدينة العريقة مالم يره في غيرها ، ووجدها أهلاً لأن توصف ويتحدث عنها حديث الشوق والحب .

ومما استوقفه في دمشق وفرة ثمارها وتنوعها وتميزها على الأمصار بما حباها الله من هذا الخير العميم الذي شدّ بصره وقيدّ خاطره إلى تلمس النعيم وصنوف الفواكه من مثل المشمش الذي خصّه بغير قصيدة أجاد فيها وأبدع من ذلك قوله: (٣)

---

(١) الديوان ، المقطوعة ، رقم ١٤١ .
(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ٢٠١ .
(٣) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٤٥ .

دلموا نسابق نحو مشمش جِلّق
وثم لما نهوى على الأكل نلتقي

تصفّر شوقاً لانتظار قدومنا
ومن يتعشق ذا الفضائل يشتقِ

ومارمقت للشوق رمد عيونه
فإنْ تترفق منه تنظرْ وترفقِ

إذا حضرت أطباقه غاب رشدنا
لما يتلاقى من مشوق وشيقِ

لأنّ مذاب الشهد فيه مجسّدٌ
أجدّ له عهد الرحيقِ المعتّقِ

ويطيل في هذا الحديث وكأنه عاشق ولهان ينتظر بفارغ الصبر قدوم حبيبته ليمتع نظره بحسنها، ويملأ سمعه بلذيذ حديثها ، ويشفي غليله بطيب رضابها. ويصوّر العماد في قصيدة أُخرى هذه الثمرة الشهيّة تصويراً بديعاً ، فيشبهها بحلي الذهب المعلق بأعناق العرائس يزيدهن حسناً ورواءً ، ويضفي عليهن نوراً وبهاءً (١):

حليُ تبرٍ على عرائسَ أغـ
ـصانٍ تشكت من قبلها عَطَلا

حمرٌ حسانُ الوجوه قد لبست
من خضرِ أوراقها لها حُلَلا

عرائسٌ من خدورها برزت
تحسب أشجارها لها كِللا

حلاوةٌ لايملّ آكلها
إذا الحلاوات أحدثت مللا

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٥٦ .

ووصف العماد إلى جانب الثمار الطبيعية، المآكل المصنوعة، مثل القطائف، وهي حلواء تؤدم بدهن اللوز، وقد خصّها بقصيدة مطلعها: (١)

مـا راقـــدات في صحـــون
مستوطنـــَـــات في سكـــونِ

وكشف عن شكلها الجميل، ولونها الجذاب، ومنظرها اللطيف، وصنعها البديع، وطعمها اللذيذ، والأواني البراقة التي احتوتها:

المستطابـــــات الظهـــو
ر، المستلـــذات البطونِ
نُضّـدنَ بالترصيـــع في الـــ
ـــجامات كالـــدرّ المصـــونِ
المستقيمـــات الصفـــو
فِ وقفـــنَ كالخيل الصفّونِ
وقـــد اشتملـــن مـــن اللـــطا
ئف والصفـــات عـــلى فنـــونِ

ومن اللوحات الطريفة التي نلقاها عند العماد وصفه الحشرات مثل البق والبرغوث وأثرهما في جسده، قال حينما بات ليلةً في موضع بالقرب من مدينة واسط (٢):

شربـــت بقّهـــا دمـــي فتغنّـــت
وبراغيثهـــا تواجَـــدْنَ رَقْصا
وقـــد تعـــرّيتُ مـــن ثيابي لكـــربي
غيـــر أنّـــي لبســـتُ منهنّ قُمصا

(١) الديوان، القصيدة، رقم ١٩٧.
(٢) الديوان، القصيدة رقم ١٠٨.

كلمـــا ازددتُ منعهـــن بحرص

عن فراشي ، شرهـن فازددن حرصا

من براغيـثَ خلّتُهـا طافـرات

طائرات ، جناحـها قـد حُصّا (١)

عرضـت جيشهـا الفريقـان حـولي

وهـي أوفى مـن أن تعـدّ وتحصى

فالبقُّ تغني ، والبراغيث تتواجد على أنغام آلامه ، وكلما حاول إيقافهن عن الحركة ازددن شراهة وتقدمن بجيوش أكثف لتقطيع جلده وشرب دمه .

كما نلقى لوحة أُخرى صور فيها الحمى ووفادتها عليه في النهار ، وما واجه في هذه الوفادة غير المرغوبة من الأذى الذي لم يطق احتماله وتعوده على المكاره والخطوب (٢) :

وزائرة ،وليس بهـا حيـاءٌ

فليس تزور إلاّ في النهـار

ولو رهبت لـدى الإقـدام جـوري

لما رغبت جهـاراً في جـواري

أتـت ، والتلـب في وهـج اشتيـاق

ليظهـر مـا أُواري مـن أُواري

ولـو عـرفتْ لظـى سطوات عزمي

لكانـت مـن سُطاي عـلى حـذارِ

تقيـم ، فحيـن تبصـر مـن أناتي

ثبـاتَ الطّـوْد تسرع في الفـرار

---

(١) حص الطائر : وحص جناحه ، قل ريشه وتناثر .

(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ٨٠

والعماد في هذه الأبيات محتذ نهج المتنبي الذي ابتلي بالحمى فنعتها من خلال صراعه مع واقعه المر وعدم استكانته له ، فالمتنبي السابق المجوِّد ، والعماد هو اللاحق المقلِّد ، وإن لم يحرم وصفه من زيادات هينة يتميز بها وتُعبِّر عن مدى قدرته ومبلغ جهده.

وأثارت الحرب الدائرة بين المسلمين والإفرنج قريحة العماد ، فوقف عليها، ووصفها، وتحدّث عنها من خلال مدحه نورالدين محمود وصلاح الدين الأيوبي وسواهما من القواد الذين خاضوا غمار المعارك وأظهر وابسالة وشجاعة. فهاهو ذا يعلو صوته وتتسع دائرة وصف الحرب عندما يقف أمام نور الدين محمود، فيغور في الأعماق، ويتحسس الأشخاص والأشياء بروح من الغيرة والانفعال؛ لأنه إزاء رجل أحبّهُ وعشق المهمة التي نذر نفسه لها. فما هي بالحرب، إنما الجهاد الذي هو أحلى أمانيه، ولهذا ترادفت فتوحه ،وكثرت وقائعه في الإفرنج ، وسارت في الآفاق والبلدان، تحدوها روح العماد، وتباركها، وتسجل آثارها: (١)

أحلى أمانيك الجهادُ وإنّهُ
لك مؤذنٌ أبداً بكلِّ أمانِ

كم بكر ولّدته ظُباك من
حرب لقمع المشركين عوانِ

كم وقعةٍ لكَ في الفرنج حديثها
قد سار في الآفاقِ والبلدانِ

كم مصعبٍ عسر القادة قُدته
نحو الرّدى بخزائم الخذلانِ

قمصت قومصهم رداءً من الرّدى
وقرنت رأس برنسهم بسنانِ (٢)

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٩٦ .

(٢) القومص : الأمير . البرنس : لقب يلقب به كل عضو من الأسر المالكة .

وملكت رقَّ ملوكهم، وتركتهم
بالذّلّ في الأقياد والأسجانِ
وجعلت في أعناقهم أغلالهم
وسحبتهم هوناً على الأذقانِ
إذ في السوابغ تحطمُ السمر القنا
والبيضُ تخضبُ بالنجيع القاني
وعلى غناء المشرفية في الطُّلى
والهام رَقْصُ عواملِ المُـرّانِ
وكأنَّ بين النقع لمعُ حديدها
نارٌ تألّقَ من خلال دُخانِ
في مأزق وردُ الحديد مكفّل
فيه بريِّ الصارم الظمآنِ
غطّى العجاجُ به نجوم سمائه
لتنوب عنها أنجمُ الخُرصانِ
ولواء قلب شجاعهم في صدره
كالسيف يُرعد في يمين جبانِ
يمتاح من قلب القلوب دماءَها
بالسُّمر متح الماء بالأشطانِ

ويستمر في الحديث، مبيناً خيبة الإفرنج وحيرتهم وضلالهم حتى هزموا شرَّ هزيمة، ونصر المسلمين المؤزر بيمين قيادة نور الدين وبُعد غوره وعميق خبرته على الدين والحمى، وهم معه وبين يديه لاينكصون ولاينون، بل يتقدمون ويقتحمون شوقاً إلى الظفر الأكبر.

وهذا ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص قد أعدّ كتيبة راياتها منشورة، وبيارقها خضراء، وعددها عديد، وعدّتها من السيوف والرماح وافرة(١):

وكتيبة مثل الرياض كأنّما
راياتها منشورةٌ أزهارُ
وكأنّما خضر البيارق للقنا
ورقٌ ، وهامات العُداة ثمارُ
وكمائم الأغماد عن زهر الظّبى
فتقت فكلٌ صقيلة نُوّارُ
وعلى شعاع الشمس لمع حديدها
يبدو كما يعلو اللجين نُضارُ

نقلنا الشاعر في أبياته الى خميلة غنّاء ، بديعة الأزهار والأشجار والأثمار ، نلفت نظر الزائرين ، وتعجب الناظرين ، وأطلق عنان خياله ليخرج تشبيهات بعيدة عن ميدان القتال ، وصرير الحديد ، وصهيل الخيل ، وطراد الفرسان ، وطعان الكماة . ويبدو أن معين العماد الأصبهاني الرياض والمروج ، ينتج منه صورة الحربية ، ويعرضها للمشاهدين . ففي قصيدة أُخرى يصف فيها جيش صلاح الدين بقوله (٢) :

لله جيشٌ بالمروج عرضتَهُ
أُسْدُ العرين رجالُهُ ورماحُهُ
ومن الحديد سوابغاً أبدانُهُ
ومن المضاء عزائماً أرواحُهُ
روض من الصُّفر البنود وحمرها
والبيض يُزهى وردُهُ وأقاحُهُ

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ٦٩ .
(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ٤٠ .

ومثل هذه الأوصاف كثيرة في شعر العماد ، ويبدو أن صور الطبيعة الجميلة لم تغب عن مخليته حتى في لوحاته الحربية .

الغربة والحنين :

جمع العماد – كما ذكرت مصادر ترجمته – صفات ممتازة منها الوفاء والإخلاص والحنين إلى الأوطان والخلان . ومن نافله القول أن نذكر هنا حديثاً للأصمعي بهذا الخصوص . قال : دخلتُ البادية ، فنزلتُ على بعض الأعراب ، فقلتُ : أفدني ، فقال : إذا شئتَ أن تعرفَ وفاء الرجل ، وحسن عهده ، وكرم أخلاقه ، وطهارة مولده ، فانظرْ إلى حنينه الى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه (١).

نزح العماد من أصبهان الى العراق في أول حياته ، وسكن بغداد ، وطاب عيشه فيها ، وأصبحت مسرح فتوته ، ومعهد أُنسه ولهوه ، وملتقى أصفيائه وحينما تربّص الخصوم به الدوائر ، وأصابوه بسهام بغيهم ، خرج منها الى الشام وسكن دمشق والألم يعصر قلبه ، وبقي يتنسّم أخبارها ، ويتعقّب أنباءها ، ويتشوّق إليها ، ويحن الى ربوعها (٢) :

فأنا اليومَ بالشآم وحيدٌ
لسنا البارق العراقي شائمْ
لاودود على وفائي مقيم لا وفيٌّ بشرط ودّي قائمْ
مبتغى قلبي المشوق ببغدا
د ، وجسمي نائي المحل بجاسمْ (٣)
ليت شعري متى يبشر عني
أصدقائي فيها بأني قادمْ ؟

---

(١) مطالع البدور ٢ : ٢٩٢ .

(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٧٧ .

(٣) جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ (معجم البلدان ٢ : ١٤) .

وضاقت به الحال في بادىء الأمر ، وأصبح في «تحيُّر وتفكُّر ، وتوهُّج وتسعُّر » (١) ، ثم انجلت الأيام الحالكات ، وتفتحت أزاهير الآمال بعد تعرفه على نور الدين محمود ، وتقرُّبه منه ، وتودُّده إليه واشتغاله في إدارة دولته . ولكن سحابة الفرحة لم تدم طويلاً ، والخير لم يعمه كثيراً ، إذ اخترم القدر منه ظهيره وأمل حياته نور الدين ، وعادت غربته إلى سابق عهدها ، وقد عبّر عنها في مطلع قصيدته التي رثاه بها : (٢)

تُرى يجتمع الشمل
ترى يتّفق الوصلُ؟
تُرى العيش الذي مرَّ
مريراً بعدهم يحلو
تُرى من شاغلِ الهمِّ
فؤادي المبتلى يخلو؟
تُرى يرجعُ من طيب
زماني ذلك الفصلُ
تغرَّبتُ فلا دارٌ
ولاجارٌ ولا أهل
أخلائي ببغداد
وهل لي غيركم خلُّ؟
سقى مغناكم دمعي
إذا ما احتبسَ الوبلُ
عذابي فيكم عَذْبٌ
وقتلي لكم حِلُّ

---

(١) سنا البرق ١ : ٥٨ .
(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٥٨ .

وهـــــذا الـــــدَّمـــــعُ قـــد أعـــر
بَ عـــــــن شوقيَ فـَاسْتَحلُوا

والقصيدة في خمسين بيتاً يشكو فيها بلغة سهلة رشيقة – وقد ثقلت عليه وطأة الوحدة – الشجى الذي يعانية والحزن الذي يلاقيه إثر تفرُّق الأحباب وتبددهم، ونأي الخلان وتباعدهم .

وغادر العماد دمشق، وفي النفس حسرة، وفي القلب لوعة، وفي العين دمعة. وما كاد يصل الموصل حتى جاءه نبأ اعتلاء صلاح الدين منصّة الحكم، فهزّه الطرب، وخفّ عائداً على الصعب والذلول، والتقى به، وبارك له، ودخل مأواه ليعصمة من ذلّ العيش ونكده . واستدعت وظيفته الاغتراب والابتعاد عن الأهل والأصحاب بين حين وآخر: (١)

يـــوماً بِجَيٍّ، ويوماً في دمشق، وبالـ
فسطاط يوماً، ويـوماً بالعراقينِ (٢)
كـــأَن جسمي، وقلبي الصبّ ماخلقا
إلاّ ليـــقتســـما بالشـوق والبينِ

وكانت رحلاته تدوم أشهراً، ويستبدُّ به الشوق والحنين، وتتفجر قريحته شعراً وجدانياً محبباً، من ذلك قصيدة في ثلاثة وثمانين بيتاً نظمها وهو في مصر، وقال، في مقدمتها :(٣)

«أتشوق فيها الجماعة بالشام، وأتندَّم على مفارقتهم»، منها قوله:

أأحبتـــي إن غـــبـــت عنكـــم فالهوى
دانٍ لـــقـــلب بـــالغـــرام مـولَّـــهِ
أنهـــي إليكـــم أن صبـــريَ منـتـــهٍ
بل منتـــهٍ، والشـوق ليـــس بمنتهِ

(١) الديوان، المقطوعة، رقم ١٩٨ .
(٢) جي : مدينة قديمة عند أصبهان (معجم البلدان ٢ : ٢٠٢) .
(٣) الديوان، القصيدة، رقم ٢١٠ .

أمـا عقـودُ مـدامعي فلقد وهـــت

وأبـت عـقود الـودِّ منـي أن تهي

ولــقــد دهيــت ببينكـم فـاشتقتكم

يامَنْ لمشتــاقٍ ببيــنـكم دُهـي

مــازلـت عنـدكمُ بأرخـى عيشـةٍ

وبقيــت بعـدكم بعيـش أكرهِ

لقد عبّر أصدق تعبير عن مشاعره تجاه البلدة التي تعلّق بحبها، وترك فيها أحبابه يأملون رجوعه للتمتع بمجالسته، والتزوّد من ينابيع علمه، وعاف أهله في أكنافها ينتظرون عودته كي يلتئم شملهم كالعقد النظيم. قال في القصيدة نفسها:

في شـوقـكم أبـد الزمان تفكـــري

نيـا وبذكركم عند الكرام تفكهي

لـو قيل لي : ماتشتهي من هذه الدُّ

نيا ؟ لقلت : سواكم لاأشتهـــي

كـــان العماد شديد الوفاء لدمشق ، يحنُّ إليها حنين الفطيم الى الرضاع ففي إحدى قصائده البالغة ثمانية وتسعين بيتاً ، استعادت ذاكرته صور خمسة وثلاثين موضعا وما أحاط بها من مظاهر الطبيعة الزاهية . منها قوله (١) :

وماجنّةُ الخُلْدِ إلاّ دمشـــــــقُ

وفي القلب شوقاً إليها سـعيـــــرُ

ميادينها الخضرُ فيح الرّحـــــاب

وسلسا لها العَذْبُ صـافٍ نميرُ

وجامعهـــــا الرّحبُ ، والقبّةُ الـ

منيفـةُ والــفلكُ المستديـــــرُ

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ٣٨ .

وفي قبّة النّسْر لي ســــادةٌ
بهم للمكارم أُفْقٌ منيــــرُ
وبـاب الفراديس فـردوسـهـا
وسكانها أحسن الخلقِ حـورَ

وكما أحبَّ العماد دمشق ، وحنَّ إليها في أوقات بعاده عنها ، فانه أحب القاهرة وتشوّقها ، وتذكّرَ مَنْ سكنها من الأصدقاء العلماء ، والخلان الأدباء . ففي إحدى مقطوعاته أبدى ندمه على فراقهم ، وأسفه على نأيهم ، ودعالهم بالعيشة الكريمة ، والصحة المستديمة (١) :

أبيت على هجـرانكـم متندّمـاً
ومن ينأ عنكم كيف لايتنـدّمُ
فان كنتـمُ لم تعلـموا مـا لـقيتُـهُ
من الوجدِ والأشواقِ فاللهُ يـعلمُ
بقيتم ، وعشتم سالمين مـن الأذى
ومنيةُ قلبي أن تعيشوا وتسلمـوا

لقد تجلّت في شعر الغربة والحنين – على ماتنطوي من رقّة وعذوبة ومن يسرو سهولة – قدرة العماد على تصوير مشاعره بحرارةٍ وصدق وأصالـة .

الإخوانيات :

من الفنون الشعرية التي شاعت في العصر العباسي ، وبخاصة المتأخر منه وهو « يصوّر العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وممدوحيهم ، أو بينهم وبين أصدقائهم وأحبائهم ، ففيه التهنئة والاعتذار ، وفيه العتاب والشكوى وفيه الصداقة والود ، وماالى ذلك من هذه المعاني الاجتماعية الواسعة التي

(١) الديوان ، المقطوعة ، رقم ١٨١ .

لربط بين بعض الناس وبعض ، ولذلك غلب عليه التأنق في المعنى ، واصطناع العاطفة التي تكون صادقة تارة ، وكاذبة تارة أخرى » (١) .

واستأثرت الإخوانيات بكثير من شعر العماد لحسن الصلة وجميل المودة بينه وبين أصدقائه ورؤسائه . فمن أصدقائه الشعراء أبو الفرج العلاء بن علي الواسطي المعروف بابن السوادي . قال العماد في ترجمته (٢) : «بيني وبينه في النظم والنثر مداعبات ومكاتبات ، وماحضرت واسط إلاّ وجدته سابقاً إلى الزيارة ، شائقاً بحسن العبارة ، ولطيف الاستعارة » . ومما كتب إلى العماد قصيدتان أجاد فيهما وأبدع ، طلب فيهما التوسط لدى المتصوفة لإعادة سكنه الذي أخذوه إثر منافرة جرت بينهما . ويبدو أن العماد لم يستطع القيام بهذه الوساطة ، ونصحَهُ بمراجعتهم بنفسه ، ومما قال له (٣) :

إسمعْ — هُديتَ — نصيحتي
فالنُّصحُ ، لي بالصِّدق يَشْهَدْ
عُدْ ، وارضَ عن أهل الرِّبا
ط وارضهمْ ، فالعودُ أحمدْ
لاطفهم ، فالمرءُ يبلُـ
ـغُ بالتلطُّف كلَّ مقصدْ

وكان الشاعر علم الدين علي بن اسماعيل الجوهري من أصدقاء العماد ومحبيه ، قال في ترجمته (٤) : « من ظرفاء بغداد ، وفضلائها ، ومتميزيها وكرمائها . وقد تأكدت بيني وبينه صداقة صادقة ، وأُخوَّة صافية موافقة وبيننا مراسلات في الشوق ، وإخوانيات يقطر منها ماء الصفاء ، ويؤنق بزهرها روض الوفاء » . ومن تلك الإخوانيات اللطيفة قصيدة أرسلها العماد

---

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٣٨٢ .
(٢) الخريدة ، قسم العراق ، ٤/١ : ٣٧٠ .
(٣) الديوان ، القصيدة ، رقم ٤٤ .
(٤) الخريدة ، قسم العراق ، ٣/٢ : ٥٤ .

جواباً على مقطوعة كان قد بعثها علم الدين لصديقه على تأخر رسائله وانقطاع أخباره ، أولها (١) :

بانقيادي لمرادك وبصدقي في ودادك
وبسقياك من الحفظ عهودي بعهادك
لاتحمل قلبي المشتاق أثقال بعادك

ومن أصدقائه المخلصين الشاعر أبو عبد الله الحسين بن عبد الباقي ، وهو ابن أخت الشاعر المشهور ابن المعلم الهرثي ، وقد تعرّف عليه في واسط وقال في ترجمته (٢) : « صديق لي صدوق ، وشقيق شفيق ، مساعدي كساعدي ، ومرافقي كمرفقي ، وأخي المتوخي مرادي ، وحميمي الحامي ودادي وناصحي في الملمات وناصري ، ونائبي في دفع النائبات ومؤازري » . ولم ينس العماد فضله ووفاءه ، وكتب إليه من الشام قصيدتين ، أثنى فيهما عليه ، وذكر طيب عنصره ، وخالص جوهره ، وصفاء مودته ، قال في خاتمة إحداهما (٣) :

كم غصتُ حتى حزتُ ودّك أبحرا ولربمّا حاز اليتيمة غائصُ
سأزمّ نحوك للقاء قلائصاً ياخير مَنْ زُفّتْ إليه قلائصُ

وتتجمع في الإخوانيات مشاعر جمّة بعد أن ترتفع الكلفة ، وتنطلق النفوس على سجاياها ، فتفيض بشتى المعاني ، وتدبج أروع الصور ، فهناك

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٥٠ .
(٢) الخريدة ، قسم العراق ، ٢/٤ : ٤٥٠ .
(٣) الديوان ، القصيدة ، رقم ١١٠ .

المدح المستعذب ، والغزل المستطرف ، الذي تهش له النفوس كما يلاحظ في قصيدة العماد المرسلة إلى سبط ابن التعاويذي ، التي قال في مقدمتها (١) :
كتب سبط ابن التعاويذي الكاتب من بغداد إليّ رسالة بالشام في طلب فروة ، وضمّنها شعرا ، ومعاني حلوة ، وذلك في عهد نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله — وأنا متولى مملكته ، فعملت في جوابها هذه الأبيات:

بأبي معتـــدلُ القامـــــــة فـــي عطفيـــه نَشْـــوَهْ
حـــاكـمٌ في مُهَـــج العَشّـــاق لا يـقـــبـــلُ رِشْوَهْ
متـعـــد ، أومـــا يخـــشى من المظلـــوم دَعْـــوَهْ
شبـهُ رئـم ، غصـــن بـــان بدرُ دَجْنٍ ، شمـــسُ ضَحْوَهْ

وتتداعى المعاني وتتابع في نسق جميل في وصف جمال الحبيب ومحاسنه ويتخلّص الى ذكر الأيام التي خلت — وهو في أهنأ عيش وأرغده — بجوار إخوانه وأصدقائه على ضفاف دجلة :

آه والهـــمي على عيـــــش مضى في دار عَلْــوَهْ
وزمان كـــدّر الهجـــــران بعـــد الوصـــل صَفْـــوهْ
وكـــرام صيـــرتـــهـم نسبة الآداب إخْـــــوَهْ
حيـــن كـــان الدهـــرُ للغفـــلة عـــن قصـــدي بنجوَهْ

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ٢٠٣ .

حيـــن لم أعـــقـــــد وكم أحــــــ

لُلْ لغيـــــر الحبِّ حِبْـــوَهْ

أبـــذل الثـــروةَ للحمـــــــــ

ـــد فانَّ الحمــــــد ثــروَهْ

رافلاً مـــــن ملبــــس العيــــــ

شة في أبـــهج صَفْـــــوَهْ

حُقَّ ، يـــاقلبُ ، على تَـــــذْ

كارهـــم أن تـــتـــــــــأوَّهْ

يـــا أخـــلاَّيَ ببغـــــــــــــدا

دَ سقيتـــــمْ كـــلَّ غـــدوَهْ

وأمنتـــــم نـــائـــــب الدَّهْــــ

ـرِ ونلتـم كــــل خُطْـوة

ماتسلينـــي عـــــــن دجـــــــــ

ـلةَ جـيرونٌ وربـــــــوَهْ

وللعماد أصدقاء آخرون ، وهم كثيرون ، أمثال : شرف الدين بن أبي عصرون ، والقاضي الفاضل ، وعلم الدين الشاتاني ، وأبي حامد الشهر زوري ، وأبي الفضل عبيد الله بن الوزير عضد الدين الملقب بجمال الإسلام ... ويمكن للدارس أن يقف على مراسلاتهم الرقيقة ، ومساجلاتهم الطريفة في كتابة المشهور بـ « خريدة القصر وجريدة العصر » .

وإذا تحدَّث العماد في الأمثلة السابقة إلى من يماثله ويشابهه، فان هناك أمثلة يتحدث فيها إلى مَنْ يفوقه من ذوي السلطان . وشاهد على ذلك أن نور الدين محمود زاره في مدرسته ، وقبل انصرافه قدَّم العماد له هدية بسيطة ، وهي عبارة عن كميّة من السكر وثياب وطيب وعنبر ومعها الأبيات الآتية (١) :

---

(١) الديوان ، المقطوعة ، رقم ١٧٥ .

عنـد سليمان على قـــــدره

هديةُ النمـــلــة مــقبولهْ

ويصغر المـمـلـوك عـــن نملة

عنـدك والرحـــمة مأمولهْ

رقّي لمولانا ، ومـلـــكي لـه

وذمّتي بـالشكـر مشغـولهْ

وعاتب العماد في قصيدة صلاح الدين حينما أرسل له عمامة ملبوسة ولغيره ثياباً جديدة ؛ ومما جاء فيها قوله (١) :

كيف خصَّ العمادُ بالأدونِ المخـــ

ـلقِ من دون عصبة الديوانِ

أخليقٌ من نسجه لك في المد

حِ جديدٌ بأمهنِ الخُلقانِ

وكـذا عادة الليالي تخصُّ الـ

ـفاضلَ المستحقَّ بالحرمانِ

لم تزل سائراتُ جودكَ بالشا

مِ لديه غزيرةَ التهتانِ

فاذا لم تزدْهُ مصر كمالاً

في المنى فاحمه من النقصان

قال العماد (٢) : فوصل إليَّ من صلاح الدين عمامة مذهبة ، وكتب يعتذر عن العمامة التي قبلها» . ولم يكتف صلاح الدين بهذا الشئ ، بل أرسل أحد رجاله إلى العماد ليُجبر خاطره على مابدر منه . وحينما طلب في أبيات أُخرى جارية من سبي الأسطول لم يتوان صلاح الدين في الأمر

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٨٥ .

(٢) الروضتين ١: ٤٤٧ .

ونفذ مطلبه وهيأ له جارية جميلة وأرسلها إليه بأبهى حلة ، وأبيات العماد هي (١) :

يـؤمـلُ المملـوكُ مملوكـه
تبدّلَ الوحشة بالأنس
تخرجـه مـن ليـل وسواسـه
بطلعـة تشـرقُ كالشمـس
فوحـدةُ الغربـةِ قـد حرّكـتْ
سـواكـن البلبـالِ والمسّ
فـوقّـعِ اليـومَ بمطلـوبـه
مـا سبـى الأُسطـول بالأمسِ

وكان العماد يطارح إخوانه الأدباء بالألغاز ، ويتخذها وسيلة للتسلية والتفكه والرياضه الذهنية ، وقد صرّح بذلك في مطلعِ إحدى مقطوعاته ، فقال (٢) : وكنا سائرين في رفقة من أهل الأدب ، فعبر بنا مرموق في صورة مَلَك اسمه شاه مُلك ، فاقترح عليّ لغز في اسمه ، فارتجلت :

اسـم محبـوبـي سُـداسـيٌّ إذا
سقـط الثلـث فعكـس الكلمهْ
وإذا قُـدِّمَ ثـانـي شطـرهِ
فهـو سلطـان لنـا ذو عظمـهْ
عربـي عجمـيٌّ نصـفُـه
كلّـهُ معنًّـى لمـن فَهِمَـهْ

وقال في مقدمة قصيدة في التلغيز (٣) : وكنتُ نظمتُ في كوز الفُقّاع (٤) لغزاً ، وأنشدتهـا الحكيم أبا العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى

---

(١) الديوان ، المقطوعة ، رقم ٩٨ .
(٢) الديوان ، المقطوعة ، رقم ١٨٩ .
(٣) الديوان ، القصيدة رقم ٨٧ .
(٤) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، يخمر حتى تعلو فقاعاته .

النصراني النيلي الطبيب :

ماصـــورةٌ ، مامثـلـهــا صــورَهْ
كأنّهـــا فــي العمـــقِ مطمورَهْ

ويعمّي العماد ويُبهم ، وكأنه يريد اختبـــار صاحبه ، إذ يقول في خاتمتها :

فيــا حليــف المأثــرات التـــي
أضحــت لأهــل الفضــل مشهورَهْ
أنعــم ، وعجّــلْ حــلّ إشكالهــا
فهــي لــدى فضــلك مأســـورَهْ

لقد حاول العماد في إخوانياته — وهي كثيرة — توليد الصور ، وإرسال المداعبات ، وإطلاق الأماليح ، كي تكون لطيفة مستساغة وظريفة محببة.

ملامح فنيّة :

عاش العماد مع القرطاس والقلم ، مغرماً بهما ، وفيّاً لهما ، إلى أن أدركته المنيّة ، وخلّف — إلى جانب النثر — شعراً كثيراً دلّ على خيال خصب ، وقريحة معطاء ، نال إعجاب المتقدمين أيما إعجاب ، حتى قال أحدهم : إنه في غاية الجودة (١) .

ولعلّ أول مايلاحظ في شعر العماد — ولا سيما القصائد — المحافظة على صياغة الشعراء السابقين في العصر العباسي ، ومراعاة مقوماتها وأُصولها والعناية بالاستهلال ، وحسن التخلص ، وجودة الخاتمة .

وكان العماد مكثراً ، وما ورد له من شعر في المصادر يدلُّ دلالة واضحة على هذه الكثرة ، مع أن ديوانه الذي جمعه بنفسه — كما أسلفنا — قد ضاع . وبدا لنا من قراءَة هذا الشعر أنه كان ميالاً إلى الإطالة والإستقصاء،

(١) المختصر المحتاج إليه ١ : ١٢٢ .

والشرح والتفصيل ، وتقليب المعنى على أوجهه المختلفة . وقد جاوزت أبيات إحدى قصائده المئتين . واستدعت هذه الإطالة إيراد أكبر عدد من الألفاظ في الموضوع الواحد ، وهي لاتتأتى إلاّ لمن عرك اللغة ، وسبر أغوارها ، وخبر أسرارها . ودفعه الإفراط إلى الاسترسال والتوسع – ولاسيما في قصائده الطويلة – إلى الحشو والتكرار ، واتيان المترادفات ، والمشتقات ذات الأصل الواحد ،والألفاظ النادرة التي تلجئُ المرء إلى الرجوع إلى معاجم اللغة . وهذا الأمر قلل القيمة الفنية لشعره الذي اتصف بهذه الصفة.

عُني العماد بالمعاني التي استمدها من معين التراث إضافة إلى مااكتسبه من البيئة التي عاش فيها ، والمشاهد الكثيرة التي شاهدها في أثناء عمله وتنقله ومرافقته لعظماء الرجال آنذاك أمثال نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي . وقد لوّح في أكثر من مناسبة إلى اهتمامه بالألفاظ والمعاني مثل قوله (١) :

جمعت لفظاً ، ومعنى شائقاً
بَعُدا في الحسن مرمىً ومراما

هي راحٌ كيف حلّتْ عجباً
وهي سحرٌ كيف ماكانت حراما

أما صوره فليس فيها غموض ولا تعقيد ، وهي بسيطة لاتحتاج إلى عمق في التفكير . والخيال فيها ليس ببعيد عن الحقائق أو قائم على الاختلاق والتزييف ، والأوهام والمعميات ، وبخاصة في قصائده التي تناول فيها وصف الحروب التي دارت رحاها على أرض الشام وتبيان مكانة القواد الشجعان ، والمقاتلين الأبطال .

ويشترك الخيال عند العماد مع صدق العواطف وحرارة المشاعر ، ويعتمد في كثير من الأحيان على التشبيه والاستعارة والكناية مثل غيره من الشعراء.

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٧٤ .

ففي الأبيات الآتية من قصيدة طويلة تشبيهات كثيرة جسّدَ فيها بدائع الطبيعة في دمشق وما فيها من أشجار وأثمار وأزهار (١) :

وقد تراءَت بها الأشجار تحسبُها
صفوفَ خيلٍ صفُونٍ في الميادينِ
كأنّما شجرُ الرُّمان ذو نَشَبٍ
مُثرٍ دنانيرُهُ ملءُ الهمايينِ
وكل غصنٍ بعصفِ الريحِ ممتحنٌ
كأنّه عاقلٌ مبلىً بمجنونِ
للأقحوانِ ثغورُ الغانيات كما
للنرجس الغضّ ألحاظ المها العينِ
وللبنفسج خالٌ للعذارِ إذا
ماالخطُّ بالخالِ حاكى عطفَةَ النُّونِ
والوردُ خدٌّ من التوريد في خجلٍ
والغصنُ قدٌّ تثنِّيهِ من اللينِ
وللنسيم ولوعٌ بالغديرِ فما
يزال مابين تفريك وتغضينِ

وتمضي أبياته إلى نهاية القصيدة في نقل صور زاهية للمدينة التي منحها حبّه ، وخصّها بشعره الذي شخّص فيه مفاتنها ومباهجها .

ويتفنن العماد حينما تداعب الاستعارة خياله ، فيوردها في إطار محبب جذّاب كي يزداد أثرها في النفس ، من ذلك قوله (٢) :

ياللرجال بمقلةٍ مخمورة
يغدو المحبّ بكأسها مخمورا

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ٢٠١ .

(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ٦٨ .

أبكي ، ويضحك كالغمام إذا بكى
حزناً ، تبسّمت الرّياض سرورا
وترى لآلىء ثغره منظومة
ولديه لؤلؤ عبرتي منثورا

ويُحلق خياله بالكنايات الظريفة ، يرفد بها صوره ، لتزداد إشراقاً وجمالاً مثل قوله كناية عن الرزانة (١) :

مابالهنّ زهدن اليوم فيه ، وقد
أفاده الشّيبُ تجريباً وثقل حصى

وقوله في القصيدة نفسها كناية عن ارتفاع مكانة الجهلاء ، وانحطاط منزلة الفضلاء :

رَبّى الزّمان بنيه شرّ تربيةٍ
فالجهل ذو بطنةٍ ، والفضل قد خمصا

واستعان في تلوين صوره الشعرية وتحليتها ، وتزيين أُطرها ، بزخارف بديعية ، وصرَّح باستخدامها في مقدمة احدى رسائله ، فقال (٢) : « وهذه الرسالة قد وفّيتها حقّها من التجنيس ، والتطبيق ، والترصيع ، والمقابلة ، والموازنة ، والتوشيع » . وقال ، وهو يثني على أبيات فيها جناس (٣) : وأنا أستحلي هذا النوع من التجنيس ، واستعذبه ، ويحسبه زلال الماء قلبي في الرقة والصفاء ، فيشربُهُ ويتشرّبُهُ » .

لقد أَخذ التأنق البديعي مجالاً رحباً في شعره ، وبخاصة الجناس فلا نكاد نجد له قصيدة خالية منه ، مثل قوله (٤) :

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٠٩ .
(٢) الخريدة ، قسم مصر ، ١ : ٤٤ .
(٣) الخريدة ، قسم العراق ، ١ : ١٢٦ .
(٤) الديوان ، القصيدة ، رقم ١١٥ .

تهزّ قدود السّمر للفتك سمرها
وتشهرُ من أجفانها البيض بيضُها

وقوله (١)

حلف الفصاحة والحصافة والسما
حة والحماسة والتُّقى والنّائل

ويتعانق الطباق مع الجناس في قسم غير قليل من شعره ، مثل قوله (٢) :

إذ كلُّ هاتفةٍ وهاتنةٍ
مشغولةٌ بالسّجع والسّجمِ
فالورقُ في نوح وفي طربٍ
والوجد في بوح وفي كتمِ

ويبنى أحياناً قوافيه على لزوم مالا يلزم ، وهو إمعان في الصنعة وايغال في القيود ، مثل قوله (٣) :

الحمد لله فُزنا
وللمطالب حُزنا
حزنا السرور، ومات الـ
حسود غمّاً وحُزنا
وعاد سهلاً من الأ
مر كلُّ ماكان حَزنا

ويستخدم العماد الترصيع في شعره ؛ لأنه يعطي موسيقى جميلة ، مثل قوله في رثاء صلاح الدين (٤) :

مسعودة غدواته ، محمودةٌ
روحاتُهُ ، ميمونةٌ ضحواتُهُ

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٦١ .
(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٨٨ .
(٣) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٩٣ .
(٤) الديوان ، القصيدة ، رقم ٢٣ .

ونجد في شعره اقتباساً من آي الذكر الحكيم ، مثل قوله مخاطباً صلاح الدين (١)

فاشكر الله حين أولاك نصراً
فهو نعم المولى ونعم النصير

أو تضميناً من شعر السابقين مثل قوله مخاطباً نور الدين محموداً (٢):

وهَزَمْتَهُمْ بالرأي قبل لقائهم
والرأي قبل شجاعة الشجعانِ

وذهب في بعض قصائده إلى تقليد الشعراء البارزين ومحاكاتهم أمثال أبي نواس وأبي الطيب المتنبي ، وأبي تمام ، ومهيار الديلمي ، وابن منير الطرابلسي ... وقد أبدع في هذا التقليد ، وبخاصة قصيدة مهيار التي يقول في مطلعها (٣) :

بكرَ العارضُ تحدوه النُّعامى
فسُقيتِ الغيثَ يادار أُماما

وأول قصيدة العماد (٤) :

خطرت تحملُ مِن سَلْمى سلاما
فانثنى يشكرُ إنعام النُّعامى
مغرمٌ هاجت جواه نسمةٌ
يالها من نسمةٍ هاجت غراما!
نفحةٌ أذكتْ بقلبي لفحةً
كلما هبّتْ له زادت ضِراما !

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ٧٧ .

(٢) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٩٦ . وعجز البيت من مطلع قصيدة المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني

(٣) ديوان مهيار ٣ : ٣٢٧ .

(٤) الديوان ، القصيدة ، رقم ١٧٨ .

وعُني العماد بموسيقى شعره ، وعذوبة جرسه ، وحلاوة وقعه . ولم يخالف الأوزان العربية المعروفة ، ماعدا وزن الدوبيت الذي نظم فيه ديواناً صغيراً يدعو فيه إلى الجهاد على لسان نور الدين محمود .

واعتمد العماد القوافي كلّها ، الصعبة والسهلة ، وصرَّح في إحدى قصائده الثائية بذلك ، فقال (١) :

وقد سهلت ، والثاء أَوعرُ مرتقىً
فلا فرقَ عندي بينَ تاءٍ وبين ثا

---

(١) الديوان ، القصيدة ، رقم ٣٣ .

الديـــوان

الديـــوان

(قافية الهمزة)

(١)

قال العماد * :

(من المتقارب)

وأحـور يسبـي بطرفٍ يكـحـل
وتخجـلُ منـه الظُّبـا والظباءْ

بخدّيـه مـن حسنـهِ والشّبـاب
تجمّـعَ ضـدّان : نـار ومـاءْ

وفي مقلتيـهِ وقـد صحّتـا
كما صحّتا سقمٌ وانتشاءْ

عففْـتُ وعفـتُ الحيـا فـي هوا
هُ حتى استوى صدُّهُ واللقـاءْ

وكـلُّ حيـاءٍ يـذودُ العفا
ف عـن ودّه فعليـه العفـاءْ

(٢)

في سابع عشر صفر من سنة ٥٦٤ للهجرة توفي بهاء الدين عمر أخو مجد الدين بن الداية (١)، وفيه، وفي أخويه ، قال العماد الكاتب من قصيدة** :
[من الكامل]

١ أنتـم لمحمـودٍ كـآلِ محمـد
متصـادفـي الأفعـالِ والأسماءِ

---

* نهاية الأرب ٢ : ٢١٢ .

(١) هو مجد الدين أبو بكر بن الداية صاحب حارم ، توفي سنة ٥٦٥ هـ (مفرج الكروب ١٨١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٣٦) .

** الأبيات في الروضتين ١ : ٣٨٨ .

٨ يتلو أبا بكرٍ على حسناته
عمرُ الممدّحُ في سناً وسناءِ

٣ ويليه عثمانُ المرجّى للعُلى
وعليٌّ المأمولُ في اللأْواءِ

٤ وتقبل الحسن الممجّد مجدهُم
فهمُ ذوو الإحسانِ والنّعماءِ

٥ فرعتْ لمجد الدين إخوته الذُّرا
دون الورى في المجدِ والعلياءِ

٦ مِن سابقٍ كرماً ، وشمسٍ ساده
شرفاً ، وبدرِ دُجنّةٍ وبهاءِ(١)

٧ سُرُجُ الهدى، سحبُ النّدى، شهبُ النُّهى
أُسْدُ الحروبِ، ضراغمُ الهيجاءِ

(٣)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٣ للهجرة : وخرجنا من القاهرة لقصد الشام ... وسألني السلطان صلاح الدين أن أعمل أبياتاً خفيفة لطيفة يكتب بها إلى أخيه بدمشق ، فارتجلت : *

(من مجزوء الكامل)

١ الشوقُ أبرحُ مايكو
ن إذا دنا أمدُ اللقاء

٢ وتزيلُ أيامُ التدا
نيجَوْرَ أيام التنائي

(١) قال أبو شامة المقدسي : يريد سابق الدين عثمان ، وشمس الدين علياً ، وبدر الدين حسناً ، وبهاء الدين عمر ، ومجد الدين الأكبر ، فهم خمسة ، رحمهم الله (الروضتين ١ : ٣٨٩).
* البرق الشامي ٣ : ٢٨ أ والأبيات (١،٢،٧،٨) في سنا البرق ص ٢٧٠ .

٣ كم غلّة في القلب ليسـ
ـت نارُها ذاتَ انطفاء

٤ وشكاية للوجد يبديـ
ـها لدى برح الخفاء

٥ قد كادَ يغلبُ عند تذ
كاري لكم يأسي رجائي

٦ أشتاقكم شوقَ المريـ
ـض الى معاودة الشّفاءِ

٧ وأُحبكم حبَّ النُّفو
س لما تؤمِّلُ من بقاءِ

٨ العبدُ يخدمُ بالسلا
موبالتحية والدُّعاءِ

٩ للسيِّد الملك المُعظّـ
ـم ذي الجلالة والعلاءِ

(٤)

كتب العماد الى القاضي أبي اليسر شاكر بن عبد الله (١) سنة ٥٧٠ للهجرة * :

(من الخفيف)

١ إن ودّي هو الدواء وشربي
من ولاء يجري بماء الصفاءِ

(١) القاضي أبو اليسر شاكر بن عبدالله بن محمد ، كان شاعراً أديباً فاضلا ، كتب الانشاء لاتابك الشهيد زنكي بن آق سنقر ثم لولده نورالدين محمود من بعده ، وتوفي سنة ٥٨١ للهجرة بدمشق (الخريدة ، قسم الشام ، ٢ : ٣٥)

* الخريدة ، قسم الشام ، ٢ : ٣٦ .

٢ بركات الاشفــاق منكَ أعــاد
تنيَ بعــد الإشفاء حلفَ الشفـــاءِ

٣ وجديـرٌ بمن يواليكَ أن يصبحَ
بيـن الورى مـــن السعداءِ

٤ أنتَ فألي في اليسر والشكر والصحّـة
والوجـــد والغنـــى والثـــراءِ

٥ ورجائي مازال يعبـــق طيبـــاً
أرجُ النُّجح منـه في الأرجـــاء

فتقبّلْ واقبـــل مديحي وعـذري
قـبلَ الله في عـلاكَ دعــائي

(٥)

قال العماد: لما بـويع المستضيْ بالخلافة في تاسع ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ كنت بالموصل ، فعملت هذه الأبيات المهموزة ، ونـفـّذتها إليه على يد الفقيه شرف الدين بن أبي عصرون (١) ، فعاد اليَّ بخلع منه سنيّة ، ودنانير أميرية ، وصيرها الإمام رسماً في كلّ سنة ، والأبيات هي * :

(من الخفيف)

١ قـد أضاءَ الزمّانُ بالمســـتضـيْ
وارث البُردِ ، وابن عمّ النّبْيْ (٢)

---

(١) هو قاضي القضاة شرف الدين أبو سعد عبدالله بن محمد بن هبة الله بن مطهر بن علي بن أبي عصرون ، الفقيه الشافعي ، كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره ، ولد سنة ٤٩٢هـ بالموصل ، وتوفي بدمشق سنة ٥٨٥ هـ (الخريدة – قسم الشام – ٢ : ٣٥١ ، وفيات الأعيان ٣ : ٥٣) .

* القصيدة في الخريدة – قسم العراق – ١: ١٢ ، والأبيات ١، ٢، ٦، ١٣ في الروضتين ١ : ٤٨٥ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٦٢ .

(٢) عم النبي : العباس بن عبدالمطلب جد الخلفاء العباسيين . البرد : يريد به بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب – النبيء : الهمز في النبيء لغة رديئة وقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم الهمز في اسمه .

٢ جاءَ بالحقِّ والشّريعـــة والعــد
ل فيــا مرحبــاً بهذا المجـــيءْ !

٣ رتــعَ العالمونَ مـــن عــدله الشّا
مل في المرتع الهنيءِ المـــريْ

٤ ورعوا منـــه في مرادٍ خصيـــب
لا وخيــم ، ولا وبيـــل وبـيْ (١)

٥ رقدوا بعــدَ طول خوف مقـــض
في ذرا الأمـــنِ والمهـادِ الوطيْ

٦ فهنيئــاً لأهـــل بغدادَ ، فـــازوا
بعـــد بؤس بكــلِّ عيش هــنيْ

٧ سأوافــي فِناءه عـــــن قريب
مسرعـاً كي أفـوزَ غيرَ بطـي

٨ وأُحلّي عيشي بجــدٍّ جـــديـد
وأُهنّي فضلي بحـــظٍّ طـريْ

٩ وتـريني الأيـامُ نقـــداً مـــن الآ
ال ماكانَ قبلــه في النّســـيْ (٢)

١٠ وأمـانـي سـوفَ يظهــرُ منهـــا
عند قصدي ذَراه كــلُّ خبـيْ

١١ عـادَ حظّـي من النُّحـوس بريئـاً
وغــدا السّعــدِ منـه غير بــريْ

١٢ ولقيتُ الدّهـرَ العبوسَ وقــد عــا
دَ بوجــهٍ طَــلْـقٍ إلـيَّ وضيْ

١٣ ومُــضيْ إن كان في الزّمـنِ المظ
لـمِ فالعَـودُ في الزّمانِ المُضيْ

(١) المراد : بفتح الميم ، المكان الذي يذهب فيه ويجاء .
(٢) النسيء : المنسوء ، وهو المؤخر .

م/٥/د.ع

(٦)

قال العماد : ولما اعتقلت بالديوان ببغداد كتبتُ إلى عماد الدين بن عضد الدين ابن رئيس الرؤساء (١) ، قصيدة طويلة *

(من الكامل)

١ لو كنتَ تعلمُ منتهى بُرَحائه
حابَيْتَ إبقاءً على حَوْبائهِ (٢)

٢ ولكنتَ تتركُ في الغرام ملامَهُ
كيلا يزيدَ اللّومُ في إغرائهِ (٣)

٣ لاتنكِرنْ ضحكي ، أُريكَ تجلُّداً
ضحكُ الحيا بالبرقِ عينُ بكائهِ

٤ ماكنتُ أعلمُ دمعَ عيني مفشياً
سِرّاً لهم أشفقتُ من إفشائهِ

٥ حتى جرى في الخدِّ منّي أسْطُراً
فعرفتُ أنَّ الشوقَ من إملائهِ

٦ ماكان أعذبَ بالعذيْب لدى الصبا
عيشاً أمنتُ فناءَهُ بفنائهِ (٤)

٧ إذ كاسمهِ ماءُ العُذيبِ ، وأهلُه
في العزِّ تحسدُهم نجومُ سمائهِ

---

(١) هو عماد الدين علي بن الوزير عضد الدين محمد بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة (الخريدة – قسم العراق – ١ : ١٦٦) .

* القصيدة في الخريدة – قسم العراق – ١ : ١٧٢ – ١٧٧ ، والبيتان ٦٢، ٦٣ في وفيات الأعيان ٥: ١٥١ ، الوافي بالوفيات ١ : ١٣٨ .

(٢) البرحاء : الشدة والمشقة . الحوباء : النفس .

(٣) من قول أبي نوس : دع عنك لومي ، فان اللوم اغراء .

(٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة ، وقيل موضع بالبصرة (معجم البلدان ٤ : ٩٢) فناء (بفتح الفاء) مصدر فني الشيء . والفناء (بكسر الفاء) فناء الدار ، وهو ما امتد من جوانبها

٨ والحيُّ شمسُ الأفقِ تخبأ وجهها
منه حياءً من شموسِ خبائه

٩ أيامَ لم أُبصرْ جميلاً فيهمُ
إلاّ وفاءَ إلى جميل وفائه

١٠ ومقرطقٍ أَلفيتُ قلبي آبقاً
منّي له ، فالقلبُ قلبُ قبائهِ (١)

١١ قلقِ الوشاحِ ، محبُّه قلقُ الحشا
فكلاهما ظامٍ إلى أحشائهِ (٢)

١٢ ويشدُّ عَقْدَ نطاقهِ في خصْره
حَذَراً عليهِ لضعفهِ ووهائه

١٣ بدرٌ فؤادي في محبّةِ وجههِ
بدريُّهُ المعدودُ مِنْ شهدائهِ

١٤ إشراقُ غرَّةِ وجههِ في صدغه
يُبدي لكَ الإصباحَ في إمسائهِ

١٥ منشورُ إقطاعِ القلوبِ عِذارُه
فالحسنُ جندٌ ، وهو مِن أُمرائهِ

١٦ وله الشّبابُ الغضُّ أبدعَ كاتبٌ
إذ خطُّهُ المرقومُ مِن إنشائهِ

١٧ وشّى بخطٍّ عِذارهِ وجناتهِ
ماأحسنَ الخضراءَ في حمرائهِ !

١٨ دبَّ الدُّخانُ إلى حواشي خدِّه
إذ أشعلتْ نارُ الصِّبا في مائهِ

---

(١) المقرطق : لابس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد ، فارسي معرب . والقباء : ثوب طويل يلبس فوق القميص ويتمنطق به .

(٢) قلق الوشاح : كناية عن الهيف وضمور البطن .

١٩ في عارضيه سوادُ أبصارِ الورى
قد شفَّ من ماءِ الصِّبا لصفائهِ

٢٠ والصُّدغُ منه لعارضيهِ معارضٌ
وسوادُ ذاكَ الخطِّ من أفيائهِ

٢١ ومن المحبِّ ولم يَدَعْ رمقاً لهُ
هلا أخذتَ زمامَهُ لذمائهِ ؟(١)

٢٢ أعدى سقامُ اللّحظِ منه محبَّهُ
يامحنتي منه ومن أعدائهِ !

٢٣ وسقامُ مقلته زيادةُ حسنها
وأراهُ في جسمي زيادة دائهِ

٢٤ ياصاحبيَّ الصّاحيين من الهوى
قد طالَ عهدُكما بكأس طلائهِ

٢٥ لاتطمعا في أن أفيق ، فانني
ياصاحبيَّ سكرتُ من صهبائهِ

٢٦ لاتسمعاني فيه ماأنا كارهٌ
إنَّ المحبَّ يصدُّ عن نصحائهِ

٢٧ ولقد أصمُّ عن الكلامِ تغافلاً
لأنزِّه الأسماعَ عن فحشائهِ

٢٨ أروي حديثَ الحادثات ، وخطبُها
لي يخطبُ الأهوالَ من أهوائهِ

٢٩ يخفي الزّمانُ سناي في إظلامهِ
إخفاءَ ألثغ سينه في ثائهِ

٣٠ لما مضيتُ له براني صرفُهُ
مثلَ اليراعِ فبريُهُ لمضائهِ

---

(١) الذماء : بقية الروح في المذبوح .

٣١ حتّامَ أرضى الضّيمَ من أدوانـه ؟
والى متى أُغضي على إقـذائـهِ ؟

٣٢ إحفظْ لسانكَ أنْ يطـولَ ، فانمّا
قصرُ اللّسان يكُفُّ مـن غلوائهِ (١)

٣٣ والشّمعُ قطـعُ لسانه مـن طولـه
وحياتهُ سببٌ الى إدرائـهِ

٣٤ ومقاسـمٌ في ثـروتـي لمـا رأى
عدمي غدا مستأثراً بثرائـهِ

٣٥ قوّمتُ في زمن الشّدائد غصنَـهُ
فاعوجَّ إذْ هبّتْ رخاءُ رُخائـهِ (٢)

٣٦ ونفعتُـهُ لمّا تناهـى ضـرُّهُ
فأعضتـه السّراء مـن ضرائهِ

٣٧ قلبي مـن الإشفاق محترقٌ لـه
كالشّمعِ وهو يعيشُ في أضوائـهِ

٣٨ متنـاومٌ عنـيّ اذا نـاديتُـهُ
ولطالما استيقظتُ عنـدَ ندائهِ

٣٩ إنْ أسترِدْهُ يـزدْ كراهُ، وزائـدٌ
تحريـكُ مهدِ الطّفلِ في إغفائهِ

٤٠ ولئـن جـفـانـي الدّهرُ في أحداثـهِ
فلأَصبرنَّ على فظيـعِ جـفـائهِ

٤١ فاللـهُ يفعـلُ مـا يشـاءُ بـخـلقـهِ
وجمـيـعُ مـا يجري لنـا بقضائهِ

---

(١) الغلواء : الغلو

(٢) رخاء الأولى (بضم الراء) : الريح اللينة التي تحرك شيئا . ورخاء الثانية (بفتح الراء) سعة العيش .

٤٢ فاستعد من ريبِ الزّمانِ بصاحبٍ
تعدي فضائله على عدوائهِ (١)

٤٣ واشك الزّمانَ إلى شهابِ الدّين كي
يُبدي رياضَ الخصبِ في شهبائهِ

٤٤ ونداهُ نادٍ، فإنّ أنديةَ المنى
مخضرّةُ الأكنافِ من أندائهِ

٤٥ وهو الشّهابُ حقيقةً، فالفضلُ من
أنوارِهِ، والطولُ من أنوائهِ

٤٦ كالشّمسِ في آرائهِ، كالغيثِ في
آلائهِ، كالصّبحِ في لألائهِ

٤٧ للهِ راحتُهُ! ففيها راحةٌ
لمؤمّليهِ ومرتجي نعمائهِ

٤٨ فعداتُهُ يغنونَ من إعطابهِ
وعفاتُهُ يحيونَ من إعطائهِ (٢)

٤٩ يُغضي حياءً والمهابةُ كلها
في أنفسِ الأعداء من إغضائهِ

٥٠ ويغضّ عيناً للوقارِ، ونورُهُ
لتغضّ عينُ الشّمسِ دونَ لقائهِ

٥١ إنْ كان ما غنّتْ معاني مدحه
منّي، فما رثّتْ حبالُ حبائهِ

٥٢ أبني المظفرِ ما يزالُ مظفراً
راجيكمُ أبداً بنيلِ رجائهِ

٥٣ واذا عرا خطبٌ ملمٌّ مؤلمٌ
داويتمُ بالجودِ من أدوائهِ

---

(١) الاستعداء : الاستغاثة والاستنصار . العدواء : الشغل يصرفك عن الشيء .
(٢) اعطابه : إهلاكه . عفاته : طلاب معروفه .

٥٤ يا مَنْ علا يحكي أباهُ وجده
زانَ العلاء بجدِّه وإبائه

٥٥ يعني الزّمانُ بمنْ عنيتُ بأمره
حاشاكَ تترك عانياً بعنائه

٥٦ فانصرْ أبا نصرٍ على زَمَنٍ أبى
نصري، لفضلٍ أنتَ من أبنائه

٥٧ واشفعْ تشفّع وعده بنجازه
أنّى يخيبُ وأنتَ مِن شفعائه؟

٥٨ ذكّرْ بحالي الصاحبَ المولى الذي
يقوى أميرُ المؤمنينَ برائه

٥٩ وقل : استجار كريمُ بيتٍ بى، وذوالْ
بيتِ الكريمِ يجدُ في إحيائه

٦٠ والمستجيرُ بنا مجارٌ لم يزلْ
ولو أنَّ هذا الدَّهرَ من أعدائه

٦١ شافِهْ أميرَ المؤمنينَ بحاله
فأرى شفاهكَ موجبٌ لشفائه

٦٢ قلْ للإمامِ: علامَ حبس وليّكم؟
أولوا جميلكمُ جميل ولائه (١)

٦٣ أو ليس إذْ حبسَ الغمامُ وليّه
خلّى أبوكَ سبيلَهُ بدعائه (٢)

٦٤ لولاكَ كان رويٌّ شعري ظامئاً
لا يطمعُ الراوونَ في إروائه

٦٥ والفضلُ بينَ بنيهِ أوْكدُ نسبةً
فأغثْ كريماً أنتَ من نسبائه

---

(١) الولي : ضد العدو ، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه .

(٢) الولي : المطر الذي بعد الوسمي .

(٧)

كتب العمادُ سنة ٥٧٣هـ الأبيات الآتية – بطلب من السلطان صلاح الدين – إلى صاحب المخزن بدمشق ظهير الدين أبي بكر منصور بن نصر العطّار * :

(من الكامل)

١ وأفاضَ في شكر العوارف عارفاً
بقصور باعِ الشُكرِ عن نعمائهِ

٢ وتأمّلَ الخطَّ الكريمَ فأشرقَتْ
أنوارُ حُسن العهدِ من أثنائهِ

٣ وجرى معينُ الجود من تيّارهِ
وسَرَى نسيمُ المجد من تلقائهِ

٤ أضحى ظهيرُ الدين أفضلَ صاحب
يستمسكُ الرّاجي بصدق ولائهِ

٥ والسّعدُ في آلائه ، والنجحُ في
آرابهِ ، والنّصرُ في آرائهِ

* البرق الشامي ٣ : ٣٨ أ ، سنا البرق ١ : ٢٧٥ .

(قافيـة البـاء)

(٨)

كتب العماد إلى توران شاه (١) أخي صلاح الدين سنة ٥٦٤ هـ قصيدة يعاتب فيها صلاح الدين لإرساله له عمامة ملبوسة ، منها * :

(من السريع)

١ عبـدُكَ ، شمسَ الدولـة المرتجـى
منتظـرٌ تشريفـكَ المذهبـا

٢ فاعتـبْ صلاحَ الدّيـن لـي حالتـي
عساهُ بالإصـلاح أنْ يعتبـا

٣ عَـرِّفْـهُ مـاثـمَّ ، فـإنّـي أرى
مـن فضلـه للفضلِ أن يغضبـا

٤ وكيف يَـرْضَـى ذاكَ بعضَ الرِّضا
ومجـدُهُ يـأبـاهُ كـلَّ الإبا

٥ وقُـلْ لـه : جاءَتْـهُ ملبـوسـةٌ
تخلّفـتْ مـن تُبَّعٍ فـي سبـا

٦ عمامـةٌ رقّـتْ ورثّـتْ ، فمـا
نشرتُـهـا إلا وطارتْ هَبَـا !

---

(١) توران شاه بن أيوب ، افتتح اليمن ووليها ، توفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ ونقلته أخته ست الشام إلى دمشق ودفنته بالشامية (وفيات الأعيان ١ : ٢٧٣ ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص ٥٠).

* الأبيات في الروضتين ١ : ٤٤٧ .

(٩)

كتب العماد إلى القاضي الفاضل في سنة ٥٧٤ للهجرة ضمن رسالة الأبيات الآتيـة * :

(من مجزوء الرمل)

١ إنْ أغبّتْ خَدَمـاتـي
فدعـائـي مـا أغبّـا

٢ وأخـو الإغبـابِ بالتخـ
فيـف قـد يـزدادُ حُبّـا

٣ فـأقـلْ عثـرةَ عبـد
تـابَ إنْ قـارفَ ذَنْبـا

٤ إنّـهُ أوّلُ مَـنْ نـادَ
ى نـدَى المـولـى ولبّـى

٥ شـابَ مِـن عتبـكَ للخـو
ف وإنْ أعتـبَ شَبّـا

(١٠)

من قصيدة أنفذها العمادُ إلى الخليفة الناصر لدين الله في فتح القدس سنة ٥٨٣هـ** :

(من البسيط)

١ ورثـتُ مـن سَلَفـي رقـي لطاعته
وذلكَ الرقُ للأسـلاف أحسـابُ

٢ ماكانَ لـولا الرِّضـا والسُّؤلُ منه لنا
خصـبٌ ومحـلٌ وإجـداءٌ وإجدابُ

---

* البرق الشامي ٣ : ٨٧ أ .

** الأبيات الأربعة الأولى في سنا البرق الشامي ١ : ٣٤٣ وتتمة القصيدة في الروضتين ٢ : ١٥و٢ : ١٠٢ .

٣ قد قلتُ – لولا التُّقى – ماغيرُ صارمه
للعُمر والرِّزق منّاعٌ ووهّابُ

٤ مُعمّرٌ بعمود الصُّبح بيتُهم
له من الشُّهب أوتادٌ وأطنابُ

٥ أبشرْ بفتح أمير المؤمنينَ أتى
وصيته في جميع الأرض جوّابُ

٦ ماكانَ يخطرُ في بالٍ تصوُّره
واستصعب الفتح لمّا أُغلقَ البابُ

٧ وخامَ عنه الملوكُ الأقدمونَ وقد
مضتْ على النّاس من بلواهُ أحقابُ (١)

٨ وجاءَ عصرُكَ ، والأيامُ مقبلةٌ
فكان فيه لفيض الكفر إنضابُ

٩ نصرٌ أعادَ صلاحُ الدين رونقَهُ
إيجازُه ببليغِ القولِ إسهابُ

١٠ قرعُ الظُّبى بالظُّبى في الحرب يُطربُهُ
لاقينةٌ صَنَعٌ باللّحن مطراب(٢)

١١ أحيا الهُدى،وأماتَ الشِّركَ صارمُه
لقد تجلّى الهُدى،والشِّركُ منجابُ

١٢ بفتحه القدسَ للإسلام قد فتحتْ
في قمع طاغية الإشراك أبواب

١٣ ففي موافقة البيت المقدَّس للـ
بيت الحرام لنا تيهٌ وإعجابُ

---

(١) خام : جبن ونكص .
(٢) الظبى : جمع ظبة ، حد السيف أو السنان ونحوهما .

١٤ والصخرُ والحجرُ الملثومُ جانبُهُ
كلاهما لاعتمار الخلق محرابُ

١٥ نفى من القدس صلباناً كما نُفيت
من بيت مكّة أزلامٌ وأنصابُ (١)

١٦ الدهرُ ينصرني مادام ينسبني
لخدمة الناصر المنصور نسّابُ

١٧ بطاعة النّاصر بن المستضيء أبي الـ
ـعباس أحمد للأيام أصحابُ

(١١)

دوبيت في الجهاد على لسان نور الدين محمود * :

١ أقسمتُ سوى الجهاد مالي أَرَبُ
والرّاحةُ في سواهُ عندي تَعَبُ

٢ إلاّ بالجِدّ لا يُنالُ الطّلَبُ
والعيشُ بلا جدٍّ جهادٍ لَعِبُ

(١٢)

**

قال في الشيب :

(من الخفيف)

١ أصدوداً ، ولم يَصُدَّ التصابي
ونفاراً ، ولم يَرُعْكَ المشيبُ

---

(١) الأزلام : جمع الزلم ، وهو السهم لا ريش له ، وكان العرب يستقسمون بالأزلام قبل الاسلام . الأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله .

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٤٢ ، الروضتين ١ : ٥٢٨ .

** الخريدة ، قسم الشام ، ١ : ٥٩ .

٢ وكتـابُ الشّباب لـم يطـوه الشيـ
ـبُ ولا مَسّ نقشَـةُ التَشْريبُ (١)

(١٣)

كتب العماد الى صديقه ببغداد علم الدين أَبي الحسن علي بن اسماعيل الجوهري (٢) رباعية ٭ :

١ مـا أَخجلنـي ، وقـد أتتنـي الكتبُ
تشكـو وتقـولُ : إنّهم قد عتبوا

٢ هـم أهـلُ مودّتـي رضـوا أم غضبوا
مـا أَعظـمَ زلّتـي اذا لم يهبـوا

(١٤)

قال العماد :سألني نور الدين أَنْ أَعمل دوبيتات في معنى الجهاد على لسانه ، فقلت ٭٭ :

(دو بيت)

١ للغـزو نشاطـي واليـه طـربَـي
لم مـا لي في العيـش غيـرَهُ من أَرَب

٢ بالجـدِّ وبالجهاد نُجـحُ الطّلـب
والرّاحـةُ مستـودعةُ في التّعَب

---

(١) التشريب : الإفساد والتخليط .
(٢) هو الشاعر علم الدين أبو الحسن علي بن اسماعيل الجوهري المعروف بالركابدار العضدي المتوفى سنة ٥٥٧ ه (المنتظم ١٠: ١٠٣ ، سنا البرق ١ : ١٠٤) .
٭ سنا البرق الشامي ١ : ١٠٤ .
٭٭ الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٤٣ ، سنا البرق ١ : ١٠٤ ، الووضتين ١ : ٥٢٨.

(١٥)

قال العماد : ومما نظمته سنة ٥٧٣ للهجرة في الشوق الى مصر بعد مفارقتها * :

(من الرمل)

١ ساكني مصر هناكُمْ طيبُها
إنَّ عيشي بعدكمْ لم يطبِ

٢ لاعدمتُم راحةً مِن قربها
فأَنا من بعدها في تعبِ

٣ لاتركتُ الغمضَ يغشى ناظري
لا ولا طيبَ الكرى يأْنسُ بي

٤ لا وأَيام اجتماعي بكم
إنها كانت زمان الطَّربِ

٥ أَنتمُ روحي وأَنتم منيتي
أَنتم سُؤلي وأَنتم أَربي

٦ ليتني لما دعا داعي النَّوى
بيَ من بينكمُ لم أَجبِ

٧ وأَنختُ العيسَ في أَبوابكم
ولأَجواز الفلا لم أَجُبِ

٨ وتصبَّرتُ على عتبكمُ
وتلومتُ بتلكَ العَتَبِ

٩ بَعُدَ العهدُ بأخباركمُ
فابعثوا أَخباركم في الكُتبِ

---

* البرق الشامي ٣ : ٣٤ ب ، الروضتدين (الأبيات ١ ، ٢ ، ٩ ، ١٠) ١ : ٧٠٧ .

١٠ ليتَ مصراً عرفتْ أنّي وإنْ
غبتُ عنها فالهوى لم يغبِ

١١ فمتى أظفرُ من قربكمُ
يا أخلايَ بنجحِ الطّلبِ

١٢ ومتى أحصلُ بالوصلِ على ال
ـواصلِ المرتقبِ المقتربِ

١٣ ومتى أطلعُ في أُفقكمُ
قمراً يجمعُ شملَ الشُّهُبِ

(١٦)

أنفذ العماد سنة ٥٦٤ للهجرة قصيدة الى أسد الدين شيركوه بمصر يهنئه فيها على تقلد الوزارة * :

(من البسيط)

١ بالجدِّ أدركتَ ما أدركتَ لا اللّعبِ
كم راحةٍ جُنيَتْ من دوحةِ التّعبِ

٢ يا شيركوهُ بن شاذي الملكُ دعوةَ مَنْ
نادى، فعرَّفَ خيرَ ابنٍ بخيرِ أبِ

٣ جرى الملوكُ وما حازوا بركضهمُ
من المدى في العُلى ما حُزْتَ بالخَبَبِ

٤ تملَّ من مُلْكِ مصرٍ رتبةً قصرتْ
عنها الملوكُ فطالتْ سائرَ الرُّتَبِ

---

* الروضتين ١ : ٤٠٣ ، مفرج الكروب ١: ١٦٥ ، الأبيات (١، ٥، ٦) في سنا البرق ١ : ٧٩ ، الأبيات الخمسة الأولى في مختصر أبي الفداء ٣ : ٤٦ ، تتمة المختصر ٢: ١١٦ ، شفاء القلوب ص ٤٢ .

٥ افخرْ فإنَّ ملوكَ الأرضِ قاطبةً
أفلاكُها منكَ قد دارتْ على قُطُبِ

٦ فتحتَ مصرَ، وأرجو أن تصير بها
مُيَسَّراً فتحَ بيت القدس عن كَثَبِ

٧ قد أمكنتْ أسدَ الدِّين الفريسةُ من
فتحِ البلادِ، فبادرْ نحوَها، وثِبِ

٨ أنتَ الذي هو فردٌ من بسالته
والدِّينُ من عزمه في جحفلٍ لجبِ

٩ في حَلْق ذي الشِّرك من عدوى سُطاكَ شجاً
والقلبُ في شَجنٍ، والنَّفسُ في شَجَبِ(١)

١٠ زارتْ بنى الأصفر البيضُ التي لقيتْ
حُمْرَ المنايا بها مرفوعَةَ الحُجُبِ

١١ وإنها نَقَدٌ من خلفها أسدٌ
أرى سلامتها من أعجب العَجَبِ(٢)

١٢ لقد رَفَعْنا إلى الرَّحمن أيدينا
في شكرِنا ما بهِ الإسلامُ منكَ حُبِي

١٣ شكا اليكَ بنو الإسلام يُتْمهمُ
فقمتَ فيهم مقامَ الوالدِ الحدبَ

١٤ في كلِّ دارٍ من الإفرنجِ نادبةٌ
بما دهاهم، فقد بانوا على نَدَبِ

١٥ من شرِّ شاور أنقذتَ العبادَ، فكم
وكم قضيتَ لحزبِ اللهِ من أرَبِ (٣)

---

(١) الشجب : الحزن .

(٢) النقد : جلس من الغنم .

(٣) أبو شجاع شاور بن مجيد بن نزار قتل سنة ٥٦٣ هـ (وفيات الأعيان ٢ : ١٥٦).

١٦ هـو الذي أطمعَ الإفرنجَ في بلـد الـ
إسلام حتـى سَعَـوا للقَصد والطّلَبِ
١٧ وإنَّ ذلكَ عنـدَ الله محتسَـبٌ
في الحشر من أفضل الطاعات والقُرَبِ
١٨ أذلّه الملكُ المنصـورُ منتصـراً
لما دعا الشِّرْكُ : هذا قد تعزَّز بـي
١٩ وما غضبتَ لديـن الله منتقمـاً
الاّ لنيلِ رضا الرَّحمنِ بالغَضَبِ
٢٠ وأنتَ من وقعتْ في الكُفـر هيبتُـه
وفي ذويهِ وقوعَ النّار في الحَطَبِ
٢١ وحينَ سرت الى الكُفّار فانهزمـوا
نُصرتَ نصرَ رسولِ اللهِ بالرُّعـبِ
٢٢ يامحيي الأُمـة الهـادي بدعوتـه
للرُّشْد كـلَّ غـوي منهـمُ وغبي
٢٣ لمـا سعيـتَ لوجـه الله مُرتقبـاً
ثوابَـهُ ، نلـتَ عفـواً كلَّ مُرتقبِ
٢٤ أعدتَ نقمةَ مصر نعمـةً ، فغـدتْ
تقولُ : كـم نكـتٍ لله في النكـبِ
٢٥ أركبتَ رأسَ سنـان رأسَ ظالمـها
عدْلاً ، وكنـتَ لوزْر غيرَ مُرتكبِ
٢٦ رُدَّ الخلافـةَ عباسية ، ودع الـسـدً
عـيَّ فيهـا يصادفْ شـرَّ مُنْقَلَبِ
٢٧ (لا تقطعَنْ ذنبَ الأفعـى وترسلها) (١)
فالحزمُ عنـدي : قطعُ الرأس كالذَّنبِ

(١) البيت في الأصل لأبي اذينة ابن عم الأسود بن المنذر بن النعمان :
لا تقطعـن ذنب الأفعـى وتـرسـلهـا   إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبـا
(تاريخ أبي الفداء ١ : ٧٦٣)

(١٧)

قال العماد في رثاء أخيه عثمان ، وقد اتصل به خبر وفاته وهو عائد من الحج سنة ٥٤٩ للهجرة * :

(من الطويل)

١ سقى اللهُ إنساناً لعيني دفنتُـــهُ
على رَغْمِ أنْفي جاعلاً قبرَه قلبي

٢ فلا تَحْسَبوا أنَّ التُّرابَ ضريحُـــهُ
فمنزلُهُ بين التّرائب لا التـــرْبِ

(١٨)

في مدح ، الملك الكامل محمد بن أبي بكر العادل سنة ٥٩٦ للهجرة** :

(من البسيط)

١ أنتم تحبونَ بالإعـراض تَعْذيبـي
وتقصدونَ بخلق الصّدِّ تَهْذيبي

٢ ساروا، فيا صِحّتي مِن مُهجتي ارتحلي
غابوا ، فيا سنتي عن مُقْلتي غيبي

٣ قد كان يهضمني دهري فأدركنـــي
محمدُ بنُ أبي بكر بن أيـــوبِ

٤ الكاملُ المالكُ الأَملاكَ حيثُ لـــه
رقٌ الأَعاجم منهم والأَعاريبِ

---

* الخريدة بداية شعراء الشام ، ص ٢١٧ .

** الأبيات في الروضتين ٢ : ٢١٧ ، و ٤ ، ٦ في مرآة الزمان ٨: ٤٧١ .

٥ مُعَطَّرٌ عرفُهُ عـرفاً ومكـرمـة
مخمَّرٌ طينُهُ بالطُّهر والـطـيـبِ

٦ دعتكَ مصر إلى سلطانـهـا فأجـبْ
دعاءَها، فهو حقٌ غيرُ مكـذوبِ

(١٩)

مدح العماد نجمَ الدين أيوب سنة ٥٦٢ للهجرة * :

(من البسيط)

١ يومُ النّوى ليس من عُمري بمحسوب
ولا الفراقُ إلى عَيْشي بمَنْسُوب

٢ لم أنسَ أنسي بكم، والشّملُ مجتمعٌ
وعيشتي ذاتُ تطريز وتذهـيـب

٣ ما اخترتُ بُعْدَكَ، لكنَّ الزمانَ أتى
كَرْهاً بما ليس – يا محبوبُ – محبوبي

٤ أرجو إيابي إليكـم ظافراً عَجِلاً
فقـد ظَفرتُ بنجـم الدّين أيُّوبِ

٥ موفّـقُ الرأْي ، ماضي العَزْم ، مُرتفعٌ
على الأعاجـم مَجْـداً والأعاريبِ

٦ أحبَّكَ اللهُ إذْ لازَمْتَ نَجدَتَـهُ
على جبيـن بتـاج المُلْكِ مَعْصُوبِ

٧ أخوكَ وابنُك ، صدقاً منهما ، اعتصما
بالله ، والنُّصرُ وعدٌ غيرُ مكـذوبِ

---

* القصيدة في الروضتين ١ : ٣٦٩ وأبيات متفرقة في سنا البرق ١ : ٥٩ ، معجم الأدباء ٧ : ٨٢ ، عيون التواريخ ١٧ : ١٠٨ ، عقد الجمان ١٣٧ أ ، شفاء القلوب ص ٤٦.

٨ هما هُمامانِ في يومَيْ وغىً وقِرىً

تعوَّدا ضربَ هـام أَو عراقيبِ (١)

٩ غدا يشبّان في الكفّار نارَ وغـــىً

بلفحها يُصبحُ الشّبـانُ كـالشّيبِ

١٠ بملك مصـر ونصرُ المؤمنيـن غـداً

تحظـى النّفوسُ بتأنيس وتطييبِ

١١ ويستقرُّ بمصـر يوسفٌ ، وبـــه

تَقَرُّ بعد التّنائي عيـنُ يعقـوبِ

١٢ ويلتقي يوسفٌ فيهـا بإخوتـــه

واللهُ يجمعهم من غيـر تثريـبِ (٢)

١٣ فارجو الإلهَ ، فعن قُربٍ بنُصرتـه

سيكشفُ اللهُ بلـوى كلِّ مكروبِ

(٢٠)

وصل الى العماد من صلاح الدين سنة ٥٦٤ للهجرة عمامةٌ مُذَهّبة، فكتب إليه * :

(من الكامل)

١ أما العمادُ فقد تضاعفَ شكـــرُهُ

نعماكَ ، شكر الرَّوض نُعمى الصيِّبِ

٢ لعمامـةٍ ذهبيــــةٍ كغمــامـة

يبدو بهـا برقُ الطِّرازِ المغربـي

(١) عراقيب : جمع عرقوب ، وهو عصب غليظ فوق العقب .

(٢) اشارة إلى قوله تعالى في سورة يوسف ، الآية ٩٢ (قال لاتثريب عليكم ...) .

* الأبيات في الروضتين ١ : ٣٣٧ .

٣ ما كان أحسنَ حالَه لو أنّه
شُفعت عمامته بثوب مُذهبِ !

(٢١)

قال العماد في سنة ٥٧٣ للهجرة : واقترح عليّ السلطان صلاح الدين عمل أبيات يكتب بها الى مصر، فقلت * :

(من الطويل)

١ أيا ساكني مصر ألم تتحقّفوا
بأنكم لم تبرحوا ساكني قلبي

٢ حنانيكمُ زادَ الحنينُ اليكمُ
فأضعفَ من صبري وضاعفَ من كربي

٣ لقد أشفقتْ من لوعة الحبّ مُهجتي
وهل مهجةٌ تَبْقَى على لوعة الحبّ

٤ ولو أنّني أودعتُ شوقي كتبكم
لخفت لقلبي مُحرقاً وقده كتبي

٥ بغير الرِّضا منّي ببعدِ مزاركم
رضيتُ بإهداءِ السّلامِ معَ الرّكبِ

---

* البرق الشامي ٣ : ٣٥ ب .

(٢٢)

قال العماد في حوادث سنة ٥٦٤ للهجرة : وكثرت كتب صلاح الدين إلى أصدقائه مُبشِّرة بطيِّب أنبائه، منها كتاب ضمّنه هذا البيت :

(من الطويل)

وأنثرُ درَّ الدَّمع من قبلُ أبيضا
وقد حالَ مُذْ بِنْتُمُ فأصبحَ ياقوتا

فنظمتُ في جوابه أبياتاً منها* :

١ هنيئاً لمصر حَوز يوسف ملكها
بأمرٍ من الرَّحمنِ قد كان مَوْقوتا

٢ وما كان فيها قتلُ يوسف شاوراً
يماثلُ إلاّ قتل داود جالوتا

٢ وقلتُ لقلبي : أبشر اليوم بالمُنى
فقد نلتَ ما أمّلتَ، بلْ حزتَ ماشِيتا

(٢٣)

في رثاء صلاح الدين سنة ٥٨٩ للهجرة ** :

(من الكامل)

١ شملُ الهدى والمُلْكِ عمَّ شتاتُهُ
والدَّهرُ ساءَ وأقلعتْ حسناتُهُ

---

* الأبيات في الروضتين ١ : ٣٥٥ ، مفرج الكروب ١ : ١٧٨ ، تاريخ ابن الفرات ٤ : ٧٣، شفاء القلوب ص ٧٣ .

** القصيدة في الروضتين ٢: ٢١٥ ، مرآة الزمان ٨: ٤٣١ ، الأنس الجليل ١: ٣٩٥ ، النجوم الزاهرة ٦: ٦١ ، شفاء القلوب ص ١٨١ .

٢ أينَ الذي مُذْ لم يزل مخشيّةً
مرجوّةً رهباتُهُ وهباتُهُ

٣ أينَ الذي كانتْ لـه طاعاتُنا
مبذولةً، ولربِّهِ، طاعاتُهُ؟

٤ باللهِ أين الناصرُ الملكُ الذي
للهِ خالصةً صفَتْ نيّاتُهُ؟

٥ أينَ الذي ما زالَ سلطاناً لنا
يُرْجَى نَداهُ، وتُتّقَى سَطَواتُهُ؟

٦ أَين الذي شرُفَ الزّمانُ بفضلِهِ
وسَمَتْ على الفُضلاءِ تشريفاتُهُ ؟

٧ أَينَ الذي عنتِ الفرنجُ لبأسِهِ
ذلاً ومنهاَ أدركتْ ثاراتُهُ ؟

٨ أَغلالُ أَعناقِ العِدا أَسيافُهُ
أَطواقُ أَجْيادِ الورَى منّاتُهُ

٩ لم يُجْدِ تدبيرُ الطّبيب وكمْ وكمْ
أَجدتْ لطِبِّ الدّهر تدبيراتُهُ

١٠ مَنْ في الجهاد صفاحُهُ ما أُغمِدتْ
بالنّصر حتى أُغمِدتْ صفحاتُهُ

١١ مَنْ في صدور الكُفر صدرُ قناتِهِ
حتى توارتْ بالصياح قناتُهُ

١٢ لذّ المتاعبَ في الجهادِ ولم تكن
مذ عاشَ قطُّ لذاته لذّاتُهُ

١٣ مسعودةٌ غدواتُهُ ، محمودةٌ
روحاتُهُ ، ميمونةٌ ضَحَواتُهُ

١٤ في نصرةِ الإسلامِ يسهرُ دائمـاً
ليطولَ في روضِ الجنانِ سنانُهُ

١٥ لاتحسبوه ماتَ شخصٌ واحدٌ
فمماتُ كلِّ العالمينَ مماتُهُ

١٦ ملكٌ عن الإسلام كان محامياً
أبداً إذا ما أسلمتـهُ حماتُهُ

١٧ قد أظلمتْ مُذْ غابَ عنّا دُورُهُ
لمّا خلتْ من بَدْرِهِ داراتُهُ (١)

١٨ دُفِنَ السماحُ ، فليس تُنْشَرُ بعدما
أودَى الى يوم النُّشور رُفاتُه (٢)

١٩ الدينُ بعد أبي المظفرِ يوسف
أقوتْ قُراه، وأقفرتْ ساحاتُهُ (٣)

٢٠ جبَلٌ تضعضعَ،مِنْ تَضعْضُعِ ركنه
أركاننا ، وتهدَّنا هـداتُهُ

٢١ ما كنتُ أعلم أنَ طوداً شامخاً
يهوي ولا تهوي بنا مهواتُهُ

٢٢ ما كنتُ أعلمُ أنَّ بحراً طامياً
فينا يُطَمُّ، وتنتهي زخراتُهُ

٢٣ بحرٌ خلا من وارديهِ، ولم تزلْ
محفوفةٌ بوفودهِ حافاتُهُ

---

(١) في الروضتين : غاب عنها ، وما أثبتناه من النجوم الزاهرة .

(٢) في الروضتين : فليس ينبش ، وما أثبتناه من النجوم الزاهرة والأنس الجليل .

(٣) في الروضتين : أقوت قواه ، وما أثبتناه من النجوم الزاهرة .

٢٤ مَنْ لليتامى والأرامل راحمٌ
متعطِّفٌ مفضوضةٌ صدَقاتُهُ

٢٥ لو كان في عصر النبيِّ لأُنزلتْ
في ذكْرِه من ذكْرِه آياتُهُ

٢٦ فعلى صلاح الدِّين يوسفَ دائماً
رضوانُ ربِّ العرش ،بل صلَوَاتُهُ

٢٧ لضريحهِ سُقيا السّحاب، فإنْ يغبْ
تحضَرْ لرحمةِ رَبِّه سَقَيَانُهُ

٢٨ وكعادة البيتِ المقدَّسِ يحزنُ الـ
ـبيتُ الحرامُ عليه ، بلْ عرفاتُهُ

٢٩ مَنْ للثغور، وقد عَدَاها حفظُهُ
مَنْ للجهادِ ولم تَعُدْ عاداتُهُ

٣٠ بكت الصَّوارمُ والصَّواهلُ إذ خلتْ
مِن سَلِّها وركوبها غزواتُهُ (١)

٣١ وبسيفه صَدَأٌ لحزن مصابهِ
إذ ليس يشفي بعده صدياتُهُ

٣٢ يا وحشتا للبيض في أغمادِها
لا تنتضيها للوغى عزَماتُهُ !

٣٣ يا وحشةَ الإسلام يوم تمكّنتْ
في كلِّ قلب مؤمنٍ روعاتُهُ !

٣٤ يا حسرتا من بأسِ راحته الذي
يقضي الزَّمان وما انقضت حسراتُهُ !

---

(١) في الروضتين : من سبلها ، وما أثبتناه من النجوم الزاهرة .

٣٥ ملأتْ مـهـابتُـه البـلادَ فإنّـــه
أَسدٌ، وإنَّ بلادَهُ غـابـاتُـــهُ

٣٦ ما كانَ أَسرعَ عصرَهُ لـمـا انقضى
فكأنّما سـنـواتُـه ساعـاتُـهُ

٣٧ لم أنسَ يـوم السّبت وهـو لما بـه
يُبدي السُّباتَ وقد بَدَتْ غشياتُهُ

٣٨ والبِشْرُ منه تبلّجـتْ أَنـــوارُهُ
والوجهُ منـه تلألأَتْ سبحاتُـه

٣٩ ويقولُ للهِ المهيمـنِ حكـمـة
في مرْضـة حصلت بها مرضاتُـهُ

٤٠ وقفَ الملوكُ على انتظار ركـــوبه
لهم ، ففيمَ تأخرتْ ركباتُـهُ؟

٤١ كانوا وقوفاً أَمس تحتَ ركابـــه
واليومَ هم حولَ السّريرِ مشاتُهُ

٤٢ وممالكَ الآفـاقِ ساعيـةٌ لـــــه
فمتى تجيءُ يفتحهنَّ سعاتـــهُ

٤٣ هذي مناشيرُ الممالكِ تقتضـــي
توقيعَهُ فيها، فأَينَ دواتُـــهُ ؟

٤٤ قد كان وعدكَ في الرَّبيع بجمعهـا
هذا الرَّبيع ، وقد دنا ميقاتُـهُ

٤٥ والجندُ في الديوانِ جدّدَ عرضَـهُ
واذا أَمرت تَجدّدَتْ نَفَقاتُهُ

٤٦ والقدسُ طامحةٌ اليـكَ عيونُـــه
عَجِّلْ، فقد طمحتْ اليه عداتُهُ

٤٧ والغربُ منتظرُ طلوعَكَ نحوَهُ
حتى تفيءَ الى هُداكَ بغاتُهُ

٤٨ والشّرقُ يرجو غربَ عزمكَ ماضياً
في ملكهِ حتى تطيعَ عصاتُهُ

٤٩ مغرىً بإسداء الجميل كأنّما
فرضتْ عليه كالصّلاةِ صلاتُهُ

٥٠ هل للملوك مضاؤه في موقف
شدّتْ على أعدائه شدّاتُهُ

٥١ واذا الملوكُ سعوا وقصّرَ سعيُهم
رجحتْ وقد نجحتْ به مسعاتُهُ

٥٢ كم جاءَه التّوفيقُ في وقعاته
من كان بالتّوفيقِ توقيعاتُهُ

٥٣ ياراعياً للدّين حين تمكّنتْ
منه الذّئابُ وأسلمتهُ رعاتُهُ

٥٤ ما كان ضرّكَ لو أقمتَ مراعياً
ديناً تولّى مذ رحلتَ وُلاتُهُ

٥٥ أضجِرتَ منا ،أم أنفتَ فلم تكنْ
ممّن تصابُ لشدّةٍ ضجراتُهُ ؟

٥٦ أرضيتَ تحتَ الأرضِ يا منْ لم يزلْ
فوقَ السّماءِ عليّةً درجاتُهُ ؟

٥٧ فارقتَ مُلْكاً غيرَ باقٍ متعباً
ووصلتَ مُلْكاً باقياً راحاتُهُ

٥٨ أعززْ على عيني برؤية بهجة الـ
ـدُّنيا ، ووجهُكَ لا ترى بهجاتُهُ

٥٩ أَبني صلاح الدِّين إنَّ أَبَاكـــم
ما زالَ يأْبى مـا الكـرام أُباتُهُ

٦٠ لاتقتدوا الاَّ بسُنَّـةِ فضلـــه
لتطيبَ في مَهْدِ النَّعيمِ سناتُـــهُ

٦١ وردوا مـواردَ عدلــهِ وسماحـــه
لتردَّ عن نـهجِ الشَّمـاتِ شماتُهُ

٦٢ ولئن هوى جبلٌ ، لقد بُنيتْ لنـــا
ببنيه مـــن هضباتـــه ذرواتُهُ

٦٣ وبفضل أَفضلهِ ، وعزِّ عـــزيزهِ
وظهورِ ظاهرهِ ، لنا ســرواتُهُ (١)

٦٤ الأَفضل الملك الذي ظهرتْ على الـ
ـدنيا بزهــر جـــلاله جلـــواتُهُ

٦٥ والدِّينُ بالملكِ العزيــزِ عمـــادُهُ
عثمان حالية لنــــا حـــالاتُـــهُ

٦٦ والملْكُ غازي الظاهرُ العالي الـــذي
صحّتْ لإظهارِ العُلـــى مغزاتُـــهُ

٦٧ ولنا بسيفِ الدِّين أَظهــرَ نصــره
بالعادلِ الملكِ المُطَهَّـــر ذاتُهُ (٢)

---

(١) يشير إلى أولاد صلاح الدين : الملك الأفضل علي صاحب دمشق المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، والملك العزيز عثمان صاحب مصر المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ، والملك الظاهر غازي صاحب حلب المتوفى سنة ٦١٣ هـ .

(٢) يشير إلى الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب أخي صلاح الدين الذي تولى مصر سنة ٥٨٧ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦١٥ هـ .

(٢٤)

قال العماد في حوادث سنة ٥٦٤ للهجرة : ورثيتُ أسد الدين (١) بقصيدة خدمتُ بها نور الدين وعزّيتُ بها أخاه نجم الدين، منها* :

(من الطويل)

١ تَضَعْضَعَ في هَـذا المُصَابِ المباغـتِ
من الدِّينِ ، لولا نورُه ، كلُّ ثابتِ

٢ فأيـامُ نورِ الدِّينِ دامـتْ منيــرةً
لنا، خَلَفاً من كلِّ مُودٍ وفائتِ

٣ فمـا بالنا نُبدي التّصامُمَ غـفـلـةً
وداعي المنايا ناطقٌ غيرُ صـامـتِ

نُؤمِّلُ في دار الـفـنـاء بقـاءَنـا
ونرجو مـن الدنيا صداقةَ ماقــتِ

٥ وما الناسُ إلاّ كالغصون ، يدُ الردى
تُقرِّبَ منها كلَّ عودٍ لنـاحـتِ

٦ لقد أبلغتْ رُسْلُ المنايا وأسـمـعـتْ
ولكنّها لم تحظَ مـنـا بناصــتِ

٧ فلهفـي علـى تلكَ الشّمائـلِ ، إنّـها
لقد كرُمتْ في الحسنِ عن نعتِ ناعتِ

(٢٥)

قال العماد : وكان عند «رباط قراجة» بـ «واسط» يأوى الرئيس أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد الواسطي (٢) إلى غرفة على شاطيء دجلة، فجرت

---

(١) أسد الدين شيركوه بن شاذي ، عم صلاح الدين الأيوبي ، توفي بالقاهرة سنة ٥٦٤ للهجرة (وفيات الأعيان ، : ٤٧٨) .

* الروضتين ١ : ٤١١ .

(٢) أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد الواسطي ، المعروف بابن السوادي الكاتب الشاعر المتوفى سنة ٥٥٦ للهجرة (وفيات الاعيان ٣ : ٤٨١) .

بينه وبين الصوفية منافرة، وخلّى الغرفة، ثم أرادها، لإلفه بها، ولقربها من قلبه وحبه، فكتب اليّ بأن آخذها له، وعاتبني في رقعته نظماً، فأجبته على وزن شعره بهذه الكلمة* :

(من الكامل)

١ يامُهدياً ، بكتابهِ وعتابِـــــه
كَلِماً شَقَتْ ،وكلومَ لَوْمٍ شَقَتِ(١)

٢ حمّلْتَني أثقالَ عبءٍ خفتُها
لكن على قلبي ، لودِّكَ خَفّت

٣ وأراكَ لايُؤويكَ إلاّ غرفـــــةٌ
تشتاقُها ، أطيبْ بها من غرفة !

٤ وقنعتَ من طَيْفِ الخيالِ بزورةٍ
ورضيتَ من برقِ الوصال بخطفةِ

٥ فاكففْ كُفيتَ الذَّمَّ ، كفَّ ملامتي
فالعذرُ متَّضحٌ إذا ما كُفّتِ

٦ في غرفةٍ ، أنهارُها من تحتها
تجري ، فَفُزْ منها ، هُديتَ،بغَرْفَة

٧ هي جَنّةٌ لأُولي المكارمِ هُيِّئتْ
وكما تراها بالمكارم حُفّتِ (٢)

٨ لكنْ تُزَف إلى الكرام لحسنها
ولأنتَ أولى مَنْ إليه زُفّت

---

* الخريدة ، قسم العراق ، ٤/١ : ٣٩٠ .

(١) الكلوم : الجروح ، شفته : ضمرته وارقته .

(٢) في الحديث الشريف : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

٩ بالغْتَ في عتبي ، أفهل من أوْبَـةٍ ؟
وعدَلْتَ عن وُدّي ، فهل من عطفةٍ ؟

١٠ أنا مَنْ صفَتْ لصديقه نيّاتُــه
فحكى الذي أبدته عما أخفَـتِ

١١ وعفَتْ رسومُ مطامعي إذ عِفتُها
فمطالبي عزّت ، ونفسي عفّـت(١)

١٢ فاقبلْ معاذيري ، وعُدْ نحوَ الرِّضا
والحمدِ ،واشْفِ مودّةً قد أشْفَتِ(٢)

(٢٦)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٢ للهجرة : وكان للقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري (٣) دار جميلة ، هي دارة بدره، ودائرة قدره ، ومجال جماله ، وفضاء أفضاله ... ونحن عنده في أرب وجد ، وطرب ووجد ، وسماع وغناء ، واستمتاع واستغناء . وعملت في تلك الأيام أبياتاً يُغنّى بها ، منها * :

(من الكامل)

١ إنْ لم تَجُـدْ بالوصلِ ، متُّ بحسرتي
إنّ الفراقَ منيّتي يامُنْيَتـي

٢ للـهِ ناظرٌ ذو صِحةٍ في عِلّـةٍ
ماصَحّنـي إلاّ لديهِ وعلتـي

٣ كـم منّةٍ للـهِ في الوصال قويـة
وأراكَ في الُبُحْـران تضعفُ منّتي

---

(١) عفت : زالت وانمحت . عفت كفت .
(٢) اشفت : اقتربت من الموت .
(٣) كان فقيهاً فاضلا وأديباً شاعراً توفي سنة ٥٩٩ هـ (النجوم الزاهرة ٦ : ١٨٣)
* سنا البرق الشامي ١ : ٢٣٧ .

(٢٧)

جرت سنة ٥٦٣ للهجرة مكاتبات بين العماد وشرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون (١) ، من ذلك قوله ** :

(من المتقارب)

١ أيا شرفَ الدّيـن إنّ الشّتـا
بكافاتـه كـفّ آفاتـه (٢)

٢ وكفكَ من كـرمٍ كافُهـا
لقـد كفلـت لـي بكافاتـه

٣ وإنّـكَ مـن عرفـه شكرنـا
غـدا عاجـزاً عن مكافاتـه

(٢٨)

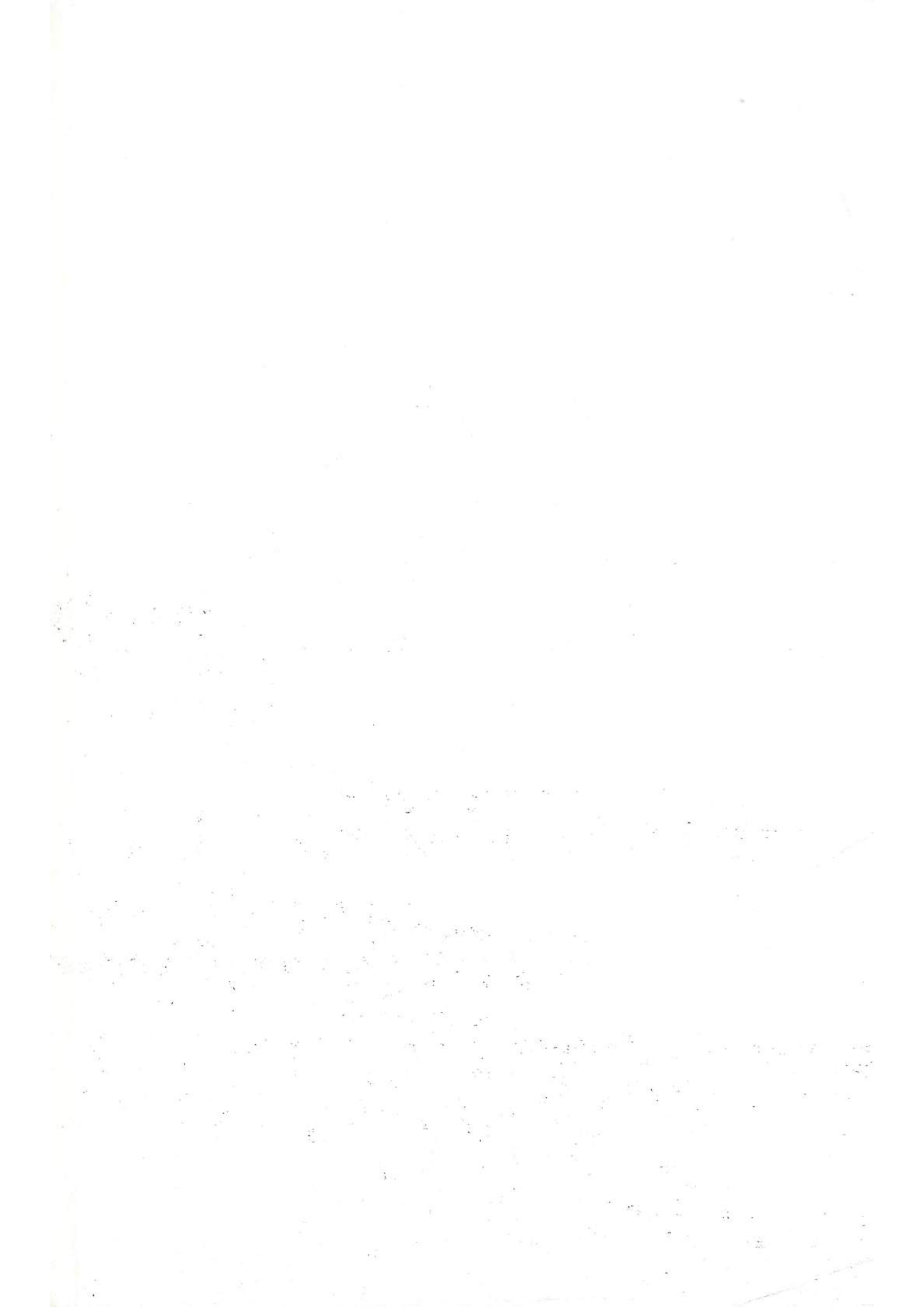
قال العماد بعد وفاة نور الدين محمود : أقمت بالموصل ثلاثة أشهر ملازماً للبيت انتظر فرجاً ، وأرتقب لقصد العراق منهجاً ،وكتبت إلى الوزير جلال الدين بن جمال الدين (٣) من جملة ماكتبت اليه* (دوبيت) :

مولايَ ضجرتُ من لزومِ البيت
كالميتِ ، وما أوحشَ بيت المَيْتِ !

لاتلفتُ من حظي ليناً ليتي
هل يملأ قنديلي يوماً زيتي ؟

---

(١) انظر القصيدة رقم (٥) .
* الروضتين ١ : ٢٧٩ ، والبيت الأول في خريدة الشام ٢ : ٣٥٢ .
(٢) الاشارة إلى بيتي ابن سكرة الهاشمي ، انظرهما في وفيات الأعيان ٤: ٤١٢ ، والمقامة الكرجية (الخامسة والعشرين) للحريري وهي التي بناها على هذين البيتين .
(٣) الجواد جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي الأصفهاني وزير صاحب الموصل أتابك زنكي ، كان نبيلا ، سمحاً كريماً ، توفي سنة ٥٥٩ هـ (وفيات الأعيان ٥ : ١٤٣) .
* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٧٣ .









١٠ غثائي وغثي أنتَ حامل نقصه
بفضلكَ ، إنّ البحرَ يحتملُ الغثا
١١ وقد سَهُلَتْ ، والثاءُ أوعرُ مرتقىً
فلا فرقَ عندي بين تاءٍ وبين ثا

(حرف الجيم)

(٣٤)

ساءت أفعال الأمير غازي بن حسّان صاحب منبج (١)، فبعث اليه نور الدين سنة ٥٦٣ للهجرة مَن حاصره وانتزعها منه ؛ ثم توجّه نور الدين اليها لتهذيب أحوالها ، ومدحه العماد بقصيدة منها : *

(من الكامل)

١ بُشرى الممالكِ فتحُ قلعةِ منبجٍ
فليَهْنِ هذا النصرَ كلُّ متوَّجِ

٢ أُعطيتَ هذا الفتح مفتاحاً ، به
في الملك يَفتحُ كلَّ بابٍ مُرتجِ(٢)

٣ وافى يبشِّرُ بالفتوح وراءَهُ
فانهضْ إليها بالجيوشِ وعرِّجِ

٤ أبشرْ ، فبيت القدس يتلو منبجاً
ولمنبجٌ لسواهُ كالانموذجِ

٥ ما أعجزتكَ الشُّهب في أبراجها
طلباً ، فكيفَ خوارجٌ في أبرُجِ

٦ ولَقَدرُ مَنْ يعصيكَ أحقرُ أن يرى
أثرَ العبوس بوجهكَ المتبلِّجِ

٧ لكنْ تُهذِّبُ مَنْ عصاكَ سياسةٌ
في ضمنها تقويمُ كلِّ مُعوَّجِ

---

(١) منبج : مدينة كبيرة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وهي من حلب على عشرة فراسخ (معجم البلدان ٥ : ٢٠٥) .

* الروضتين ١ : ٣٨٠ .

(٢) مرتج : مغلق .

٨ فانهدْ إلى البيتِ المقدّسِ غازياً
وعلى طرابلسٍ ونابلسٍ عُجِ

٩ قد سرتَ في الإسلام أحسنَ سيرة
مأثورةٍ ، وسلكتَ أوضحَ منهجِ

١٠ وجميع ماالستقريتَ مِن سُنَنِ الهُدى
جَدَّدْتَ منه كلَّ رسمٍ مُبهجِ

(٣٥)

مدح العمادُ السلطان صلاح الدين ٥٧١ للهجرة بعد فتح منبج * :
(من مجزوء المتقارب)

١ نزولُك في منبجٍ
على الظّفَر المُبهجِ

٢ ونُجحُكَ في المرتَجى
وفتحُكَ للمرتَجِ

٣ دليلٌ على كلّ ما
تحاولُ أو ترْتَجي

٤ أُمورك فيما ترو
مُ واضحةُ المنهج

٥ وشانيك دامي الشؤو
نِ منكَ ، شقيٌّ شجي

٦ ومَنْ كان في حصنه
ومن قبْلُ لم يَخْرُجِ

* الروضتين ١ : ٦٥٦، مفرج الكروب ٢: ٣٣ .

٧ يُقالُ له : ليس ذا
بعُشِّكَ ، قمْ فادرُجِ (١)

٨ فرأيْتُكَ يستنزلُ النـ
ـجوم من الأبرج

٩ فعجِّلْ عبورَ الفرا
تِ ، وأسْرِ ، وسِرْ، وأدلجِ

١٠ وَعُجْ نحوَ تلكَ البلا
دِ ، وعن غيرِها عَرِّجِ

١١ فحرّانُ ، والرَّقّتا
ن تاليتا منبجِ (٢)

١٢ وجَلَّ عن المسلميـ
ـنَ ليلَهم المدَّجي

(٣٦)

قال العماد في غلام سرّاج * :

(من السريع)

١ فديتُ سرّاجاً إذا لم يَسرُجِ
للعشق عندي حَسَنٌ ، راجَ هو

٢ يقولُ لي اركبني ، ولا تُفْشه
يريدُ إلحامي وإسراجَهُ

(١) أدرج : امش ، وهو تضمين للمثل : ليس بعشك فادرجي يضرب لمن يدعي أمراً ليس من شأنه (انظر جمهرة الأمثال ٢: ١٩٧)

(٢) حران : مدينة في ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم (معجم البلدان ٢ : ٢٣٥) . الرقتان : الرقة والرافقة ، أما الرقة فهي على الفرات قرب حران ، والرافقة بلد متصل البناء بالرقة (معجم البلدان ٣: ١٥ ، ٥٨) .

* الخريدة ، قسم الشام ، ١ : ٧٩ ، الوافي بالوفيات ١: ١٣٦ .

(٣٧)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٤ للهجرة : وسألني السلطان صلاح الدين أن أعمل أبياتاً يكتبها في الشوق إلى مصر ، فقلت * :

(من البسيط)

١ ياساكني مصر ، لا والله مالكمُ
شوقي الذي لذعتْ قلبي لواعجُهُ

٢ أصبحتُ أطلبُ طُرقَ الصّبرِ أسلكُها
هيهاتَ ، قد خفيتْ عنّي مناهجُهُ

٣ إنّي لمن كرب يومِ البين في شُغُلٍ
لعلَّ ربّي بيومِ الوصلِ فارجُهُ

٤ في القلب نارُ هموم زادَ مضرمُها
والعينُ بحرُ دموعٍ فاضَ مائجُهُ

٥ ما قلتُ إنَّ فؤادي مرَّ ساكنُهُ
إلاَّ وبالذّكر منكم ثارَ هائجُهُ

٦ متى تُرى يتسنّى لي لقاؤكمُ
وتزدهيني كما أهوى مباهجُهُ

٧ القلبُ عندكم قد ظلَّ مُقتضياً
دينَ الوصالِ ، أما تُقتضَى حوائجُهُ

* البرق الشامي ٣ : ١٠٧ ب ، سنا البرق (البيتان ١ ، ٢) ١ : ٣١٢ .

(٣٨)

(دوبيت)

١ الآس على وردك من سيّجه
والقلب على وجهك من هيجه (١)

٢ أفدى بأبي حسنك ما أبهجه
من أعجبه الوصل فما ازعجه

(١) ينظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠ .

(حرف الحاء)

(٣٩)

مدح العماد صلاحَ الدين سنة ٥٦٤ للهجرة بقصيدة أوّلها : *

(من السريع)

١ لــو أنَّ عــذري يــا لاح لاحْ
مَاكنتُ عن سكريَ ياصاحِ صاحْ

٢ ومــا شــفــائـي وسـقــامـي سوى
لواحظ الغيدِ المراض الصحاحْ

(٤٠)

هنّأ َ العمادُ السلطان صلاح الدين بكسر عسكر حلب والموصل بتل السلطان(١)
يوم الخميس ، عاشر شوال سنة ٥٧١ للهجرة : *
عاشر شوال سنة ٥٧١ للهجرة * :

(من الكامل)

١ يومٌ أهبَّ صَبَا الهبــاتِ صـبـاحُهُ
وروى حديثَ النّصرِ عنكَ رواحُهُ (٢)

٢ فالسّعْدُ مُشرقَةٌ لنـا آفـاقُــهُ
والنّصرُ باديةٌ لنا أوضاحُهُ (٣)

٣ أوفى على عُود الـثّنـاء خطيبُـهُ
وشَدا على غُصن المُنى صَدّاحُهُ (٤)

---

* سنا البرق ١ : ٧٩ ، الخريدة ، قسم مصر ، ١ : ١٧ .

(١) تل السلطان : موضع قريب من حلب (معجم البلدان ٢ : ٤٢) .

** الخريدة، قسم مصر، ١:١٧، الروضتين ١:٦٥٢، مفرج الكروب ٢:٤١ .

(٢) الرواح : العشى، أو من الزوال إلى الليل .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ، وهو بياض الصبح.

(٤) الصداح : المغني .

٤ فالشآمُ مُبْتَلُ الثرى ميمونُهُ
والعامُ مُنْهَلُ الحيا سَحَّاحُهُ

٥ والمحلُ زالَ كبارقٍ مُنهلّلٍ
لمَّ الشُّعوبَ بومْضه لمّاحُهُ (١)

٦ فالحمدُ لله الذي إفضالُهُ
حُلْوُ الجنَى ،عالي السّنا ، وضّاحهُ

٧ عادَ العدوُّ بظُلْمَةٍ من ظُلْمه
في ليلٍ ويل قد خبّا مِصْباحُهُ

٨ ركَدَتْ قبولُ قبولهِ من بَعْد أنْ
هبّتْ غُروراً بالرياءِ رياحُهُ

٩ أوفى يريدُ له بجرِّ جُنوده
ربحاً فجرّتْ خسْرَةً أرباحُهُ

١٠ وجنى عليه جهلُهُ بوقوعه
في قبضةِ البازي ، فهيضَ جناحُهُ

١١ حملَ السّلاحَ إلى القتال ومادرى
أنَّ الذي يَجْني عليه سِلاحُهُ

١٢ أضحى يريدُ مواصليه صدودَه
وغدا يُجيدُ رثاءَهُ مُدّاحُهُ

١٣ ولى بكسر لا يُرَجّى جَبْرُهُ
وبقَرْح قَلْبٍ لا تُبِلُّ جراحُهُ

١٤ ونجا إلى حلبٍ ، ومن حَلَبَ الرَّدى
دَرَ وفيه نجاتُهُ وفَلاحُهُ

---

(١) المحل: الجدب. لماحه: لماعه.

١٥ إن أفسَدَ الدِّينَ العصاةُ بحِنْثِهِمْ
فالنّاصرُ المَلِكُ الصلاحُ صَلاحُهُ

١٦ فَرِحَ العدوُّ بجمعِهِ ، ولقيتَهُ
فتحوّلَتْ أحزانُهُ أفراحُهُ

١٧ صَحّتْ على ضربِ الكُماةِ كُسورُهُ
وتكسّرَتْ عند الطِّعانِ صِحاحُهُ

١١ وافى بسَرْحٍ للنَّقادِ فكانَ في
لُقيا الأُسودِ الضّارياتِ سَراحُهُ(١)

١١ مَجْرٌ كبحرٍ ، دارِعو فرسانه
حيتانُهُ وزعيمهُمُ تِمساحُهُ (٢)

٢٠ شَحْناؤهُ شَحَنَتْ جواريَ فُلْكِه
جَوْراً ومالَ بهُلكِهِ مَلّاحُهُ

٢١ عَدِموا الفلاحَ من الرِّجالِ فجاءَهم
من كلِّ صوبٍ مُكْرَهاً فلّاحُهُ

٢٢ فهمُ لحرثٍ لا لحربٍ حزبُهُمْ
أيثيرُ قَرْحاً من يثارُ قَراحُهُ ؟ (٣)

٢٣ قد فاظَ لمّا فاضَ جيشُكَ جأشُهُ
غيظاً وغاضَ لبحركمْ ضَحْضاحُهُ(٤)

٢٤ كم سابقٍ برَداهُ يُردَى سابحٍ
من بَحْرِ هُلْكٍ ما نجا سَبّاحُهُ

---

(١) السرح: المال المسرح أو المرسل من غنم ونحوه، والنقاد : جمع نقاد، وهو راعي جنس من الغنم، والاستعارة واضحة .
(٢) المجر: الجيش العظيم .
(٣) القرح: العض بالسلاح. القراح: الأرض المخلصة للزرع والغرس .
(٤) فاظ: مات. فاض: كثر وتدفق .

٢٥ كم عَيْنٍ عَيْنٍ غَوَّرَتْ غُوّارُهُ
وقليبِ قَلْبٍ عَوَّرَتْ متّاحُهُ(١)

٢٦ إنْ آذنتْ بالنتنِ ريحُ قتيلهم
فالنَّصرُ نفّاحُ الشّذا فوّاحُهُ

٢٧ كم مارقٍ من مأزقٍ دَمُهُ على
مَسْحِ الحسامِ مُراقُهُ مسّاحُهُ

٢٨ يُصبيكَ نَهْدٌ إن سباهُ ناهدٌ
ولديكَ جدٌّ إن أباهُ مزاحُهُ(٢)

٢٩ ولكَ الكعوبُ مُقَوَّماتٌ للرَّدى
وله الغَداةَ كَعابُهُ ورَداحُهُ(٣)

٣٠ راحُ النجيعِ بها صحافُ صفاحكُمْ
مَلأَى وتملأُ كلَّ كاسٍ راحُهُ(٤)

٣١ وتجولُ في صَهَواتِها فرسانُكُمْ
وتدورُ في خَلَواتِهِ أقداحُهُ

٣٢ ويروقُهُ الخمرُ الحرامُ ، وعندكمْ
مما يُراقُ من الدّماءِ مُباحُهُ

٣٣ ضَرْبُ الطُّلَى بالمشرفيِّ طِلابُكُمْ
وبراحِ مَنْ شربَ الطِّلا طُلاّحُهُ(٥)

---

(١) العين بمعنى الينبوع والثانية الباصرة، وغورت : من غار يغور، أي ذهبوا بها، والغوار من الاغارة في الحرب. القليب: البئر. عورت: من العوار وهو العيب والخرق في الثوب. المتاح: جمع ماتح، وهو الذي يستقي من القليب .

(٢) النهد: النهوض للعدو والصمود له. يقول : انك تصمد للعدو على حين تسبيه المرأة الناهد أو الكاعب .

(٣) الكعوب: يريد كعوب السيف. مقومات: مشهرات .

(٤) النجيع: الدم .

(٥) الطلى: جمع طلية، وهي أصل العنق. الطلاح: ضد الصلاح .

٣٤ محمرُّ خدٍّ صقيلةٍ تُفّاحكُم
وأسيلُ خدٍّ عقيلةٍ تُفّاحُهُ(١)

٣٥ للهِ جيشٌ بالمروجِ عرضتَهُ
أسدُ العرينِ رجالُهُ ورماحُهُ

٣٦ ومن الحديدِ سوابغاً أبدانُهُ
ومن المضاءِ عزائماً أرواحُهُ

٣٧ وله فوارسُ بالنُّفوسِ سَمَاحُها
أتُعادُ بالعِرْضِ المصونِ شحاحُهُ؟

٣٨ روضٌ من الصُّفْرِ البنودُ وحُمرِها
والبيضِ ، يزُهى وردُهُ وأقاحُهُ

٣٩ من كلِّ ماضي الحدِّ طَلَّقَ غمْدَهُ
فتَكاً لأغمادِ الرِّقابِ نِكاحُهُ

٤٠ قد كان عزمُكَ للإله مُصَمِّماً
فيهمْ فلاحَ كما رأيتَ فلاحُهُ

٤١ وكأنّني بالساحلِ الأقصى وقد
ساحَتْ ببحرِ دم الفرنجةِ ساحُهُ

٤٢ فاعبُر ْإلى القومِ الفراتَ ليشربوا الـ
ـموتَ الأُجاجَ فقد طَما طَفّاحُهُ(٢)

٤٣ لتفُكَّ من أيديهمُ رَهْنَ الرُّها
عجلاً ويدركَ لَيْلَها إصباحُهُ (٣)

---

(١) صقيلة: يريد السيف والرمح .
(٢) الأجاج: المر .
(٣) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام (معجم البلدان ٣:١٠٦)

٤٤ وابغوا لحرّانَ الخلاصَ فكم بهـا
حرّانُ قلبٍ نحوكم مُلتاحُـه

٤٥ نَجُّوا البلادَ من البلاءِ بعدلكم
فالظلمُ بادٍ في الجميعِ صُراحُهُ

٤٦ واستَفْتحوا ماكان من مُستَغْلق
فيها فربُّكُم لكم فتّاحُه

٤٧ قُولوا لأهلِ الدينِ قَرُّوا أعيناً
فلقد أقامَ عَمُودَهُ سَفّاحُه

٤٨ بشرايَ فالإسلامُ من سلطانه
جَذِلُ الفؤادِ بنصره مُرتاحُه

٤٩ مَلِكٌ ليُمنِ المعتفينَ يمينُه
ولراحةِ الراجينَ تُبْسَطُ راحُه

٥٠ لما اجتداهُ من الرَّجاءِ رجالُه
أوْفَى على قَطْرِ السّماءِ سَماحُهُ(١)

٥١ فاقصدْ ببَرْجِ الفقرِ رَحْبَ جَنابه
فبراحِهِ يومَ النّوالِ بَراحُهُ(٢)

٥٢ مَلِكٌ تَملّكَ جَدُّهُ من جِدِّهِ
فالمجدُ مَجّدٌ والمَراحُ مِراحُهُ(٣)

٥٣ ملكٌ يُحبُّ الصفحَ عن أعدائه
فلذاكَ تَصفَحُ عن عِداهُ صِفاحُه

---

(١) اجتدى: طلب الجدوى، وهي العطاء.
(٢) البراح: المتسع من الأرض.
(٣) الجد: الحظ. المراح الأولى: مكان الرواح وزمانه، والثانية من المرح.

٥٤ لكَ بيتُ مجدٍ ليس يُدْرَكُ حَدُّهُ
يعيا بذرعِ عُرُوضِهِ مَسّاحُهُ

٥٥ المُلْكُ غابٌ أَنتمُ أَشبالُهُ
والدينُ رُوحٌ أَنتمُ أَشباحُهُ

٥٦ ما شَرْحُ صَدْرِ الشَرْعِ الاّ منكمُ
ولذاكَ منكُمْ للهدى إيضاحُهُ

٥٧ فخراً بني أَيوبَ إنَّ محلّكُمْ
ضاقتْ على كلٍّ الملوكِ فِساحُهُ

٥٨ لولا اتساعُ جنابكم لعَدَدْتَه
حصْراً ، وفودُ المعتفينَ وِشاحُهُ

٥٩ أَنتمْ ملوكُ زمانِنا وسَراتُهُ
وكِرامُهُ وعظامُهُ وفِصاحُهُ

٦٠ عظماؤهُ كبراؤهُ فضلاؤهُ
ورِزانُهُ ورِصانُه وصِباحُهُ

٦١ أَقمارُهُ وشموسُهُ ونجومُهُ
وبحارُهُ وجبالُهُ وبطاحُهُ

٦٢ أنتمْ رجالُ الدّهرِ ، بل فرسانُه
ولذي الحلومِ الطائشاتِ رِجاحُهُ

٦٣ فُتّاكُهُ نُساكُهُ ضُرّارُهُ
نُفّاعُهُ مَنّاعُهُ مُنّاحُهُ

٦٤ وأبو المظفّرِ يوسفٌ مِطْعامُهُ
مِطْعانُهُ مِقْدامُهُ جَحْجاحُهُ(١)

(١) الجحجاح : السيد .

٦٥ وإذا انتدى في محفلٍ فَحَسيبُهُ
واذا غدا في جَحْفلٍ فَوَقاحُهُ (١)

٦٦ أسْجَحْتَ حينَ ملكتَ عفواً عنهمُ
إنَّ الكريمَ مُؤمَّلٌ إسجاحُهُ (٢)

(٤١)

قال العماد : أنفذت هذه القصيدة إلى صلاح الدين من دمشق إلى مصر قبل مملكة الشام * :

(من المجتث)

١ سكرانُ باللحظِ صاحِ
نشوانُ من غيرِ راح

٢ بوجنةِ الوردِ يَفتـ
ـرُّ عن ثنايا الأقاح

٣ وقامةِ الغصنِ يهتـ
ـزُّ في مَراح المِراحِ(٣)

٤ وعارضِ المسك مثل الـ
ـمساء فوقَ الصّباحِ(٤)

٥ نمَّ العِذارُ عليه
فتمَّ فيه افتضاحي

---

(١) الوقاح : الجريء.
(٢) الاسجاح : حسن العفو .
* الخريدة ، قسم مصر ، ١ :٢٢-٢٥ ، والأبيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ في الروضتين ١ :٤٦٢ .
(٣) مراح المراح : مكان السرور .
(٤) العارض : صفحة الخد .

٦ وردُ الحيـــاء جَنـــي
فـــي ذلـــكَ التّفـــاح

٧ والرّيـــقُ كالـــرّاحِ شُجّـــتْ
بعـــذبِ مـــاءٍ قَـــراح (١)

٨ مـن كأْسٍ فيـــه اغتبـاقـي
مُنَعّمـــاً وأصطباحي (٢)

٩ وفـي الأُمـــور اختتامـــي
عـــلى اسمـــهِ وافتتاحـــي

١٠ أهـوى طلـوعَ صباحـــي
عـلى وُجُـــوهٍ صبـاحِ

١١ ولثـــمَ أحـــورَ أحْـــوَى
وضـــمّ رُودٍ رَداح (٣)

١٢ وريَّ قلبـي الصّـــدي مـــن
عنـــاقِ ظـامـــي الوشاحِ (٤)

١٣ وفتنتـــي مـــن عيـــونٍ
حـــور مـــراضٍ صحاحِ

١٤ يـاصـــاحِ إنّـــي نزيـــفٌ
سُكـــراً وإنّـــكَ صـاحِ

١٥ وبـــرحُ وجـــدي مقيـــمٌ
فمـــا لـــه مـــن بَـــراحِ

---

(١) الماء القراح : الماء الشافي الخالي من شائبة .
(٥) الاغتباق : الشرب بالعشي. الاصطباح : الشرب في الصبح .
(٣) الرود: الشابة الحسنة .
(٤) ضافي الوشاح : ناحل الوشاح .

١٦ دعنـــي فما أنتَ يومـــاً
مُــؤاخـــذٌ بجُنـاحِ

١٧ ومـــا أطعـــتُ غـــرامـــي
حتـى عصيتُ اللّواحـي (١)

١٨ وَفَـى الحبيـبُ وتَمّـتْ
بـوصلـــه أفــراحي

١٩ وزادَ قِـــدْحي ودارتْ
بِمُنْيتـــي أقـداحي(٢)

٢٠ أُعطـى الكـــؤوسَ مـلاءً
عـلى أكـــفِّ المـلاح

٢١ ورضـــتُ بالصبـــر دهـــري
وكـانَ صعـــبَ الجماح

٢٢ قـــد استقـــرّتْ أُمـــوري
فيـــه بِحَسْـــبِ اقتراحي

٢٣ كمـا استقـــرَّ صـــلاحُ الـ
ـدنيـا بمـلْـكِ الصّلاحِ

٢٤ تنيـرُ شمـسُ مساعيـــ
ـهِ من سمـاءِ الصَّبـاحِ (٣)

٢٥ وأمـــرهُ مستفـــادُ
مـن القضـاءِ المُتـاحِ

(١) اللواحي : العواذل .
(٢) القدح : السهم .
(٣) رواية هذا البيت في الروضتين :
تـنـيـر شـمـس أيـاديــ
ـه فـي سـمـاء الـسـماح

٢٦ ذو المفخَـــــــر المتعالـــــي
والنـائــــلِ المُستمـــاحِ (١)

٢٧ وللحقيقـــــــةِ حـــــامِ
وللـــدنيّــــــةِ مــاحِ

٢٨ غيــثُ السّماحـــةِ طَــوْدُ الـ
ـوقــارِ ، ليـــثُ الكفـاحِ

٢٩ صــــــدرٌ بجـــدواه صَـــدْري
مُــذْ لــم يـزلْ فـي انشـراحِ

٣٠ مـــن قَـــدْحِ زنـــدِ الأَمانـي
بــه وَقُـــودُ القـــداحِ

٣١ أمّلْتُـــــهُ لمُلمّـــــي
فـلاحَ وجـــهُ فـلاحـــي

٣٢ آمــالُنـــا بمُهــــاهُ الـ
أجســـامُ بالأرواحِ (٢)

٣٣ نَـــدَى كريـــــم حيـــي
وبأسُ ذِمْـــرِ وَقَــاحِ (٣)

٣٤ يَفْـديــكَ أهــلُ اجتــراءِ
عـلى ركُــوبِ اجتــراحِ (٤)

٣٥ بالمـــــال غيـــرُ كـــرامِ
بالعِــرْضِ غيــرُ شحــاح

---

(١) المستماح : من استمحته اذا سألته العطاء.
(٢) اللهى : جمع لهوة، وهي العطاء.
(٣) الذمر : الشجاع.
(٤) الاجتراح : الإكتساب.

٣٦ رأيتَ صونَ المعالي
في بذل مال مباح

٣٧ إنْ طال ليلُ مُلُمٍّ
وافيتَ بالإصباح

٣٨ مُلِّيتَ يوسفُ مِصْراً
جِدّاً بغيرِ مزاحِ (١)

٣٩ مُلكاً بغيرِ انتزاعِ
عِزّاً بغير انتزاح

٤٠ يامن أياديه تُبدي
بالحَصْر عِيَّ الفِصاح

٤١ عدوه في اتّضاع
ومجدُه في اتّضاحِ

٤٢ صريح مدحي لعليا
كَ عن ولاءٍ صراحِ

٤٣ بقيدِ شكري عطايا
كَ مطلقاتُ السّراحِ

(٤٢)

(دوبيت)

١ يا طائر البان كنوحي نوحي
بالسر فما بحت بسري بوحي(٢)

٢ من أجل رواحهم بروحي روحي
لامطمع في الحياة بعد الروحِ

---

(١) الأصل : مليت أي متعت، ولعلها وليت .
(٢) ينظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠ .

(حرف الخاء)

(٤٣)

(دوبيت)

١ كافورك بالعبير من ضمّخه
توقيعك بالعذار من أرخه (١)

٢ بالمسك على وردك من لطخه
خط حسن أريد أن ننسخه

(١) ينظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠ .

(حرف الدال)

(٤٤)

كتب أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد الواسطي (١) قصيدة إلى العماد الأصفهاني يطلب فيها التوسط في إعادة الغرفة التي أُخذت منه بعد منافرة جرت بينه وبين الصوفية ، فأجابه العماد . •

(من مجزوء الكامل)

١ يا حاكياً فضلَ الخليـ
ـلِ ، وناشراً عِلْمَ المُبَرِّدْ (٢)

٢ وتجمعتْ فيه الفضا
ئلُ كلُّها ، وبها تفرَّدْ

٣ أَهديتَ لي شعراً ، هُديـ
ـتُ بنجمه لمَّا توقَّدْ

٤ نظم كدُرِّ الشغرِ ، أو
زَرَدِ العِذار ، أتى مُزَرَّدْ(٣)

٥ يُنبي عن الوجدِ الشديـ
ـدِ لديكَ والصَّبرِ المُشَرَّدْ

٦ أقبلْ ، ولا تَحْرَدْ ، ومُـ
ـرُّ القولِ منه المرءُ يَحْرَدْ(٤)

---

(١) سبق التعريف به، انظر القصيدة رقم ٢٥ .

* الخريدة، قسم العراق، ٤/١ : ٣٩١ .

(٢) الخليل : هو الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام النحاة البصريين ، وصاحب العين، ومخترع علم العروض المتوفى سنة ١٧٥هـ .

المبرد : هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي ، إمام العربية ببغداد في وقته، توفي سنة ٢٨٦هـ.

(٣) العذار : جانب اللحية. الزرد : حلق الدرع .

(٤) حرد : غضب، وثقل الحمل عليه فلم يستطع المشي .

٧ أتــــرومُ بــالـشـّعـر الْمُنَى ؟
هـــلاّ وكـــان الشَّعــرُ أسـودْ

٨ الـشّعرُ ، لا تـُصغـي لـــه
خَودٌ ، ولا يَـنـقـادُ أمْرَدْ

٩ إسْمَعْ – هـُـدِيـتَ – نَصيحتي
فالنُّصحُ ، لي بالصّدق يَشْهَدْ

١٠ عُدْ ، وارضَ عـن أهـلِ الـرِّبا
طِ ، وأرضهـمْ ، فالعَوْدُ أحمدْ(١)

١١ لا طِفْهـمُ ، فــالمــرءُ يــبـ
ـلـغُ ، بالتلطُّفِ كلَّ مَقصدْ

١٢ إن كــلّفــوكَ غـــرامـــةً
فابْتَـعْ لشيخ القـوم مِقـوَدْ

١٣ واطلـبْ جـــوارَ بــريـكـة
فـالدّارُ بـالجـيـران تـحمـدْ

١٤ ولـجِ الـغُريفـةَ ، وارْقَ فـيـ
ـهـا حَسْـبَ مـا تختـارُ ، واصعدْ

١٥ قـد أُكـرِيَـتْ ، فـاقـعُـدْ إلى
وقـتِ الـفراغِ ، لـهـا بمرصَدْ

---

(١) الرباط : رباط قراجا بواسط .

(٤٥)

قال العماد في مدح الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف * :

(من الوافر)

١ وكم لبني صلاحِ الدّين فينا
على الإسلام من حق تأكدْ

٢ وإنّ لهم على الأملاكِ طُرّاً
بفتحِ القدس فضلا ليس يُجْحَدْ

(٤٦)

قال العماد حينما دخل منزل زين الدين أبي الحسن علي بن نجا الواعظ (١) في القاهرة سنة ٥٧٧ للهجرة : **

(من مجزوء الرجز)

١ ومنزلٍ يدخلُه
لشغلهِ كلُّ أحدْ

٢ يوجدُ فيه السبت في
كلِّ خميسٍ وأحَدْ

(٤٧)

قال في غلام سرّاج : ***

(من الوافر)

١ وسرّاجٍ سرَى في القلبِ منّي
هواهُ ، حلَّ من طرفي السّوادا

---

* الروضتين ٢:١٠٧ والملك المؤيد : هو مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف، ولد بدمشق سنة ٥٧١ للهجرة، وتوفي سنة ٦٠٦ للهجرة ودفن بحلب (شفاء القلوب ص ٢٥١) .

(١) زين الدين أبو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا الدمشقي الحنبلي الواعظ، توفي سنة ٥٩٩هـ (النجوم الزاهرة ٦:١٨٣) .

** الروضتين ٢:٢١ .

*** الخريدة، قسم الشام، ١:٢٩ .

٢٢ يُستَهلُ للركوب لنا طريقاً
بصنعته ولا يُعطي القيادا

٢٣ وما يَفري بشفرته أديماً
كما يَفري بمُقلته الفؤادا

(٤٨)

(دوبيت)

١ الروض بحسن ورده منفرد
والطير على العود مغن غرد (١)

٢ والجدول في انسيابه مطرد
هذا ورد السرور لم لاترد؟

(٤٩)

مدح العماد نورالدين محمود ، ووصفَ الزلزلة التي وقعت سنة ٥٦٥ للهجرة * :
(من الخفيف)

١ هل لعاني الهوى من الأسر فاد
أو لساري ليل الصّبابة هاد

٢ قويَ الشّوْق فاستقادَ دُمُوعي
ووهَى الصّبرُ فاستقالَ فؤادي

٣ جنّبوني خَطْبَ البعاد ، فَسَهلٌ
كلُّ خَطْب سوى النّوَى والبعادِ

٤ كنتُ في غفلة من البَيْن حتى
صاحَ يومَ الأثيل بالبين حادِ

---

(١) انظر التعليق على الدوبيت رقم ٢٠ .

* الخريدة، بداية شعراء الشام، ص ٤٦، الروضتين ١ : ٤٦٨ .

٥ نابَ عنهمْ غداةَ بانوا بقلبي
رائحٌ من لواعج الوجد غادِ

٦ أيُّها الصادرون رِيّاً عن السوْ
د ، أما تَنْقعونَ غُلَّةَ صادِ

٧ لم يكن طيفكُمْ يَضِنُّ بوَصْلي
لو سَمحتُمْ لناظري بالرُّقادِ

٨ قد حَلَلْتُمْ من مُهجتي في السُّويدا
ء ، ومن مُقلتي مَحَلَّ السّوادِ

٩ وبَخلْتُمْ من الوصال بإسعا
في ، أما كنتمُ من الأجوادِ ؟

١٠ وبعثْتُمْ نسيمَكُمْ يتلافا
ني ، فعادَ النّسيمُ من عُوّادي(١)

١١ سُمتوني تجلداً واشتياقاً
ومحالٌ تجمُّع الأضدادِ

١٢ أبقاءٌ بعد الأحبّة يا قلْ
بيَ ! ما هذه شُروطُ الوداد

١٣ ذابَ قلبي ، وسال في الدّمع لمّا
دامَ مِن نار وَجدِهِ في اتّقادِ

١٤ ماالدُّموعُ التي تُحَدِّرُها الأشـ
ـواقُ إلاّ فتائتُ الأكبادِ

١٥ أَين أَحبابيَ الكرامُ ، سَقَى اللـ
ـهُ عُهودَ الأحباب صَوْبَ العهادِ(٢)

(١) الخريدة : يتلقاني. يتلافاني : يتداركني
(٢) صوب العهاد : انصباب المطر .

١٦ حبّذا ساكنو فؤادي ، وعَهْدي
بهمُ يَسْكُنونَ سَفْحَ الوادي
١٧ أتمنّى في الشّام أهلي ببغدا
دَ ، وأينَ الشّامُ من بغدادِ
١٨ ماعتياضي عن حُبِّهم يعلمُ اللـ
ـهُ تعالى ، إلاّ بحُبِّ الجهادِ
١٩ واشتغالي بخدمة المَلك العا
دل محمود ، الكريم الجوادِ
٢٠ أنا منه على سرير سُرُوري
رائعُ العيش في مَراد مُرادي
٢١ قيَّدتني بالشّام منه الأيادي
والأيادي للحُر كالأقيادِ
٢٢ قد وَرَدْتُ البحرَ الخضَمّ وخلّفـ
ـتُ ملوكَ الدُّنيا به كالثّمادِ (١)
٢٣ هو نعْمَ الملاذُ من نائب الدَّهـ
ـر ، ونِعْمَ المَعاذُ عند المَعادِ
٢٤ الغزيرُ الإفضال والفَضْلِ والنا
ئلِ ، والعِلْمِ والتُّقى والسّدادِ
٢٥ باذلٌ في مصالح الدِّين طَوْعاً
ماحواهُ من طارف وتِلادِ
٢٦ وتَراهُ صَعْبَ المقالة في الشـرِّ
ولكنْ في الخير سَهْل القِيادِ

(١) الثماد : جمع الثمد، وهو الماء القليل.

٢٧ جلَّ رُزْءُ الفرنج فاستبدلوا منـ
ـهُ بِلُبْسِ الحديدِ لُبْسَ الحِدادِ

٢٨ فرَّقَ الرُّعْبَ منه في أنفسِ الكُفَّـ
ـارِ بينَ الأرواحِ والأجسادِ

٢٩ سطوةٌ زلزلتْ بسُكّانها الأرْ
ضَ وهَدَّتْ قواعدَ الأطوادِ

٣٠ أخذَتْهُمْ بالحقِّ رَجْفَةُ بأْسٍ
تَرَكَتْهُم صَرْعَى صُروفِ العوادي

٣١ خفضتْ في قلاعها كلَّ عالٍ
وأعادتْ قلاعها كالوهادِ

٣٢ أنفذَ اللهُ حكمَهُ فهو ماضٍ
مظهرٌ سرَّ غيبِه فهو بادِ

٣٣ آيةٌ آشرَتْ ذوي الشِّرك بالهُلْـ
ـكِ وأهلَ الإيمان بالإرشادِ (١)

٣٤ والأعادي جرى عليهم من التدْ
ميرِ ما قد جرى على قوم عادِ

٣٥ أشركتَ في الهلاكِ بينَ الفريقيـ
ـنِ : دُعاةِ الإشراك والإلحادِ

٣٦ ولقد حاربوا القضاء ، فأمضى
حكمه فيهم بغيرِ جلادِ

٣٧ والإلهُ الرؤوفُ في الشام عنّا
دافعٌ لطفُهُ بلاءَ البلادِ

(١) الروضتين : أهل التوحيد .

٣٨ أنتَ قُطْبُ الدُّنيا وأصحابُكَ الغُرُّ
مقامَ الأَبدالِ والأوتادِ

٣٩ لم يَجدْ عندكَ النِّفاقُ نَفاقاً
فلِسُوقِ الفسادِ سُوءُ الكَسادِ

٤٠ والعَنُودُ الكَنُودُ ذو الغِشِّ غشّا
هُ رِداءَ الرَّدَى عناءُ العنادِ (١)

٤١ وبحقٍ أُصيبتِ الأَرضُ لمّا
مَكَّنَتْ من مَقامِ أهلِ الفسادِ(٢)

٤٢ عَلِمتْ أنّها جنَتْ فَغَزاها
حَذَراً من سُطاكَ شِبْهُ ارْتِعادِ

(٥٠)

كتب العماد إلى القاضي الفاضل سنة ٥٧٩ للهجرة الأبيات الآتية ضمن رسالة٭ :

(من المجتث)

١ أُسائلُ الرَّكبَ عنكم
وأنتم في فؤادي

٢ وقفٌ عليكم طريفي
في حُبِّكم وتِلادي

٣ تصبُّري في انتقاصٍ
ولوعتي في ازديادِ

(١) الكنود : الكافر النعمة، العاصي.
(٢) الروضتين : لما سكنت.
٭ البرق الشامي ٥:١٣٧ب.

٤ قالوا : مرادك ماذا ؟
فقلتُ : أنتم مُرادي

٥ ما بالكم لم تلبُّوا
وقد سمعتم أنادي

٦ وكم لكم من أيادِ
لم أنسها وأيادِ

٧ يا مالكي الرِّقَ رقُّوا
فقد ملكتم قيادي

٨ صددتم الوردَ عنّي
علماً بأنّيَ صادِ

٩ سرتم بقلبي وسري
وراحتي ورقادي

١٠ ما هكذا لو عرفتم
يكونُ شرطُ الوِدادِ

(٥١)

قال العماد حينما كان متوجهاً من القاهرة إلى الأسكندرية مع السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة : *

(من الطويل)

١ أحبّكُم حبَّ النُّفوسِ بقاءَها
وأشتاقكم شوقَ الظّماءِ إلى الوردِ

٢ ترحّلتُ عنكم ، والفؤادُ بحالهِ
صبورٌ على البلوى ، مقيمٌ على الوجد

---

* سنا البرق الشامي ١:٢٤٢، الروضتين ١:٦٩ .

٣ فإنْ رمتُمُ غدري فإنّي على الوفا
وإنْ خنتمُ عهدي فإنّي على العهدِ

٤ نزلنا بأرض المُنيتيسن ومُنيتي
لقاؤكم الشافي ، ووصلكم المجدي(١)

٥ سأَبلَى ، ولا تَبْلى سريرةُ ودّكم
وتؤنسني إنْ متُّ في وحشةِ اللّحد

(٥٢)

قال العماد : ومدحت القاضي الفاضل بمصر وذلك في شهر رمضان من سنة ٥٧٢ للهجرة * :

(من الكامل)

١ بحياتكمْ ما عندكمْ بَعْدي
فِسوَى الأَسَى ما بعدكُمْ عندي

٢ جُودوا برِفْدٍ من خيالكمُ
فخيالكمْ لي غايةُ الرِّفدِ

٣ اسْدُوا إليَّ يداً لأَشْكُرَها
فالشُّكرُ لا يعدو يدَ المُسْدِي

٤ ما لي مجيرٌ غيرُ طيفكُمُ
يُهدي إليَّ القربَ في البعدِ

٥ والعينُ قد دَميَتْ وليس لها
الاّ مَعينُ الدَّمعِ منْ وِرْدِ

(١) المنيتان : منية غمر ومنية سمنود، وهما موضعان بين القاهرة والاسكندرية .

* الخريدة، قسم مصر، ٣٩ – ٤٣ وفي الروضتين ٢ :٢٤٢ أبيات متفرقة . والقاضي الفاضل هو عبد الرحيم بن علي العسقلاني ، الكاتب المشهور ووزير الملك الناصر صلاح الدين يوسف. توفي سنة ٥٩٦ للهجرة (وفيات الأعيان ٣ :١٥٨).

٦ والسَّمعُ في وَقْرٍ لعاذِلِـــــــــه
فيكمْ ، ونارُ الشّوقِ في وَقــد

٧ مَنْ غيرْكم للوصلِ أستَدعــــي
أو مَن على الهجْرانِ استَعْدي ؟

٨ ماكنتُ أعلمُ قبلَ فرقتنــــا
أنَّ الهوى يومَ النّـوى يُردِي

٩ سَقمي شفائي في مودّتكـــمْ
وضلالتي في حُبّكم رُشْـدي

١٠ بالرُّوحِ يفديكم مُحبُّكُـــمُ
والرُّوحُ أكرمُ مابهِ يَفْـدِي

١١ يامالكي رِقّي أَمـا لـكـــمُ
مــن رِقــةٍ يــاحافظـي وُدّي

١٢ ياجاحدي حقّ الودادِ وهـــل
حـقُّ الودادِ يضيعُ بالجَحْـدِ ؟

١٣ يادمعُ لاتتركْ مساعـــدتي
فقد استقالَ الصبرُ مــن وجـدي

١٤ طلبَ التّصبرُّ جاهداً فأبـــى
قلبٌ مِن الأشواقِ في جَهْـدِ

١٥ وتكحّلتْ ليلاً باثمـــده
عيــنٌ له مَرِهَتْ مــن السُّهدِ (١)

١٦ مُتَفَرِّدٌ بتَجَرُّعِ الأسفِ الـــ
مُظمي لشوقِ الأجرعِ الفَرْدِ (٢)

---

(١) الإثمد : حجر الكحل. مرهت العين : خلت من الكحل أو تقرحت بسبب تركه.
(٢) الأجرع : الكثيب.

١٧ شَهِدَ الوداعَ فزادَهُ ألمــــاً
لمّا أصابَ الصابَ في الشّهْــد(١)

١٨ إنْ أنتَ لم تُهْدِ الشّفاءَ لــــه
وهواكَ ممرضُهُ فمنْ يُهْــدِي؟

١٩ أمّلْتُ نجحكَ لاتُخبْ أملــي
وقصدتُ حِفْظَكَ لاتُضعْ قصدِي

٢٠ رحَلُوا وقلبي في رحالهــــمُ
يشكو صدًى ويُشاكُ مــن صَدٍّ

٢١ ألقيــتُ عـنـد مـشـارِ عـيـسهـمُ
نفسي، وقلتُ خدِي على خدِّي (٢)

٢٢ ناديــتُ حـاديـهمْ بعيشكَ قـــفْ
للبيــنِ مـن حَدْوٍ عـلى حـدٍّ

٢٣ رفقــاً بعيشهــمُ أمـا لـهُــمُ
ممّــا بـدا للبيــنِ مـن بُـدٍّ

٢٤ فاهدأ ـ هُديتَ ـ فمذحدوتَ رمَوا
جَلَدي الضعيفَ الأُسَّ بالهَــدِّ

٢٥ وجدي بمصرَ يَهيجُ ســاكـنَــهُ
شَغَفي بـذكـرى ساكـنـي نجـدِ

٢٦ والـوجدُ فـي الأحـزانِ كامنــةٌ
عندي خلافُ النّــارِ فـي الـزَّنْدِ

٢٧ مـا للأحبّةِ ـ لا عَـدِمْتُهُـمُ
رَغِبُوا عـن الإسعادِ في الزُّهْدِ (٣)

---

(١) الصاب : المر. الشهد : العسل.
(٢) الخدو : الحداء.
(٣) الاسعاد : المشاركة في الدموع.

٢٨ أو ليس أحبابي بنو زمني
لا غَرْوَ إنْ لم يحفظوا عهدي

٢٩ إن لم يَفوا فلقد وفى كَرَماً
عبدُ الرحيم بذمّةِ المجدِ

٣٠ الفاضلُ المفضالُ والنَّدِسُ الـ (١)
ـمُسْدي النّدى والماجدُ المُجدي

٣١ ما إنْ يضلُّ بقاصدٍ أمَلٌ
إلاّ ويضمنُ أنه يَهْدي

٣٢ يُسدي إليَّ منيرَ انعُمِه (٢)
وأنيرُ مِدْحَتَهُ كما أُسدي

٣٣ العُرفُ معتادٌ له خلقٌ
وبه تراه غيرَ مُعتَدِ

٣٤ بجنابِه يدنو جَنَى أملي الـ
ـنّائي وراحةُ حظيَ المُكدِي(٣)

٣٥ أبداً تَوالىَ مِنْ عوارفه
طُرفٌ تُضافُ لنا إلى تُلْدِ

٣٦ ويرى رجائي مِن مكارمه
في النُّجحِ طَرْفٌ غيرُ مُرتَدِ (٤)

٣٧ زاكي النِّجارِ أخو الفخارِ وذو الـ
ـمجدِ الأثيرِ الطاهرِ البُرْدِ

---

(١) الندس : الفطن الذكي .
(٢) أنير : من أنار غرز الإبرة، فمعناها أخيط . يسدي : هنا من السدى، وهو ما مد من الثوب.
(٣) المكدي : السيء أو البائس من أكدى إذا قل خيره أو عطاؤه.
(٤) يشير إلى الآية الكريمة في قصة سليمان ، وهي قوله تعالى (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) ، سورة النمل، الآية ٤٠ . يريد أن نجح رجائه سريع، فهو يتحقق قبل أن يرتد اليه طرفه.

٣٨ ذو الرتبةِ الشّماءِ والشّـــرفِ الـــ
عــالي السّنا والسؤْددِ العـــــد (١)

٣٩ النّــاسُ كلــهــمُ لــه تبَــــعٌ
في فضـــلهِ والــدّهــرُ كالعَبْدِ

٤٠ والبحــرُ ذو جَــزْرٍ وراحــتُـــــهُ
بحــرٌ – مــدَى الأيام – في مَــدَ

٤١ ولـــه اليــراعُ وليُّـــهُ أبــداً
يُــرْعَى بـه ويُراعُ ذو الحقْدِ

٤٢ كـم غاضَ بحــرُ بنـانـهِ فغـــدا
دُرُّ البيانِ يُساقُ في العــقْــدِ

٤٣ إن ســوّدَ البيضـاءَ بيّضَ مــــنْ
ثــوبِ اللّيالي كلّ مُسْوَدِ (٢)

٤٤ قلَــمٌ أقـاليـمُ الـبـــلادِ بـــه
وثغــورُها في الضّبْطِ والشّـــدَ

٤٥ بهزالــهِ سمَــنُ العُـــــلا وكـــذا
في الهَزْلِ منـــه حقيقــةُ الجد

٤٦ للسـانهِ حُجَـــجٌ يَــرُدُّ بهـــا
جزماً قضايا الألسنِ اللُّــدَ (٣)

٤٧ ظمــآن يُــردي كلّ ذي ظـمــإٍ
فاعجبْ لـــذي وِرْدٍ بــلا وِرْدِ

٤٨ مَلكٌ كتيــبــتُــهُ كتــابتُـــهُ
فَــرْدٌ بجيشِ النّصرِ في جُنْدِ

---

(١) العد : الكثير .

(٢) سود البيضاء : يريد الصحيفة .

(٣) اللد : جمع ألد، وهو الشديد الجدال الذي لا يرتد إلى الحق .

٤٩ الأسمرُ الخطّيّ تابعُه
في حكمه والأبيضُ الهندي (١)

٥٠ والنائباتُ بحدّه أبداً
مشلومةٌ مغلولهُ الحدُّ

٥١ كم مأزقٍ نقّى الغرارُ به
للرُّعبِ من جفنٍ ومن غمدِ (٢)

٥٢ نفذَتْ به اللاماتُ طاعنةً
ألفاتِ خرْصانِ القنا المُلْدِ (٣)

٥٣ والسُّمْرُ داميةٌ مطاعنُها
كمراودٍ في أعيُنٍ رُمْدِ

٥٤ فرّجْتَهُ بشَبا مُلَطَّفَةٍ
وردَتْ بقَسْرِ القَسْوَرِ الوَرْدِ (٤)

٥٥ بلطيفِ تدبيرٍ يَرِقُّ له
لصفائه قلبُ الصَّفا الصَّلْدِ

٥٦ عُرْفٌ يُبَتَّدلُ بالرَّجاء لنا
في الأزْمِ نُكْرَ الأزمُنِ النُّكْدِ

٥٧ ناديكَ من نَدٍّ النّدى عَطِرٌ
يامَنْ يَجلُّ نَداهُ عن نِدٍّ

٥٨ من سَبْي سَيْبك كلُّ مَحْمَدَةٍ
فَلأَنْتَ حقّاً مالكُ الحمدِ

---

(١) الأبيض الهندي : السيف.
(٢) الغرار : حد القلم.
(٣) الخرصان : جمع خرص، وهو القناة والسنان. الملد : جمع أملد، وهو الناعم اللين.
(٤) الشبا : الحد. قسر القسور الورد : أي الأسد.

٥٩ وتعيدُ ماتُبدي وتُضعفُهُ
ومَنِ المعيدُ سواكَ والمبُدي؟

٦٠ يامَنْ وجدتُ بلاغتي حَصَراً
في حَصْرِ مايُوليهِ والعَدِّ

٦١ من كلِّ مَنْ عقدَ النوائبَ عن
حَظِّي عُرىً مُوثوقَةَ الشَّدِّ

٦٢ فَرَّقتَ أعدائي غداةَ هُمُ
للشرِّ في حشرٍ وفي حَشْدِ

٦٣ ورفعتَني فوقَ اليَفاعِ ولو
لم تُسْمني لمكثتُ في الوَهْدِ(١)

٦٤ فَضْلي ،طرادُ الدَّهرِ غادره
وحظوظُهُ كلَّتْ من الطَّرْدِ

٦٥ غدرَ الزَّمانُ بكلِّ ذي حَسَبٍ
يأبى الوفاءَ بعيشهِ الرَّغْدِ

٦٦ زِدْ غَرْسَ رِبِّكَ ريَّهُ فلقد
أضحى بعيدَ العَهْدِ بالعَهْدِ(٢)

٦٧ عَدْوُ العدوِّ يهونُ أصعبُهُ
مادمتَ - دمتَ - عليه لي مُعدي(٣)

٦٨ والشوكُ لايشكو جنايتَهُ
من كانَ مطلبَهُ جَنَى الوردِ

---

(١) أسماه : سما به .
(٢) الري : الارتواء. العهد الثانية : المطر .
(٣) معدي : من أعداه عليه، اذا استعداه ونصره .

٦٩ أخفى بنو زمني محاسنَه
وعتابُ أيامي معي وَحْدي

٧٠ هذا أوانُ نجازِ وعدِكَ لي
إنَّ الكريمَ لَمُنْجِزُ الوعدِ

٧١ من شَدَّ ظهرَ رجائهِ بكَ هل
يبقى بأمرٍ غيرِ مُشتَدِّ ؟

٧٢ أيكونُ زبدةُ ما أُؤَمِّلُهُ
عدمَ التمخُّضِ فيه عن زُبْدِ

٧٣ أرغِم بفضلكَ ضدَّ مَنْقَبَتي
لازالَ فضلُكَ مُرغِمَ الضدِّ

٧٤ ساعدْ بجدِّكَ لي بقيتَ على
رغمِ الأعادي ساعدَ الجَدِّ

(٥٣)

قال في الشوق والحنين سنة ٥٦٣ للهجرة*:

(من السريع)

١ وحرمةِ الوُدِّ الذي بيننا
ومالنا من كرَمِ العهدِ

٢ مانقضتْ عهدي لكم جَفْوة
ولاأحالتْ حالةٌ وُدِّي

٣ ولاتَغَيَّرتُ، ويأْبَى الهوى
وذاكَ في قُربٍ وفي بُعْدِ

---

* سنا البرق الشامي ١ : ٦٨ .

(٥٤)

كتب العماد إلى الوزير عضد الدين (١) سنة ٥٦٧ للهجرة قصيدة أولها* :

[من المتقارب]

١ عسى أنْ تعودَ ليالي زَرُود
وتُقضى المُنَى بنَجازِ الوعودِ (٢)

٢ وتشرقُ أيامنا الزاهراتُ
وتورقُ في روضةِ الوصلِ عودي

(٥٥)

في الغزل** :

[من البسيط]

١ أفدي الذي خلبَتْ قلبي لواحظُهُ
وخلّدَتْ لَذَعات الحبِّ في كبدي

٢ صفاتُ ناظرهِ سُقْم بلا ألَمٍ
سُكْرٌ بلا قَدَحٍ، جُرْح بلاقَوَدِ

٣ معشّقُ الدلِّ من تيهٍ ومن صَلَفٍ
مرنّحُ العطْفِ من لينٍ ومن مَيَدِ

٤ على مُحيّاهُ من نارِ الصِّبا شُعَلٌ
ووَرْدُ خدّيهِ من ماءِ الحياةِ نَدي

---

(١) عضد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله، كان أستاذ الدار في أيام المستنجد، ووزيراً في خلافة المستضيء، قتله أحد الباطنية سنة ٥٧٣ للهجرة (النجوم الزاهرة ٦ : ٨١).

* سنا البرق الشامي ١ : ١١٨.

(٢) زرود : موضع بطريق الحاج من الكوفة (معجم البلدان ٣ : ١٣٨).

** معجم الأدباء ٧ : ٩٠، الوافي بالوفيات ١ : ١٣٨، طبقات الشافعية ٦ : ١٨٢.

قال العماد: وقلت في نور الدين بعد التباسي بديوانه، واستئناسي بإحسانه: *

[من السريع]

١ بالمَلِكِ العادِلِ محمودِ
أنْجَزَتِ الأيامُ موعودي

٢ أسكنني الإقبالُ في ظلِّه
وعادَ حظّي مُورِقَ العُودِ

٣ مَنْ لم يكنْ في ظلِّه ساكناً
فإنّه ليسَ بِمَسْعُودِ

٤ وكيف لايَسْعَدُ عبدٌ له
أقامَ بينَ العدلِ والجُودِ

٥ سفائنُ الآمالِ من جُوده
قد استَوَتْ منا على الجُودي (١)

٦ آلاؤُه البيضُ بِلاْ لائها
تُشرِقُ في ليلاتِنا السُّودِ

٧ عَزْمَتُهُ مشهورة في الورى
وسيفُهُ ليس بمغمود

٨ وثَلْمُ ثَغْرِ الكُفرِ عاداتُهُ
لا لَثْمُ ثَغْرِ الغادةِ الرُّودِ(٢)

* الخريدة، بداية شعراء الشام، ص ٤٣.

(١) الجودي : موضع، وقيل جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، وفي القرآن الكريم : واستوت على الجودي (سورة هود، الآية ٤٤).

(٢) الغادة الرود : الفتاة الحسناء التي تمشي على مهل.

٩ تثنــــي مثـــانـي الذِّكر عِطْفَيه لا
لحـــنُ المثــــاني والأغــاريدِ

١٠ وفي مــطا الجُـــرْدِ لـــه راحــةٌ
تُنســــــي وصــالَ الخُرَّدِ الغيدِ

١١ غـــدوت للإسـلامِ رُكْنــاً وكـم
رُكْـــنِ ضــلالٍ بــكَ مهدودِ

١٢ وذُلَّ لأواءِ بنـــي الشِّرْكِ فـــي
لــواءِ نصـــرٍ لكَ معـقـــودِ

١٣ شَيَّــدتَ بــالشَّـــامِ بناءَ الهُــدَى
عَـزْماً وحَـزْماً أيَّ تَشْــييدِ

١٤ لـولاكَ لم تَعْــلُ بأطـــرافـــه
رايــاتُ إيـــمـــانٍ وتـوحيدِ

١٥ فـــلم تَدَعْ في أرضـــه كافـــراً
أو مـــلـــحـــداً ليـــس بملحودِ

١٦ ولم تــغـــادَرْ مـنـــهم سيِّـــداً
يَغْــدُرُ إلاّ طُعْمَـــــةَ السِّيدِ (١)

١٧ ولم تَـــزَلْ تُـــردي صنــاديدهـم
بجُنْـــدِكَ الغُـــرِّ الصَّـناديدِ (٢)

١٨ يامُغْـــزِيـاً شمــلَ العدَى واللُّهَى
في جمـعـــهِ الحـــمـــدَ بتَبْديدِ

١٩ أجَـــدْتُ لمـا جُــدْتَ لي فاغتدى
بمقتضـــى جُــودِكَ تجـويدي

---

(١) السيد : الذئب .
(٢) الصناديد : الشجعان .

٢٠ هُـنِّي بـكَ العيدُ وقَوْلُ الورى
هنِّيـتَ نـورَ الدِّيـن بالعيـدِ

(٥٧)

قال في طلب كُسوة * :

[من مجزوء الرمل]

١ يافـلانَ الـدِّيـن، يـامـنْ
مجْـدُهُ بـالجُـودِ مُجْدِ (١)

٢ أنـا قـدمـتُ مـن الـبـرْ
دِ ، فـكـفِّـنِّـي ببُرْدِ (٢)

(٥٨)

قال العماد: كتبَ إليّ بواسط القاضي العدل أبو القاسم عمر بن الحسن بن أحمد بن الباسيسي الملقب بجمال الاسلام، وأنا مشرف كالنائب في أعمال الوزير عون الدين بن هبيرة، يستزيدني في معنى أدراره (٣)، فكتب جوابه، وسعيت في تعجيل أدراره ** :

[من الطويل]

١ أعيذُكَ، يـاذا الفضـلِ مما يشينُـهُ
وذا المجـدِ، ممـا لايليـقُ بذي المجدِ

٢ تُفَـردُني بـالعتـبِ دونَ عصابـة
تفـرَّدُ عنّي بالإجـابةِ والـرَّدِّ

* الخريدة ، قسم العراق ٣/٢ : ٩٧ .
(١) مجد : نافع .
(٢) البرد : كساء مخطط يلتحف به .
(٣) الأدرار : الجرايات الدارة، أي الدائمة التي لا تنقطع .
** الخريدة، قسم العراق، ٤/٢ : ٥٩١ .

٣ ومــن نائبــاتِ الدَّهــر أنّــي نائــبٌ
ومالي يدٌ في حلِّ أمرٍ ولاعقْدِ (١)

٤ اذا لم يكــن يــوماً لَدَى البأسِ لي يَدٌ
فلا حَمَلَتْ كفّي لمكرُمَةٍ زَنْدي

٥ وان لم أكن أَقضي حقوقَ ذوي النُّهى
فمن ذا الذي يَقْضي حقوقَهُمْ بعدي ؟

٦ ولو أَنني أُعطيتُ سُؤْلي من العــــلى
لكنتُ بما أُخفيهِ من سرِّها أبــدي

٧ ولست بما فيه أنا اليــومَ قــانعــاً
ولكنْ من العلياء أغدو على وعدِ

٨ بـ «واسِطَ» مكثي لانتظارِ مــواعــد
لها، وليومٍ يمكُثُ السّيفُ في الغمْدِ

٩ سأَعــزِمُ عزمَ الماجدينَ برحلـــة
أُصوِّبُ فيها نحوَ مَنْقَبَةٍ قصدي

١٠ ومافضَلَ الهِنــديُّ إثراً وقيمـــةً
حدودُ الظُّبى، حتى تناءَت عن الهِندِ (٢)

١١ وما أَنصفَ العلياءَ مَنْ خَصَّ أَهلَها
بذمٍّ، وهم أَهلُ الثّنا وذوو الحمدِ

١٢ أولي الفضلِ : (باسيسيكُمْ)خصّ بأسه
عتاباً بمن يرجوه في الوُدِّ للرِّفْدِ (٥)

---

(١) يعني أنه نائب عن الوزير ابن هبيرة .
(٢) الهندي : السيف المطبوع في الهند . الأثر : بتثليث الهمزة، لمعان السيف ورونقه. الظبي: جمع الظبة، وهي حد السيف .
(٣) الرفد : العطاء .

١٣ فاهدُوا له عنّي عِتاباً، لعـــلّـه
على حادثات الدّهرِ يُعْتبُ أو يُعدِي(١)

١٤ أنارت مساعيه النيرةُ، فـاغتـدى
لها كلُّ من يَبْغي السّعادةَ يستهدي

١٥ أمستفرِغاً في عَتْب مثليَ جَهْدَه
وفي شكره مازلتُ مُستفرِغاً جهدي

١٦ تجرّعتُ كأسَ العتب مُرّاً ،وإنّما
لِوُدِّكَ عندي، كان أحلى من الشُّهْدِ

١٧ وإنّ اعـتدادي بـالوِداد لـصـادق
لديكَ، فلمْ كذّبتَ آمالَ مُعْتَدِّ(٢)

١٨ أفي العدل أنّ الوصلَ يَحْظَى به العدا
وبالعَذْلِ أحظى، والعلاقة بي وحدي؟

١٩ أيا «عُمَرُ» المعمورُ قلبي بـوُدّه
أتهدِمُ بُنياناً عَمَرْتُ من الوُدّ ؟

٢٠ تأمّلْ حسابي، ثمّ عُدَّ فضائلـي
فمجموعُها يُنبيكَ عن حَسَبي العِدِّ

٢١ لقد كَسَدَتْ سوقُ الفضائلِ كلُّها
وَللْهَزْلُ أحظى في الزّمان من الجِدّ

٢٢ ولستُ أرى إلاّ كريماً ، يَفرُّ من
لئيمٍ ، وحُرّاً يشتكي الضّيمَ من عبدِ

٢٣ ومالي سوَى ظلّ الوزيرِ ورأيـه
ملاذٌ ومأمولٌ على القُربِ والبُعدِ

---

(١) يعتب : يرضي بعد العتاب. يعدى : ينصر ويعين .
(٢) اعتد بوده : اهتم به .

٢٤ قد ابيضّ حظّي في ذَراهُ ، وإنّني
مُسَوَّدُ مجدٍ ، حظّه غيرُ مُسَوَّدَ

٢٥ وبي حَصَرٌ من حَصْرِ أنواءِ بِرّه
وماتدخُلُ الأنواءُ في الحصرِ والعَدّ

٢٦ وإنعامهُ عندي عن الحدّ زائدٌ
وشكري له شكرٌ يزيدُ عن الحدّ (١)

(٥٩)

قال العماد في مدح نور الدين محمود سنة ٥٦٢ للهجرة*:

[من الرجز]

١ لوحفظتْ يومَ النّوىَ عهودَها
مامَطَلَتْ بوصلكم وعودها

٢ ماذا جنتْ قلوبنا حتى غدا
في النار من شوقكم خلودها

٣ لم أنسها إذ نشرت دموعها
في خدّها مانظمت عقودها

٤ اذا قربتني للوداعِ نحوَها
فبان في وصالها صدودُها

٥ كأسهم الرّامي متى قرّبها
يكونُ تقريبها تبعيدها

---

(١) عدى الفعل «يزيد» بـ «عن»، وإنما يعدى بـ «على».

* الروضتين ١: ٣٧٧، الأبيات الخمسة الأولى في سنا البرق ١: ٦٦، عقد الجمان ١٢: ١٣٧ب.

٦ محمد يحمدُ عيشَ بلدةٍ
مالكُها بعدلهِ محمودُها(١)

٧ مؤيد أمورَه بحزمةٍ
من السمواتِ العُلى تأييدها

٨ آثارُهُ حميدة، وإنّما
للمرءِ من آثارهِ حميدها

٩ إنَّ الورى بحبّه وبغضه
يعرفُ من شقيها سعيدها

١٠ قد جاءَكم نور من الله، فمن
به اهتدى فإنّه رشيدها

١١ جلا ظلامَ الظُّلم نورُ الدِّينِ عن
أرضِ الشآم، فله تحميدُها

١٢ إنَّ الرَّعايا منه في رعايةٍ
ونعمةٍ مستوجب مزيدها

١٣ لنومها يسهرُ، بل لأَمنها
يخافُ، بل يخصبها بجودها

١٤ بالدِّين والملكِ له قيامهُ
وللملوكِ عنها قعودُها

١٥ ودأبه ثلمُ ثغورِ الكفرِ، لا
لثم ثغورٍ ناقع بَرُودُها (٢)

١٦ قد أسبغَ اللهُ لنا بعدله
ظلالَ أمنٍ وارف مديدها

---

(١) محمد : هو العماد الأصفهاني.
(٢) البرود من الشراب : ما يبرد الغلة.

١٧ غدا ملوكُ الرُّوم في دولته
وهم على رغمهم عبيدُها
١٨ لما أبت هاماتهم سجودَها
لله، أضحى للظُّبى سجودها
١٩ إن فارقت سيوفُه غمودَها
فإنَّ هاماتهمُ غمودها
٢٠ كم مغلقات، من حصونِ عزمه
مفتاحها، وسيفه إقليدها (١)
٢١ قد ودَّت الفرنج لوفرَّت نَجَتْ
منكَ، ولكن روعها يبيدها
٢٢ قهرتَها حتى لودَّ حبُّها
من ذلةٍ لو أنّه فقيدُها
٢٣ أماتها رعبُكَ في حصونِها
كأنّما حصونُها لحودُها
٢٤ وإن مصراً لكَ تعنو بعدما
لسيفكِ العضبِ عن صعيدها
٢٥ والملة الغراء خالٍ بالها
عال سناها، بكَ حالٍ جيدُها
٢٦ مفترةٌ ثغورُها، ممنوعةٌ
ثغورُها، محفوظةٌ حدودُها
٢٧ وإنْ بغى جالوتُها ضلالةً
فأنتَ في إهلاكه داودُها(٢)

---

(١) الإقليد : المفتاح، والكلمة يونانية الاصل معربة.

(٢) جالوت : جبار اتكل على قوته وقامته، وتدجج بزرد الحديد وطلب للمبارزة واحداً من بني اسرائيل فلم يجسر على مقاومته إلا داود النبي، الذي نازله وقتله (انظر قصص الانبياء لابن كثير ٢: ٢٦٥).

٢٨ يا ابنَ قسيم الدَّولة الملك الذي
خرَّت له من الملوك صيدها

٢٩ دع العدا بغيظها، فإنَّما
يذيب أكباد العدا حقودها

٣٠ يادولة نوريةٌ أمن الورى
وخصبها، وجودها، وجودها

٣١ مامَثَلُ الدُّنيا لمن يجمعُها
بالحرص إلاَّ قَزَّةٌ ودودُها (١)

٣٢ أنتَ الذي يرفضُها عن قدره
فلا يشوب زهدَه زهيدُها

٣٣ فابقَ لنا يا ملكاً ،بقاؤه
في كلِّ عامٍ للرَّعايا عيدُها

٣٤ في نعمةٍ جديدةٍ سعودُها
ودولةٍ سعيدةٍ جدودُها

---

(١) القز : ما يسوى منه الابريسم أو الحرير.

ـ حرف الـذال

(٦٠)

[دوبيت]

١ مــاكنــت أظنــهــم لعهدي نبذوا
قــوم تــركونــي ولقلبي أخذوا (١)

٢ قــلبـي بــزمــامــه اليهــم جـبذوا
فـتــّوا كبـدي فهـي عليهم فلذ

(٦١)

في مدح أسد الدين شيركوه سنة ٥٦٣ للهجرة : *

(من الخفيف)

١ دمــتَ في الملك آمراً ذا نـفــاذ
أسدَ الدِّين شيركوه بن شـاذي

٢ ياكريماً عـن كـلِّ شرٍّ بطيـئاً
وإلى الخيـر دائـم الإغـذاذِ

٣ وملاذ الإسلام أنـتَ ، فــلا زلـ
ـت لأهــل الإســلام خيـر مـلاذِ

٤ في نفوس الكُفـّار رعبُكَ قد جـل
لَ بصَدْع الأكبـاد والأفـلاذِ

٥ لـم تـدع بـالظُّبى رؤوسـاً وأصنـا
مـاً مـن المشركين غير جذاذِ (٢)

---

(١) انظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠ .

(*) الروضتين ١ : ٣٨٣ .

(٢) الجذاذ : الحطام .

٦ أنتَ من نازل الدعيين في مصـ
ـر لنصر الإمام في بغداد

٧ وبلاد الإسلام أنقذتها أنـــ
ـتَ من الشِّركِ أيّما إنقاذ

(حرف الراء)

(٦٢)

قال العماد ارتجالاً : *

(من المجتث)

١ ألهيتَ نفسَكَ ، لكنْ
لَهيتَ بالأوطارْ

٢ طلبتَ شهوتَها ، إذْ
ألهبْتَ فيها النارْ

٣ قدَّمت ذنبَكَ ، لمّا
قدَّمتَ بالأعذار

٤ لَعَدَمْتَ عمرَكَ ، حتّى
عمَرْتَ هذي الدارْ

٥ العمرُ يقصُرُ ، والدَّهـ
ـرُ بالفتى غدّارْ

٦ كلاهُما مسعارٌ
جَناهما مُشْتارْ

٧ وِدادُهما قَلَّ ، دنيا
إيرادُها إصدارْ

٨ سباعُها ضارياتٌ
طباعُها آضرارْ

٩ جاراتُها جائرات
عرفاتُها إنكسار

* الخريدة، قسم العراق، ٤/٢: ٥٨٧ .

١٠ خُسرانُها الربحُ عندي
نقصانُها إبدارْ
١١ كثيرُها مُستقل
غزيرُها غرّارْ
١٢ أدوارُها دائرات
أوطارُها أطوارْ
١٣ لباسُها البأسُ فاعلمْ
فناسُها أغمارْ
١٤ غُفْلُ البصائرِ ، ذُهْلُ الـ
ـقلوبِ والأبصارْ
١٥ توالتِ السّفْرُ منها
وطالتِ الأسفارْ
١٦ بدارِ ، فالأمرُ صعب
حذارِ للانذارْ
١٧ اقْنِ الثناءَ ، وأقنِ الثّـ
ـراءَ ، وانفِ العارْ
١٨ فرِّق لُهاكَ ، وأحسنْ
وأنفق الدينارْ (١)
١٩ مالي أكثرُ مالي ؟
وما لي الأنصارْ
٢٠ الذّكرُ عندي خير
والشّكرُ لي مختارْ

---

(١) لهاك : عطاياك .

٢١ يُفــرِّجُ الــهــمَّ عــنــدي
مــا تُــنــتــجُ الأقــدارْ

(٦٣)

قال في الشيب *

(من الرجز)

١ ومـا مشيـبُ المـرءِ الاّ غُبْرَة
تعلّقتْ من ركضِ عُمْرٍ قد غبَرْ

(٦٤)

قال العماد : وأوّل من مدحته من الخلفاء المقتفي – رضي الله عنه – خدمته في سنة ٥٥٢ هـ بقصيدة عقيب انكشاف كربه الحصار برحيل محمد شاه (١) عن بغداد : **

(من الكامل)

١ أضحتْ ثغورُ النّصرِ تبسمُ بالظّفَر
وغدتْ خيولُ النّصرِ واضحةَ الغُرر

٢ يا ابنَ السّراةِ ذوي العُلى من هاشمٍ
والأكرمينَ أُولي المناقبِ من مُضرْ

٣ مُتقلّدي الــذّكــر المنزّل فيهــمُ
انْ نازلوا بَدلاً العَضْبَ الذّكَرْ

٤ أنتَ ابنُ عمِّ المصطفى وسميّه
أبشرْ ، فإنّكَ بعدَهُ خيرُ البشرْ!؟

* الخريدة، قسم الشام، ١ : ٥٩.
(١) محمد شاه بن محمود شاه بن محمد شاه بن ملك شاه السلجوقي، توفي سنة ٥٥٤هـ (النجوم الزاهرة ٥ : ٣٣٠).
** الخريدة، قسم العراق، ١ : ٣٦.

٥ من راحتيكَ المُزن في المَحْلِ اجتدى
والـى سَناكَ البدرُ في اللّيلِ افتقرْ
٦ أُدنى ولـيٍّ في رضـاكَ مـُعـظّـم
وأجـلُّ ذي مُلْكٍ بسخطكَ مُحتقرْ
٧ أضحى حمى الباغي رضاكَ ممنّعاً
بينَ الورى ، وغدا دمُ الباغي هدَرْ
٨ لـو كنتَ في زمنِ النبيِّ لأُنزِلتْ
في هذهِ السِّير التي لكم سُورْ
٩ بـكـمُ الورى في نعمةٍ لا تنقضي
لاتنقضي ، والله ، نعمةُ من شكَرْ
١٠ في أنفسٍ بكم تُقـرُّ ، وألسـن
بـكـمُ يَقرُّ ، وأعينٍ بكم تقرْ(١)
١١ عاصيكمُ لم يقضِ إلاّ نحبَـهُ
من دهرِه ، ومطيعكم إلاّ الوَطَرْ
١٢ لما شفعتَ العزمَ وهو مؤيَّـدٌ
بالحزمِ ، أسفرَ بالمُنى منكَ السّفَرْ
١٣ وبرزتَ مثلَ الشّمسِ تُشرق للورى
وسَناكَ يحجُبُ عنكَ ناظرَ مَنْ نَظَرْ
١٤ في شيبةٍ مفطورةٍ للـه مـن
أنوارهِ سبحانَـهُ فيمـا فَطَرْ !

---

(١) تقر الأولى : تسكن، والثانية تعترف، والثالثة تبرد وترى ما هي متشوقة اليه، يقال : قرت عينه، أي بردت سروراً، وانقطع بكاؤها وجف دمعها.

١٥ بيضاء يستسقى بها صوبُ الحيـــا
وبأصلها – إذ أجدبوا – استسقى عُمَرْ(١)

١٦ وكأنما تلك المظلّـــةُ هالـــةٌ
وجه الإمام يضيءُ فيهـا كالقَمَـرْ

١٧ للـهِ جيشٌ للخليفـةِ قـادَهُ
ربُّ الخليفـة بالميامنِ والظّفَـر

١٨ مَجْرٌ إذا جَـرَّ القنا لايرتضـي
وَجْهَ المجرَّةِ أنْ يكونَ لهامَجَرْ(٢)

١٩ أشجارُ خطٌّ إنْ تشاجـرت العـدى
أضحتْ لها هاماتُ مُخيطهم ثمر(٣)

٢٠ فوق الجياد الجُردِ ماوردت وغـىً
إلاّ وخيل عدوّها عنها صَـدَرْ

٢١ يتركن في الظمـأ الزُّلال بصفـوه
ويَرِدْنَ في الرَّوعِ الدّماء على كَدَرْ

٢٢ فالأرضُ ، وهي فسيحـةٌ، ضاقتْ به
وعلى العدى منه فما وجدوا مَقَـرْ

---

(١) استسقى : طلب السقي . عمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان استسقى بالعباس بن عبدالمطلب في عام جدب ، وقال: (اللهم إذا كنا اذا أجد بنا نتوسل اليك ينبينا ، فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا ، فاسقنا) وفي المسألة تفصيل ، انظره في كتاب التوسل والوسيلة للامام ابن تيمية ، وفي غاية الأماني ٢ : ٢٧٦ – ٢٨٣ .

(٢) مجر : عظيم . المجرة : نجوم كثيرة لاتدرك بالبصر . مجر : اسم مكان ، من جر الشيء : اذا جذبه نحوه .

(٣) في الاصل : مخيطهم ، ولم يظهر لنا وجهه ، ولعل الصواب « محنظهم » ، والمحنظ من الشجر : ماأدرك ثمره .

٢٣ قد أوقدوا ناراً هم احترقوا بهــــا
وشـرارهم متطايرٌ بهـم الشَّرَرْ

٢٤ لما أبوا مافيه خيرهُـم أتـــــوا
مافيهم بَشَـرٌ نجا إلاَّ بِشَــــرْ

٢٥ هذي — أميرَ المؤمنين — قصيـدةٌ
غرّاءُ تَقْصِدُ قبّةَ الملكِ الأغـرْ

٢٦ حسناءُ يَهديها وليٌّ مُخلــصٌ
لكم الولاءَ فأَوْلِها حسنَ النّظــرْ

٢٧ صُوَرٌ تقوم بها معانٍ منكــــمُ
إنّ المعانيَ زائنـــاتٌ للصُّـــوَرْ

٢٨ دقّتْ لمعنى السّحر ، إلاّ أنّهـــا
راقتْ ورقّتْ مثل أنفاسِ السّحَرْ

٢٩ لما رأيتُ مَنارَ بيتكَ كعبــــةً
وافيتُ فيمن حَجَّ بيتكَ واعتمــرْ

٣٠ وهجرتُ أوطاني إليـه ، ومَن رأى
شرفاً له في أنْ يفارقها هَجَــرْ

٣١ ونأيتُ عن قومي ، ليرفعَ دونهــم
قدري اصطناعُك لي،فجئتُ على قدرْ

(٦٥)

قال العماد وهو في صحبة السلطان صلاح الدين إلى مصر سنة ٥٧٦ للهجرة :
ووصلنا الى القاهرة على طريق أيلة (١) ثالث عشر شعبان ، واستقبلنا أهلها،

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : مدينة على لسان من بحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط والشام (معجم البلدان ١ : ٢٩٢) .

ولقينا الأكابر والأعيان، والملك العادل أخو السلطان حينئذ نائبه، وتلقتنا مواكبه ومواهبه ،وخدمته بقصيدة ذكرت فيها المنازل والمناهل من يوم الرحيل من دمشق إلى الوصول إلى القاهرة * :

[من الوافر]

١ أحبةَ قلبي طالَ ليليَ بعدكمْ
أسىً فمتى ألقى بوجهكم الفَجْرا

٢ سكنتمْ فؤادي،وهو في نارِ شوقكمْ
فهلاًّ أخذتُمْ فيه من نارِه حِذْرا

٣ فقدتُ حياتي مذْ فقدتُ لقاءَكم
فهل بحياتي منكم نشأةٌ أخرى

٤ لقد عادَ أنسي وحشةً بفراقكم
كما عادَ عرفُ الدّهرِ بعدكم نُكرا

٥ وقد كنتُ مُغتراً بأيامِ وصلكم
ولا يأمن الأيامَ من كانَ مغتراً

٦ أجيرانَ جيرونَ المجيرينَ جارهمْ
من الجَوْرِ حوزوا في مشوقكم الأجرا(١)

٧ محبتُكم قد خانَهَ الصبْرُ فاطلبوا
سحباً سواء عنكمُ يحسنُ الصبرا

٨ ومذ غبتُ عن مَقْرى ، مَقَرّي قد نبا
سقىَ ورعىَ ربّي مقرّي في مقْرى(٢)

٩ أحنُّ إلى عذرا ، وعذريَ واضحٌ
لأنّ الهوى العذريَّ منّي في عذرا

---

* الروضتين ٢ : ٢٠ وسبعة أبيات متفرقة في سنا البرق الشامي ١ : ٣٥٦٥ .

(١) جيرون : مدينة دمشق (معجم البلدان ٢ : ١٩٩)

(٢) مقرى : قرية بالشام من نواحي دمشق (معجم البلدان ٥ : ١٧٣) .

١٠ اذا القدرُ المحتومُ من جلّقٍ بنا
إلى مصر أسرى فالقلوبُ بها أسرى(١)

١١ رحلنا فما باحتْ باسرارنا سوى
عبارةُ عينٍ خوف يومِ النّوى عبْرى

١٢ تركنا دمشقاً ، والجنانُ وراءَنا
وقد أمّنا بالكسوةِ الرفقة السّفرا(٢)

١٣ وجئنا إلى المَرْجِ الذي طابَ نشرُهُ
فلا زالَ من أحبابنا طَيّباً نَشرا (٣)

١٤ رحلنا بمرجِ الصُّفرِ بالعيسِ غدوةً
فسارتْ وحطّتْ في محجّتها ظهرا(٤)

١٥ وقد قطعتْ تُبْنى إلى الدّيرِ بعدها
وما عرستْ حتى أناختْ على بُصرى

١٦ نزلنا الدّناحَ والجلاعبَ بعدها
وبعدهما غدرَ البشاميّةِ الغزرا (٥)

١٧ ورأسَ الجشا والقريتينِ وكلُّها
مواردُ فيها السُّحبُ قد غادرتْ غدرا(٦)

---

(١) جلق : مدينة دمشق (معجم البلدان ٢ : ١٥٣) .
(٢) الكسوة : قرية قريبة من دمشق (معجم البلدان ٤ : ٤٦١) .
(٣) المرج : قصد مرج الصفر بنواحي دمشق (معجم البلدان ٥ : ١٠١) .
(٤) تبنى : بلدة بحوران من أعمال دمشق (معجم البلدان ٢ : ١٤). الدير : هناك عدة أديرة في منطقة حوران منها : دير أيوب ، ودير الباعقي ، ودير بصرى (معجم البلدان ٢ : ٤٩٩ — ٥٠٠). بصرى : مدينة بالشام من أعمال أدمشق (معجم البلدان ١ : ٤٤١).
(٥) الدناح والجلاعب والبشامية : مواضع لم أقف على تعاريف لها .
(٦) رأس الجشا : اسم موضع لم أقف على تعريف له . القريتان : من أعمال حمص في طريق البرية (معجم البلدان ٤ : ٣٣٦) .

١٨ وردنا من الزَّيتونِ حِسْمىَ وأيلةً
وجزنا عُقاباً كان مسلكها وعرا(١)

١٩ إلى قلّةِ الرّاعي إلى نابعٍ الى
جراولَ فالنخلِ الذي لم يزل قفرا(٢)

٢٠ إلى منزلٍ في روضةِ الجملِ اغتدتْ
به عيسنا في صدرِ شارحه صدرا(٣)

٢١ ودونَ حَتّا لمّا حَثَثْنا ركابنا
عيون لموسى لم يزل ماؤها مُرا (٤)

٢٢ هناكَ تلقانا الوفودُ بِبرِّهم
فسروا بنا نفساً وزادوا بنا بِشرا

٢٣ قطعنا إلى بحرِ النّدى بحرَ قُلْزُم
ومَنْ قصدُهُ بحرَ النّدى يقطعُ البحرا(٥)

٢٤ عبرنا إلى من كاثر الرمل جوده
وجزنا اليه ذلكَ الرَّملَ والجسرا

٢٥ ولم يرونا ماء الشماد بعَجرَد
ولم يقتنع بالقل من يأمل الكثرا(٦)

---

(١) الزيتون : جبل بالشام (معجم البلدان ٣ : ١٦٣) . حسمى : أرض وقيل جبل قريب وادي القرى (معجم البلدان ٢ : ٢٥٨) . العقاب : موضع في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق (معجم البلدان ٤ : ١٣٣) .

(٢) قلة الراعي : اسم موضع لم أقف على تعريف له . نابع : موضع بقرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (معجم البلدان ٥ : ٢٤٩) . جراول : اسم موضع لم أقف على تعريف له . النخل : موضع في طريق الشام من ناحية مصر (معجم البلدان ٥ : ٢٧٦) .

(٣) روضة الجمل : اسم موضع لم أقف تعريف على له .

(٤) حتا : موضع بالشام (معجم البلدان ٢: ٢١٧) .

(٥) بحر القلزم : البحر الأحمر .

(٦) عجرد : من قرى زنار باليمن (معجم البلدان ٤: ٨٦)

٢٦ وجبنا البوَيْب والمصانع قبله
إلى بركة الجب التي قربت مصرا(١)

٢٧ إلى عزمةٍ في المجدِ غيرِ قصيرةٍ
وكان قُصارى أمرنا أنْ نرى القصرا

٢٨ ولما نزلنا مصرَ في شهر طوبة
وردنا بكف العادل النيل في مسرى(٢)

٢٩ غدا قاصراً عنقصرهِ قصرُ قيصرٍ
وإيوانُ كسرى عند إيوانهِ كسرا

(٦٦)

كتب العماد إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٦٣ للهجرة وقد عثر فرسه في الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين رحمه الله تعالى *:

[من الكامل]

١ لاتُنكرنَّ لسابحٍ عثرتْ به
قدمٌ،وقد حملَ الخضمَّ الزاخرا(٣)

٢ ألقى على السلطان طرفك طرفه
فهوى هنالكَ للسّلام مبادرا (٤)

٣ سبقَ الرّياحَ بجريهِ ، وكففته
عنها ، فليس على خلافكَ قادرا

---

(١) البويب : مدخل أهل الحجاز إلى مصر (معجم البلدان ١ : ٥١٢). المصانع : موضع باليمامة وقيل في اليمن (معجم البلدان ٥ : ١٣٦) .

(٢) الأصل : طوبة ، ولعلها توبة .

* الروضتين ١ : ٣٧٨ .

(٣) السابح : السريع من الخيل .

(٤) الطرف : الكريم الطرفين أي الاب والام من غير الناس كالخيل ونحوها .

٤ ضعفتْ قواه إذ تذكر أنه
في السّرحِ منكَ يُقل ليثاً خادرا (١)

٥ ومتى تطيقُ الرِّيحُ طوداً شامخاً
أو يستطيعُ البرقُ جوناً ماطرا(٢)

٦ فاعذر سقوط البرقِ عند مسيرهِ
فالبرقُ يسقطَ حين يخطفُ سائرا

٧ وأقِلْ جوادكَ عشرة ندرت له
إنَّ الجوادَ لَمَن يُقيلُ العاثرا

٨ وتوقَّ من عينِ الحسودِ وشرها
لا كان ناظرها بسوءٍ ناظرا

٩ واسلمْ لنور الدِّينِ سلطانِ الورَى
في الحادثاتِ معاضداً وموازرا

١٠ وإذا صلاحُ الدِّينِ دامَ لأهلهِ
لم يحذروا للدَّهرِ صرفاً ضائرا

(٦٧)

قال العماد في حوادث سنة ٥٦٤ للهجرة : ومما مدحت به صلاح الدين تهنئةً بالمُلكِ وتعزيةً بعمهِ أسد الدين شيركوه * :

[من الطويل]

١ أيا يوسف الإحسان والحسن ، خير من
حوَى الفضلَ والإفضالَ والنُّهى والأمرا

(١) خادراً : خدر الأسد في عرينه : لزمه فهو خادر .
(٢) الطود : الجبل . الجون : من الأضداد ، الأسود والأبيض .
* الروضتين ١ : ٤٠٤ .

٢ ومَنْ للهُدى وجهُ النّجاحِ برأيهِ
تجلى ،وثغرُ النّصرِ من عزمهِ افترّا

٣ حمى حوزةَ الدِّينِ الحنيفِ بحوزِهِ
من الخالقِ الحُسنى ومن خلقه الشُّكرا

٤ أبوه أبى إلاّ العلاءَ ، وعمُّهُ
بمعروفهِ عمَّ الورى: البدوَ والحضْرا

٥ وطالَ الملوكَ شيركوه بطَولهِ
وماشاركوه في العلى فحوى الفخرا

٦ بنو الأصفر الإفرنج لاقوا ببيضهِ
وسُمرِ عواليهِ مناياهمُ حُمرا

٧ وما ابيضَّ يومُ النّصرِ واخضرَّ روضُهُ
من الخصبِ حتى اسودَّ بالنّقعِ واغبَّرا

٨ رأى النّصرَ في تقوى الإله ، وكلّ من
تقوّى بتقوى اللهِ لايعدمُ النَّصرا

٩ ولما رأى الدُّنيا بعينِ ملالةٍ
أغذَّ من الأُولى مسيراً إلى الأُخرى

١٠ وقامَ صلاحُ الدِّينِ بالملكِ كافلاً
وكيف ترى شمسَ الضُّحى تخلفُ البدرا

١١ ولما صَبَتْ مصرٌ إلى عصرِ يوسفٍ
أعادَ إليها اللهُ يوسفَ والعصرا

١٢ فأجرى بها من راحتيهِ بجودهِ
بحاراً ، فسماها الورى أنمُلاً عشرا

١٣ هزمتم جنود المشركين برعبكم
فلم يلبثوا خوفاً ولم يمكثوا ذُعرا

١٤ وفرقتمُ من حولِ مصر جموعهم
بكسرٍ ، وعادَ الكسرُ من أهلها جبرا

١٥ وأمّنتم فيها الرّعايا بعدلكم
وأطفأتم من شرِّ شاوَرِها الجمرا(١)

١٦ بسفكِ دمٍ حطتمْ دماءً كثيرةً
وحُزتم بما أبديتم الحمدَ والشكرا

١٧ وما يرتوي الإسلام حتى تغادروا
لكم من دماءِ الغادرينَ بها غُدرا

١٨ فصبُّوا على الإفرنج سوطَ عذابها
بأن تقسموا مابينها القتلَ والأسرا

١١ ولا تهملوا البيتَ المقدّسَ ، واعزموا
على فتحهِ غازينَ ، وافترعوا البكرا

٢٠ تديمونَ بالمعروفِ طيِّبَ ذكركم
وما الملك إلاّ أن تُديموا لكم ذِكرا

٢١ وإنّ الذي أثرى من المالِ مُقْتِرٌ
وإنْ يُفْنِهِ في كسبِ محمدةٍ أخرى(٢)

(٦٨)

وله في الغزل * :

[من الكامل]

١ كتبَ العذارُ على الخدودِ سُطورا
من يَتْلُها يَكُ في الهوى معذورا

---

(١) شاور بن مجيد وقد سبقت ترجمته .
(٢) مقتر : قتر على عياله : ضيق عليهم في النفقة ، بخل عليهم .
* الجامع المختصر ٨ : ٦٣ .

٢ وبدا البنفسجُ بينَ وردِ خدودهـم
غضاً فمازج وردها الكافورا

٣ فكسا ربيعُ الحُسنِ روضَ جمالهم
من نورِه فوقَ الحريرِ حريرا

٤ ومعنبرُ الصُّدغينِ ضم عِذاره
في عارضيه إلى العبيرِ عبيرا

٥ بدرٌ به كلفُ العبادِ ، فيا لَهُ
عجباً فقد شابَ الظّلامُ النورا

٦ ياللرجالِ لمقلةٍ مخمورةٍ
يغدو المحبُّ بكأسِها مخمورا

٧ أبكي ويضحكُ كالغمامِ اذا بكى
حُزناً تبسّمت الرِّياضُ سرورا

٨ وترى لآلئ ثغرِه منظومةً
ولديه لؤلؤ عبرتي منثورا

٩ عهدي به ، والعيشُ صافٍ شربُهُ
والدّهرُ لم يُحدثْ له تكديرا

١٠ يا حبذا ليلٌ يُقضى بالمنى
طالَ السرورُ به وكان قصيرا

(٦٩)

قال في مدح ناصرالدين محمد بن شيركوه (١) ووصف جيشه سنة ٥٧٠ للهجرة : *

[من الكامل]

١ ولقد أَلفتُ نِفارَها وهَوَيْتُها
اذ ليس يُنكَرُ للظِّباءِ نِفارُ

٢ يا جارةً للقلبِ جائرةً : دعي
ظُلمي ، والاَّ قلتُ :جارَ الجارُ

٣ قلبي كطرفي ما يفيقُ إفاقةً
سكران ، ما دارتْ عليه عُقارُ

٤ صَبٌّ بصبِّ الدَّمعِ ، محترق الحشا
خطرت ببال بلائهِ الأَخطارُ

٥ لم يخشَ من خطرِ الهوى حتى حمى
ذاكَ القوام شبيهه الخطّارُ

٦ يذري الدُّموعَ كأنهنَّ عسوافٌ
لابْنِ الملكِ شيركوه غزارُ

٧ من آلِ شاذي الشائدينَ بنا العُلَى
أَركانُهنَّ لَها ذمٌ وشفارٌ (٢)

---

(١) ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص ، وكان ابن عمه صلاح الدين يحترمه ، توفي سنة ٥٨١ ه (وفيات الأعيان ٢ : ١٧٥ ، الوافي بالوفيات ٣ : ١٥٤ ، شفاء القلوب ص ٤٨) .

* الروضتين ١ : ٦٣٥ ، سنا البرق الشامي ١ : ١٩٠ .

(٢) شاذي : جد الأسرة الأيوبية . لها ذم : جمع لهذم ، القاطع من السيوف والأسنة . شفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف .

٨ حسنتْ بهم للدّولةِ الأيامُ والـ
أعمالُ ، والأحوالُ ، والآثارُ

٩ قد حازَ ملكَ الشآمِ يوسفٌ الذي
في مصر تغبطُ عصرَهُ الأعصارُ

١٠ نصرَ الهُدى فتوطّدَ الإسلامُ في
أيامهِ ، وتضعضعَ الكُفّارُ

١١ وكتيبةٍ مثل الرّياضِ كأنّما
راياتُها منشورةٌ أزهارُ

١٢ وكأنّما خُضرُ البيارقِ للقنا
وُرقٌ وهاماتُ العُداة ثمارُ

١٣ وكمائمُ الأغماد عن زهرِ الظُّبى
فتقت فكلُّ صقيلةٍ نُوّارُ

١٤ وعلى شعاعِ الشّمسِ لمع حديدها
يبدو كما يعلو اللُّجَين نُضارُ

١٥ عَبّيتَها بعزيمةٍ مشفوعةٍ
بالنّصرِ منكَ تُعينُها الأقدارُ(١)

١٦ لما لقيتَ جموعهم منظومةً
صيّرتَ ذاكَ النظمَ وهو نثارُ

١٧ في حالتَيْ جُودٍ وبأسٍ لم يزلْ
للتبرِ والأعداءِ منك تَبارُ(٢)

(١) عبيتها : الأصل عبأتها وقد سهل الشاعر الهمزة .
(٢) تبار . هلاك .

١٨ تهبُ الألوفَ ولا تهابُ ألوفَهم
هانَ العدوّ عليكَ والدينارُ(١)

١٩ لما جرى «العاصي» هنالك طائعاً
بدمائهم فخرتْ به الأنهارُ (٢)

٢٠ وتحطّمتْ عند «القرون» قرونُهم
بل كلّت الأنيابُ والأظفارُ(٣)

٢١ عبروا «المعرّة» مالكينَ معرّةً
والعارُ يملكُ تارةً ويعارُ

٢٢ أو ما كفاهم يوم «حمص» وكفّهم
في «بعلبك» بمثلها الإنذارُ

٢٣ أهلي بجلّقَ والعراق مراقبو
حالي وطرفُ رجائهم نظّارُ

٢٤ بادرتُ نحوكَ بالرجاءِ مؤمِّلاً
ليكونَ منكَ الى النّجاحِ بدار

٢٥ وقطعتُ أبوابَ الملوكِ إليكم
والصفوُ تحجزُ دونَهُ الأكدارُ

---

(١) هذا البيت والذي قبله وردا في خريدة الشام ٢ : ٢٨٣ .
(٢) العاصي : اسم نهر حماه وحمص ومصبه في البحر قرب أنطاكية (معجم البلدان ٤ : ٦٧)
(٣) القرون : المقصود بها قرون حماة ، وقد دارت عندها معركة ضد المواصلة كان النصر الحاسم فيها لصلاح الدين .

(٧٠)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٧ للهجرة: دخلت الحمّام الذي بناه زين الدين أبو الحسن علي بن نجاء الواعظ في داره خارج باب زُويلة بالقاهرة في ذي القعدة ، فقلت * :

(من المجتث)

١ ما منزلٌ من يرى فيه غيرَ عارٍ فعار

٢ به تُماطُ الأذايا وترحَضُ الأوضارُ (١)

٣ والعيشُ فيه قريرٌ والطّيشُ فيه وقارُ

٤ والسَّبتُ في كلِّ يومٍ لمن يرى مختارُ

٥ نارٌ تطيبُ ألا اعجبْ لجنةٍ هي نارُ

(٧١)

قال العماد: كتب إليّ الفضل بن حمد بن سلمان (٢) قصيدة ، وقد حبسه الغيث عن زيارتي، فكتبت جوابه **

(من المتقارب)

١ لئنْ منَعَ الغيثُ عن زورةٍ فغيثُ فضائلهِ زائرُ (٣)

---

* الروضتين ٢ : ٢١ .

(١) ترحض : رحض الثوب غسله . الأوضار : الأوساخ .

(٢) كان وزيراً لفلك الدين أبي النجم بدر بن معقل بن صدقة الأسدي في البصرة (انظر ترجمته في الخريدة ، قسم العراق ، ٢/٣ : ٧٦٥) .

** الخريدة ، قسم العراق ، ٢/٤ : ٧٧٠ .

(٣) فغيث : حقه « لغيث »، لأنه جواب القسم لا الشرط كما تقرر في النحو .

٢ وما غابَ مَنْ شخصُ آلائه
— اذا غابَ عن ناظري — حاضرُ(١)

٣ بدُرِّكَ فُزْتُ، وهل فائزٌ
بدُرِّكَ في صفقةٍ خاسرُ؟

٤ وما روضةٌ أُنُفٌ، نَوْرُها
لناظرِ ذي طربٍ ناضرُ (٢)

٥ بنفسجُها عارضٌ مُغْزِرٌ
ونرجسُها ناظرٌ ساحرُ(٣)

٦ فثغرُ الأقاحي بها باسمٌ
ووجهُ الأماني لها ناشرُ

٧ كأنَّ سقيطَ النّدى بينها
لآلىءُ، ينثرُها ناثرُ

٨ بأحسنَ من روضِ أشعارِه
وقد جادَها فضلُهُ الماطرُ

٩ تَقَرُّ بقُربكَ، لابل يَقَرُّ
برؤيتكَ القلبُ والناظرُ

---

(١) الآلاء : النعم .
(٢) روضة أنف : لم ترع . نورها ناضر : زهرها الأبيض مشرق .
(٣) يقول : بنفسجها كثير غزير ، كشعر العارض — وهو جانب اللحية — كثرة . واغزر الشيء فهو مغزر : كثر .

(٧٢)

خرج السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة من دمشق متوجهاً إلى مصر وبصحبته العماد الأصفهاني . قال العماد : وخرجت معه وقلبي مروع إلى أهلي ، فما نزلت منزلاً إلاّ نظمتُ أبياتاً ، فقلتُ يوم المسير وقد عبرت بالخيارة : *

(من الطويل)

١ أَقولُ لركبٍ بالخيارةِ نُزَّلٌ
أثيروا ؛ فما لي في المقامِ خيارُ

٢ هُمُ رحلُوا عنكَ الغداةَ وما دَرَوا
بأَنَّهمُ قد خلّفوكَ وساروا

٣ حليفُ اشتياقٍ لا ترى من تحبُّهُ
وفي القلبِ من نارِ الغرامِ أُوارُ

٤ أجيروا من البلوى فؤادي فعندكم
ذمامٌ له – يا سادتي – وجوارُ

(٧٣)

قال في وصف الشمس رباعية : **

١ الشمسُ لانتظارِنا مصفرٌّ
والرَّوضُ إلى لقائنا مُفترّ

٢ قمْ نغتنم الوقتَ ، فهذا العمرُ
لا لبثَ له فمَنْ بهِ يَغترّ

---

* الروضتين ١ : ٦٧٩ ، والخيارة : قرية قرب طبرية من جهة عكا (معجم البلدان ٣:٤٩٥)
** الروضتين ٢ : ٢١١ .

(٧٤)

قال العماد : ولما دخل أسد الدين شيركوه إلى دمشق عَرف خبري ، فحضرت عنده للسلام ، وتلقّاني بالإكرام والاحترام ، وكان يجلس كل ليلة للأفاضل .... ووصلني بمعرفته ومعروفه، وخصّني من عموم برّه بصنوفه . فخدمته بهذه القصيدة ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمسمائة : *

(من البسيط)

١ بلغتَ بالجدِّ ما لا يبلغُ البشرُ
ونلتَ ما عَجَزَتْ عن نيلهِ القُدَرُ

يهتدي للذي أنت اهتديتَ له
ومن له مثلُ ما أثّرتَهُ أثرُ !

٣ أسرتَ أم بسُراك الأرضُ قد طويتْ
فأنتَ إسكندرٌ في السّيرِ أم خَضِرُ؟

٤ أوردْتَ خيلاً بأقصى النيلِ صادرةً
عن الفراتِ يقاضي وِرْدَها الصَّدَرُ

٥ تناقلتْ ذكرَكَ الدُّنيا ، فليس لها
الاّ حديثلكَ ما بينَ الورى سمرُ

٦ فأنتَ مَنْ زانتِ الأيامُ سيرتَه
وزادَ فوقَ الذي جاءَتْ به السِّيَرُ

٧ لو في زمانِ رسول الله كنتَ ، أتت
في هذه السِّيرةِ المحمودةِ السُّوَرُ

---

* الروضتين ١ : ٣٧٠ ، سنا البرق الشامي ١ : ٦٥ ، مفرج الكروب ١ : ١٦٥ ، شفاء القلوب ص ٣١ ، عقد الجمان ١٢ : ١٣٧ أ .

٨ أصبحتَ بالعدلِ والإقـدام مُنفرداً
فقل لنا: أعليٌّ أنتَ أم عمرُ ؟

٩ إسكندرٌ ذكروا أخبارَ حكمته
ونحنُ فيكَ رأينا كلّ ما ذكروا

١٠ ورُستمٌ خبرونا عن شجاعتِه
وصارَ فيكَ عياناً ذلكَ الخبرُ

١١ إفخرْ ، فإنّ ملوكَ الأرضِ أذهلهمْ
ما قد فعلتَ ، فكلٌّ فيكَ مفتكرُ

١٢ سهرتَ إذ رقدوا ، بل هجتَ إذسكنوا
وصُلْتَ إذ جبنوا ، بل طلتَ اذ قصروا

١٣ يستعظمونَ الذي أدركتَهُ عجباً
وذاكَ في جنبِ ما نرجوهُ محتقرُ

١٤ قضى القضاء بما نرجوه عن كثبٍ
حتماً ، ووافقكَ التوفيقُ والقدرُ

١٥ شكتْ خيولُكَ إدمانَ السُّرى وشكتْ
من فلّها البيضُ بل من حطْمها السّمرُ (١)

١٦ يَسّرْتَ فتحَ بلادٍ كانَ أيسرُها
لغيرِ رأيكَ قُفلاً فتحُهُ عَسِرُ

١٧ قرنتَ بالحزمِ منكَ العزمَ ،فاتسقتْ
مآربٌ لكَ عنها أسفرَ السَّفرَ

١٨ ومَنْ يكونُ بنورِ الدِّينِ مُهتدياً
في أمرهِ ، كيف لايقوى له المرَرُ(٢)

---

(١) السمر : ضرب من العضاه ، وقيل من الشجر ، وليس في العضاه شيء أجود خشباً من السمر.
(٢) المرر : جمع المر ، وهو الحبل .

١٩ يرى برأيكَ ما في الملكِ يبرمُهُ
فأنتَ منه بحيثُ السّمعُ والبَصرُ

٢٠ لقد بغتْ فئةُ الإفرنجِ فانتصفتْ
منها ، باقدامكَ ، الهنديّةُ البترُ

٢١ غرستَ في أرضِ مصر من جسومهمُ
أشجارَ خطٍّ لها من هامهم ثمرُ(١)

٢٢ وسالَ بحرُ نجيعٍ في مقامِ وغى
به الحديدُ غمامٌ ، والدّمُ المطرُ

٢٣ أنهرتَ منهم دماءً بالصّعيدِ ،جرى
منها إلى النّيلِ في واديهمُ نَهَرُ

٢٤ رأوا إليكَ عبورَ النّيلِ إذ عدموا
نصراً فما عبروا حتى اعتبروا

٢٥ تحتَ الصّوارمِ هامُ المشركينَ ،كما
تحتَ الصّوالجِ يوماً خفّتِ الأُكرُ(٢)

٢٦ أفنتْ سيوفُكَ مَن لاقتْ ، فإنْ تركتْ
قوماً فهم نفرٌ من قبلها نفروا

٢٧ لم ينجُ الاّ الذي عافته من خبثٍ
وحشُ الفلا، وهو للمحذورِ منتظرُ

٢٨ والسّاكنونَ القصورَ القاهريّة قد
نادى القصورُ عليهم أنّهم قُهروا

٢٩ وشاورٌ شاوروه في مكائدهم
فكادَهُ الكيدُ لما خانه الحذرُ

---

(١) أشجار خط : قصد الرماح التي تصنع في مدينة خط بالبحرين .
(٢) الصوالج : جمع صولج ، وهو عود معوج الرأس . الأكر : جمع أكره ، وهي الكرة.

٣٠ كانوا من الرُّعبِ موتى في جلودهم
وحين أمّنْتَهم من خوفهم نُشروا

٣١ وإن من شيركوه الشركَ منخزلٌ
والكفرَ منخذلٌ ،والدِّينَ منتصرُ (١)

٣٢ عوّل على فئةٍ عندَ اللِّقاءِ وفتْ
وعدّ عن تركمانٍ قبلهُ غدروا

٣٣ وكيف يُخذلُ جيشٌ أنتَ مالكُه
والقائدانِ له التأييدُ والظّفرُ

٣٤ أجابَ فيكَ إلهُ الخلقِ دعوةَ مَنْ
يطيبُ باللّيلِ من أنفاسهِ السّحرُ

(٧٥)

كتب الى الوزير محمد بن علي الأصفهاني وزير صاحب الموصل سنة ٥٧٠ للهجرة *:

(من المقتضب)

١ قلّ في الكرامِ لهُ
مُشبهٌ وإنْ كثروا

٢ همّةٌ مباركةٌ
في الشّفا لها أثرُ

٣ ليس في السُّيوفِ سوى
للمهند الأثرُ

(١) منخذل : منكسر .
* سنا البرق ١ : ١٦٧ .

قال العماد في سنة ٥٦٩ للهجرة : أمر نورالدين – رحمه الله تعالى بتطهير ولده الملك الصالح اسماعيل (١) يوم عيد الفطر ،واحتفلنا لهذا الأمر وغلقت محال دمشق أياماً . ونظمت للهناء بالعيد والطهور قصيدة * :

(من المجتث)

١ عيدانِ : فطْرٌ وطُهـــرُ
فتـــحٌ قـــريبٌ ونَصْرُ

٢ ذا موسـمُ لـــلأَمانـــي
بالنُّجـحِ مـــوفٍ مُبِـرُّ

٣ وذاكَ مـوسمُ نُعْمَـــى
أَخـــلافُهـــا تستـــدرّ (٢)

٤ هـــذا مـن الصّومِ فـــطـــر
وذاك للصّومِ بَـــــدْرٌ

٥ كلاهمـــا لـكَ فـــيـــه
حقّـــاً هنـــاءٌ وأَجـــرُ

٦ وفيهمـــا بالتّهـــانـــي
رســـمٌ لنـــا مستمـــرّ

٧ طهـــارةٌ طـــابَ مـــنـــها
أَصـــلٌ وفـــرعٌ وذكـــرُ

---

(١) الملك الصالح اسماعيل بن نورالدين محمود توفي سنة ٥٧٧ هـ (التاريخ الباهر ص ١٨١) .

* الروضتين ١ : ٥٧٧ ، مفرج الكروب ١ : ٢٥٩ ، وأبيات متفرقة في الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٦٥، سنا البرق الشامي ١: ١٥١ ، عقد الجمان ١٢ : ١٨٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٧١ .

(٢) أخلاف : جمع خلف ، وهو حلمة ضرع الناقة .

٨ نجلٌ على الطُّهْرِ نامٍ
زكا له منكَ نجرُ (١)

٩ محمود الملكُ السعدلُ الكريمُ الأغرّ

١٠ وبابنه الملك الصالحِ العيونُ تَقرّ

١١ مولىً به اشتدَّ للدِّين والشّريعةِ أَزْرُ

١٢ نورٌ تجلّى عياناً ما دونَهُ اليومَ ستْرُ

١٣ أَضحتْ مساعيكَ غُرّاً كما أَياديكَ غُزرُ

١٤ وكلُّ قصدِكَ رُشْدٌ وكلُّ فعْلكَ بِرّ

١٥ وإنَّ حبّكَ دينٌ وإن بغضَكَ كفُرُ

١٦ لنا بِيُمناكَ يُمْنٌ كما بِيُسراكَ يُسْرُ

١٧ وللموالين نفعٌ وللمعادينَ ضُرّ

١١ وللسَّماءِ سحابٌ وسحبُ كَفّيكَ عشرٌ

١٩ ناديك بالرِّفدِ رحبٌ نداكَ للوفدِ بحرُ

---

(١) زكا : نما . نجر : أصل .

٢٠ عدلٌ عميمٌ وجودٌ
غمرٌ ويسرٌ وبشرُ

٢١ وفي العطيةِ حلوٌ
وفي الحميةِ مُرُّ

٢٢ قد استوى منك تقوى الـ
ـله سرُّ وجهرُ

٢٣ تُقاكَ والملكُ عندَ الـ
قياسِ عقد ونحرُ

٢٤ ياأعظمَ الناسِ قدراً
وهل لغيرِكَ قدرُ !؟

٢٥ وساهراً حين ناموا
وقائماً حين قروا

٢٦ ماعتدتَ إلاّ وفاءً
وعادةُ القومِ غدرُ

٢٧ وفعلُكَ الدّهرَ غزوٌ
للمشركينَ وقهرُ

٢٨ وفعلُ غيرِكَ ظلمٌ
للمسلمين وقسرُ

٢٩ يفترُّ من كلِّ ثغرٍ
إلى ابتسامكَ ثغرُ

٣٠ رومٌ به وفرنجٌ
في شَفْعهم لكَ وترُ

٣١ حربٌ عوانٌ وفتحٌ
على مرادكَ بكرُ

٣٢ بنــو الأَصـافـرِ مـن خشـ
يةِ انـتـقـامـكَ صـفـرُ (١)

٣٣ لم يـبـقَ للـكـفـرِ ظَـفـرٌ
لاكـان للكـفـرِ ظـفْـرُ

٣٤ ومـادَجَى لـيـلُ خـطـب
إلاَّ وعـزمُـكَ فـجـرُ

٣٥ أَصـبـحـتَ بـالغـزوِ صَبّـاً
وعـنـه مـالكُ صـبـر

٣٦ لـكـسـرِ كـلِّ يـتـيـم
إسـعـافُ بـرِّكَ جـبـرُ

٣٧ في كـلِّ قـلـبِ حـسـود
مـن حَـرٍّ بـأْسـكَ جمرُ

٣٨ تـمـلَّ تـطـهـيـرَ مَـلْكٍ
لـه المـلوكُ تَـخـرّ

٣٩ يُـزْهَى سـريـرٌ وتـاجٌ
بـه ودسـتٌ وصـدرُ

٤٠ وكـيـف يـعـمـلُ للـطّا
هـرِ المـطـهّـرِ طـهـرُ

٤١ هـذا الـطّـهـورُ ظهـورٌ
عـلى الـزّمـانِ وأمـرُ

٤٢ وذا الـخـتانُ خـتـامٌ
بـمـسـكه طـابَ نـشـرُ

٤٣ رزقـتَ عـمـراً طـويـلاً
مـاطـالَ للـدّهـرِ عُـمـرُ

---

(١) بنو الأصافر : هم الفرنج .

(٧٧)

قال العماد في حوادث سنة ٥٦٢ للهجرة: واتصلت بيني وبين صلاح يوسف مودّة، تمّت لي بها على الزمان عدّة، ولم يزل يستهديني نظمي ونثري، ويشعرني أنه يميل إلى شعري ،فأول ماخدمته به هذه القصيدة*:

(من الخفيف)

١ كيفَ قُلتم في مقلتيهِ فتورُ
وأراها بلا فتورٍ تجورُ

٢ لو بَصُرْتُمْ بلحظه كيفَ يَسْبي
قُلتُم: ذاكَ كاسرٌ لاكَسيرُ

٣ مُوتِرٌ قَوْسَ حاجبيهِ لإصماءِ
فؤادي كأنّهُ مَوْتورُ

٤ لاتَسَلْني عن اللّحاظِ، فعقلي
طافحٌ من عُقارِهنّ عقيرُ

٥ كيف يَصْحو من سُكره مُستهامٌ
مَزَجَتْ كأسَهُ العيونُ الحُورُ

٦ أوْرَثَتْه سقامَها الحَدَقُ النُّجلُ، وأهدتْ له النُّحولَ الخصورُ(١)

٧ ماتَصيدُ الأُسدَ الخوادرَ إلاّ
ظَبَياتٌ كناسهنَّ الخُدورُ (٢)

٨ كُلُّ غُصنيّةِ الموشّحِ هَيْفاءَ
على البَدْرِ جَيْبُها مَزرور

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٣٤ ، الروضتين ١ : ٢٧٢ ، المختصر الجامع لابن الساعي ص ٦٣ ، سنا البرق ١ : ٦٥ ، عقد الجمان ١٢ : ١٣٧ ب .

(١) النجل : جمع الأنجل ، الواسع العينين .

(٢) الخوادر : جمع خادر ، وأسد خادر : مقيم في عرينه داخل في الخدر .

٩ وجناتٌ تُجنى الشّقائق منها
وثنايا كأنّها المنثورُ

١٠ وبنفسي مُعنبرُ الصُّدغِ والعا
رض فوقَ العبيرِ منه العبيرُ

١١ مقطَعٌ للقلوبِ يَقطعُ فيها
باقتدارٍ وخطُّهُ المنشورُ

١٢ فتأمّل منه عذاريه تعلمُ
أنَّ معذولَ حُبِّهِ معذورُ

١٣ مُثني العطفِ مُنتشي الطّرفِ في فيـ
ـهِ الحُمَيّا وطَرفُهُ المخمورُ

١٤ أيسَ العاذلون منّي فيه
مثلما خابَ في قبولي المشيرُ

١٥ ألأمرِ المَلامِ يَنقادُ قلبي
وعليهِ من الغَرامِ أميرُ

١٦ قلْ لحلْوِ حالٍ من الحُسنِ في هجـ
ـرِكَ حالي حَزْنٌ وعَيْشي مَريرُ

١٧ بفؤادي حَلَلْتَ، والنارُ فيه
فيه منكَ جنةٌ وسَعيرُ

١٨ نارُ قلبي لضيفِ طيفك تبدو
كلَّ ليلٍ فيهتدي ويَزُورُ

١٩ وأرَى الطّيفَ ليس يَشفي غليلي
كيفَ يَشْفي الغليلَ زَوْرٌ زُوْرُ

٢٠ ما مُدامٌ يُديرها ثَملُ العطـ
ـفِ ، بنفسي كؤوسُها والمُديرُ

٢١ بنتُ كـرمٍ تُجلَى على ابنِ كريمٍ
وجهُهُ مـن شُعاعِهـا مُستنيرُ

٢٢ من منّا كأسها المعاصمُ والأنـ
ـفُسُ فيها أساورٌ وسُـرورُ

٢٣ ولها في الكؤوسِ في حالـة المـزْ
جِ حبابٌ وفي النفوسِ حُبورُ

٢٤ وكأنَّ الحبـابَ في الكأسِ منهـا
شَرَرٌ فـوقَ نارِه مُستطيـرُ

٢٥ طابَ للشّاربينَ منهـا الهـوا
ءانِ ، فلَذّ المـدودُ والمقصورُ

٢٦ من يَدَيْ ساحرِ اللّواحـظ قلبي
بهواهُ مُستهتَرٌ مَسحُـورُ

٢٧ للحُميا في فيـهِ طعمٌ وفي عيـ
ـنيهِ سُكرٌ وفوقَ خدّيه نُورُ (١)

٢٨ من سجايا الصّلاحِ أبْهـى ، وهـذا
مثَلٌ دونَ قدْرِه مـذكـورُ

٢٩ مـا رياضٌ بنَوْرِها زاهـراتٌ
غرّدتْ في غُصونهـنَّ الطُّيورُ

٣٠ كـلُّ غصـنٍ عليه من خلَعِ النّوْ
رِ رداءٌ ضافٍ ووشيٌ حَبيـرُ (٢)

٣١ ورْقُها في منابـرِ الأيـكِ منهـا
واعظاتٌ مـن شأنهـا التّذكيرُ

---

(١) الحميا : الخمر .

(٢) النور : الزهر . ضاف : ضفا الثوب ، طال . حبير : ناعم جديد .

٣٢ وكأنَّ الرَّوضَ الأنيقَ كتابٌ
وكأنَّ الأشجارَ فيه سطورُ

٣٣ أشبهَ الشَّرْبُ فيه شارِبَ ألمَى
أخضر النَّبتِ والرُّضابُ نميرُ

٣٤ وكأنَّ الهَزارَ راهبُ دَيْرٍ
وبألحانه تحلَّى الزَّبورُ

٣٥ وكأنَّ القمريَّ مقرِيء آيٍ
قد صفا منه صوتهِ والضميرُ

٣٦ كمعاني مَدْحيك حُسناً ومن أيـ
ـنَ يُباري البحرَ الخضمَّ الغديرُ

٣٧ مستجيرٌ جَوْري، وإنيَ منه
بابنِ أيوبَ يوسفٍ مستجيرُ

٣٨ أنتَ مَنْ لم يزَلْ يَحن إليه
وهو في المَهدِ، سَرْجُهُ والسَّريرُ

٣٩ فضلهُ في يَدِ الزَّمانِ سوارٌ
مثلما رايُه على المُلْكِ سُورُ

٤٠ كَرَمٌ سابغٌ، وجُودٌ عميمٌ
وندىً سائغٌ، وفضلٌ غزيرُ

٤١ راحةٌ أم سحابةٌ، وبَنانٌ
أم غَمامٌ، وأنحلٌ أم بحورُ؟

٤٢ كلَّ يومٍ إلى عداكَ من الدَّهْـ
ـرِ عَداكَ المَخُوفُ والمحذورُ

٤٣ وتَولى وليَّكَ الطالعُ السَّعْـ
ـدُ وعادَى عدوَّكَ التقديرُ

٤٤ سارَ بالمكرُماتِ ذِكرُكَ في الـدُّنـ
سيا وإنَّ اليسيرَ منها يَسيرُ

٤٥ للحَيا والحياءِ ماإن في كفِّـ
ـكَ والوجهِ سائلٌ وعَصيرُ

٤٦ لقد استُعْذِبَتْ لديكَ المرارا
تُ كما استُسهِلَتْ إليكَ الوعورُ

٤٧ من دم الغادرينَ غادرتَ بالأَمـ
ـسِ صعيدَ الصَّعيدِ وهو غديرُ

٤٨ ولكلٍّ مما تطاولت فيهم
أملٌ قاصرٌ وعمرٌ قصيرُ

٤٩ لاذَ بالنِّيلِ شاورٌ مثل فرعو
نَ ،فذلَّ اللاَّجي وعزَّ العبورُ

٥٠ شاركَ المشركين بغياً، وقدماً
شاركتها قريظةٌ والنضيرُ(١)

٥١ والذي يدَّعي الإمامة بالقا
هرةِ ارتاعَ ، إنَّه مقهورُ

٥٢ وغدا المَلْكُ خائفاً من سُطاكم
ذا ارتعاد كأنَّه مقرور (٢)

٥٣ وبنو الهنفريِّ هانُوا ففرُّوا
ومن الأُسدِ كلُّ كلبٍ فرورُ (٣)

---

(١) قريظة والنضير : حيان من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، فأما قريظة فإنهم أبيروا لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم واستفاءة أموالهم ، وأما بنو النضير فإنهم أجلوا إلى الشام ، وفيهم نزلت سورة الحشر .

(٢) مقرور : الذي أصابه القر ، وهو البرد .

(٣) الهنفري : ملك بيت المقدس .

٥٤ إنّما كان للكـــلابِ عـــــواءٌ
حيثما كان للأُسـودِ زئيــرُ

٥٥ وقليبٌ عنـدَ الفـرارِ سليـــــبٌ
فهو بالرُّعبِ مطلـــقٌ مأسـورُ

٥٦ لم يبقُّوا سـوى الأَصاغر للسبـــ
ـي فـودُّوا أَنَّ الكبيرَ صغيـرُ

٥٧ وحمـيتَ الأسكندريــةَ عنهـم
ورحى حربهـم عليهـم تـدورُ

٥٨ حاصروها ومـا الـذي بانَ مـن ذَبْـ
ـلكَ عنهـا وحفظهـا محصـورُ

٥٩ كحصارِ الأَحزابِ طَيْبَـةَ قـدماً
وبني الهدى بها منصور (١)

٦٠ فاشكر اللهَ حيـن أَولاكَ نصـراً
فهو (نعمَ المولى ونعمَ النّصيرُ)(٢)

٦١ ولكم أَرجفَ الأَعادي فقلنـــا
ما لما تذكُرونه تأْثيــــرُ

٦٢ ولجأْنا الى الإلهِ دُعـــــاءٌ
فاوجهِ الدُّعاءِ منـهُ سُفورُ

٦٣ وعلمنا أَنَّ البعيـدَ قـريـبٌ
عندَهُ ، والعسيرَ سَهْلٌ يسيـرُ

٦٤ ورقَبْنا كالعيدِ عَوْدَكَ فاليـــو
مَ بـهِ للأَنامِ عيدٌ كَبيـرُ

---

(١) الأحزاب : جنود الكفار ، تألبوا وتظاهروا على حزب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم قريش وغطفان وبنو قريظة . طيبة : المدينة المنورة .
(٢) من الآية ٤٠ من سورة الانفال .

٦٥ مثلمـــا يـرقُــبُ الشّفـاءَ سقيمٌ
أو كمـا يَرْتَجـي الثّـراءَ فَقيرُ
٦٦ عـادَ من مصـرَ يوسفٌ وإلى يـعـ
ـقوبَ بالتهنئـــاتِ جـاءَ البشيرُ
٦٧ عـادَ منـها بالحمـدِ، والحمدُ للـّ
ـهِ تعـالى فإنّـــه المشكـورُ
٦٨ فلأَيـوبَ من إيـابِ صلاحِ الـدّ
ينِ يـومٌ به تُوفّى النُّذورُ (١)
٦٩ وكـذا إذ قميـصُ يـوسفَ لاقـى
وَجْـهَ يعقـوبَ عـادَ وهو بَصيرُ
٧٠ ولكم عـودةٌ إلى مصـر بـالنّـصـ
ـرِ عـلى ذكـرِهـا تمـرُّ العصورُ
٧١ فـاستـردُّوا حـقَّ الإمـامـةِ ممن
خـانَ فيـها فإنّـهُ مستعيـرُ
٧٢ وافـترعها بكراً لها في مدى الـدّهـ
ـرِ رواحٌ في مـدحكـم وبكورُ
٧٣ أنا سَيّرْتُ طالعُ العزْمِ منّـي
وإلى قَصـدِكَ انتهـى التّسييرُ
٧٤ وأرى خـاطـري لمدحـكَ إلفـاً
إنّمـا يأْلَفُ الخطيـرَ الخطيرُ
٧٥ بعـقودٍ مـن دُرِّ نظـمي في الـ
ـمدحِ تحـلى بها العُلى لا النحورُ
٧٦ ولكَ المأثـراتُ في الشّرقِ والمـغـ
ـربِ يُـروى حديثُها المأثـورُ

---

(١) أيوب هو والد صلاح الدين، كان مقيماً في دمشق.

٧٧ وببغدادَ قبلَ إنْ دمشقا
مابها للرّجا سواك مجيرُ

٧٨ مايرى ناظرٌ نظيرَكَ فيها
فهي رَوْضٌ بما تجودُ نضيرُ

٧٩ لطاوي الإقبالِ عندكَ نشرٌ
ولَميْتِ الآمالِ منكَ نُشورُ

٨٠ ومن النائباتِ أنّي مقيمٌ
بدمشقٍ وللمقامِ شُهورُ

٨١ لاخليلٌ يقولُ :هذا نزيلٌ
لاأميرٌ يقولُ: هذا سميرُ

٨٢ لستُ ألقى سوى وجوهٍ وأيْدٍ
وقلوبٍ كأنّهنّ صُخورُ

٨٣ سُرِقَتْ كسوَتي وبانَ من الكلِ
توانٍ في رَدّها وقصورُ

٨٤ واعتذارُ الجميعِ أنَّ الذي تمَّ
قضاءٌ في لوحهِ مسطورُ

٨٥ ولَعَمْري هذا صحيحٌ كما قا
لوا ، ولكن قلبي به مكسورُ

(٧٨)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٠ للهجرة : وكنتُ نظمتُ قصيدة في الشوق الى دمشق والتأسّف عليها ، ثم جعلتُ مدح السلطان صلاح الدين مخلصها * :

(من المتقارب)

١ أَجيرانَ «جيرونَ» مالي مُجيرُ
سوى عطفكُمْ ، فاعدِلوا أو فجوروا

٢ ومالي سوَى طيفكمْ زائرٌ
فلا تمنعُوهُ إذا لم تَزُوروا

٣ يعزُّ عليَّ بأنَّ الفؤادَ
لديكُمُ أُسيرٌ وعنكُمْ أَسيرُ

٤ وما كُنتُ أَعلمُ أنّي أعيـ
ـشُ بَعْدَ التّفرُّقِ ،إنّي صَبُورُ !(١)

٥ وفتْ أَدمعي ، غيرَ أَنَّ الكَرَى
وقلبي ، وصبريَ ، كُلٌّ غَدُورُ

٦ إلى ناسِ «باناس» لي صَبْوَةٌ
لها الوجدُ داعٍ وذكرى مُثيرُ (٢)

٧ يَزيدُ اشتياقي وينمُو ، كما
«يزيدٌ» يزيدُ و«ثَوارا» يَثورُ (٣)

٨ ومن «بردى» بَرْدُ قلبي المَشُوق
فها أَنا من حَرِّهِ مُستَجيرُ (٤)

---

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ١٩ — ٢٩ حتى البيت ٨٧ ، الروضتين ١ : ٦٢٧ ، مرآة الزمان : ٥٠٦ .

(١) الروضتين : بعد الأحبة .

(٢) باناس : من أنهار دمشق (معجم البلدان ١ : ٣٣٠)

(٣) يزيد وثورا نهران بدمشق (معجم البلدان ٢ : ٨٦ ، ٥ : ٣٣٦) .

(٤) بردى : أعظم أنهر دمشق (معجم البلدان ١ : ٣٧٨) .

٩ و«بالمَـرْجِ» مَـرْجوُّ هيشي الـذي
على ذكرهِ العـذْبِ عَيْشي مَرِيرُ

١٠ نـأَى بيَ عنكـم عَدوٌّ لَـدودٌ
ودَهْـرٌ خؤونٌ وحَظٌّ عثورُ

١١ فقـدتكُمُ فَفَقَـدْتُ الحيـاةَ
ويـومَ اللِّقـاءِ يكونُ النُّشُورُ

١٢ أيا راكبَ النِّضْـوِ يُنضي الـرِّكابَ
تسيرُ وخطـب سُراه يَسيـرُ (١)

١٣ يَـؤُمُّ دمشـقَ ومـنْ دونها
تُجابُ سُهولُ الفَـلا والوُعُورُ

١٤ وجلِّـقُ مَقْصدُه المُسْتَجـارُ
لقـد سَعدَ القاصـدُ المُستجيرُ

١٥ إذا مـابلغـتَ فبـلِّـغْـهُـمُ
سلامـاً تأرَّجَ منـه العبيـرُ

١٦ تطاوَلْ بسـؤليَ عند «القُصَيْـر»
فَمنْ نَيْلـه اليـومَ باعي قصيرُ(٢)

١٧ وكنْ لي بـريـداً «ببابِ البريـد»
فأَنتَ بأَخبارِ شـوْقي خَبيـرُ (٣)

١٨ أُعَنْـونُ كتبـي بشكـى العناء
وفيهـنَّ مـن بثِّ شجوى سطورُ

١١ متـى تجـد الـرِّيَّ «بالقَرْيَتَـين»
خوامـسُ أثّـرَ فيها الهجيـرُ

---

(١) النضو : البعير المهزول .

(٢) القصير : هي أول منزل لمن يخرج من دمشق في طريقه إلى حمص (معجم البلدان ٤ : ٣٦٧)

(٣) باب البريد : هو الباب الغربي لمدينة دمشق (نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٥٦).

٢٠ ونحـــو «الجُلَيْجل» أُزجي المطيَّ
لقـد جَلَّ هذا المرامُ الخطيرُ (١)

٢١ تُـراني أُنيـخُ بأدنى «ضُمَيـرٍ»
مطـايا بَراهـا الوَجا والضمورُ (٢)

٢٢ وعـنـد «القُطَيِّفَـةِ» المشتهاة
قُـطوفٌ بها للأمـاني سُفورُ (٣)

٢٣ ومنـها بـكوريَ نحـو «القُصَيْرِ»
ومنيـةُ عُمريَ ذاكَ البُكـورُ

٢٤ وياطيـبَ بُشـرايَ مـن «جلَّقٍ»
إذا جاءَنـي بالنَّجـاحِ البشيرُ

٢٥ ويستبشـرُ الأصدقـاءُ الـكرامُ
هنالكَ بي، وتُوفَـى النُّـذورُ

٢٦ تُـرَى بـالسَّلامةِ يـوماً يـكون
«ببابِ السلامةِ» منّي عبُورُ(٤)

٢٧ وأنَّ جـوازي «بباب الصَّغيـرِ»
لَعَمري من العُمرِ حَظٌّ كَبيرُ(٥)

٢٨ ومـا جنّـةُ الخُلْـدِ إلا دِمشـقٌ
وفي القـلبِ شوقـاً اليهـا سَعيرُ

---

(١) الجليجل: في طريق البرية من دمشق على مرحلتين منها لمن يريد الشرق (معجم البلدان ٢: ١٥٧)
(٢) ضمير : موضع قرب دمشق ، وقيل : هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة (معجم البلدان ٣ : ٤٦٣) .
(٣) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص (معجم البلدان ٤ : ٣٧٨) .
(٤) باب السلا مة : شمال دمشق ، سمي بذلك لصعوبة القتال عنده (تهذيب تاريخ دمشق ٢ : ٢٦٢)
(٥) الباب الصغير : أصغر أبواب دمشق ، يقع في قبلتها (نزهة الأنام في محاسن الشام ص٢٤).

٢٩ ميادِينُهــا الخُضُــر فيحُ الرِّحـابِ
وسَلْسالهــا العَذْبُ صافٍ نميرُ

٣٠ وجامعُهــا الـرَّحـبُ والقبُبّـةُ الـ
ـمُنيفَةُ، والــفَلَكُ المُستديرُ

٣١ وفي قبّةِ النــسْرِ لي ســــادةٌ
بـهـم للكـارمِ أُفْقٌ مُنيــرُ

٣٢ «وبــابُ الفراديسِ» فرْدَوسُــها
وسُكّـانُها أحسَنُ الخلقِ حورُ(١)

٣٣ والأرزة فـالسهـمُ «فالنّيْربــان»
فجنّــاتُ «مِزّتِـها» «فالكُفورُ» (٢)

٣٤ كأنَّ الجواســقَ مـــأهــولةٌ
بـروج تَطَلَّــعُ منها البـدورُ

٣٥ «بنَيْرَبها »تَتَبَــرا الهمــومُ
«بربوتها »يتربـى السُّـــرورُ

٣٦ ومـا غَرَّ في الرَّبوة العاشقيـــــ
ـنَ بالحُسنِ الاّ الرَّبيبُ الغَريرُ

٣٧ وعند «المُغارة »يـومَ الخميــسِ
أغارَ على القَلْبِ مني مُغيـرُ (٣)

---

(١) باب الفراديس : نسبة إلى محلة الفراديس ، يقع شمال دمشق (نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٥) .

(٢) الأرزة : موضع لم أجد له شرحاً ولعله البرزة وهي قرية من غوطة دمشق . السهم : من قرى دمشق ، وفيها طاحونة تحمل هذا الأسم (خريدة الشام ٢: ٣٣١) .
النيربان : وسط بساتين دمشق على نصف فرسخ منها (معجم البلدان ٥ : ٣٣٠).
المزة : وسط بساتين دمشق على نصف فرسخ من المدينة (معجم البلدان ٥ : ١٢٢).
الكفور : جمع كفر ، قرى خارجة عن دمشق (معجم البلدان ٤ : ٤٦٩) .

(٣) المغارة : وهي بسفح الجبل الغربي من دمشق (نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٨٣)

٣٨ وعندَ «المُنَيْبِعِ» عيـنُ الحيـاة
مَدَى الدَّهرِ نابعـةٌ ما تغـورُ(١)

٣٩ بجسرِ «ابن شواش» تـمَّ السُّكـون
لنفسي ، بنفسيَ تلـك الجسورُ (٢)

٤٠ وما أنسَ لا أنسَ أُنسَ العُبـور
على جسْرِ «جسْرين» إنّي جَسورُ (٣)

٤١ وكم بتُّ ألهـو بقـربِ الحبيـ
ـبِ في «بيتِ لِهيْا» ونامَ الغيورُ (٤)

٤٢ فأينَ اغتباطيَ «بالغُوطتيـنِ»
وتلكَ اللّيالي وتلك القُصـورُ

٤٣ لمُقْرِىء «مَقْرَى» ، كقُمريّهـا
غناءٌ فصيحٌ وشَدْوٌ جَهيـرُ

٤٤ وأشجارُ «سَطْرَى» بَدَتْ كالسُّطُـو
ر ، نَمّقَهُنَّ البليـغُ البصيرُ (٥)

٤٥ وأينَ تأمّلْتَ فُلْكٌ يَـدُورُ
وعينٌ تفـورُ ، وبحرٌ يمـورُ

٤٦ وأينَ نظـرتَ نسيـمٌ يَـرِقُّ
وزهرٌ يَرُوقُ ، وروضُ نَضيرُ

---

(١) المنيبع : محلة وسويقة وحمام وأفران ... وهذه المحلة من محاسن دمشق (نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٧٦) .

(٢) جسر ابن شواش : موضع في متنزهات دمشق ينسب إلى رجل يعرف شواش (معجم البلدان ٣ : ٣٧٠) .

(٣) جسرين : من قرى غوطة دمشق (معجم البلدان ٣ : ١٣٠) .

(٤) بيت لهيا : من قرى غوطة دمشق (معجم البلدان ١ : ٥٢٢) .

(٥) سطرى : من قرى دمشق (معجم البلدان ٣ : ٢٢٠) .

٤٧ كأنَّ كمائــم نُــوّارِهـا
شُنوفٌ تركّبُ فيها شُــذورُ

٤٨ ومثلُ اللآلي مقيـطُ النّــدى
على كلِّ منثورِ نَوْرٍ نثيـرُ

٤٩ مَدارُ الحياةِ حَياهـا المُـدرْ
مَطارُ الثّراءِ ثـراها المَطيـرُ

٥٠ وموعدُها رَعْدُهـا المستطيـلُ
وواعدُها بَرْقُهـا المستطيـرُ

٥١ إلامَ القساوَة يـا «قاسيُـون»
وبين السّنا يتجلّى «سَنيـرُ» (١)

٥٢ لديكَ حبيبي ومنكَ الحُبُـا
وعندكَ حُبِّي وفيكَ الحبـورُ

٥٣ فيا حَسْرَتا غبْتُ عـن بلـدة
بها حَظيتُ بالحُظوظِ الحضـور

٥٤ ومُنذ ثَـوَى نور ديـنِ الإلـ
ـهِ لم يبقَ للشامِ والدِّين نُـورُ

٥٥ وإنّي لأَرجو مـن الله أنْ
يُقَدِّرَ بعد الأُمورِ الأُمـورُ

٥٦ وللناسِ بالمَلكِ الناصـرِ الصّـ
ـلاحِ صلاحٌ ونَصْرٌ وَخيرُ

٥٧ لأَجلِ تَلافيهِ لـم يتلَفُوا
لأَجلِ حيا برِّهِ لم يَبُـوروا

(١) قاسيون : الجبل المشرف على دمشق (معجم البلدان ٤ :٢٨٥) سنير : جبل بين حمص وبعلبك على رأسه قلعة (معجم البلدان ٣ : ٢٦٩) .

٥٨ بفيضِ أَياديهِ غيثُ النّجـاح
لأَهلِ الرَّجـاءِ سَمـوحٌ دَرور

٥٩ مليكٌ بجَدواه يَقـوَى الضَّعيفُ
ويثرَى المُقلُّ ويَغنَى الفَقيرُ

٦٠ أرى الصِّدقَ في ملكهِ المستقيم
وملُكُ سواه ازوِرارٌ وزورُ

٦١ لعزِّ الوَلـيِّ وذلِّ العَدُوِّ
نـوالٌ مبرٌّ وبـأْسٌ مُبيرُ

٦٢ بنعمته للعفاةِ الحُبورُ
بسطوتهِ للعُداةِ الثُّبُورُ

٦٣ هو الشمسُ أفلاكُه في البلاد
ومَطْلَعُهُ سَرْجُهُ والسريرُ

٦٤ اذا ما سطا ، أو حبَا ، واحتبَى
فما الليثُ ؟ مَنْ حاتمٌ ؟ ماثبيرُ(١)

٦٥ إيابُ ابنِ أيوبَ نحو الشآمِ
على كلِّ ما ترتجيهِ ظهورُ

٦٦ بيوسفَ مصرٍ وأيامه
تَقَرُّ العيُونُ وتَشفىَ الصُّدورُ

٦٧ رأتْ منكَ حمصُ لها كافياً
فـواتاك منها القويُّ العسيرُ

٦٨ مليكٌ ينادي رجائي نَدَاهُ
ومولى جَدَاهُ بحمدي جَديرُ

(١) ثبير : من أعظم جبال مكة (معجم البلدان ٢ : ٧٢) .

٦٩ وكم قد فللتَ جموعَ الفرنجِ
بحدِّ اعتزامٍ شباهُ طريرُ (١)

٧٠ بضربٍ تَحذّفُ منه الرؤوسُ
وطَعنٍ تَخسف منه النُّحورُ

٧١ وغادرتَ غادرهم بالعَراءِ
ومن دمهِ كلُّ قَطرٍ غَديرُ

٧٢ بجردٍ عليها رجـ الهياج
كأنَّ صُقوراً عليها صُقورُ

٧٣ من التُّركِ عند دَبابيسها
صحاحُ الطُّلىَ والهوادِي كُسورُ (٢)

٧٤ سهامُ كنائنها الطائرات
لَهُنَّ قلوبُ الأَعادي وكورُ

٧٥ وعندهم مثل صَيْد الصوارِ
إذا حاولوا الفتحَ صَيدا وصُورُ (٣)

٧٦ بجيشكَ أزعجتَ جأشَ العَدُوِّ
فما نَصَرَّ منه الاَّ نفورُ

٧٧ تركتَ مصارعَ للمشركينَ
بطونُ القشاعمِ فيها قُبورُ (٤)

٧٨ تزاحمُ فرسانَها الضارياتُ
فتصدِمُ فيها النُّسورَ النُّسُورُ

٧٩ وإنَّ تَولُّدَ بكرِ الفتُوحِ
اذا ضُرِبَتْ بالذُّكور الذُّكورُ (٥)

---

(١) شبا السيف حده وطرفه . طرير : محدد .

(٢) الدبابيس : جمع دبوس ، عصا من خشب أو حديد في رأسها شيء كالكرة .

(٣) الصوار : قطيع البقر .

(٤) القشاعم : النسور .

(٥) الذكور : جمع الذكر ، من الحديد أجوده ، وأراد بالذكور السيوف .

٨٠ إليَّ شكا الفَضلُ نَقصَ الزَّمان

وهل فاضلٌ في زماني شكورُ

٨١ حَذارك من سطوةِ الجاهلينَ

وذو العلمِ من كلِّ جهلٍ حذورُ

٨٢ وهل يلدُ الخيرَ أو يستَقيمُ

زمانٌ عقيمٌ وفَضلٌ عَقيرُ

٨٣ شكَتْ بكرُ فضلي تَعْنيسَهـا

فما يجلُبُ الود كفءٌ كَفور

٨٤ فقلتُ لفضلي أفاقَ الزَّمان

ودرَّ المُرادُ ودارَ الأثيرُ

٨٥ وعاشَ الرَّجاءُ وماتَ الإياسُ

وسُرَّ الحجا وأنارَ الضميرُ

٨٦ ووافى المليكُ الذي عَدْلُهُ

لذي الفضلِ من كلِّ ضَيْمٍ يُجيرُ

٨٧ فلستُ أبالي بعَيْثِ الذِّئاب

اذا ما انتحى لي ليثٌ هصورُ

٨٨ ملَكتَ فأَسْجحْ ، فما للبلاد

سواكَ مجيرٌ ومولىً نصيرُ(١)

٨٩ وفي معصمِ الملْكِ للعز منك

سوارٌ ، ومنكَ على الدين سورُ

٩٠ لكَ اللهُ في كلِّ ما تبتغيه

بحقٍّ ظهيرٌ ، ونعمَ الظهيرُ

---

(١) الاسجاح : حسن العفو ، ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة : ملكت فأسجح ، أي ظفرت فأحسن ، وقدرت فسهل وأحسن العفو (انظر جمهرة الأمثال ٢ : ٢٤٨) .

٩١ اما المفسدونَ بمصر مَصَــنُــوكَ
وهذي ديارهمُ اليومَ قورٌ(١)

٩٢ أما الأدعياءُ بها إذ نشطــــت
لإبعادهمْ زال منكَ الفتـــورُ

٩٣ ويومُ الفرنج اذا ما لقُـــــوكَ
عبوسٌ ، برغمهم ، قمطريرُ

٩٤ نهوضاً الى القدسِ يشفى الغليـــلَ
بفتحِ الفتوحِ ، وماذا عسيــرُ

٩٥ سَلِ الله تسهيلَ صعب الخطــوب
فهو على كلٌ شيءٍ قديـــرُ

٩٦ اليكَ هجرتُ ملوكَ الزمـــان
فمالكَ ، واللهِ ، فيهم نظيــرُ

٩٧ وفجركَ فيــه القرى والقــــران
جميعاً ، وفجرُ الجميع الفجــورُ

٩٨ وأنتَ تريقُ دمــاءَ الفرنــــجِ
وعندهمُ لاتُراقُ الخمــــورُ

(٧٩)

قال العماد في سنة ٥٧٣ للهجرة متشوقاً الى مصر * :

(من البسيط)

١ لاأوحش الله من أنسي بقربكـــــمُ
ولا أراني فيكم غير إيثــــاري

٢ ولاعدمتكمُ في كلٌ نائبــــــة
حفّــاظ سري وأعواني وأنصاري

---

(١) قور : القار ، الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، والجمع قور .
* البرق الشامي ٣ : ب ، الروضتين (البيتان ٤ ، ٥) ١ : ٧٠٨ .

٣ فعندكم – لافقدتُ البرَّ عندكمُ –
فراغُ بالي وأوطاني وأوكاري

٤ يا ساكني مصر ، قد فقتم بفضلكم
ذي الفضائلِ من سُكانِ أمصارِ

٥ للهِ دركمُ من عُصبةٍ كرُمتْ
ودرُّ مصركمُ الغناء من دارِ

(٨٠)

في مدح عزالدين فروخ شاه (١) سنة ٥٧٣ للهجرة :*

(من الوافر)

١ يمينكَ دأبها بذلُ اليسارِ
وكفكَ صوبُها بدرُ النُّضارِ

٢ وإنكَ من ملوكِ الأَرضِ طرّاً
بمنزلةِ اليمينِ من النهارِ

٣ وأنتَ البحرُ في بثِّ العطايا
وأنتَ الطودُ في بادي الوقارِ

٤ أعزَّ الدِّين غيث الجود، غوث الـ
ورى ، طود العلى ، شمس النهارِ

٥ حليفُ المجدِ ، ربُّ الفخرِ ، تربُا
سماحِ أخو الحجا، زاكي النِّجارِ

٦ غزيرُ المجتدى ، غمرُ الأيادي
منيرُ المجتلى ، عالي المنارِ

---

(١) هو ابن أخي السلطان صلاح الدين ، أقطعه صلاح الدين بعلبك سنة ٥٧٥ هـ واستنابه بدمشق عنه سنة ٥٧٦هـ ، وكان قائداً محنكاً ، وشاعراً جيداً ، توفي سنة ٥٧٩ هـ (شفاء القلوب ص ٢٣٢) .

* البرق الشامي ٣ : ٥٥ أ ، الروضتين ١ : ٧١٣ ، سنا البرق ١ : ٢٨٣ .

٧ اذا عثرَ الأماجدُ في مقامٍ
فعزُّ الدِّينِ مأمونُ العثارِ

٨ فتىً سبقَ الكرامَ ، فلم يطيقوا
وقد ركضوا لحوقاً بالغبارِ

٩ لئن جهلَ الزَّمان ، فأنتَ عذرٌ
له ، فامحُ الإساءةَ باغتفارِ

١٠ فإنكَ من رداءِ الفخرِ كاسٍ
وإنكَ من لباسِ العارِ عارِ

١١ وليُّكَ في بلادِ اليمنِ والٍ
وجارُكَ في رياضِ الأمنِ حجارِ

ومنها صف الحمى (١) :

١٢ وزائرةٍ وليس بها حياءٌ
وليس تزورُ إلاَّ في النَّهارِ

١٣ ولو رهبتْ لدى الإقدام جوري
لما رغبتْ جهاراً في جواري

١٤ أتتْ والقلبُ في وهجِ اشتياق
لتظهرَ ما أواري من أواري

١٥ ولو عرفتْ لظَى سطواتِ عزمي
لكانتْ من سُطاي على حذارِ

١٦ تقيمُ فحينَ تُبصرُ مِن أناتي
ثباتَ الطَّودِ تسرعُ في الفرارِ

١٧ تفارقني على غيرِ اغتسالٍ
فلم أُحلُلْ لزورتها إزاري

---

(١) متأثر بأبيات المتنبي المشهورة التي يصف فيها الحمي (الديوان ٢ : ٤٠) :
وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور الا في الظلام

١٨ أيا شمسَ الملوكِ ، بقيتَ شمساً
تنيرُ على الممالكِ والدّيــــارِ

١٩ يجدٌّ إلى العلى أبداً بداراً
فلا عبرَ الأذى منه بــــدارِ

٢٠ لئن حمي المزاج فغيرُ بــــدعٍ
فنارُ ذُكاكَ تقذفُ بالشّــرارِ

٢١ أحمّاكَ استعارتْ لفحَ نـــارٍ
لعزمكَ لم تزلْ ذات استعـــارِ

٢٢ لقد نهضتْ اليكَ بلا احتشـــامٍ
وقد جسرتْ عليكَ بلا اعتـــذارِ (١)

٢٣ وما إن حُمّ ليث الغـــابِ الاّ
ليوقدَ نارَهُ عندَ الغـــوارِ

٢٤ ولفحُ العارضِ الساري دليـــلٌ
من الغيثِ المُلثّ على انهمارِ (٢)

٢٥ وما أحمى مزاجكَ غيرَ لطـــف
لخلقكَ سالبٌ لطفَ العُقـــارِ

(٨١)

كتب العمادُ الى صلاح الدين سنة ٥٦٤ للهجرة • :

(من الهزج)

١ أهني الملكَ النــــاصــ
رَ بالملكِ وبــالنــصرِ

---

(١) جسرت : أقدمت .

(٢) الملث : ألث المطر ، دام أياما لايقلع . وألثت السحابة : دامت أياماً ، فلم تقلع .

الروضتين ١ : ٤٤٧ .

٢ وما مهد مــــن بـنـيـا
ن ديـن الحقّ في مـــصـر

٣ وما أسداهُ مِـــن بــــر
بلا عـــدٍّ ولا حـــصـر

٤ وما احياهُ مـــن عـــدل
وما خفّفَ مِـــن إصـر

٥ وإعلاء سَنَـــا الشُّـنـــ
ـة في بحبـوحة القصـــر

٦ قد استولى علـــى مـصر
بحقِّ يوسـفُ العـصـر

٧ وأحيا سنةَ الإحـســـا
نِ في البدوِ وفي الـحـضـر

(٨٢)

قال العماد : ولما خطب للمستضيء بالله بمصر سنة سبع وستين وخمسمائة في أيام الوزير عضد الدين ، كتب اليه قصيدة * :

(من الخفيف)

١ قد خطبنا للمستضيْ بمصـــر
نائبِ المصطفى إمامِ العصـرِ (١)

٢ وخذلنا لنصرة العَضُدِ الـعـا
ضدَ والقاصرَ الذي بـالقصرِ (٢)

---

* الروضتين ١ : ٥٠٣ ، مفرج الكروب ١ : ٢٦١ ، الخريدة ، قسم العراق ، ١ : ١٣).

(١) الروضتين ، مفرج الكروب : نائب المصطفى . الخريدة : وارث المصطفى .

(٢) أراد بالعضد : عضد الدين محمد بن أبي الفتوح عبدالله الذي سبقت ترجمته . العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، واسمه عبدالله بن يوسف ، وكانت وفاته سنة ٥٦٧ (وفيات الأعيان ٣ : ١٠٩) .

٣ وأشعنا بها شعارَ بني الـــــعـ

باسِ فاستبشرتْ وجوهُ النصرِ

٤ ووضَعْنا للمستضي ْبأمــــر الـــ

له عن أوليائه كلَّ إصـــــرِ (١)

٥ وتركنا الدّعيَّ يدعو ثبوراً

وهو بالذلّ تحت حَجْرٍ وحَصْرِ

٦ وتباهتْ منابرُ الدينِ ، بالخــــط

بةِ للهاشمي في أرضِ مصْـــرِ

٧ وجرى من ندَاه دجلةُ بغـــــدا

دَ بشطرٍ ، ونيلُ مصر بشطـــرِ

٨ وقد اهتزَّ للهدى كلُّ عِطــــف

مثلما افترَّ بالمُنى كلَّ ثغْـــرِ

٩ فبجدواه زائلٌ كلّ فقــــــر

وبنعماهُ آهلٌ كلّ فقـــــرِ

١٠ ونداءُ الهدى أزالَ مِن الأســــــ

ماعِ ،في كلِّ خطةٍ ، كلَّ وقْرِ (٢)

١١ نشكرُ اللهَ اذ أتمَّ لنا النصــــــ

رَ ، ونرجو مزيدَ أهلِ الشُّكـرِ

١٢ ولـدينـا تضاعفتْ نِعَمُ الـــــ

لهِ ، وجلتْ عن كلِّ عدٍّ وحَصْرِ

١٣ فاغتدى الدينُ ثابتَ الركنِ في مصـ

رَ ، محوطَ الحمى ، مصونَ الثغرِ

---

(١) الاصر : العبء الثقيل .

(٢) الوقر : الثقل في الأذن .

١٤ واستنارت عزائمُ الملكِ العا
دلِ نورِ الدِّينِ الكريمِ الأغرُّ

١٥ وبنو الأصفرِ القوامصُ منه
بوجوهٍ – من المخافةِ – صُفْرِ(١)

١٦ عرَفَ الحقَّ أهلُ مصرَ ، وكانوا
قبلَهُ بين مُنكرٍ ومُقرِّ

١٧ هو فتحٌ بكرٌ ، ودونَ البرايا
خصنا اللهُ بافتراعِ البكرِ

١٨ وحصَّلْنا بالحمدِ ، والأجرِ والنصـ
ـرِ ، وطيبِ الثنا ، وحُسنِ الذكرِ

١٩ ونشرنا أعلامنا السُّودَ مَهراً
للعدى الزرقِ ، بالمنايا الحمرِ (٢)

٢٠ واستعدنا من أدعياءَ حقوقاً
تُدَّعَى بينهم لزيدٍ وعمروِ

٢١ والذي يدَّعي الإمامةَ بالقا
هرةِ انحطَّ في حضيضِ القهرِ

٢٢ خانَهُ الدَّهرُ في مناهُ ولا يطـ
ـمعُ ذو اللُّبِّ في وفاءِ الدَّهرِ

٢٣ ما يُقامُ الإمامُ إلاَّ بحقٍّ
ما تحازُ الحسناءُ إلاَّ بمهرِ

---

(١) بنو الأصفر : الافرنج . القوامص : جمع قومص ، وهو تعريب حرفي للفظة اللاتينية (comes) أي الأمير (مفرج الكروب ١ : ٧٣ هامش ١) .

(٢) كان السواد شعاراً لبني العباس . فكانت راياتهم لذلك سوداً . العدو الأزرق : الشديد العداوة . المنايا الحمر : القتل كناية عن سفك الدم .

٢٤ خلفاءُ الهدى سَراةُ بني العـ
ـباس والطيبونَ أهلُ الطُّهرِ

٢٥ بهمُ الدِّينُ ظافرٌ، مستقيمٌ
ظاهرٌ قوّةً، قويْ الظهرِ

٢٦ كشموسِ الضُّحى، كمثلِ بدورِ الـ
ـتمِّ، كالسُّحبِ، كالنجومِ الزّهرِ

٢٧ قد بلغنا بالصبْرِ كلَّ مراد
وبلوغُ المرادِ عُقْبَى الصَّبْرِ

٢٨ وتمامُ الحبورِ ما تمَّ من خطـ
ـبةِ خيرِ الخلائفِ ابنِ الحَبْرِ

٢٩ مَهْبطُ الوحي بيتُه، منزل الذكـ
ـرِ، بشفعٍ من المثاني ووِتْرِ (١)

٣٠ ليس مُثْري الرِّجال مَنْ مَلَكَ الما
لَ، ولكنّما أخو اللُّبِّ مُثْرِ

٣١ ولهذا لم ينتفعْ صاحبُ القصـ
ـرِ وقد شارفَ الدُّثُورَ بدثرِ (٢)

٣٢ لسوى نظمِ مدحهِ أهجرُ النظْـ
ـمَ، فما مدحُ غيرهِ غير هُجرِ(٣)

٣٣ وأرتنا له قلائدَ مـ
ـنٍ، وبرٍ، ليست بجيدٍ ونَحْرِ

---

(١) الذكر : القرآن الكريم . المثاني : القرآن كله ، لاقتران الرحمة بآية العذاب كما في الصحاح ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ... » الشفع : الزوج . الوتر الفرد .

(٢) الدثور : الدروس ، كالاندثار . والدثر : المال الكثير .

(٣) الهجر : القبيح من الكلام .

٣٤ وبـإنـعـامـه تـزايـدَ شـكـري
وبتشريفـه تـضـاعـفَ فـخـري

٣٥ كـم ثراءٍ وقـوّةٍ وانشراحٍ
منه في راحتي وقلبي وصـدري

٣٦ وعليَّ النذورُ في مثلِ ذا اليـو
مِ ، وهذا يومُ الوفاءِ بنَذري(١)

٣٧ واستهلت بـوارقَ الأنـعـم الغُرُّ
بـه في حيا الأيـادي الـغُزْرِ

٣٨ نعشَ الحـقَّ بـعـدَ طـولِ عثارٍ
جَبـرَ الحـقَّ بعدَ وَهْنٍ وكسـرِ

٣٩ دامَ نصرُ الهـدى بملكِ بـنـى العـ
باسِ حتـى يكونَ يـوم الحشرِ(٢)

(٨٣)

قال العماد : ونظمت في طريق مصر سنة ٥٧٢ للهجرة قصيدة مشتملة على ذكر المنازل بالترتيب ، وايراد البعيد منها والقريب ، واتفق أن السلطان سيّر الى مصر الملك المظفر تقي الدين (٣) ، وكان لايستدعي من شاديه، الا إنشادها في ناديه ، ويطرب لسماعها ، ويعجب بإبداعها ، وكان قد فارقَ أهله بدمشق كما فارقتُ بها أهلي ، وجمع الله بهم بعد ذلك شملي ، وهي هذه * :

[من الطويل]

١ هجرتكمُ لا عن ملالٍ ولا غـدْرِ
ولكن لمقدُورٍ أُتيحَ مـنَ الأمرِ

---

(١) النذر : ما توجبه على نفسك من عبادة أو صدقة أو غير ذلك .

(٢) الروضتين ، مفرج الكروب : حتى يتوم .

(٣) تقي الدين عمر بن نور الدولة ، صاحب حماة ، كان بطلا شجاعاً ، وشاعراً مجيداً ، توفي سنة ٥٨٧ (شفاء القلوب ص ٢٣٤) .

* الخريدة – قسم مصر – ١ : ٦، الروضتين ١ : ٦٨١ وأبيات متفرقة في سنا البرق الشامي ١ : ٢٣٢ وعقد الجمان ١٢ : ٢٠٦ ب .

٢ وأَعلمُ أَنِّي مخطيءٌ في فراقكم
وعُذْرِيَ في ذنبي ، وذنبيَ في عُذري

٣ أَرى نُوَباً للدَّهرِ تُحْصى وما أَرى
أَشدَّ من الهجران في نُوب الدَّهرِ (١)

٤ بعيني الى لُقْيا سواكمْ غشاوَةٌ
وسمعي الى نجوى سواكم لذو وَقْرِ (٢)

٥ وقلبي وصَدْري فارقاني لبُعدكم
فلا صدرَ في قلبي ،ولا قلبَ في صدري (٣)

٦ وإنّي على العهدِ الذي تعهدُونَهُ
وسرّي لكمسرّي، وجَهْريلكم جهري

٧ تجرَّعتُ صرْفَ الهمِّ من كأْسِ شوقكمْ
فها أَنا في صَحْوِي نزيفٌ من السكرِ

٨ وإنَّ زماناً ليس يَعْمُرُ موطني
بسُكناكمُ فيه فليس منَ العمرِ

٩ وأقسمُ لو لم يَقسم البينُ بيننا
جوى الهمِّ ما أَمسيتُ مُنْقَسِمَ الفكرِ (٤)

١٠ أَسيرُ إلى مصرٍ ، وقلبي أَسيركُمْ
ومن عَجَبٍ أَسري وقلبيَ في أَسْرِ

١١ أَخِلاّي قد شَطَّ المزارُ،فأَرْسلوا الـ
خيالَ،وزُورُوا فيالكرى،واربَحُوا أَجْري

---

(١) الروضتين : ولا أرى .
(٢) الروضتين : عن نجوى .
(٣) الروضتين : وقلبي وصبري ... فلا صبر .
(٤) الروضتين : مقتسم .

١٢ تذكرتُ أحبابي بجلّقَ بعدما
ترحلتُ،والمشتاقُ يأنسُ بالذكرِ

١٣ أخلايَ فقري في التنائي اليكُمُ
بحقٍّ غناكمْ بالتداني ارْحَمُوا فقْري

١٤ وناديتُ صبري مستغيثاً فلم يجبْ
فأسبلْتُ دمعي للبكاء على صبري

١٥ ولما قصدْنا من دمشقَ غباغباً
وبتنا من الشوقِ الممضِّ على الجمرِ(١)

١٦ نزلنا برأسِ الماءِ عند وداعنا
مواردَ منْ ماءِ الدُّموعِ التي تجري

١٧ نزلنا بصحراءِ الفَقيعِ وغُودِرَتْ
فواقعُ من فيضِ المدامعِ في الغُدرِ(٢)

١٨ ونهنهتُ بالفوّارِ فَوْرَ مدامعي
ففاضتْ وباحتْ بالمكتم من سرّي(٣)

١٩ سرينا إلى الزَّرقاءِ منها،ومن يُصبْ
أواماً يَسرْ حتى يرى الوِرْدَ أويَسْرِ(٤)

٢١ أَعادَتْكِ يازرقاءُ حمراءَ أَدمعي
فقد مزجتْ زُرْقَ المواردِ بالحُمْرِ

٢١ وسُودُ هُمومي سوَّدَتْ بيض أَزْمُني
فيومي بلا نُورٍ وليلى بلا فجرِ

---

(١) غباغب : قرية في نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ (معجم البلدان ٤ : ١٨٤) .
(٢) الفقيع : قرية في أول عمل حوران من ناحية دمشق (الروضتين ١ : ٦٨١ هامش ٥).
(٣) الفوار : موضع قرب دمشق ، كان مجتمع العساكر (مفرج الكروب ١ : ٢٢٧)
(٤) الزرقاء : نهير بشرق الأردن (معجم البلدان ٣ : ١٣٧) .

٢٢ أَيا ليلُ ،زِدْ ما شئتَ طولاً وظلمةً
فقد أَذْهَبَتْ منكَ السّنا ظلمةُ الهَجْرِ

٢٣ تذكرتُ حَمّامَ القُصَيْرِ وأَهلَهُ
وقد جُزْتُ بالحمّام في البلدِ القفرِ

٢٤ وبالقريتين القريتين ، وأيـــن مـــن
مغاني الغواني منزل الأُدم والعفر

٢٥ وردنا من الزيتونِ حسْمَى وأيلــة
ولم نسترحْ حتى صدَرْنا الى صدْرِ (١)

٢٦ غَشينا الغَواشي وهي يابسةُ الثّرى
بعيدةُ عَهْدِ القُطرِ بالعَهْدِ والقَطْرِ (٢)

٢٧ وضنّ علينا بالنّدى ثَمَدُ الحَصَى
ومن يرتجى رِيّاً من الثّمدِ النَّزْرِ (٣)

٢٨ فقلتُ : اشرحي يالخمْسِ صدراً مطيتي
بصدرٍ وإلاّ جادكِ النيلُ للعِشْر

٢٩ رأَينا بها عينَ المواساة أَنّنـــا
إلى عين موسى نبذلُ الزّادَ للسّفْرِ (٤)

٣٠ وما جسرتْ عيني على فيضِ عبـــرةٍ
أكفكفُها حتى عَبَرْنا على الجسْرِ (٥)

---

(١) الزيتون : جبل بالشام (معجم البلدان ٣: ١٦٣) حسمى : موضع بين منازل عذرة والعقبة (معجم البلدان ٢ : ٢٥٨) أيله : العقبة الآن .
(٢) الغواشي : بعض منازل بني عذرة جنوب فلسطين .
(٣) ثمد الحصى : أرض قريبة من مدائن صالح .
(٤) عين موسى : بالقرب من البتراء بواد كثير الزيتون .
(٥) الجسر : مدينة القلزم وكانت تقع بالقرب من السويس الآن .

٣١ وملتُ الى أرضِ السّديرِ وجَـنّةٍ
هنالكَ من طَلحٍ نضيدٍ ومن سدْرِ (١)

٣٢ وجُبْنا الفلا حتى أتَينا مباركـاً
على بركة الجُبِّ المُبشّرِ بالقَصْرِ (٢)

٣٣ ولما بدا الفسطاطُ بشّرتُ ناقتي
بمن يَتَلقّى الوفدَ بالوفْرِ والبشْرِ (٣)

٣٤ ولم أنس يومَ البين بالمَرْج نَشْرنا
مطاويَ سرٍ في الهوى أرج النّشْرِ(٤)

٣٥ وقد أقبلتْ نُعْمٌ وأترابُها كما
تطلّعَ بَدْرُ التمِّ في الأنجمِ الزُّهرِ

٣٦ وقفنا وحادينا يحثُّ وناقتي
تزمُّ ولاحينا لمُغرمنا مُغْرِ

٣٧ وكلٌّ بنانٍ فوقَ سنٍ لَنادم
وكلٌّ يدٍ فوقَ التريبةِ والنحرِ

٣٨ وبيعَ فؤادي في مناداةِ شوقهم
فسِمتهم أنْ يأخذوا الروحَ بالسّعْرِ

٣٩ بكت أمُّ عمروٍ منْ وشيكِ ترحّلي
فيا خجلْتا من أمِّ عمروٍ ومنْ عمرو(٥)

٤٠ تقولُ :إلى مصرٍ يسيرُ تعجُّباً
وماذا الذي تبغي،ومن لكَ في مصر؟!(٦)

---

(١) السدير : أول ما يلقى القادم من الشام إلى مصر من جنان وزروع (معجم البلدان ٣ : ٢٠١)
الطلح : شجر الموز . السدر : شجر النبق .
(٢) بركة الجب : هي الآن في مديرية القليوبية تسمى البركة . القصر : قصر السلطان صلاح الدين
(٣) الروضتين : بشرت رفقتي .
(٤) المرج : يريد أحد مروج دمشق .
(٥) الروضتين : خجلتي .
(٦) الروضتين : يصير تعجباً .

٤١ تُبَدِّدُ في سَهْلٍ مِنَ العيشِ شملنا
وتنظمُ سلكَ العيشِ في المَسْلَكِ الوَعْرِ؟
٤٢ فقلْ أَيُّما عُرْفٍ حداكَ على النّوى
ومن ضَلّةٍ أَنْ تطلبَ العُرْفَ بالنُّكرِ
٤٣ ومَنْ فارقَ الأَحبابَ مستبدلاً بهم
سواهم فقد باعَ المرابحَ بالخُسْرِ
٤٤ فقلتُ : ملاذي الناصرُ الملكُ الذي
حصلتُ بجدواه على المُلْكِ والنّصرِ
٤٥ فقالتْ: أَقمْ لاتعدم الخيرَ عندنا
فقلت : وهل تُغني السّواقي عن البحرِ
٤٦ فقالتْ : صلاح الدِّينِ؟ قلتُ: هوالذي
به صارَ فضلي عاليَ الحظِّ والقَدْرِ
٤٧ ثقي برجوعٍ يضمنُ اللهُ نُجحَهُ
ولاتَقْنَطِي أَنْ نُبْدِلَ العُسرَباليسرِ(١)
٤٨ وإنَّ صلاحَ الدينِ إنْ راحَ مُعْدِمٌ
إليه غَدا من فَيْضِ نائلهِ مُثْري
٤٩ نَعزُّ بأَفضالِ العزيزِ وفضلِهِ
ونَحْسبُ نفعاً كلَّ ما مَسَّ من ضُر
٥٠ عطيّتُهُ قد ضاعفتْ منّةَ الرَّجا
ومنّتُهُ قد أَضعفتْ منّةَ الشُّكرِ (٢)
٥١ وماذا يحدُّ المدح منه فإنّما
مناقبُهُ جلّتْ عن الحدِّ والحَصْرِ

---

(١) الروضتين : ولا تقتضى .

(٢) الروضتين : ونعمته قد .

(٨٤)

قال العماد وهو في طريقه الى مصر صحبه السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة ، وقد نزل بالفوّار للراحة * :

[من الطويل]

١ تحدَّرَ بالفوّارِ دمعي علـى الفَـوْرِ
فقلتُ لجيراني : أَجيروا من الجورِ

٢ وأَصعبُ ما لاقيتُ أَنِّي قانـعٌ
من الطّيفِ مُذْ بنتم بزورٍ من الزورِ

(٨٥)

كتب العماد الى القاضي الفاضل سنة ٥٧٣ للهجرة وهو بالمبرز (١) على سبيل المداعـية ** :

[من الخفيف]

١ قيلَ في مصرَ نائلٌ عـدَدَ الرَّمـ
ـلِ ، ووفرٌ كنيلها الموفـورِ

٢ فاغتررْنا بها وسـرْنا إليهـا
ووقعنا – كما ترى – في الغـرورِ

٣ وحظينا بالرَّملِ والسّيرِ فيـه
ومنعنا مـن نيلهـا الميسـور

* الروضتين ١ : ٦٩٨ ، البرق الشامي ١ : ٢٥٤ ، البيتان ٦ ، ٧ في سنا البرق ١ : ٢٥٤.

(١) المبرز : لم أجد شرحاً لهذا الموضع في المراجع .

** البرق الشامي ٣ : ٨ب ، الروضتين ١ : ٦٩٨ ، سنا البرق (البيتان ٦ ، ٧) ١ : ٢٥٤.

٤ وبـــرزنـا إلى المبـــرز نشكـــــو
سـدراً مـــن نزولنا بالسـّـديـرِ
٥ وعـــددنا في الرُّعـاعِ فـــلا في الـــ
ـعيرِ نـــدعى ، ولافي النَّفيــــرِ
٦ قيـلَ لي: سِرْ إلى الجهادِ ، ومـــاذا
بـالغٌ في الجهـادِ جهـدَ مسيرى؟
٧ ليس يقوىَ في الجيشِ جأْشي،ولاقو
سي يُـــرى موتُـوراً إلى موتورِ
٨ أنـا للكُتـبِ لا للكتـائـبِ إقــــدا
مي،وللصُّحْفِ لا الصِّفـاح حضوري
٩ كـاد فضلي يضيـعُ لولا اهتمامُ الـ
ـفاضلِ الفائضِ النَّدى بأُموري
١٠ وأنـا منه في مــلابسِ جـــــاه
رافــلاً منه في حبيـرِ حُبُــورِ
١١ فهو رَقّى من الحضيضِ حظوظـي
وسمـا بى إلى سريـرِ السُّـــرورِ

(٨٦)

قال في رثاء نورالدين سنة ٥٦٩ للهجرة*:

[من السريع]

١ ياملكاً أيـامُـهُ لمْ تَـــــزَلْ
بفضلـــهِ فاضلـــة فاخـــره
٢ غاصتْ بحارُ الجودِ مُذْ غُيِّبَتْ
أنملُكَ الفـائضـةُ الزاخرهْ
٣ ملكتَ دنيـاكَ وخَلَّفْـــتهـا
وسِـــرْتَ حتى تملكَ الآخرهْ

* الروضتين ١ : ٥٨١ ، مفرج الكروب ١ : ٢٨٥ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٧٢ .

(٨٧)

قال العماد: وكنتُ نظمتُ في كوز الفُقّاع (١)، لُغزاً، وأنشدتها الحكيم أبا العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى النصرائي النيلي الطبيب * :

[من السريع]

١ ماصورةٌ، مامثلُها صُورَهْ
كأنَّها في العُمقِ مطمورَهْ ؟

٢ تُمطرُ للريِّ ، ومن ذا رأى
مطمورةً للسريِّ ممطورَهْ ؟

٣ منكوحةٌ ما لم تَضَعْ حملَها
مسدودةُ الأنفاسِ محصورَهْ (٣)

٤ محرورةُ القلبِ ، ولكنّها
مضروبةٌ بالبَرْدِ مقرورَهْ . (٢)

٥ كأنّما النارُ بأحشائها
على اشتداد البردِ مسجورَه

٦ تَظَلُّ مُلْقاة على رأسها
خمّارةٌ تُحْسَبُ مخمورَهْ

٧ مُعارَةُ الهامةِ من غيرِها
قصيرةُ القامةِ ممكورَهْ (٤)

٨ كأنّها رأسٌ بلا جُثّة
موصولةٍ إنْ شئتَ مبتورَهْ

(١) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، يخمر حتى تعلو فقاعاته .
* الخريدة – قسم العراق – ٢/٤ : ٥٠٣ وانظر ترجمة الحكيم في الخريدة ٤ / ٢ : ٤٩٨
(٢) مقرورة : اصابها القر ، وهو البرد .
(٣) مسجورة : موقدة .
(٤) الهامة الرأس ممكورة : ذات ساق غليظة مستديرة حسناء . استعاره من صفة المرأة الحسناء.

٩ كهامـــــةٍ صلْعـــاءَ محلـــوقة
ما استعّملتْ مُوسَـى ولا نُورَهْ

١٠ زامــرةٌ ، في فمهــا زمـــــرُها
وهيَ بغيرِ الزّمْرِ مشهـــــورَهْ

١١ دوّارةٌ إنْ أنــتَ أرسَلْتَهـــا
مهتوكةُ الأسْتارِ مستـــورَه

١٢ مَنْ فَضّها ،تبصقُ في وجهـــه
كأنّها بالفُحشِ مـــأمورَهْ

١٣ تورِثُ تعبيساً لمن باسَـــــها
وهيَ على ذلكَ مشكـــورَهْ (١)

١٤ معسولةٌ ، ريقتُهـــا مُـــزّةٌ
وهي على اللّذّةِ مقصـــورَهْ (٢)

١٥ وهي علـى مـاهيَ ، في إثْـــرِه
مَـرْسَلَةٌ بالهَضْم منصـورَهْ

١٦ إن عُقلـتْ قرّت، وإن أُنشطـتْ
فرّتْ وثـارتْ مثلَ مذعورَهْ(٣)

١٧ كـم عسلٍ ذاقـتْ وكـم سُكّرٍ
وأنعُـمٍ ليسـتْ بمكفـورَهْ

١٨ ملمـومـةٌ مـن صخرةٍ صلْـدَةٍ
فـاجِـرةٌ بالمـاءِ مفـجورَهْ

١٩ من الصّفـا جسمٌ، ولـكنْ تـرى
على صفـاءِ المـاءِ تـامورَهْ (٤)

---

(١) باس : قبل ، من البوس ، أعجمى معرب .
(٢) المز : ماكان طعمه بين الحلو والحامض ، أو خليطاً منهما .
(٣) أنشطت : أطلقت من عقالها .
(٤) الصفا : جمع الصفاة الحجارة العراض الملس . التامور : القلب .

٢٠ فيا حليفَ المأثُـرات التي
أضحتْ لأهلِ الفضلِ مشهورَهْ
٢١ أنعمْ، وعجِّلْ حلَّ إشكالها
فهي لدى فضلك مأسورَهْ

(٨٨)

في رثاء صاحبه المعتمد ابراهيم سنة ٥٧٦ للهجرة* :
(من الكامل)

١ لهفي على مَنْ كانَ صبحي وجهُهُ
فعدمتُ، حينَ عدمتُهُ، أنوارَهُ
٢ سكنَ التُّرابَ، وغاضَ ماءُ حياته
مُذْ أطفأتْ ريحُ المنيّةِ نارَهُ

(٨٩)

في رثاء نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي** :
(من الكامل)

١ الدِّينُ في ظُلَمٍ لغيبةِ نُورِهِ
والدَّهرُ في غَمٍّ لفقدِ أميرِهِ
٢ فليندُبِ الإسلامُ حامي أهلهِ
والشّامُ حافظُ مُلكهِ وثغورِهِ
٣ ما أعظمَ المقدارَ في أخطاره
إذ كان هذا الخطبُ في مقدورِهِ

---

* الروضتين ٢ : ٢١ ، الجامع المختصر ص ٦٣ .
** الروضتين ١ : ٦٢٥ وفي الخريدة (بداية شعراء الشام ص ٧٢) ذكر العماد مطلعها فقط وقال : هي طويلة تقارب مئة وعشرة أبيات .

٤ ما أكثرَ المتأسفينَ لفقدِ مَنْ
قرّتْ نواظرهم بفقدِ نظيرِهِ!

٥ ما أعوَصَ الإنسانَ في نسيانه
أوَما كفاهُ الموتُ في تذكيرِهِ؟

٦ مَنْ للمساجدِ والمدارسِ بانياً
للهِ طوعاً عن خلوصِ ضميرِهِ

٧ من ينصرُ الإسلامَ في غزواته
فلقد أُصيبَ بركنهِ وظهيرِهِ

٨ مَنْ للفرنج، من لأسرِ ملوكها
من للهُدى يبغي فكاكَ أسيرِهِ

٩ من للخُطوبِ مُذلِّلاً لجماحِها
من للزّمانِ مُسَهِّلاً لوعورِهِ

١٠ مَنْ كاشفٌ للمعضلاتِ برأيهِ
مَنْ مشرقٌ في الدّاجياتِ بنورِهِ

١١ مَنْ للكريمِ ومَنْ لنعشِ عثارِهِ
من لليتيمِ، ومن لجبرِ كسيرِهِ

١٢ مَنْ للبلادِ ومَنْ لنصرِ جيوشها
من للجهادِ، ومن لحفظِ أُمورِهِ

١٣ منْ للفتوحِ محاولاً أبكارَها
برواحهِ في غَزْوهِ وبُكورِهِ

١٤ مَنْ للعُلى وعُهودها، مَنْ للندى
ووفودهِ، مَنْ للحِجا ووفورِهِ

١٥ ما كنتُ أحسبُ نورَ دينِ محمد
يخبو، وليلُ الشِّركِ في ديجورِهِ

١٦ أعزِزْ عليّ بليثٍ غابٍ للـــــهــــدى
يخلو الشّرى من زوره وزئيرهِ (١)
١٧ أعزِزْ عليّ بانْ أراهُ مــغيّـــبـاً
عن محفلٍ مُتَشرّفٍ بــحضـورهِ
١٨ لهفي على تلكَ الأنــاملِ ، إنّهـا
مُذ غيّبت غاض النـدى ببحورهِ
١٩ ولقــد أتى منْ كنتَ تجـري رسمَهُ
فضعِ العلامةَ منكَ في منشورهِ (٢)
٢٠ ولقد أتى مَنْ كنتَ تكشفُ كربَــهُ
فارفعْ ظلامتَهُ بنصرِ عشيـــرهِ
٢١ ولقد أتى مَنْ كنتَ تُؤمــنُ سربَهُ
وقّعْ له بالأمنِ مِنْ مــحذورهِ
٢٢ ولقد أتى مَنْ كنتَ تُؤثرُ قـــربَــهُ
فأدمْ له التقريبَ في تـــقــريــرهِ
٢٣ والجيشُ قد ركبَ الغــداةَ لــعرضه
فاركبْ لتُبْصِــرَه أوان عــبورهِ
٢٤ أنتَ الذي أحييتَ شرعَ مـحـــمــد
وقضيتَ بعدَ وفـــاته بنُشورهِ
٢٥ كم قد أقمتَ من الشريعةِ مَــعْلَـماً
هو منذ غبتَ مُعَرّضٌ لدُثورهِ

---

(١) الشرى : مكان تكثر فيه الأسد .

(٢) العلامة السلطانية : التوقيع الذي يوقع به السلطان على المنشورات والمراسلات والكتب ، وكانت في العادة اصطلاحاً ، آية قرآنية أو قولا مأثوراً ، وقد تكون إسم السلطان . وكانت علامة السلطان صلاح الدين في كثير من المناسبات : « وما توفيقي الا بالله » ، يضعها في أعلى المكاتبات .

٢٦ كم قد أمرتَ بحفرِ خندقِ معقلٍ
حتى سكنتَ اللحدَ في محفورِهِ

٢٧ كم قيصرٍ للرومِ رُمْتَ بقسرِهِ
إرواءَ بيضِ الهندِ من تامورِهِ

٢٨ أُوتيتَ فتحَ حصونِهِ، وملكتَ عُقْ
رَ بلادِهِ، وسبيتَ أهلَ قصورِهِ

٢٩ أزَهِدْتَ في دارِ الفناءِ وأهلِها
ورغبتَ في الخُلْدِ المقيمِ وحورِهِ

٣٠ أوما وعدتَ القدسَ أنك منجزٌ
ميعادَهُ في فتحِهِ وظهورِهِ

٣١ فمتى تجيرُ القدسَ من دَنَسِ العدا
وتقدِّسُ الرّحمنَ في تطهيرِهِ

٣٢ ياحاملينَ سريرَهُ: مهلاً فمنْ
عجبٍ نهوضُكم بحملِ ثَبيرِهِ(١)؟

٣٣ ياعابرينَ بنعشِهِ: أنشقتُمُ
من صالحِ الأعمالِ نشرَ عبيرِهِ؟

٣٤ نزلتْ ملائكةُ السّماءِ لدفنِهِ
مستجمعينَ على شفيرِ حفيرِهِ

٣٥ ومنَ الجفاءِ له مُقامي بعدَهُ
هلاَّ وفيتُ وسرتُ عندَ مسيرِهِ

٣٦ حيّاكَ معتلُّ الصَّبا بنسيمِهِ
وسقاكَ مُنهلٌّ الحيا بدُرورِهِ

---

(١) ثبير : هو الجبل المعروف عند مكة .

٣٧ ولبستَ رضوانَ المهيمنِ ساحباً
أذيالَ سندسِ خزِّهِ وحريرِهِ

٣٨ وسكنتَ عليِّينَ في فردوسه
حلْفَ المسرَّةِ ظافراً بأجورِهِ

(٩٠)

في مدح الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي* :

(من الطويل)

١ تذاكرَ من ورّادِ مصرَ عصابةٌ
حديثَ فتىً طابَ النّديُّ بذكرِهِ

٢ وقالوا: رأينا فاضلاً ذا نباهة
أديباً يفوقُ الفاضلينَ بفخرِهِ

٣ يدينُ حبيب والوليد لنظمه
ويحمدُهُ عبدُ الحميدِ لنثرِهِ (١)

٤ ولو عاشَ قسٌ في زمانِ بيانه
لكان مشيداً في البيانِ بشكرِهِ (٢)

٥ فضائلُهُ كالشّمسِ نوراً ولم تزلْ
مناقبُهُ في الدّهرِ أعدادَ زهرِهِ

---

* الروضتين ٢ : ٣٥ ، وتاج الدين هو أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، البغدادي المولد والمنشأ ، الدمشقي الدار والوفاة ، المقرىء النحوي الأديب . توفي سنة ٦١٣ ﻫ (انباه الرواة ٢ : ١٠ ، وفيات الأعيان ٢ : ٣٣٩) .

(١) حبيب بن أوس ، أبو تمام الطائي المتوفى سنة ٢٣١ ﻫ . الوليد بن عبيد بن يحيى ، أبو عبادة البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ ﻫ. عبدالحميد بن يحيى بن سعد الكاتب المشهور المتوفى سنة ١٣٢ ﻫ .

(٢) قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب وحكيمها .

٦ بيانٌ هو السِّحرُ الحلالُ وإنّنا
نَرى معجزاً من فضلهِ حلَّ سحرِهِ

٧ ذوو الفضلِ هم عند الحقيقة أبحرٌ
ولكنّهم أضحوا جداولَ بحرِهِ

٨ يضوعُ مهبُّ الحمدِ من عرفِ عرفه
وتأْرَجُ أرجاءُ الرَّجاءِ بنشرِهِ

٩ فقلتُ لهم: هذا الذي تصفونَهُ
أبو اليُمنِ تاجُ الدِّينِ أوْجَهُ عصرِهِ

(٩١)

ولما توفى الوزير ابن هبيرة، (١) أُعتُقلتُ في الديوان ببغداد، بسبب مناباتي عنه في واسط والبصرة ؛ فمدحتُ الخليفة المستنجد بالله العباسي (٢) بقصيدة استعطف بها في شعبان سنة ستين وخمسمائة ٭ :

(من الطويل)

١ أُعيذُكمُ أنْ تغفلوا عن أُموره
وأنْ تتركوهُ نُهبةً لمغيرِهِ

٢ عفا اللهُ عنكم، قد عفا رسمُ وُدُّكم
خلعتمْ على عهدي دِثارَ دثورِهِ (٣)

٣ بما بيننا ياصاحبي من مودَّةٍ
وفاءَكَ إنّي قانعٌ بيسيرِهِ

٤ وهذا أوان النُّصح إنْ كنتَ ناصحاً
أخاً ، فقبيحٌ تركُهُ بغرورِهِ

(١) هو الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ ﻫ .
(٢) المستنجد بالله يوسف بن محمد بن أحمد بويع بالخلافة سنة ٥٥٥ ﻫ ، وتوفي سنة ٥٥٦٦ﻫ.
٭ الخريدة – قسم العراق – ١ : ٥٦ .
(٣) الدثار : كل ما كان من الثياب فوق الشعار . ودثر الرسم دثوراً : درس .

٥ وإنّي أرى الأريَ المَشورَ مَشورةً
حَلَتْ موقعاً عند امرىءٍ من مُشيرِهِ (١)

٦ تَحمَلْتُ عبءَ الوجدِ غيرَ مُطيقهِ
وعلّمتُ صبرَ القلبِ غيرَ صَبورِهِ

٧ صِلوا مَن قضى من وحشةِ البينِ نحبَهُ
ونَشرُ مطاوي أنسهِ في نُشورِهِ

٨ رعى اللهُ نجداً ، إذ شكرنا بقربكم
قصارَ ليالي العيشِ بينَ قصورِهِ

٩ وإذْ راقتِ الأبصارُ حُسنى حسانهِ
وأطربتِ الأسماع نجوى سميرِهِ

١٠ واذ بُكرات الرّوضِ ألسنةُ الصّبا
تعبِّرُ في أنفاسها عن عبيرِهِ

١١ وإذ تكتب الأنداء في شجراتهِ
وأوراقها إملاءَ وُرقِ طيورِهِ

١٢ أيا نجد، حياك الحيا بأحبّتي
بهم كنت كالفردوسِ زين نحورِهِ

١٣ وما طابَ عَرف الرِّيح إلاّ لأنّه
أصابَ عَبيراً منك عند عبورِهِ

١٤ ومُطْلَقَةٍ لما رأتنيَ موثقاً
أعِنّةَ دمعٍ أنزعَتْ من غديرِهِ

١٥ تُناشدني باللهِ : مَن لي؟ ومَنْ ترى
يقوم لبيتٍ شدته بأمورِهِ ؟

١٦ فقلتُ لها: باللهِ عودي، فإنّما
هو الكافلُ الكافي بجبرِ كسيرِهِ

(١) الآري : العسل . المشور : المجتنى .

١٧ هو الفلكُ الدوّارُ، لكن علـى الورى
مقدّرةٌ أحداثُهُ من مديرِهِ

١٨ عذريَ أضحى عاذلي في خُطوبِهِ
فيا مَنْ عذيرُ المُبتلى من عذيرِه؟(١)

١٩ يُجرّعني من كأْسهِ صرْفَ صرْفِهِ
فعيشٌ مريرٌ ذوقُهُ في مُرورِهِ (٢)

٢٠ ولستُ أرى عاماً من العمرِ ينقضي
حميداً، ولم أفرحْ بمرِّ شُهورِهِ

٢١ لحى اللهُ دهراً ضاقَ بي، إذ وَسِعتُهُ
بفضلي، كما ضاقتْ صدورُ صدورِهِ (٣)

٢٢ فلم أرَ فيها واحداً غيرَ واعـد
يخيّلُ لي زَوْرَ الخيالِ بزُورِهِ

٢٣ وما كنتُ أدري أنّ فضلي ناقصي
وأنّ ظلامَ الحظِّ من فيضِ نورِهِ

٢٤ كذلك طولُ اللّيلِ من ذي صبابةٍ
يُخبّرُهُ عن عيشهِ بقصورِهِ

٢٥ وما كنتُ أدري أنّ عقليَ عاقلي
وأنّ سراري حادثٌ من سُفورِهِ (٤)

٢٦ وكان كتابُ الفضلِ باسمي مُعنوناً
فحاولَ حظّي محوَهُ من سطورِهِ

---

(١) العذير : العاذر ، والعاذل اللائم .

(٢) الصرف (بالكسر) : الخالص . والصرف (بالفتح) حدثان الدهر ونوائبه . ومرير يقال رجل مرير أي قوي ذو مرة ، ويريد : انه عيش صعب على سبيل المجاز.

(٣) صدور (الثانية) الرؤساء والمقدمون ومن يتصدرون الأمور .

(٤) عاقلي : مقيدي . سراري : خفائي .

٢٧ فيا ليتَ فضلي ٱلآسري قد عَـدِمته
فأضحى فداءً في فكاكِ أسيـرِه
٢٩ أرى الفضلَ، معتادٌ له خَسفُ أهله
كما الأُفق معتادٌ خسوفُ بدورِه
٣٠ أقولُ لعزمي: إن للمجدِ منهجاً
سهول الأماني في سلوكِ وعورِه
٣١ فَهوِّنْ عليكَ الصّعبَ فيه، فإنّما
بأخطارِه تَحظّى بوصلِ خطيرِه
٣٢ ومالي، يافكري، سواكَ مُظاهرٌ
وقد يستعينُ المبتلى بظهيرِه (١)
٣٣ فخلِّ معنّىً خاضَ في غمراته
وحسبكَ معنىً خضت لي في بحورِه (٢)
٣٤ وكنْ لي سفيرَ الخيرِ تسفرْ مطالبي
فحظُّ الفتى إسفارُهُ بسفيرِه (٣)
٣٥ وقُلْ للذي في الجدبِ أطلقَ جَسَدُهُ
سبيلَ الحيا حتى همَى بدرورِه (٤)
٣٦ لماذا حبستمْ مخلصاً في ولائكم
وماالله ملقي مؤمنٍ في سعيرِه ؟
٣٧ وكم فَدْفَدٍ جاوزتُ أجوازَهُ سُرىً
كأنّي وِشاحٌ جائلٌ في خصورِه (٥)

---

(١) المظاهر : المعاون . الظهير : المعين .
(٢) الغمرات : الشدائد .
(٣) السفير : الرسول المصلح بين القوم . الاشعار : مصدر أسفر الصبح أي أضاء . وأسفر وجهه حسناً : أشرق .
(٤) دروره : يقال در اللبن والماء دراً ، سال . وهي الماء : سال .
(٥) الفدفد : الغلاة . الاجواز : جمع الجوز ، وهو وسط الشيء ومعظمه . السرى : السير ليلا.

٣٨ بمهريَّةٍ تحكي بكفِّي زمامَها
وأحكي لكدِّ السَّيرِ بعضَ سيورِهِ (١)

٣٩ وخاطبَ أبكارَ الفدافدِ جاعلٌ
بكَارَ المهارى في السُّرى من مهورِهِ

٤٠ وإنَّ رجاءً بالإمامِ أنوطُهُ
حقيقٌ بآمالي ابتسامُ ثغورِهِ

٤١ تقرُّ بعلياهُ الخلافةُ عينها
فناظرُها لم يكتحلْ بنظيرِهِ

٤٢ أرى اللهَ أعطى يوسفاً حسنَ يوسفٍ
ومكَّنَهُ في العالمينَ لخيرِهِ (٢)

٤٣ برتني صروفُ الحادثاتِ ،فآوني
تضعْ منّيَ الإنعام عند شكورِهِ

٤٤ كذا القلمُ المبريُّ آوتْهُ أنملٌ
فقامَ يؤدِّي شكرَها بصريرِهِ

٤٥ وما زهَرٌ هامي الرَّبابِ يحوكُهُ
تعمَّم هامات الرُّبى بحريرِهِ

٤٦ كأنَّ سقيطَ الطَّلِّ في صفحاتِهِ
سحيراً نظيمَ الدُّرِّ بينَ نثيرِهِ

٤٧ يقابلُ منه النَّرجسُ الوردَ مثلما
رأتْ وجنةَ المعشوقِ عينُ غيورِهِ

٤٨ وللوردِ خدٌّ بالبنفسجِ معذرٌ
ونرجسهُ طرفٌ رنَا بفتورِهِ (٣)

---

(١) المهرية : نجائب تسبق الإبل ، وهي منسوبة إلى (مهرة) ، وهو حي من قضاعة من عرب اليمن ، وقيل : نسبة إلى البلد .

(٢) يوسف (الأولى) المستنجد بالله العباسي . ويوسف (الثاني) هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

(٣) اعذر الغلام : نبت شعر عذاره ، وهو جانب اللحية .

٤٩ بأبهجَ من شعرٍ مدحتكُمُ به
ومعناكُمُ مستودعٌ في ضميرِهِ

٥٠ وماحق هذا الشّعرِ لا لجريرهِ
وقد سارَ في الآفاقِ جيشُ جريرهِ (١)

(١) جرير (الأولى) جرير بن عطية الخطفى الشاعر الاموي المشهور المتوفى سنة ١١٠ هـ.

(حرف الزاي)

(٩٢)

قال في الجهاد على لسان نور الدين * :

(دوبيت)

١ لاراحةَ في العيشِ سوى أنْ أغْزُو
سيفي طَرَباً إلى الطُّلى يَهْتَزُّ

٢ في ذُلّ ذوي الكفرِ يكونُ العزُّ
والقُدرةُ في غيرِ جهادٍ عَجْزُ

(٩٣)

في مدح عز الدين فرّخ شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة ** :

(من الخفيف)

١ شادنٌ كالقضيبِ لدْنُ المهزّه
سلبتْ مقلتاهُ قلبي بغُمزَه

٢ كلّما رُمْتُ وصلَه رامِ هجري
واذا زدتُ ذلّة زادَ عِزّه

٣ للصّبا من عِذاره نسجُ حُسْنٍ
رقمَ المسْكُ في الشّقائقِ طرزَه

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٤٣ .

** الروضتين ١ : ٦٨٤ .

٤ وعزيزٌ عليَّ أنَّ اصطباري
فيه قد عزَّهُ الغرامُ وبزَّهْ

٥ مارأى، مارأيتُ، مجنونُ ليلى
في هواهُ ،ولاكُثيِّرُ عزَّهْ (١)

٦ ماذكرنا الفسطاطَ إلاّ نسينا
ما رأينا بالنّير بينِ والأرْزَهْ

٧ فمها الجيزةِ الجوازي لها الميـ
ـزةُ حسناً على ظِباءِ المزَّةْ (٢)

٨ ونصيري عليه نائلُ عزِّ الـ
ـدين ذي الفضل ، خلَّدَ اللهُ عزَّهْ

٩ فرَّغَ الكنزَ من ذخائرَ مال
مالئاً من نفائسِ الحمدِ كنزَهْ

١٠ همةٌ مستهامة بالمعالي
للدَّنايا أبيَّةٌ مُشمئزَّهْ

(٩٤)

في مدح السلطان صلاح الدين سنة ٥٧١ للهجرة بعد فتح عَزاز * :
(من الرجز)

١ سلَّطتِ المطلَ على نجازها
وضيعتْ حقِّي في مجازها

(١) مجنون ليلى : هو قيس بن الملوح بن مزاحم أحد الشعراء المتيمين في زمن بني أمية المتوفى سنة ٦٨ هـ (فوات الوفيات ٢: ٢٠٨ ، النجوم الزاهرة ١ : ١٨٢ ، الأغاني ٢ : ٥).
وكثير عزه : هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن ، أحد عشاق العرب المشهورين) وهو صاحب عزه بنت جميل بن حفص ، توفي سنة ١٠٥ هـ (وفيات الأعيان ٤ : ١٠٦).
(٢) الجيزة : بليدة في غربي فسطاط مصر (معجم البلدان ٢ : ٢٠٠) . المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق (معجم البلدان ٥ : ١٢٢) .
* سنا البرق الشامي ١ : ٢١٣ ، الروضتين ١ : ٦٥٧ . عزاز ويقال لها أعزاز ، بليدة فيها قلعة شمالي حلب (معجم البلدان ٤ : ١١٨) .

٢ وِصالُهـا مـن الحيـاةِ مُنيتـي
مَن ليَ بالفُرصةِ في انتهازِهـا

٣ وجنتُها الـوردةُ في احمرارِهـا
وقدُّهـا البانـةُ في إهتزازِهـا

٤ شمسُ الضُّحى في الحسنِ لم تُضاهها
بدرُ الدُّجى في التِمِّ لم يـوازِها

٥ أعطاهُ ربُّ العالميـنَ دولـةً
عزّةُ أهلِ الدِّينِ في إعزازِهـا

٦ حازَ العُلى ببأْسهِ وجـوده
وهو أحقُّ الخلقِ باحتيازِهـا

٧ بجدّهِ أفنى كنوزاً فنـيَ الـ
ـملوكُ في الجدِّ على اكتنازِهـا

٨ مهلكُ أهلِ الشّركِ طرّاً : روحـها
أرمنها ، إفرنجها ، إنجازهـا

٩ تفاخرَ الإسلامُ مـن سلطانـه
تفاخرَ الفرسِ بأبراوازهـا (١)

١٠ تَهَنَّ من فتحِ عزازٍ نصـرةً
أوقعت العداةَ في اعتزازِهـا

١١ واليومَ ذلّتْ حلبٌ ، فإنهـا
كانت تنالُ العزّ من عزازِهـا

١٢ وحلبٌ تنفي كمُشتكيـنها
كما انتفتْ بغدادُ عن قيمازِهـا (٢)

---

(١) أبراواز : كسرى أبرويز ، ملك الفرس الساسانيين .

(٢) سعد الدين كمشتكين أحد رجال نور الدين محمود بن زنكي ، توفي سنة ٥٧٣هـ (النجوم الزاهرة ٦ : ٨١) .

قايماز : لعله قايماز الأرجواني الذي دخل ميدان داو الخلافة يلعب الكرة فسقط من الفرس ومات سنة ٥٥٥هـ (النجوم الزاهرة ٦ : ٣٣٢) .

١٣ بَـــرَزْتَ في نصـرِ الهُدى بحجـّـة
وضـوحُ نهّج الحقّ في ابـرازِها
١٤ كم حـامـلٍ للرمحِ عـادَ مبديـاً
عَجْـزَ عجوزِ الحيّ عن عكّازِها
١٥ ارفعْ حظـوظي مـن حضيضِ نقصها
وعدّ عـن هُمّازها لُمّازِها (١)
١٦ والشّعـرُ لابـدّ لـه مـن باعـــث
كحـاجةِ الخيـلِ إلى مهمازِها (٢)

(١) الهماز : العيابون ، اللماز : المغتابون .
(٢) المهماز : حديدة في مؤخر خف الرائض .

(حرف السين)

(٩٥)

قال العماد سنة ٥٨٣ للهجرة في فتح القدس، مخاطباً حسام الدين عمر بن محمد بن لاجين (١) ابن اخت السلطان صلاح الدين *:

(من البسيط)

١ استوحشَ القلبُ مذ غبتم فما آنسا
وأظلمَ اليومُ مذ بنتم فما شَمسَا

٢ ماطبتُ نفساً ولا استحسنتُ بعدكمُ
شيئاً نفيساً ولااستعذبتُ لي نَفَسَاً

٣ قلبي وصبري وغمضي والشّبابُ وما
أَلفتمُ من نشاطي كلّهِ خلسا

٤ وكيف يُصبحُ أويُمسى محبكُمُ
وشوقكم يتولاهُ صباحَ مسا

٥ عادتْ معاهدكمْ بالجزعِ دراسةً
وإنَّ معهدكمْ في القلبِ مادرسا

٦ وكنتُ أحدسَ منكم كلَّ داهيةٍ
وما دهانا من الهجرانِ ماحَدَسا

٧ لمّا هدتْ نارُ شوقي ضيفَ طيفكمُ
قريتُهُ بالكَرى اذرارَ مقتبسا

---

(١) له مواقف مشهورة في الحروب ، توفي سنة ٥٨٧هـ (الفتح القسي ص ٥٧١ ، شفاء القلوب ص ٣٣) .

* الروضتين ٢ : ٨٨ ، ١٠٢ .

٨ ورمتُ تأنيسَهُ حتى وهبتُ له
إنسانَ عيني أفديهِ فما أنِسا

٩ أنا الخيالُ نحولاً فالخيالُ إذا
مازارني كيفَ يلقَى مَنْ بهِ التبسا

١٠ لهفي على زمنٍ قضيتُه طَرَباً
إذ لم أكنْ من صروفِ الدَّهرِ مُحترسا

١١ عسى يعودُ شبابي ناضراً ومتى
أرجو نضارةَ عودٍ للشبابِ عسى

١٢ وشادنٍ يغرسُ الآسادَ ناظرُهُ
فديتُهُ شادناً للأسدِ مُفترسا

١٣ في العطْفِ لينٌ وفي أخلاقه شَوَسٌ
يالينَ عطْفَيْه جنِّبْ خُلْقَه الشَّوَسا(١)

١٤ إن بانَ لبسٌ مضينا لاجئينَ إلى الـ
ـفتَى الحسامِ بنِ لاجينَ بنابلسا

١٥ يميتُ أعداءَه بأْساً ونائلُهُ
يُحيي رجاءَ الذي من نجمهِ أيسا

١٦ ممزق المازق المنسوج عثيره
وقد محا اليوم ليل النَّقع فانطمسا(٢)

١٧ لازلتَ مستوياً فوقَ الحصانِ وفي
حصنِ الحفاظِ ومَنْ عاداكَ منتكسا

١٨ قلْ للمليكِ صلاحِ الدِّينِ أكرمَ من
يمشي على الأرضِ أومَنْ يركبُ الفَرسا

---

(١) الشوس : رفع الرأس تكبراً .
(٢) العثير : التراب والعجاج . النقع : الغبار .

١٩ من بعدِ فتحكَ بيت القدس ليس سوى
صورٍ ، فإنْ فُتحتْ ، فاقصدْ طرابلسا

٢٠ أثِر على يومِ انطرسوسَ ذا لجبٍ
وابعثْ إلى ليلِ أنطاكيةَ العسسا (١)

٢١ وأخلِ ساحلَ هذا الشامِ أجمعه
من العداةِ ومَنْ في دينهِ وكَسا (٢)

٢٢ ولا تدعْ منهمُ نفساً ولا نَفَساً
فإنّهم يأخذونَ النفْسَ والنَفَسا

٢٣ نزلتَ بالقدسِ فاستفتحتَـهُ ومتى
تقصدْ طرابُلُساً فانزلْ على قَدَسا (٣)

٢٤ يا يومَ حطّينَ والأبطالُ عابسةٌ
وبالعجاجةِ وجهُ الشمسِ قد عبَسا

٢٥ رأيتُ فيه عظيمَ الكفرِ محتقراً
مُعفّراً خدُّه والأنفُ قد تعَسا (٤)

٢٦ ياطهرَ سيفٍ برى رأسَ البرنسِ فقد
أصابَ أعظمَ من بالشركِ قد نجسا (٥)

٢٧ وغاصَ ، إذْ طارَ ذاكَ الرأسُ في دمه
كأنّه ضفدعٌ في الماءِ قد عطسا

٢٨ ما زالَ يعطسُ مزكوماً بغدرته
والقتلُ تشميتُ من بالغدرِ قد عطسا

---

(١) انطرسوس : بلدة على سواحل بحر الشام وهي آخر اعمال دمشق من البلاد الساحلية (معجم البلدان ١ : ٢٧٠)
العسس : عس الشيء طلبه أو قصده ليلا ، فهو عاس والجمع عسس .
(٢) الوكس : النقص والشطط .
(٣) قدس : بلد بالشام قرب حمص (معجم البلدان ٤ : ٣١١) .
(٤) تعس : تعس تعسا ، عثر وأكب على وجهه
(٥) البرنس : الأمير ، لقب يلقب به كل عضو من الأسر المالكة (فرنسية)

٢٩ عرّى ظُباهُ من الأغماد مهرقـــةً
أدماً من الشِّرك ردّاها به وكسا

٣٠ مَنْ سيفُهُ في دماءِ القوم منغمسٌ
من كلِّ من لم يزلْ في الكفرِ منغمسا

٣١ أفناهُم قتلهمْ والأسرُ فانتكسوا
وبيتُ كفرهمُ من خُبثهم كُنسا

(٩٦)

هنّأ العماد صلاحَ الدين بفتح القدس سنة ٥٨٣ للهجرة * :

(من الطويل)

١ أطيبُ بأنفاسٍ تطيبُ لكم نفْساً
وتعتاضُ منْ ذكراكمُ وحشتي أُنسا

٢ وأسأل عنكم عافيات دوارسٍ
غدَتْ بلسانِ الحالِ ناطقةً خرْسا (١)

٣ معاهدكمْ ما بالُها كعهودكُم
وقد كرَّرتْ من درْسِ آثارِها درْسا

٤ وقد كانَ في حدْسي لكُمْ كلَّ طارقٍ
وما جئتمُ من هجركم خالفَ الحدْسا

٥ أرى حدثانَ الدّهْرِ ينْسَى حديثُهُ
وأمّا حديثُ الغدْرِ منكُمْ فلايُنْسَى

٦ تزولُ الجبالُ الرّاسباتُ وثابتٌ
رسيسُ غرامٍ في فؤادي لكُمْ أرْسَى

٧ حَسبْتُ حبيبي قاسيَ القلبِ وَحْدَهُ
وقلبُ الذي يَهْوَى بحملِ الهَوى أقْسَى

---

* الروضتين ٢ : ٨٣، ١٠١ ، معجم الأدباء ٧: ٨٨ ، شفاء القلوب ص ١٥٠.

(١) الدوارس : جمع دارس ماامحي من الآثار .

٨ أَما لكمُ يامالكي الرقِّ رِقـــــةٌ
يطيبُ بها مملوككمْ منكمُ نَفْسا
٩ وإنَّ سروري كنتُ أَسمعَ حسَّــهُ
فمذ سرتُ عنكم ماسمعتُ له حسّا
١٠ وإنَّ نهاري صارَ ليلاً لبعـــــدِكـمْ
فما أَبصرَتْ عيني صباحاً ولا شَمْساً
١١ بكيتُ على مستودعاتِ قلـــوبكــمْ
كماقدبكتْ قِدْماً علىصخْرِها الخنسا(١)
١٢ فلا تحبسوا عنّي الجميلَ فإنّنـــي
جعَلْتُ على حُبّي لكم مُهْجتَيحبْسا
١٣ رأَيتُ صلاحَ الدِّينِ أَفضلَ مَنْ غدا
وأشرفَ مَنْ أَضحى وأَكرمَ من أَمسى
١٤ وقيلَ لنا في الأَرضِ سبعةُ أَبْحُرٍ
ولسنا نرى إلاّ أَناملَهُ الخَمْسـا
١٥ سَجيّتُهُ الحُسنى ، وشيمتُهُ الرِّضـا
وبطشتُهُ الكُبرى،وعزمتُهُ القَعْسا (٢)
١٦ فلا عدمتْ أَيامنا منــه مشرقــــاً
ينيرُ بما يولي ليالينا الدُّمْســـا (٣)
١٧ تنودُكَ أَملاكُ السماءِ وظَنهــمُ
عـداتُكَ جنَّ الأرضِ فيالفتك لاالإنسا

(١) صخر هو أخو الخنساء الشاعرة ، وكان من فرسان بني سليم ، جرح في غزوه له على بني أسد ابن خزيمة ومات سنة ١٠ ق ه وبكته أخته بكاء فريداً (الأصمعيات ص ١٣٦ ، نهاية الارب، ١٥ : ٣٦٦) .
(٢) القعسا : الثابتة العالية .
(٣) ليالينا الدمسا : أي المظلمة .

١٨ فلا يستحقُّ القدسَ غيرُكَ في الـــورى
فأَنتَ الذي من دونهم فتحَ القُدسا

١٩ ومنْ قبلِ فتحِ القُدسِ كنتَ مقدَّساً
فلا عَدِمَتْ أَخلاقُكَ الطُّهْرَ والقُدسا

٢٠ وطَهرْتَهُ من رِجْسهمْ بدمائهـــم
فأَذهبتَ بالرِّجس الذي ذَهبَ الرِّجْسا

٢١ نَزَعْتَ لباسَ الكُفْرِ عن قُدْسِ أَرَضِها
وأَلبَسْتَها الدِّينَ الذي كشفَ اللَّبسا(١)

٢٢ وعادتْ ببيتِ اللهِ أَحكامُ دينــــه
فلا بَطركاً أَبقيتَ فيها ولا قَسا (٢)

٢٣ وقد شاعَ في الآفاقِ عنــكَ بشارةٌ
بأَن أَذان القدسِ قد أَبطَلَ النقسا

٢٤ جرى بالذي تَهْوَى القضاءُ وظاهَرَتْ
ملائكةُ الرَّحمنِ أَجنادَكَ الحُمسا (٣)

٢٥ وكـــم لبنـــــي أَيوبَ عبدٌ كعنترٍ
فإنْ ذُكروا بالبأْسِ لايَذْكُروا عبْسا(٤)

٢٦ وقد طابَ رَياناً على طبريـــــة
فيا طيبَها مغنىً ، وياحسنها مرسَى !

٢٧ وعكا ، وما عكا ،فقد كانَ فتحُهـا
لإجلائهم عن مُدْنِ ساحلهم كَنْسا

٢٨ وصيدا وبيروتُ وتبنينُ كلُّهـــا
بسيفكَ أَلفى أَنفُهَ الرَّغْمَ والتعْسْا(٥)

---

(١) اللبس : اختلاط الأمر والغموض .
(٢) البطرك : رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية .
(٣) الحمس : جمع أحمس ، المشتد الصلب .
(٤) معجم الأدباء : لم يذكروا .
(٥) تبنين : مدينة بين دمشق وصور (معجم البلدان ٢ : ١٤) .

٢٩ ويافا وأرسوفٌ وتُبنَى وغـــزّةٌ
تَخِذْتَ بها بين الطُّلى والظُّبى عُرْسا(١)

٣٠ وفي عسقلانَ الكفرُ ذلّ بملككـم
فمنظرُهُ ، بلْ أمرُهُ اربدّ وارجَسا (٢)

٣١ وصارَ بصورٍ عصبـة يرقبونكـم
فلا تُبطئوا عنها وحَسْوهمُ حَسا

٣٢ توكلْ على اللهِ الذي لكَ أصبحـتْ
كلاءتُهُ دِرعاً ، وعصمتُه ترْسا(٣)

٣٣ ودمّرْ على الباقينَ ، واجتثّ أصلَهُمْ
فإنكَ قد صيّرْتَ دينارَهم فَلْسا

٣٤ ولا تنسَ شركَ الشرقِ غربك مـروياً
بماءِ الطُّلى من صادياتِ الظُّبى الخمسا

٣٥ وإنّ بلادَ الشرقِ مظلمةٌ فَخُـذْ
خراسانَ والنهرينِ والتُّركَ والفُرْسا

٣٦ وبعد الفرنجِ الكُرْكَ ،فاقصدْ بلادَهُم
بعزمكَ واملأْ من دمائهمُ الرَّمْسا (٤)

٣٧ أقامتْ بغاب الساحلين جنودكـم
وقد طردتْ عنه ذئابَهمُ الطُّلْسا (٥)

---

(١) أرسوف : مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين قيسارية ويافا (معجم البلدان ١ : ١٥١) . تبنى : بلدة بحوران من أعمال دمشق (معجم البلدان ٢ : ١١٤) .

(٢) عسقلان : مدينة من أعمال فلسطين (معجم البلدان ٤ : ١٢٢).

(٣) الكلاءة : كلأك الله كلاءه أي حفظك وحرسك .

(٤) الرمس : القبر .

(٥) الذئاب الطلس : التي تساقط شعرها ، وقيل : الخبيثة .

٣٨ سحبتَ على الأُرْدُنِّ رُدْناً من القنـا
رُدَينيّةً مُلْداً وخَطِّيّـةً مُلْسا

٣٩ حططتَ على حطِّينُ قـدرَ ملوكهـمْ
ولم تُبقِ من أجناسِ كفرهمُ جِنْسا

٤٠ ونعْمَ مجالُ الخيلِ حطِّينُ لم تكنْ
معاركُها للجُرْدِ ضرْساً ولا دَهْسا (١)

٤١ غداةَ أُسُودُ الحربِ مُعْتَقِلُو القَنا
أَساودُ تبغي من نُحورِ العِدا نَهْسا (٢)

٤٢ أتوا شُكُسَ الأَخلاقِ خُشْناً فليّنتْ
حُدودُ الرِّقاقِ الخُشْنُ أَخلاقَها الشُّكْسا

٤٣ طردتَهُمُ في المُلْتقى وعكستَهُمْ
مُجيداً بحكمِ العَزْمِ طَرْدَكَ والعَكْسا

٤٤ فكيفَ مكسْتَ المشركينَ رؤوسَهُمْ
ودأْبُكَ في الإحسانِ أن تُطْلِقَ المَكْسا

٤٥ كسرتَهُمْ إذْ صحَّ عزمُكَ فيهمُ
ونكَّسْتَهمْ إذْ صارَ سهمُهُمُ نَكْسا

٤٦ بواقعةٍ رَجّتْ بها الأرضُ جيشَهُم
دماراً كما بُسَّتْ جبالُهُمُ بَسّا (٤)

٤٧ بطونُ ذئابِ الأرضِ صارتْ قبورُهمْ
ولم تَرْضَ أرضٌ أنْ تكونَ لهم رَمْسا

---

(١) الجرد: الخيل لا رجالة فيها. والضرس: الأكمة الخشنة . والدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

(٢) نهسا : مصدر نهس ، أي تبغي أن تهشمه بمقدم أسنانها وتنتفه نتفاً .

(٣) يمدح جنود صلاح الدين بأنهم حاربوا قوماً خشناً أخلاقهم صعبة ، فانتصروا عليهم ، وتمكنوا من تليينهم والغلبة عليهم بحدود سيوفهم الخشنة .

(٤) بسا : أي فتتت وصارت كالهباء المتطايرْ في الهواء .

٤٨ وطارتْ على نارِ المواضي فراشُهُـــمْ
صلاءً فزادتْ من خمودِهم قَبْسا (١)

٤٩ وقد خشعتْ أصواتُ أبطالها فما
يعي السّمعَ إلاّ من صليلِ الظُّبى هَمْسا

٥٠ تُقادُ بدأْماءِ الدّماءِ ملوكهـــم
أسارى كسُفْنِ اليمِّ نُطّتْ بها القَلْسا (٢)

٥١ سبايا، بلادُ الله مملوءةٌ بهـــا
وقد شُرِيَتْ بَخْساً وقد عُرِضَتْ نَخْسا

٥٢ يُطافُ بها الأسواق لاراغبٌ لـها
لكثرتها، كم كثرةٍ تُوجب الوَكْسا(٣)

٥٣ شكا يَبَساً رأْسُ البرنْسِ الذي به
تَنَدّى حسامٌ حاسمٌ ذلكَ اليُبْسا

٥٤ حسا دَمَهُ ماضي الغرارِ لقدره
وماكان لولا غدرُه دَمُهُ يُحْسَى

٥٥ فللهِ ماأهدَى فتكتْ بـــه
وأطهرَ سيفاً معدماً رجسَهُ النَّجْسا!

٥٦ نسفتَ بهِ رأْسَ البرنْسِ بضربة
فاشبهَ رأسي رأْسَهُ العهْنَ والبُرْسا(٤)

٥٧ تبوّغَ في أوداجهِ دمُ بغيــه
فصالَ عليه السّيفُ يلحسُهُ لحسا (٥)

---

(١) نار المواضي : لمعان السيوف . والفراش : طائر يحوم حول النار ، فهو يشبههم بالفراش في خفة حلومهم .
(٢) الدأماء : البحر . نط : شد . القلس : الحبل الضخم .
(٣) الوكس : البخس في الثمن .
(٤) البرس : القطن .
(٥) تبوغ : يقال تبوغ به الدم : هاج ، وتبوغ الدم بصاحبه فقتله.

٥٨ بعثتَ إمامَ أُمةِ النصارِ نحــوهـا
فزارَ إمام أرناطها ذلكَ الحبسا (١)
٥٩ ولله نصٌ النصرِ جاءَ لنصلـه
فلا قونَساً أبقى لرأسٍ ولاقَنْسا(٢)
٦٠ حكَى عنقَ الداويَّ صلٌ بضربة
طريرُ الشبا عوداً لمضرابهِ حسا (٣)
٦١ أيوم وغىً تدعوه أم يوم نائلٍ
وأنتَ وهبتَ الغانمينَ به الخُمسا؟
٦٢ وقد طابَ ريّاناً على طبريّة
فيا طيبَها رِياً، ويا حُسْنَها مرسى!

(٩٧)

في مدح تقي الدين عمر سنة ٥٨٢ للهجرة* :

(من الطويل)

١ عفا اللهُ عنكم عنذوي الشّوقِ نفّسوا
فقد تَلفَتْ منا قلوبٌ وأنفسُ
٢ ألم تعلموا أنّي من الشّوقِ مُوسرٌ ؟
ألم تعلموا أنّي من الصّبرِ مُفلسُ؟
٣ ظَنَنْتُمْ بعيني أنّها تألَفُ الكَرى
فهلاّ بعثتمْ طيفَكُم يتجسّسُ

(١) أرناط : هو رينودي شاتيون صاحب الكرك .
(٢) القونس : أعلى البيضة من الحديد . القنس : الأصل .
(٣) الداوى : الداوية طائفة من الفرنجة ، يدعى أتباعها بفرسان المعبد
* الروضتين ٢ : ٧١ ، وقد نقل أبو شامة المقدسي مقدمة هذه القصيدة من كتاب البرق الشامي فقال : «قال العماد : ومدحت تقي الدين عمر بقصيدة سينية قطوفها دانية جنية ، تشتمل على مئة وأربعين بيتاً ، أنشدته إياها في ثالث رمضان من هذه السنة بدمشق» .

٤ وليس لقلبي في السرور تصرّفٌ
فقلبي على الأحزانِ وقفٌ مُحبّسُ

٥ لفتكِ محبيهِ تيقّظ طرفُهُ
وتحسبُهُ من سقمِ عينيهِ ينعسُ

٦ له ناظرٌ عند الخلاف مناظرٌ
يقولُ دليلُ الدّلّ عنديَ أقيسُ

٧ اذا درستْ ألحاظُه السّحرَ أصبحتْ
رسومُ اصطباري دُرّساً حينَ تدرسُ

٨ ولم أنسَ أُنسي بالحمى، رعَى الحمى
عشيّةَ لي مَجنَى ومَجلَى ومجلسُ

٩ لحى اللهُ أبناءَ الزّمانِ فكلُّهم
صحيفتُه أودَى بها المتلمّسُ (١)

١٠ ولولا ابتساماتُ المظفّرِ بالنّدى
لما راقَ نفسي صبحُهُ المتنفسُ

١١ جلَتْ شمسُ لقياهُ الحنادسَ بعْدَما
عرتنا، وهل يَبْقَى معَ الشّمسِ حنْدسُ (٢)

١٢ وصارَ به هذا الزّمانُ جميعُهُ
نهاراً فما للناسِ ليلٌ مُعَسْعسُ (٣)

١٣ إذا صالَ فالمغلولُ ألْفٌ مُدرّعٌ
وإن جادَ فالمبذولُ ألفٌ مُكيّسُ

---

(١) صحيفة المتلمس : تضرب لمن يحمل كتاباً فيه حتفه . وذلك أن عمرو بن المنذر حمل المتلمس وطرفه كتابين إلى عامله على البحرين يأمره فيهما بقتلهما ، فأما المتلمس فعرف مافيه فألقا، في نهر الفرات ولم يذهب ، وذهب طرفة بالكتاب فقتل (انظر جمهرة الأمثال ٢ : ٥٧٩-٥٨٢) .

(٢) الحندس : الظلمة ، والحنادس : ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن.

(٣) معسعس : عسعس الليل ، أقبل بظلامه .

١٤ وليس بمغبونٍ على فضلِ رأْيـــه
ويغبنُ في الأَموالِ منه ويبخسُ

١٥ اذا أَطلقَ الملْكُ المظفّرُ في الوغـى
أَعنّتَهُ ، فالشّمسُ بالنّقعِ تحبس

١٦ فذاكَ ملوكٌ لا يُلَبّونَ داعيـــاً
وكلّهم عـن دعـوةِ الحقِّ يخنسُ

١٧ تَشكّى إليكَ الغَرْبُ جورَ ملوكــه
فأَشكيتَــهُ والجورُ بالعدلِ يعكسُ

١٨ سيهدي الى المهديّةِ النّصرَ والهُــدَى
بهديكُم فيها وتونسُ تُؤْنَسُ (١)

١٩ رَدَدْتَ كراديسَ الفرنجِ وكلُّهــم
لَدَى الأَسرِ في غلّ الصّغارِ مُكَرْدَس(٢)

٢٠ وبَيّضْتَ وجهَ الدّينِ يومَ لقيتهــم
وأَبيضكمْ من أسودِ القصرِ أَشوس(٣)

٢١ أَفادَ دَمُ الأَنجاسِ طُهْرَ سيوفكم
وما يستفادُ الطُّهْرُ لولا التّنَجُّسِ

٢٢ شموسُ ظُبىً تغدو لها الهامُ سُجّداً
فـلـلـهِ نصـرانيّـةٌ تتَمّجسُ

٢٣ وكم كُفيَ الإسلام سوءاً بملككــم
كفيتمْ على رغم المعادينَ كلَّ سو

٢٤ ولايفتحُ البيتَ المقدّسَ غيـر كــمْ
وبيتكمُ من كلِّ عابٍ مُقَدّسُ

(١) المهدية : موضع بأفريقيا (معجم البلدان ٥ ؛ ٢٢٩) .
(٢) الكراديس : كتائب الخيل . الصغار : الذل . المكردس : الذي شدت يداه ورجلاه وصرع.
(٣) أشوس : أشجع .

٢٥ لهم كلَّ يومٍ في جهادٍ مُثلَّثٌ
اذا نصروا التوحيدَ فيءٌ مُخَمَّسُ

٢٦ اذا ماتقيُّ الدِّين صالَ تساقطتْ
لأقدامهِ من عصبةِ الشِّركِ أرؤسُ

٢٧ وماعمرٌ إلا شبيهُ سَمِيِّه
شديدٌ على الأعداءِ ثَبْتٌ عَمَرَّسُ (١)

(٩٨)

طلب العماد من السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة جاريةً من سبي الأسطول في أبيات هي *:

(من السريع)

١ يُؤمِّلُ المملوكُ مملوكَه
تبدِّلَ الوحشةِ بالأُنس

٢ تُخرجُهُ من ليلِ وسواسه
بطلعةٍ تشرقُ كالشَّمسِ

٣ فوحدةُ الغربةِ قد حرَّكتْ
سواكنَ البلبالِ والمسِّ

٤ فلا تدعْ يهدمُ شيطانُهُ
ماأحكمَ التقوى من الأُسِّ!

٥ فَوَقِّعِ اليومَ بمطلوبه
مما سَبَى الأسطولُ بالأمسِ

(١) عمر : هو تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين وسميه : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . العمرس : القوى الشديد .
* البرق الشامي ٥ : ٨١ أ ، الروضتين ٢ : ٤٦ .

٦ لازلتَ وهّاباً لما حازَهُ
سيفُكَ من حورٍ ومنْ لُعْسِ (١)
٧ وإنّني آملُ من بعدِها
كرائمَ السّبي منَ القُدسِ (٢)

(٩٩)

كتب العماد سنة ٥٦٠ للهجرة إلى صديقه ببغداد علم الدين علي بن اسماعيل الركابدار (٣) رباعية : *

١ هبّت سحراً فنبّهتْ وسواسي —
نشوى خَطَرتْ عليلةَ الأنفاسِ
٢ أهدتْ أَرجَ الرَّجاءِ بعدَ اليأْسِ
ما أَطيبَ بعدَ وحشتي إيناسي!

(١٠٠)

ومن حكمياته : **

(من السريع)

١ إقنعْ ولا تطمعْ ، فإنَّ الفتى
كمالُهُ في عزّةِ النّفسِ
٢ وانّما ينقصُ بدرُ الدُّجَى
لأخذِهِ الضّوءِ من الشّمسِ (٤)

---

(١) اللعس : الذين في شفاههم سواد .
(٢) قال العماد : فجاء الأمر على وفق الأمل فوهب لي ماأملت عام القدس (الروضتين ٢ : ٤٦)
(٣) هو الشاعر علم الدين أبو الحسن علي بن اسماعيل الجوهري المعروف بالركابدار العضدي (الخريدة ، قسم العراق ، ٣/٢:٥٤). أما وظيفة الركابدار ، فهي حمل الغاشية بين يدي السلطان في الموكب ، كموكب العيد ونحوه (صبح الأعشى ٤:٧،١٢).
* سنا البرق ١:١٠٤ .
** معجم الأدباء ٧:٩٠ ، طبقات الشافعية ٦:١٨٣ ، الوافي بالوفيات ١:١٣٩.
(٤) الوافي : لأخذه النور .

(١٠١)

قال العماد في سنة ٥٧٣ للهجرة : كنا سائرين في رفقة أهل الأدب نتجارى فيما عنّ لنا فيه من الأرب ، وكل يقترح معنىً ويقتطف مجنىً... واقترح عليّ في اسم بلق ، فقلت : *

(من الرمل)

١ اسم من قد ركب الأبلق
كي يتعدّى ، ظاهرٌ في فرسهْ

٢ وهو قلبُ القلبِ أَبغى قلبه
فأنا من أجل ذا في هَوَسهْ

٣ ومتى أَسكنُ في جنّتهِ
مستمداً ريحها من نفسه

---

* البرق الشامي ٣ : ٢٩ب .

(حرف الشين)

(١٠٢)

في مدح السلطان صلاح الدين سنة ٥٧١ للهجرة : *

(من المتقارب)

١ سواكَ لسهمِ العُلى لنْ يريشا
فنسألُ ربَّ العُلى أنْ تعيشا (١)

٢ من النّاسِ بالبرِّ صدْتَ الكرامَ
وبالبأْسِ في البَرِّ صدْتَ الوحوشا

٣ وكم سرتَ من مصرَ نحو العريشِ
فهدَّمتَ للمشركينَ العُروشا(٢)

٤ سرايـاكَ تبعثُ قدّامها
من الرُّعبِ نحو الأعادي جيوشا

٥ ويومَ حماةَ تركتَ العداةَ
كما طيّرتْ بالفلا الرِّيحُ رِيشا

---

* الروضتين ١ : ٦٤٣ ، مفرج الكروب ٢ : ٣٦

(١) يريش : راش السهم ، ألزق عليه الريش .

(٢) العريش : مدينة في الشمال الشرقي من القاهرة ،كانت أول عمل مصر من ناحية الشام (معجم البلدان ٤ : ١١٣) .

(١٠٣)

قال العماد عند توديع السلطان صلاح الدين إلى مصر سنة ٥٧٦ للهجرة: وكتبتُ إليه يوم توديعه كلمة شينية عَظم شانها ، وتمّم بالإحسان إحسانها، وسيّر لي مع فروةٍ وإكديشٍ عطاءً ، لم يترك إسراعه للحمد إبطاءً . ومن أبياتها : *

(من الخفيف)

١ أَسأَلُ اللهَ ذا العُلى أن تعيشا
ألفَ عامٍ لنصرِهِ مستجيشا(١)

٢ رعبكمْ يقلعُ القلاعَ ويُضحي الـ
ـرَّعْن عنها من بأْسكم منفُوشا (٢)

٣ ما أكدّي شيئاً سوى فروةٍ منـ
ـكَ وأبغي لسفرتي إكديشاً(٣)

٤ كيف يخلو من دفءٍ ظَهرٍ ، وظهرْ
سالكٍ طُرقَ أيلةٍ والعَريشا

(١٠٤)

قال العماد * *

(من مجزوء الرجز)

١ نفسي فداءُ شادن
(كان) على الدّلّ نَشا (٤)

---

* سنا البرق الشامي ١:٣٥٥ ، الروضتين ٢:١٩ .
(١) مستجيشاً : استجاش غضبه ، اسرع غضبه .
(٢) الرعن : الجبل الطويل .
(٣) الروضتين : لست أكدي .
** سنا البرق الشامي ١:٢٢٩ .
(٤) في عجز البدت سقط وقد أصنفنا مابين المعقوفتين ليستقيم البيت وزناً ومعنى .

٢ وافـى نـزيـف قـهـوة
يـحـمـلهـا مـرتـعشاً(١)

٣ وخـده من أثـر الـلـثـم كـأن قـد خُـدشا

٤ وكـاد يـمـحـو لـثـمه
عـذاره المـنـقـشا

٥ كـأنـمـا وجـنـتـه
وردٌ بـطـلٍ رُشـشـا

٦ رأيـتـه فـكـدت مـن
عُـجْـبـي بـه أن أُدْهَـشا

٧ هـممـت أحـيـانـاً بـه
لـولا الـتـقى ، أن أبطشا

(١٠٥)

قال في التشوّق إلى مصر سنة ٥٧٣ للهجرة : *

(من مجزوء الكامل)

١ يـا حـبـذا مـصـرٌ وبـر
كَـتُـهـا ، وصـدرٌ ، والعـريشُ

٢ فـهـنـاك أمـلاكـي الـذيـ
نَ سَمَتْ بعزّهم العروشُ

(١) في الأصل : «زيف» ، والصواب هو ماأثبتناه .
* الروضتين ١:٧٠٨ .

(١٠٦)

كتب العماد إلى صلاح الدين في طلب كنبوش (١) سنة ٥٦٣ للهجرة: *

(من الخفيف)

١ أَصبحتْ بغلتي تَشكّى من العُرْ
ي ، وأَسراجُها بلا كَنْبُوشِ

٢ قلتُ : كُفّي ، فخيرُ يوملكِ عندي
أَنْ تفوزي بالتبنِ أو بالحشيشِ

٣ وافرحي ليلةَ الشّعيرِ كما يفـ
رحُ قومٌ بليلةِ الماشوشِ(٢)

٤ لو تبصّرتِ حالتي لتصبّر
تِ ، فإياكِ عندها أَنْ تطيشي

٥ أَوَما ماتَ في الشّتاءِ من البر
دِ ، ومن فرطِ جُوعهِ ، إكديشي

٦ فثقي واسكني بجودِ صلاحِ الدّ
ينِ غرسِ الملوكِ مَلْكِ الجيوشِ

٧ فهو يجلوكِ للعيونِ بكَنْبو
شٍ جديدٍ مستحسنٍ منقوشِ

٨ كم عدوٍ من بأْسهِ في عثارٍ
ووليٍ بجودهِ منعوشِ

٩ والموالي على الأَسرّةِ ، والأعـ
ـداءُ تحتَ الهوانِ فوقَ النُّعوشِ

---

(١) كنبوش : بردعة تجعل تحت السرج (فارسية) .

* الروضتين ١ :٣٨٣ .

(٢) ليلة الماشوس : أحدى ليالي المرح والابتهاج عند المسيحيين .

(١٠٧)

قال العماد في حوادث سنة ٥٦٨ للهجرة: وسار نورالدين إلى مرعش(١)، وفارق دمشق في أطيب فصولها أيام المشمس، فكتبت إلى بعض أصدقائي بها: *

(من المتقارب)

١ كتابي، فديتك من مَرْعشِ
وخوف نوائبها مُرعشي

٢ ومامرَّ في طُرْقها مُبصرٌ
صحيحٌ النواظرِ إلا عشي

٣ وما حلَّ في أرضها آمنٌ
من الضَّيم والضُّرِّ إلا خشي

٤ تُرنِّحُني نشواتُ الغرام
كأنّي من كأسهِ مُنتشي

٥ أبيتُ، ونارُ الأسى مَضجعي
وأُمسي وجمرُ الغضا مَفْرَشي

٦ وأُصبحُ ولهانَ وجداً بكمْ
كأنّي مصابٌ عليه غُشي

٧ أُسرُّ وأُعلنُ بَرْحَ الجوى
فقلبي يُسرُّ ودمعي يَشي (٢)

٨ وليليَ مِن طولِ ما أشتكي
كليلِ اللّديغِ مِن الحرْبشِ (٣)

---

(١) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (معجم البلدان ٥:١٠٧).

* الخريدة، بداية شعراء الشام، ص٦٤، سنا البرق الشامي ١:١٣٤، الروضتين ١: ٥٤٣، عقد الجمان ١٢:١٧٥ أ.

(٢) سنا البرق: برح الغرام.

(٣) الحربش: الأفعى الكبيرة.

٩ وليس سوى ذكركُمْ مؤنسـي
ولكنَّ بعدكُمُ مـوحشـي

١٠ بدلتُ لكم مُهجتي رشـوةً
فحاكـمُ حُبِّكـمُ مرتُشِ

١١ وكيف الى وصلكم أهـتـدي
وخطبُ فراقكمُ مُـدهشي

١٢ وكيف يلذُّ الكرى مُغْـرَمٌ
بنارِ الغرام حشاهُ حُشـي

١٣ بِمَرْعَشَ أبغي وبَلّوطـها
مضاهاةَ جِلّقَ ، والمشمـشِ

١٤ وبالملكِ العادلِ استأنسـت
نجاحاً مُنَى كلِّ مستوحـشِ

١٥ وما في الأنامِ كريمٌ سـواهُ
فانْ كنتَ تُنكرني فتـشِ (١)

---

(١) الروضتين : تنكر ذا .

(حرف الصاد)

(١٠٨)

قال العماد : أنشدت العدل أبا علي بن بختيار الواسطى (١) أبياتاً لي عملتها في البقّ والبرغوث ارتجالاً ... سنة تسع وأربعين وخمسمائه * :

(من الخفيف)

١ يا لحى اللهُ ليلةً قرصتني
في دياجيرِها البراغيثُ قَرصا (٢)

٢ شَربتْ بقُّها دمي فتغنّت
وبراغيثُها تواجَدْنَ رَقْصا

٣ قد تعرَّيتُ مِن ثيابي لكربي
غيرَ أنّي لبستُ منهنَّ قُمْصا

٤ كلّما ازْدَدْتُ منعهنَّ بحرصٍ
عن فراشي ، شرهن فازددنحرصا(٣)

---

(١) ترجم له العماد الأصفهاني ولم يذكر سنة وفاته وقال : كان شاعراً ، كاتباً ، له معرفة بالأدب رقيق الطبع ، حسن النظم ، كان من المعدلين بواسط (الخريدة ، قسم العراق ، ١/٤ : ٣٥٤).

* الخريدة ، قسم العراق ، ١/٤ : ٣٥٥ ، بدائع البدائه ص٣٩٣ .

(٢) لحاه الله : قبحه ولعنه .

(٣) شرهن : اشتد حرصهن واشتهاؤهن .

٥ مِن براغيثَ ، خِلْتُها طافـــرات
طائراتٍ ، جَناحُها قد حُصّا (١)

٦ عرَضَتْ جيشَها الفريقانِ حَوْلــي
وهي أوفَى من أنْ تَعدَّ وتُحصى

٧ لو غزا سنجرٌ بها الغُزَّ يـومـــاً
لم يدع منهم على الأرض شَخصا(٢)

قال العماد في مدح الخليفة المستضيء بالله سنة ٥٦٩ للهجرة في أيام نور الدين محمود بن زنكي * :

(من البسيط)

١ أطاعَ دمعي،وصبري في الغرام عَصَى
والقلبُ جرّعَ من كأس الهوى غصصا

٢ وإنَّ صفو حياتي مايكـــــدّره
إلاّ اشتياقي إلى أحبابيَ الخلصـــا

٣ ماأطيبَ العيشَ بالأحباب لو وصلـوا
وأسعدَ القلبَ مِن بلواه لو خلصا!

٤ زمّوا فؤادي وصبري والكرى معهـم
غداةَ بانوا وزمّوا للنّوى القلصا (٣)

---

(١) بدائع البدائه : قد قصا . حص الطائر : وحص جناحه ، قل ريشه وتناثر .

(٢) السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر ، توفي سنة ٥٥٥هـ (المنتظم . ١٧٨:١ ، الكامل ٩٠:١١).
الغز : جنس من الترك .

* الخريدة ، قسم العراق ، ٦٤:١ ، الأبيات ٣،٢،١ .

(٣) زموا : خطموا . بانوا : فارقوا . النوى : البعد . القلص (بفتحتين) : النوق واحدتها قلوص .

٥ وقفتُ أُتبعِهم قلبي يسايرهم
وأُرسلُ الدّمعَ في آثارِهم قَصصا (١)

٦ ومقلة طالما قرّتْ برؤيتهم
أضحى السُّهادُ لها من بعدِهم رمصا(٢)

٧ لم تحدر الدّمعَ إلاّ أنّها رفعتْ
إلى الأحبّةِ من كربِ الهوى قصصا

٨ رخصتُ بعدَ غلائي في محبتكم
وربَّ غالٍ عزيزٍ هانَ إذ رخصا

٩ أرى أمانيَّ منكم غيرَ صادقةٍ
كذا حديثُ المنى مازالَ مخترصا(٣)

١٠ ياهل تعودُ ظلالُ العيشِ سابغةً ؟
وكيف يرجعُ عيشٌ ظلُّهُ قلصا(٤)؟ !

١١ وحبّذا فُرَصٌ للدّهرِ ممكنةٌ
والدّهرُ من لم تزلْ أوقاتُهُ فرصا

١٢ لهفي على عُنْفُوانِ العمرِ كيف مضى
عني وشيكاً ، ولما تمَّ لي نقصا (٥)!

١٣ ماكنتُ أعلمُ ريعانَ الصِّبا حلماً
إذا انقضى أصبحتْ لذّاته نُغصا

١٤ أيامَ أخلعُ في اللهوِ العذارَ كما
أهوى ، وألبسُ من أطرابهِ قُمصا

---

(١) قص أثره قصاً وقصصاً : تتبعه ، ومنه قوله تعالى : «فارتدا على آثارهما قصصاً» .
(٢) الرمص : وسخ أبيض يجتمع في الموق ، يقال رمصت عينه .
(٣) مخترص : مختلق .
(٤) قلص الظل : انقبض .
(٥) وشيكاً : سريعاً .

١٥ أيامَ لا رَشَــئي يعتــادُهُ مَلَــــلٌ
ولا رِشاء الصِّبا من قبضتي ملصا (١)

١٦ إذ الليالي بمـا أهـوى مُساعفتـــــي
تدني إلى النُّجح آمالاً إليَّ قصى(٢)

١٧ أَروحُ ذا مَـرَحٍ بالوصل مبتهجـــاً
أناله سُؤله مـن دهـره الحصصـا

١٨ أطاعت الغانيات الغيـد منـــه فتـىً
إذا لحى في هَواهنَّ العذول عصى(٣)

١٩ مابالُهـنَّ زهـدْنَ اليومَ فيه ، وقـد
أَفادَهُ الشَيبُ تجريباً وثقلَ حصى(٤)

٢٠ كرِهْنَ بعدَ سوادِ شيبِ لمتّــه
لما رأينَ بياضاً خلْنَهُ برَصا(٥)

٢١ بمهجتي رشأٌ ، قلبي لـه قنـــصٌ
فيا له رشأ للأُسـدِ مُقتنـــصا!

٢٢ تمضي عزائمهُ في قتلِ عاشقـــــه
عمداً ، ويَطلبُ في تعذيبه الرُّخَصا

٢٣ يالائماً بشِـباكِ العذلِ يقنصنـــــي
ولستُ إلاّ لأشراكِ الهوى قَنَصا

٢٤ بغيتَ راحة من تعتـاصُ سلوتـــه
وأتعبُ الناسِ من يبغي الذي عَوِصا(٦)

---

(١) الرشأ : ولد الظبي الذي قد تحرك ومشى . الرشاء : الحبل . ملص : سقط متزلجاً.
(٢) قصى : جمع قصاة ، وهي البعد والناحية ، كالقصا والقاصية .
(٣) لحى : لام .
(٤) ثقل الحصى : كناية عن الرزانة .
(٥) اللمة : الشعر الذي يجاور شحمةالأذن . البرص : داء معروف.
(٦) تعتاص : يقال اعتاص عليه الأمر ، إذا أشتد عليه وصعب . وعوص الشيء : أشتد وصعب.

٢٥ لاتحرصن على ماأنت طالبه
فربما حُرم المطلوبَ من حرصا

٢٦ تبغي بقرعِ عصا التقريع لي رَشَداً
كما ينبأ ذو حلم بقرع عصا (١)

٢٧ أقصرْ ، فلي شعَفٌ بالمجدِ طالَ لـه
باعي ، وطرفُ حسودي دونه بخصا(٢)

٢٨ و أنصفَ الدهر كان الفضل في دَعَةٍ
منه ، وعاثرُ حظّ الفضل منتعصا(٣)

٢٩ ربّى الزّمانُ بنيه شرّ تربيـة
فالجهلُ ذو بطّنةٍ ،والفضلُ قد خمصا(٤)

٣٠ ولا زمانُ الإمام المستضيْ لنـا
لما امتحى ذنب أيامي ولا محصا(٥)

٣١ مَن ألزم الله كلّ الخلقِ طاعتـه
مُخوّفاً منه عصياناً وشقّ عصا(٦)

---

(١) قرعه بعصا التقريع : إذا بالغ في عذله ، والبيت يشير إلى المثل :«إن العصا قرعت لذي الحلم» ، ويضرب لمن إذا نبه انتبه . وأصله -كما في الصحاح- أن حكماً من حكام العرب عاش حتى اهتر ، فقال لابنته : اذا انكرت من فهمي شيئاً عند الحكم فاقرعي لي المجن بالعصا لأرتدع .وفي أول من قرعت له العصا اختلاف استوفي في جمهرة الأمثال ١:٤٠٦.

(٢) اقصر عن الشيْ :كف ونزع مع المقدرة عليه . الشعف : حرقة القلب . بخص العين: قلعها مع شحمتها .

(٣) انتعص : انتعش بعد سقوط .

(٤) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . والخمصة : ضد البطنة .

(٥) امتحى : لغة في محا . ومحص : أخلص مما يشوبه .

(٦) العصا : جماعة الاسلام ، وشق العصا : مخالفة جماعة الاسلام .

٣٢ مَن لاخمائلَ لولا سحبُهُ هطلتْ
ولا مخايلَ لولا برقُهُ وبصا (١)

٣٣ قد عاشَ في العزّةِ القعساءِ حامدُهُ
وماتَ جاحدُهُ من ذِلّةٍ قعصا (٢)

٣٤ مولى لراحةِ أهلِ الأرضِ راحتهُ
وكم يُفرّج عنّا الحادث اللّحصا(٣)

٣٥ بالجودِ للمعتفي حلو الجنى سلساً
بالبأْسِ للمعتدي مُرُّ الإبا عفصا(٤)

٣٦ ياسيّدَ الخلفاءِ الأوصياءِ ، ومَن
نَبتُ المنى منه فيروضِ النّجاحوصى(٥)

٣٧ يامُحكاً كلَّ نظمٍ للزّمان وهَى
وجابراً كلَّ عظمٍ للمُنى وهصا(٦)

٣٨ بالحقِّ إنْ دانتْ الدُّنيا له ، ودنا
سحابُ معروفهِ الهامي إذا نشصا(٦)

٣٩ أنمتَ عدلاً عيونَ العالمينَ بما
أذهبتَ عنها القَذَى والرّينَ والغمصا(٨)

---

(١) الخمائل : جمع خميلة ، وهي الشجر المجتمع الكثيف . المخايل : جمع مخيلة ، وهي السحابة التي تحسبها ماطرة . وبص : برق ولمع .
(٢) القعساء : الثابتة . القعص : الموت المعجل . ومات قعصاً : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .
(٣) اللحص : الضيق .
(٤) المعتفي : من يأتيك طالباً عفوك ومعروفك . العفص : الذي يثخن مصارعه .
(٥) وصى : اتصل .
(٦) وهص : كسر .
(٧) نشص السحاب : ارتفع ، وقيل هراق ماءه .
(٨) القذى : مايسقط في العين والشراب. الرين: الطبع والدنس. الغمص : وسخ يجتمع فيالموق.

٤٠ عدوكم واقعٌ في الرُّعبِ طائــــرُهُ
حتى لقد حسبَ الدُّنيا لـه قفصـــا

٤١ وحسبُ كلِّ حسودٍ أنَّ ناظـــــره
إلى مهالكـه مـن حيرة شخصـــا

٤٢ ياخيرَ مَنْ حجَّ وفدُ اللهِ كعبتَــــهُ
على المطيِّ الذي في سيرِه قمصا (١)

٤٣ وما توجَّه ذو عزمٍ إلى أمـــــلٍ
إلاّ لدى بابهِ عن حَجِّهِ فحصـا

٤٤ سأجتدي وابلاً من جودِه غَـدِقـاً
وأمتري حافلاً من خِلْفهِ لَخصا(٢)

٤٥ وإنَّ عنديَ ذا التوحيد من شَكَــرَ الـ
ـنعمى لديكَ وذا الإشراك من غمصا

٤٦ من ذا الذي سارَ سيري في ولائكـمُ
غداةَ قالَ العدا : لاسيرَ عند عصا؟

٤٧ بعثي على الحقِّ أصفى مصر من رَنقٍ
بها ، وأخرس منها باطلاً نبصا (٣)

٤٨ ونالَ عبدُكَ « محمودٌ » بها ظفـراً
مازالَ يرقُبهُ مـن قبلُ مرتبصا (٤)

٤٩ كلبُ الفرنجِ عوى من خوفِ صولته
وقيصرُ الرُّومِ مِن إقدامهِ معَصا (٥)

---

(١) قمص : وثب .

(٢) الغدق : الغزير . امترى : استدر . الحافل : الضرع الممتلئ لبناً . الخلف : حلمة ضرع الناقة لخص : كثير اللحم لايكاد يخرج اللبن منه إلا بشدة . غمص النعمة : لم يشكرها.

(٣) الكدر . نبص : صوت .

(٤) بصاً : انتظر به خيراً أو شراً يحل به ، كتربص .

(٥) معصت قدمه ، أي التوت من كثرة المشي ، وقيل : المعص وجع يصيبها كالحفا.

٥٠ سطا ، فكم فِقْرَةٍ للكفرِ قد وُقمتْ
وكم وكم عيقٍ للشّركِ قد وقصا (١)

٥١ من خوفِ سطوته أنّ العـــدّو إذا
أَمّ الثُّغورَ على أعقابـهِ نكصا (٢)

٥٢ ورُبَّ معتركٍ رحبِ الفضاءِ بـــــه
أضحى على مَسعريهِ ضيّقاً لقـصا (٣)

٥٣ لما انتشى الهامُ مِن كأسِ النّجيعِ بـه
غنّى المهنّد والخطيُّ قد رقصا (٤)

٥٤ وللكُماةِ على أهوالها نَهَـــــــمٌ
نامٍ كأنَّ بها نحو الرّدى لعصا (٥)

٥٥ والحربُ عضّتْ بأنيابٍ لها عُصُـلٍ
والصَّفُّ أحكم من أضراسها لصصا(٦)

٥٦ والبِيضُ فيه بقدِّ البَيضِ ماضيـــةٌ
والسَّمرُ تخترقُ الماذيّة الدُّلُصا (٧)

٥٧ وكلُّ نفسِ مشيحٍ رهنُ ماكسبـــتْ
والسّامريُّ رهينٌ بالذي قبصا (٨)

---

(٣) الفقرة : جمعها فقر ، وهي خرزات الظهر . وقم : قهر وأذل .
(٥) أم : قصد . نكص : رجع .
(٦) اللقص : الضيق .
(٧) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . الخطي : الرمح .
(٨) الكماة : الشجعان . اللعص : النهم في الأكل والشرب جميعاً.
(٩) عصل : جمع أعصل ، وهو الأعرج . اللصص : تقارب الأضراس .
(١) البيض (الأولى) بكسر الباء : السيوف . البيض (الثانية) بفتح الباء : الخوذ . الماذية : الدروع اللينة أو البيض . الدلص : الملس اللينة ، واحدتها دلاص .
(٢) المشيح : المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره . القبص : التناول بأطراف الأصابع وهو دون القبض . وانظر حديث السامري الذي أضل قوم موسى بعبادة العجل في التفاسير في سورة طه .

٥٨ ومن دماءِ مساعيرِ الهياجِ نـــــــرى
على سوابغها مِن نضحها نُفَصا(١)

٥٩ أعادَ عبدُكَ « نورُ الدِّين » منتصـــراً
ماكان يغلو من الأرواحِ مُرتخصا

٦٠ وكم أخافَ العِدا بالأولياء كمـــــا
أخافت الأسد في إصحارها النُّحصا (٢)

٦١ والمبطلونَ متى طالتْ رقابُهـــــمُ
أبدى من الهُون في أعناقها الوقصا (٣)

٦٢ أعدى نَداكَ أميرَ المؤمنيـــنَ علــى
حظٍّ تعدَّى ، ودهرٍ ريبُهُ قَرَصا

٦٣ نعشتَ فضلي بافضالٍ حَلَلْتَ بـــه
من عَقدهِ مالواهُ الحظُّ أو عَقَصا(٤)

٦٤ تَملَّ مدحَ وليٍّ ، فخرُ ناظمــــه
أنَّ القريضَ الى تقريظكم خلصا (٥)

٦٥ لايصدقُ الشِّعرُ الاّحينَ أمدحكُـــم
وكلُّ مدحٍ سوى مدحيكُمُ خرصا(٦)

٦٦ وكيف أحصي بنطقي فضلَ منتسبٍ
إلى الذي في يديهِ نطقُ كلِّ حصى

---

(١) المساعير : جمع مسعر ، وهو موقد نار الحرب، كأنه آلة في إيقادها . السوابغ الدروع . النضح : الرشح . النفص : جمع النفصة ، وهي الدفعة من الدم .
(٢) إصحارها : بروزها في الصحراء . النحص : جمع نحوص ، وهي من الأتن التي لا لبن لها ، وقيل : النحوص الناقة الشديدة السمن .
(٣) الهون : بالضم ، الهوان . الوقص : قصر العنق كأنما رد في جوف الصدر .
(٤) عقص شعره : ضفره ، وقيل : فتله .
(٥) تمل : استمتع
(٦) خرص : كذب .

(١١٠)

قال العماد : ولمّا فارقتُ العمل بـ«واسط» كتبتُ من بغداد إلى الكمال أبي عبد الله الحسين بن عبد الباقي بن حرّاز * :

(من الكامل ق)

١ أقسمتُ لاجُزْتُ «الكمالَ» مودّةً
إنّ الذي جازَ الكمالَ لناقصُ

٢ أختصُّهُ بالودِّ من دونِ الورى
فله عليهم ميزةٌ وخَصائصُ

٣ صدقَتْ عقيدتُهُ ، وعُقدةُ صدقه
لمّا تُحَلّ ، وسِرُّهُ لي خالصُ

٤ عزَّ الصديقُ، فإنْ قنَصْتَ صداقةً
صُنْها، فإنَّ الأصدقاءَ قنائصُ

٥ تَفْديكَ أشخاصٌ ، وجوهُ ودادِهم
سَفَرَتْ، وأحداقُ الحقودِ شَواخصُ

٦ هجّرْتُ في ظلِّ السُّكونِ إليهمُ
في الحادثاتِ ، وكلُّ ظِلٍ قالصُ(١)

٧ أقرضتهم حُسنَى ، فجازوني بها
سوأى ،وكلٌّ قارضٌ أو قارصُ (٢)

٨ كالماءِ : بانَ الظلُّ معكوساً بـه
فبدتْ مكانَ الرُّوسِ منه أخامِصُ(٣)

* الخريدة قسم العراق ٤/٢:٤٦٣ وانظر ترجمة الكمال في الكتاب نفسه ٤/٢:٤٥٠ .
(١) هجرت : سرت في الهاجرة ، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر . قلص الظل : انقبض ونقص .
(٢) سوأى : سيئة ، ومؤنث الأسوا .
(٣) أخامص : جمع أخمص ، وهو باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض.

٩ قل للثّعالبِ : لاتَغُـرك خلــوةٌ
في الغابِ، لمّا غاب عنه فُرافصُ(١)

١٠ سيعودُ في طلبِ الفرائسِ ضيغــمٌ
ذو سطوةٍ ،وستقشعــرُّ فرائصُ(٢)

١١ كلٌّ لـعقْدِ يمينـه لـي نـاكـثٌ
كلٌّ على عقَبِ المودّةِ ناكصُ(٣)

١٢ ولهـم عقـائدُ ، مـاؤهـنَّ حقائـدٌ
عُقَدُ النِّفاقِ كـأنهـنَّ عقائصُ(٤)

١٣ فرعُ المَعيبِ الأصلِ ، يحكي أصلَهُ
وله مَعايبُ مثلُه ونـقـائـصُ

١٤ جَهْمٌ مُحيـاه ، خبيثٌ عرضُهُ
لؤماً ، وعارِضُه جَهـامٌ ناشصُ

١٥ أَنتَ الذي أَنجدتَـنـي بـنـصيحة
إذ صَرْفُ دَهري عارقٌ لي واهصُ(٥)

١٦ ما خبتُ حينَ فحصتُ عـن مكنونه
ظنّاً ، ألا إنَّ الصّديقَ لفاحصُ

١٧ أفـاضَ لـي سَجْلاً رِشاءُ وفـائـه
كرماً ، وأَرشيةُ الجميعِ موالصُ(٦)

---

(١) الغرافص : الأسد .

(٢) الضيغم :الأسد : الفرائص : جمع الفريصة ، وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع ، وهما فريصتان ، وفي علم التشريح : العضلات الصدرية .

(٣) ناكص : راجع .

(٤) عقائص : جمع عقيصة ، وهي خصلة من الشعر معقوصة ، أي ملوية ومعقودة .

(٥) عارق : عرق العظم ، أكل ماعليه من اللحم ، وعرقته السنون ، نالت منه . واهص : وهص الشيء ، رماه رمية عنيفاً .

(٦) السجل : الدلو العظيمة . الرشاء : الحبل . موالص : سواقط من الأيدي لملاستها .

١٨ كم غصتُ حتى حزتُ ودَّكَ ،أبحراً
ولربّما حازَ اليتيمةَ غائصُ(١)

١٩ سأزُمُّ نحوكَ للّقاءِ قلائصاً
يا خيرَ من زُمّتْ إليه قلائصُ(٢)

---

(١) اليتيمة : الدرة الفريدة التي لانظير لها .
(٢) زم البعير ونحوه : جعل له زماماً . القلائص : النياق .

(حرف الضاد)

(١١١)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٣ للهجرة : وكنت لما فارقت القاهرة استوحشت ، وتشوقت إلى أصدقائي ، وكتبتُ من المخيم ببلبيس (١) إلى القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفرّاش، (٢) وقد أقام بالقاهرة ، وكان صاحباً لي من الأيام النوريّة ، واستشرته في التأخر عن السلطان . فكتبَ في الجواب : رافقْه ولا تفارقْه ، فكرهت رأيه ، فكتبتُ إليه : *

(من البسيط)

١ إذا رضيتُم بمكرُوهي فذاكَ رِضىً
لا أبتغي غير ما تبغون لي غرضا

٢ وإنْ رأيتم شفاءَ القلبِ في مرضي
فإنّني مستطيبٌ ذلكَ المرضا

٣ أنتم أشرتم بتعذيبي ، فصرتُ له
مُستعذباً ، أستَلذُّ الهمَّ والمضضا

٤ أصبحتُ ممتعضاً بي في محبتكم
فحاشَ للهِ أنْ أبغي بكم عوضا (٤)

٥ للهِ عيشٌ تقضّى عندكم ومضَى
وكانَ مثلَ سحابٍ برقُهُ وَمَضا

---

(١) بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام (معجم البلدان ١:٤٧٩)
(٢) انظر ترجمته في الخريدة ، قسم الشام ، ١:٢٨٩ .
* الروضتين ١:٦٩٨ ، البرق الشامي ٣:١٠أ ، سنا البرق الشامي ١:٢٥٤
(٣) سنا البرق : لارضيتهم .
(٤) سنا البرق : إن رمتم عوضاً لي في محبتكم .

٦ العيشُ دانٍ جناهُ الغضُّ عندكم
والقلبُ محترقٌ منّي بجمرِ غَضا

٧ ماكنتُ أَعْهَدُ منكمْ ذا الجفاءَ ولا
حسبتُ أنَّ ودادي عندكم رُفضا

٨ قد أظلمَ الأُفقُ في عيني لغيبتكم
فا نْ أذنْتُ لشخصي فيالحضورِ أضا(١)

٩ ولست أول صبَّ مَن أحبتَهُ
لمّا جفوا ما قَضى أوطاره ، وقضى

١٠ مُروا بما شئتُمُ من محنةٍ وأذّى
فقد رأيتُ امتثالَ الأمر مُعْتَرَضا

١١ طوبى لكم مصرُ ، والدّار التي قُضَيتْ
فيها المآربُ ، والعيشُ الذي خُفضا

١٢ بعيشكم إنْ خلوتم بانبساطكمُ
تذكّروا ضجراً بالعيشِ منقبضا

١٣ رضيتمُ سفري عنكم ، وأعهدُكم
بسفرتي عنكم لا تُظهرون رضى

١٤ هلا تكلفتم قولاً أُسرُّ به
هيهاتَ جوهركم قد عادَ لي عرضا

١٥ تفضّلوا واشرحوا صدري بقربكم
أو فاشرحوا ليَ ذا المعنى الذي غمضا

---

(١) سنا البرق : بغيبتكم ... إذ أنتم .

(١١٢)

قال في مدح الخليفة المستضيء بالله : *

(من الكامل)

١ هل عائدٌ زمنُ الوِصالِ المنْقَضي؟
أَم عائدٌ لي في الصبابة ممرضي

٢ لا أَشتكي إلاّ الغرام فإنّه
بلوى عليَّ من السّماءِ بها قُضي

٣ لا لاح ! حالي في الهوى مشهورةٌ
حاولتَ تسليتي وأَنتَ مُحرِّضي

٤ خَفِّضْ عليكَ ، فما الملامُ بناجعٍ
فيمن يقولُ لكلِّ لاحٍ : خَفِّضِ !

٥ كان التعرُّضُ لي بنصحكَ نافعي
لو كانَ يمكنُ للسُّلوِّ تعرُّضي

٦ عرَّضت وجدي للسلوِّ ، ومُتْعِبٌ
كتمانُ سِرٍّ للوُشاةِ معرَّضِ

٧ أَنفقتُ ذُخرَ الصّبرِ من كلفي ، فهل
من واهبٍ للصّبرِ أَو من مُقرِضِ؟

٨ أَبلُّ مضنىً ، قلبُهُ مُتَهدِّفٌ
لسهامِ رامٍ للّواحظِ مُنبِضِ (١)

* الخريدة ، قسم العراق ، ١:١٧ ، الروضتين ١:٤٨٥ ، سنا البرق ١:١٠٣، عقد الجمان ١٢:١٦٣ب .

(١) بل الرجل وأبل : اذا برأ . المضنى : الذي أثقله المرض . متهدف : يقال أهدف الشيء وأستهدف اذا أنتصب فهو مهدف ومستهدف . منبض : انبض الرامي القوس ، جذب وترها لترن .

٩ شغفي بأغيدَ مُقبلٍ بــــودادهِ
لمحبِّــهِ ، ويصــدُّ صــدَّ المعرضِ

١٠ شكوايَ من دَلٍّ يزيدُ مُحَبَّــبٍ
وضنايَ من صدٍّ يدومُ مُبغَّضِ

١١ ياحبّذا ماءُ العُذيــبِ وحبــــذا
بنطافه الغُزرِ العِذابِ تمضمضي !(١)

١٢ لهفي على زمنِ الشّبابِ ! فإنّنــي
بسوى التأسُّفِ عنه لم أتعــوضِ

١٣ نُقضتْ عهودُ الغانياتِ ، وإنّهــا
لولا انقضاءُ شبيبتي لم تنقــضِ

١٤ كان الصِّبا أضفى الثياب ، وإنّمــا
ذهبتْ نضارةُ عيشتي لمّا نُضـي(٢)

١٥ ياحسنَ أيام الصِّبــا ، وكأنّهــا
أيامُ مولانا الإمامِ المستضــي!

١٦ ذو البهجةِ الزهراءِ ، يشرقُ نورُها
والطلعةِ الغرّاءِ ، والوجهِ الوَضي

١٧ قَسَمَ السَّعادةَ والشقاوةَ رَبُّنــا
في الخلقِ ، بينَ مُحبِّهِ والمبغضِ

١٨ أضفى ظلالَ العَدْل بعدَ تقلُّــصٍ
وبَنَى أساسَ العدلِ بعدَ تقوُّضِ

١٩ فضلَ الخلائفَ والخلائقَ بالتُّقــى
والفضلِ ،والإفضالِ ،والخلقِ الرَّضي

(١) النطاف : جمع النطفة ، وهي الماء الصافي قل أو كثر .
(٢) نضي : خلع .

٢٠ فانْعَمْ أميرَ المؤمنينَ بدولــةٍ
ماتنتهي ، وسعادةٍ ماتنقضــي

(١١٣)

في مدح الخليفة المستنجد بالله سنة ٥٥٧ للهجرة *:

(من الطويل)

١ لقد بسطَ الإحسانَ والعدلَ في الأرضِ
إمامٌ بحكمِ اللهِ في خَلْقه يَقضي

٢ أفادَ المنايا والمنى ، فوليُّــهُ
غدا للمنى يَقضي ،وحاسدُهُ يقضي(١)

٣ مَهيبٌ يُغَضُّ الطّرفُ دونَ لقائــه
يَغُضُّ حياءً وهوفي الحق لايُغضي(٢)

٤ أفي يوسفَ المستنجدِ الله قولُــه :
(كذلك مكنّا ليوسُفَ في الأرضِ)(٣)

٥ ألا ، إنَّ أمراً ليس يُبرَمُ باسمــه
فإبرامُهُ يُفَضي سريعاً إلى النّقضِ

٦ وختمُ دوامِ المُلكِ فيــه ، فللتُّقــى
على مُلكهِ ختمٌ يجلُّ عن الفَضِّ

* الخريدة ، قسم العراق ، ١:٤٣ والبيتان ٤٣،٤٤ في الوافي بالوفيات ١: ١٣٨ وطبقات الشافعية ٦:١٨٢ .

(١) يقضى الأولى : يفصل الأمر . يقضى الثانية : الموت .

(٢) الغض : نقصان الطرف . والاغضاء : مقاربة الانسان بين جفنيه حتى لايبصر شيئاً .

(٣) هذه الجملة القرآنية وردت في آيتين في سورة يوسف ٢١و٥٦ والتساؤل من الشاعر لتعظيم الخليفة بنسبة مانزل من الوحي على محمد –صلى الله عليه وسلم– في يوسف الصديق اليه ، في غاية البرود والغفلة .

٧ لسَيْبٍ وسيفٍ كَفُّهُ ، حالتي نَدىً
وبأْسٍ ، فما تخلو من البسط والقبضِ (١)

٨ صرائمهُ في الحادثـاتِ صـوارمٌ
إذا نَبت الآراءُ عن كشفها تمضي (٢)

٩ بحزمٍ لأسرارِ المقاديرِ مُقتـضٍ
وعزمٍ لأبكارِ الحوادثِ مُفْتـضٌ

١٠ إمامٌ لـه مايُسخطُ اللهَ مسخـطٌ
وما غيرُ مايُرضي الإلهَ لـه مُرضٍ

١١ لكَ النُّـورُ موصولاً بنـورِ محمد
أضاءَتْ بهِ الأنسابُ عن شرفٍ محضٍ (٤)

١٢ وظلُّكَ في شرقِ البـلادِ وغربـهـا
مديدٌ على طولِ البسيطةِ والعَرضِ

١٣ أنمتَ عبادَ اللهِ أمناً ، فلم تـدعْ
عيونَ العدى رُعباً تكحَّلُ بالغمضِ

١٤ فعهدُ الأعادي قالصُ الظلِّ مُنقـضٍ
ونجمُ الموالي طالعٌ غيرُ منقـضٍّ (٤)

١٥ لقـد فرضتْ منكَ النّوافلُ شكـرَها
على النّاسِ حتى قابلوا النّفلَ بالغرضِ (٥)

---

(١) السيب : العطاء .
(٢) الصرائم : العزائم ، واحدها صريمة .
(٣) المحض : الخالص الذي لايخالطه غيره .
(٤) منقض الأولى : اسم فاعل من الانقضاء . منقض الثانية بتشديد الضاد : اسم فاعل من الانقضاض .
(٥) الفرض : ماأوجبه الله تعالى . النفل : الزيادة على الواجب ، ويقال له النافلة .

١٦ وما الفرقُ بين الرُّشدِ والغيِّ في الورى
سوى حُبِّكم في طاعةِ اللهِ والبُغضِ

١٧ رفعتَ منارَ الدِّين عدلاً ، فأهلُـــهُ
من العزِّ في رفعٍ وبالعيشِ في خفضِ

١٨ بخيلٍ كمثلِ العارضِ السَّحِّ كثرةً
تضيقُ صدورُ البيدِ عنها لدى العَرضِ (١)

١٩ معوَّدةٌ خوضَ النَّجيعِ من العدى
إذا انتجعَتْهُ ألسنُ السُّمرِ بالوَخضِ (٢)

٢٠ إذا حَفيتْ منها النِّعالُ تنعّلَـــتْ
بهام عِدىً رُضّتْ بها أيّما رَضٍّ

٢١ حوافرُ خيلٍ ودَّتْ الصيِّـدُ أنّها
تكحّلُ منها بالغبارِ لدى النفضِ (٣)

٢٢ عوارضكم نابتْ عن العارضِ الرَّوي
وآراؤكم أغنتْ عن الجحفلِ العَرْضِ (٤)

٢٣ عدوُّكَ مرفوضٌ بمَجْهلِ حيرةٍ
لقى كلَّ سيلٍ من عقابكَ مُرفضِ

٢٤ عقابُك أوهاهُ فأصبحَ ناكصاً
على عقبيهِ ماله مُنَّةُ النّكضِ (٥)

---

(١) العارض : السحاب يعترض في الأفق . العرض : عرض الجند .

(٢) النجيع : الدم . الانتجاع : طلب الكلأ ، واستعمل هنا على المجاز . الوخض : أن تطعن بالرمح طعناً يخالط الجوف ولا ينفذ .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذي لايلتفت من زهوه يميناً ولا شمالا .

(٤) العوارض : جمع عارضه ،وهي البيان واللسن . الروي : سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع. الجحفل : الجيش الكبير ، ومثله العرض .

(٥) نكص على عقبيه : رجع . المنة : القوة . نكض : لم نجده في معاجم اللغة ، ولعله (النقض) بكسر النون وهو المهزول من السير ناقة أو جملا أو فرساً .

٢٥ لشانئكم قلبٌ من الرُّعبِ خافقٌ
ومن وَهَجِ الحمّى ترى سرعة النبضِ

٢٦ وما صدقتْ إلاّ بوارقُ عدلكم
أوان بروقِ الظلم صادقة الومضِ

٢٧ ويحيا ليحيى كلُّ حقٍ قضى ، وهل
قضى غيركم ما كان للدِّين من قرض؟(١)

٢٨ وزيرٌ بأعباءِ الممالكِ ناهضٌ
اذا عجزتْ شمُّ الرواسي عن النهضِ

٢٩ مشتّتُ شملٍ للّهى غيرُ مُنفضٍ
وجامعُ شملٍ للعُلى غيرُ منفضّ

٣٠ وعزمٌ كحدِّ الصّارمِ السّيفِ مُنتضى
نَضوتَ به ثوبَ الغبارِ الذي ينضي(٣)

٣١ رجوتُ أميرَ المؤمنينَ رجاءَ مَنْ
إلى كلِّ مقصودٍ به قصدُه يفضي(٤)

٣٢ وأشكو إليه نائباتٍ نُيوبها
نوابتُ في عظمي ثوابتُ في نَحضي(٥)

٣٣ ومنكرةٍ إنْ عضّني نابُ نائب
أما عرفَتْ عودي صليباً على العَضّ؟

٣٤ تحضُّ على نِشدان حَظٍّ فقدتُه
اذا الحظُّ لم ينفعْ فلا نفعَ في الحضّ

---

(١) يحيى : هو أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة .
(٢) منتضى : مسلول . ينضي : يهزل .
(٣) يفضي : يوصل .
(٤) النحض : اللحم .

٣٥ يُكلِّفُها حبُّ السّلامةِ أنّها
تُكلِّفُني حبَّ القناعةِ والغضِّ (١)

٣٦ لقد صدَقَتْ إنَّ القناعةَ والتُّقى
لأصونُ في الحالينِ للدِّينِ والعرضِ

٣٧ تقولُ : إلامَ السّعيُ في الرِّزقِ راكضاً
ورزقُكَ محتومٌ وعُمرُكَ في ركضِ

٣٨ ولو كانتِ الأرزاقُ بالسّعي لم يكن
غنى العزِّ معقولاً ولافاقة العِضِّ (٢)

٣٩ إنْ كان هذا البحرُ جَمّاً نَميرَه
ففيمَ اقتناعي عنه بالوشلِ البَرْضِ (٣)؟

٤٠ كفى شرفاً في عصرِ يوسفَ أنّني
لبستُ جديدَ العِزِّ في الزَّمنِ الغَضِّ (٤)

٤١ لساني وقلبي في ولائكَ والثّنا
عليكَ، فما بعضي يغارُ من البعضِ !

٤٢ لَسوَّدَني تسويدُ مدحِكَ في الورى
فإضْتُ بوجهٍ من ولائكَ مبيضٍّ (٥)

٤٣ وما كلُّ شِعرٍ مثلَ شعريَ فيكُمُ
ومَن ذا يقيسُ البازلَ العَودَ بالنقضِ (٦)

---

(١) الغض : احتمال المكروه .
(٢) الغر : يقال رجل غر أي غير مجرب . العض : البخيل والقيم للمال ، يقال : إنه لعض مال ، أي شديد القيام عليه .
(٣) البرض : الماء القليل .
(٤) يوسف : هو الخليفة العباسي المستنجد بالله . الغض : الطري ، أي الجديد .
(٥) إضت : عدت .
(٦) البازل: الجمل في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى . العود : المسن . النقض : المهزول من السير ناقة أو جملا .

٤٤ وما عزَّ حتى هانَ شعرُ ابن هانئٍ
وللسُّنَّةِ الغرّاءِ عزٌّ على الرَّفضِ(١)

(١١٤)

قال العماد : وعملت وأنا في سن الصِّبا ، وشعري حينئذ لا أرضاه :*
(من البسيط)

١ مشطٌ ومنشفةٌ فيه حسدتُهما
دمعي لذا بهما فيّاضُ عارضِهِ

٢ فتلكَ حاظيةٌ من مسِّ أخمَصِهِ
وذاكَ مستغرقٌ في مسكِ عارِضِهِ

(١١٥)

في مدح الخليفة المستضيء بالله سنة ٥٧٠ للهجرة : **
(من الطويل)

١ أَصَحُّ عيونِ الغانياتِ مريضُها
وافتكُ ألحاظِ الحسانِ غضيضُها (٢)

٢ تهزُّ قُدودَ السُّمرِ للفتكِ سحرُها
وتشهرُ من أجفانها البيضِ بيضُها(٣)

٣ وقد طالَ فكري في خصورٍ ضعيفةٍ
بأعباءِ ما في الأُزْرِ كيف نهوضُها؟

---

(١) ابن هاني : هو الشاعر محمد بن هاني الأزدي الأندلسي المقتول سنة ٣٦٢هـ (وفيات الأعيان ٤ : ٤٢١).

* بدائع البدائه ص٢٤٨ .

** الخريدة ، قسم العراق ، ١ : ٧١ .

(٢) الغضيض : الطرف الفاتر .

(٣) السمر الأولى : الرماح . السمر الثانية : النساء السمر . البيض الأولى : السيوف . البيض الثانية : النساء البيض .

٤ غَرِضْنَ بشيبي ، والشّبيبةُ إنّما
يغرُّ الغَريرات الحسانَ غَريضها (١)

٥ سوافرُ غُرٌّ عن وجوهٍ ، لحسنها
معانٍ على فهمي يدقُّ غموضُها

٦ نوافرُ ، مسودُّ الشّبابِ أليفها
حبائب ، مبيضُّ المشيب بَغيضُها

٧ عن المُقْترِ البادي القَتير نِفارُها
وعند الفتى الحالي الثراء ربُوضُها(٢)

٨ كأنَّ قلوبَ العاشقينَ بدينها
رُهونُ غرامٍ ما تؤدّى قُروضُها

٩ وقد غرَّ في ميعادِها وهو خُلّبٌ
كما غَرَّ مِن شَيمِ البروقِ وميضُها (٣)

١٠ أجرني بصبرٍ ، إنَّ فيضَ مدامعي
سيولُ همومٍ في فؤادي مغيضُها (٤)

١١ وهل مطفئاتٌ أدمعي نارَ لوعةٍ
توقّدُ في أرجاءِ قلبي مضيضُها (٥)

١٢ تُكلّفُني نقضَ العهودِ بسلوةٍ
ثباتي على إبرامِ وَجدي نقيضُها

---

(١) غرضن : ضجرن ومللن . الغريرات : البينات الغرارة اللواتي لاتجربة لهن . الغريض : الأبيض الطري .
(٢) القتير : المفتقر . القتير : الشيب .
(٣) خلب : خادع . شيم البروق : أن تنظر إلى سحبها أين تمطر .
(٤) غاض الماء غيضاً ومغاضاً ومغيضاً قل ونقص .
(٥) مضه الهم والحزن مضاً ومضيضاً : أرقه وشق عليه ، والهم يمض القلب أي يحرقه .

١٣ أأغضي على حدٍّ من الضَّيم مُرمِـضٍ
وسيفيَ بتّارُ الحدودِ رميضُها (١)

١٤ أغثنيَ بالإرشادِ ، فالطُّرقُ إنّمـا
يَدُلُّ بها خِرِّيتُها ونفيضُها (٢)

١٥ أعِنّي على بلواي ، فالعمرُ غمـرةٌ
يعاينُ أهوال الردى من يخوضُها (٣)

١٦ شجاني انضمامي ، والخطوبُ كثيرة
إلى خطّةٍ يؤذي الأسودَ بعوضُها

١٧ تساوَى لديها غَثُّها وسمينُـهـا
وأودَى بها منحوضُها ونحيضُها (٤)

١٨ ولي عندَ تحقيقِ المعاني أدلّـةٌ
تزيّفُ في وقتِ النضّارِ نقوضُها

١٩ حُظوظي على عِلاّتِها وشتاتِـها
كأبياتِ شعرٍ مايصحُّ عَروضُها (٥)

٢٠ جوامدُ لكنْ نارُ عزمي تُذيبهـا
جوامحُ لكنْ طولُ صبري يروضها(٦)

٢١ ستشرقُ في أوجِ الصُّعودِ سُعودُها
وإنْ زادَ إظلامَ الحظوظِ حضيضُها

---

(١) مرمض : محرق غيظاً . سيف رميض : ماض حاد .
(٢) الخريت : الدليل الحاذق . النفيض : من قولهم نفض المكان ، اذا نظر جميع مافيه حتى يعرفه .
(٣) غمرة : شدة .
(٤) النحيض : الكثير اللحم ، والمنحوض : الذي اخذ لحمه .
(٥) العروض : ميزان الشعر ، وتطلق على الجزء الأخير من النصف الأول من البيت .
(٦) جوامح : جمع جامحه ، وهي الفرس التي تغلب فارسها . يروضها : يذللها .

٢٢ بجودِ أميرِ المؤمنينَ وسَيبِـــــــه
تفيضُ على أرضِ الأماني فيوضُها

٢٣ إمامُ البرايا خيرُها مُستضيئهـــــا
غزيرُ الأيادي جَمُّها مستفيضها

٢٤ تفيضُ لترويضِ الرَّجاءِ مياهُـــــه
وللنُّجحِ يُرجى عدُّها ونضيضها (١)

٢٥ جزيلُ العطايا ، وافرُ الفضلُ ، وارفُ الـ
ظِّلالِ ، طويلُ المأثراتِ عريضُها

٢٦ تَبدَّلُ بالأموالِ آمالُ وَفـــــدِه
فكم فاقةٍ منّا بوجدٍ يعيضُها (٢)

٢٧ ويفتحُ مِن مُمدَّاحهِ باللُّها اللَّهـــا
وقد حالَ من دونِ القريضِ جَريضُها(٣)

٢٨ اذا اقترحتْ منّا القرائحُ مدحَـــــهُ
تسابقَ من شوقٍ إليه قريضُهـــا

٢٩ مُواليه مشكورُ المساعي نجيحهـــا
وشانيهِ مردودُ المباغي دَحُوضُها

٣٠ أتتنا وفودُ المكرماتِ بجـــــودهِ
ووافى إلينا قضها وقضيضُها (٤)

---

(١) العد : الماء الجاري الذي له مادة لاتنقطع كماء الينبوع . النضيض : الماء القليل .
(٢) الوجد (مثلثة) : الغنى والسعة .
(٣) اللها (بالضم) : العطايا ، مفردها اللهوة . اللها (بالفتح) : جمع لهاة ، وهي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم . حال : منع . الجريض : الغصة ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض (جمهرة الأمثال ١:٣٥٩) .
(٤) القض : الحصى الكبار . القضيض : الحصى الصغار ، يقال : جاؤوا قضهم وقضيضهم أي جاؤوا بالكبير والصغير .

٣١ اذا ظمئت آمالنا وردت لـــــه
بحار لهى يروي العطاش فضيضها (١)

٣٢ من الأسرة الغر التي بولائهـــا
أفاض المبرات الغزار مفيضهـا

٣٣ مكرمـة أعراضها ، ومهانـــة
لإظهار عز الأولياء عروضها (٢)

٣٤ موالاتهم في الله عن صدق نيـة
غسول لأدران الذنوب رحوضها(٣)

٣٥ هم الكاشفو الغماء في كل لزبـة
عدا بنيوب النائبات عضوضها (٤)

٣٦ أضاء بهم شرق البلاد وغربهـا
وحيزت لهم أطوالها وعروضها

٣٧ ومن عجب صلت لقبلة بأسهم
رؤوس أعاد من ظباهم محيضها

٣٨ تدل على الرعب الذي في قلوبهـا
مفاصل للأعداء شاج نقيضها(٥)

٣٩ وما هامر هام من الودق إن بكـى
تبسم مرهوم الرياض أريضها(٦)

---

(١) الفضيض : الماء العذب .
(٢) العروض : الأمتعة .
(٣) رحضه وأرحضه : غسله .
(٤) الغماء : الكرب . اللزبة : الشدة .
(٥) نقيضها : صوت المفاصل والأصابع والأضلاع .
(٦) الودق : المطر . مرهوم الرياض : ممطورها . أرض وأريضة : زكية .

٤٠ رجاً وادِيها وطـابَ نسيمُهـا
وغرَّدَ شادِيها وغنّى غريضُها (١)

٤١ بأغزرَ من جودِ الإمامِ الـذي بـه
إذا شكتِ الآمالُ يشفى مريضُها

٤٢ حباني على ضَنّ الزّمانِ بثـروة
حلا زُبدُها في عيشتي ومخيضها (٢)

٤٣ جناح رجائي ريشَ ، والناسُ منهمُ
رجائيَ محصوص الخوافي مهيضُها(٣)

٤٤ إليكَ — أميرَ المؤمنينَ — أحثُّها
نِياقاً تردّى بالهُزال نغوضُها (٤)

٤٥ طلائعُ آمالٍ ، رَذايا مطالب
تداعتْ بتعريقِ النُّحولِ نحوضُها (٥)

٤٦ حواملُ آرابٍ ، حواملُ نُجحها
إذا عقمتْ ميلادُها ونفوضُها (٦)

٤٧ لئن عافتِ الأقدارُ عن قصدِ بابكم
وعارضني عندَ المسيرِ عروضُها

٤٨ فإنّي أنّى كنتُ في ظلِّ طاعة
لغير هداكم ماتقامُ فروضُها

٤٩ سأطلبُ ربّي في ورودِ بحاركم
وأهجرُ قوماً أظمأتني بروضُها (٧)

---

(١) الغريض : المغني الأموي المجيد (انظر اخباره في الأغاني ٢: ٣٥٩-٤٠١)
(٢) المخيض : اللبن المستخرج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه.
(٣) حص الشعر : حلقه و ذهبه . وهاض الجناح : كسره فهو مهيض .
(٤) التغوض : الناقة العظيمة السنام .
(٥) الطلائح : النوق المتعبة . الرذايا : جمع رذية ، وهي الضعيف من كل شيء . النحض : اللحم ، والجمع نحوض ونحاض .
(٦) الآراب : الحاجات . نفوضها : امرأة نفوض ، نفضت بطنها عن ولدها.
(٧) البروض : جمع برض ، وهو القليل .

(حرف الطاء)

(١١٦)

هنأ العمادُ صلاحَ الدين بالنصر في دمياط سنة ٥٦٥ للهجرة * :

(من البسيط)

١ يايوسفَ الحسنِ والإحسانِ ، ياملكاً
بجدِّهِ صاعداً أعداؤه هبَطوا

٢ حللتَ من وَسَطِ العلياءِ في شَرَفٍ
ومركزُ الشّمسِ من أفلاكِها الوَسَطُ

٣ هنيتَ صونكَ دمياطَ التي اجتمعتْ
لها الفرنجُ فما حَلّوا ولا رَبَطوا

٤ مصرٌ بيوسفِها أَضحتْ مشرَّفةً
وكلُّ أمرٍ لها بالعدلِ مُنْضَبِطُ

٥ وحينَ وافى صلاحُ الدّينِ أَصلحَها
فللمصالحِ من أيامه نَمَطُ

---

* الروضتين ١ : ٤٦١ .

(١١٧)

قال العماد : ولي في صلاح الدين قصيدة طائية عند وصوله إلى الشام واتصالي بخدمته (١) ، أحببتُ اثباتها في الخريدة ، وايداعها في الجريدة لأجل ذكر أخواتها من نظم شعراء العصر في الأقاليم ، وهي هذه * :

(من الطويل)

١ عفا اللهُ عنكم مالكم أيُّها الرَّهــطُ
قسطتمْ ،ومن قلب المحبِّ لكم قسْطُ(٢)

٢ شرطتمْ له حفظَ الودادِ وخُنْتُــمُ
حنانيكمُ ماهكذا الوُدُّ والشَّــرْطُ

٣ جعلتم فــؤادَ المستهامِ بكــم لكــمْ
مَحَطّاً فعنه ثقْلَ همِّكُمُ حُطُّوا

٤ إذا كنتمُ في القلبِ،والدارُ قد نــأَتْ
فسيّانِ مِنْ أحبابهِ القربُ والشَّحْطُ

٥ ثوى هَمُّهُ لما ثوَى الوجدُ عنــده
مقيماً وشطَّ الصبْرُ في جيرةٍ شَطُّوا

٦ وأرَّقَهُ طيفٌ طوَى نحوه الدُّجَــى
وقد كادَ جيبُ الليلِ بالصُّبحِ يَنْعَطُّ(٣)

٧ تشاغلتمُ عنــه وثوقاً بــــودِّهِ
كأنَّ رِضاكم عن محبكمُ سُخْطُ

---

(١) نقل صاحب كتاب الروضتين عن البرق الشامي أن العماد نظم هذه القصيدة سنة ٥٧٠ للهجرة (الروضتين ١ : ٦٣٢) .

* الخريدة ، قسم مصر ، ١ : ٢٥-٣١ وأبيات متفرقة في الروضتين ١ : ٦٣٢ ، وسنا البرق الشامي ١ : ١٨٦ .

(٢) قسطتم : ظلمتم .

(٣) ينعط : ينشق .

٨ جزعتُ غداةَ الجزْعِ لمّا رحلتمُ
وأسْقطني من بينكمْ ذلكَ السِّقطُ(١)

٩ ملكتمْ فأنكرتمْ قديمَ مودّتي
كأنْ لم يكن في البينِ معرفةٌ قَطُّ

١٠ فدَتْ مهجتي مَنْ لايُذَمُّ لمهجتي
إذا حاكَمتْهُ وهو في الحُكْمِ مُشْتطُّ

١١ يُريكَ ابتساماً عن شتيتٍ مُقَبَّل
كأنَّ نظيمَ الدرِّ ألّفَهُ السِّمْطُ(٢)

١٢ وماكنتُ أدري قبل سطوةِ طرفه
بأنَّ ضعيفاً فاتراً مثْلَهُ يَسْطو

١٣ وهبْ أنَّ بالقُرْطينِ منه مُعَلّقٌ
لذنبِ الهوى قلبي فلَمْ عُلِّقَ القُرْطُ

١٤ وأهيفَ للإشفاقِ من ضعفِ خصرِه
محلُّ نطاقٍ للقلوبِ بهِ رَبْطُ

١٥ على قُربهِ في الحالتين مُحَسَّدٌ
من الثّغْرِ والشّعْرِ الأَراكةُ والمشطُ

١٦ بوجنته نورُ المُدامةِ مُشْرِقٌ
ومقلته نَشْوَى وفي فيه إسْفَنْطُ (٣)

١٧ تزينُ عِذاريه كتابةُ حُسْنه
ومن خاله في وجنتيه لها نَقْطُ

١١ فؤادكَ خالٍ ياخليلي فلا تَلُمْ
فؤاداً سباه الخالُ والخدُّ والخَطُّ

---

(١) الجزع : منعطف الوادي . السقط : حيث ينقطع معظم الرمل .

(٢) شتيت مقبل : الثغر المفلج .

(٣) الاسفنط : من أسماء الخمر .

١١ يلازمُ قلبي في الهوى القبضُ مثلما
يلازمُ كفَّ النّاصرِ الملكِ البَسْطُ(١)

٢٠ مليكٌ حوى الملكَ العقيمَ بضبطه
كريمٌ ، وما للمالِ في يدهِ ضَبْطُ(٢)

٢١ ومولى سريرُ الملكِ حفَّ بشخصه
كما حفَّ بالإنسانِ من ناظرٍ وسْطُ

٢٢ مليكٌ لنجمِ النُّجحِ من أُفْقِ عزِّهِ
سناً ولطيرِ السّعْدِ في وكرِهِ قَحْطُ

٢٣ اذا لُثمَتْ أيدي الملوكِ فعندَهُ
مدى الدّهرِ إجلالاً له تَلْثمُ البُسطُ

٢٤ لنومِ الرّعايا وادعين سهادُهُ
إذا وادِعوا الأملاكِ في نومهمْ غَطُّوا

٢٥ أكفُّ ملوكِ العصر لا وَكْفَ عندها
وكفُّ المليكِ النّاصرِ البحرُ لا الوقطُ(٣)

٢٦ عطايا نقودٌ ، لا نَسايا ، فكلُّها
تُعَجِّلُ ،لا وعدٌ هناك ولا قَسْطُ

٢٧ أغرُّ لكفِّ الكفرِ كفٌّ ببأسه
كما لفقارِ الفَقرِ من جوده وَهْطُ(٤)

٢٨ أياديهِ غرٌّ وهيَ غيرُ مُغبَّة
وإحسانهُ غَمْرٌ وليس له غَمْطُ(٥)

---

(١) في المصطلحين العروضيين : «القبض ، الكف» تورية .
(٢) الملك العقيم : الملك الفذ الذي ليس له مثال .
(٣) الوقط : حفرة في غلظ أو جبل يجتمع فيها ماء السماء .
(٤) وهط : ضرب وطعن .
(٥) الغمط : غمط النعمة غمطاً ، لم يشكرها .

٢٩ يحب ضجيجَ الشّاكريـن اذا دَعَوا
ويهوى سؤال المعتفين اذا أطوا (١)

٣٠ ويَعْبَقُ عَرْفُ العُرفِ والقسطِ عندهُ
ونَدٌّ النّدى لا البانُ والرّندُ والقسطُ(٢)

٣١ إلى طوله المعروفِ طولُ يدِ الرّجا
وفي بحرِ جدواه لآمالنا غَطٌّ

٣٢ صنائعُهُ رُبْطُ الكرامِ وإنّها
لوفد أياديهِ المصانعُ والرُّبْطُ

٣٣ يَمُرُّ ويحلو حالةَ السُّخطِ والرِّضا
فنعمتُه دأبٌ ، ونقمتُه فَرْطُ (٣)

٣٤ من القومِ تلقاهم عن النكرِ إن دُعوا
بطاءً، وان يُدْعَوا إلى العُرفِ لا يُبْطُوا

٣٥ هم رَضَعوا دَرَّ الحجَى في مهودِهِمْ
أما جدُ وانضمتْ على السؤددِ القُمْطُ

٣٦ يصبون فيما يقصدون فكم رَمَوا
بسهم الثّراءِ المملقين فلم يُخطوا

٣٧ متى يَقدِروا يَعفوا ، وإن يعدوا يَفوا
وإن يبذُلوا يَغْنوا، وإن يسألُوا يُعطوا

٣٨ يصيبُ الذي يصبو الى قصدِ بابهم
في غيرِ هذا القصدِ يُخْطِي الذي يخطُو

٣٩ وما أسعدَ المَلْكَ الذي نحوَ بابه
مطايا بأبناءِ الرّجاءِ غدتْ تَمْطوا (٤)

---

(١) أطوا : صوتوا .
(٢) القسط : عود يتداوى به .
(٣) فرط : افراط .
(٤) تمطوا : من المطو . وهو المد في السير .

٤٠ وماروضةٌ غناءُ حُسْناً كأنّما
لوارفها من نَسْج نُوّارِها مِرْطُ

٤١ اذا قادني للنرجسِ النّضرِ ناضرٌ
تلاهُ عذارٌ للبنفسج مُخْتَطُ

٤٢ وللوردِ خدٌ للحياءِ مُوَرَّدٌ
وللبانِ قَدٌ جيدُهُ أبداً يَعْطو(١)

٤٣ تلوحُ به الأشجارُ صَفّاً كأنّها
سطورُ كتابٍ والغديرُ لها كَشْطُ

٤٤ تُغَنّي على أعوادِها الوُرْقُ مِثْلَما
يرتّلُ للتوراةِ ألحانَها سِبْطُ (٢)

٤٥ كأنّ سقيط الطلّ عبرةُ مغرمٍ
وبارقَةٌ من نارِ لوعته سِقْطُ (٣)

٤٦ ترى لمُحيّا الشمسِ من هامِرِ الحيا
لثامِ حياءٍ دونه ليس ينحطُ

٤٧ بأزكى وأذكى منكَ حُسْناً وإنّما
بحسناكَ لابالرّوضِ للعائذِ الغَبْطُ

٤٨ لكَ الصدرُ والباعُ الرّحيبان في العلى
وذاكَ المحيا الطلقُ والأنملُ السُّبْطُ(٤)

٤٩ لراجيكمُ ماءُ البشاشة والنّدى
جميعاً وحظٌ الحاسد النارُ والنّفطُ

٥٠ عَنالكَ طوعاً نيلُ مصرٍ ودجلةُ الـ
عراقِ ودانَ العُرْبُ والعُجْمُ والقِبْطُ

---

(١) يعطو : يريد أنه قريب يتناول .
(٢) السبط : القبيلة من اليهود .
(٣) السقيط : الساقط . السقط : مايقع من النار حين يقدح الزند .
(٤) السبط : ضد الجعد ، والأنمل السبط كناية عن السخاء .

٥١ وللنيل شطٌّ ينتهي سيبهُ بـه
ونَيْلُكَ للراجينَ نيلٌ ولا شَطُّ

٥٢ وعفوكَ وَرْدٌ والجناةُ جُناتُه
وبيضُكَ شوكٌ في العداةِ لها خَرْطُ(١)

٥٣ عدوُّكَ مثلُ الشمعِ في نارِ حقده
له عنقٌ إصلاحُ فاسدِه القَطُّ

٥٤ فداؤكَ ممتدٌّ المِطالِ مُحجَّبٌ
وحاجبُهُ للكبرِ والعُجْبِ مُمْتَطٌّ(٢)

٥٥ فداؤكَ قومٌ في النديِّ وفي الندى
وجوههمُ سُهْمٌ وأسهمهمْ مُرْطُ(٣)

٥٦ لتبكِ دماً عينُ العدو فقد جرى
على الأرضِ من أوداجهِ دَمُهُ العَبْطُ(٤)

٥٧ منعتَ حمى الإسلامِ للنصرِ معطياً
غداةَ عوتْ من دونهِ الأذؤبُ المُعْطُ(٥)

٥٨ وصُلْتَ وكم فرَّجْتَ عنّا مُلِمَّةً
بسهمِ الرَّزايا في الكرامِ لها لَهْطُ(٦)

٥٩ بعودِكَ عادَ الحقُّ واتَّضَحَ الهدى
وهبَّ نسيمُ النَّصرِ وانفرجَ الضَّغْطُ

---

(١) خرط : نزع وضرب .
(٢) ممتط : ممتد .
(٣) سهم : عابسة . المرط من السهام : مالا ريش له .
(٤) الدم العبط : الذي لايزال سائلا .
(٥) المعط : الجرد التي لاشعر لها .
(٦) لهط : رمي وضرب .

٦٠ وأنتَ أجَرْتَ الشّامَ من شُؤْمِ جاره
ولم يكفِ رهطُ الكفرِ حتى بغى رهطُ(١)

٦١ أجرتَ وقد جاروا ، ودنتَ وقد عدوا
وصلتَ وقد خاروا ، ولنتَ وقد لطُّوا(٢)

٦٢ فلا يعبأ المولى بمن مِلءُ جأشــه
هوىً وبقومٍ حَشْوُ جيشهِمُ زُطٌّ (٣)

٦٣ كثيرٌ تَعدِيهمْ ، قليلٌ غَنـاؤهُـمْ
وهمْ ولا أصابوا رشدَهم هملٌ رَهْطُ

٦٤ عَدلْتَ فلا ظلمٌ ، وطُلْتَ فلا مدًى
وقُلتَ فلا مَينٌ ، وجُدتَ فلا قَحطُ(٤)

٦٥ فميِّزْ مكانَ المخلصين فإنّما الـ
أعادي أُناسٌ في رؤُوسهمُ خَلْطُ

٦٦ وقرِّب وليّاً صحَّ فيكَ ضميرُهُ
ولا يأمنِ التمساحَ مَنْ دأبُهُ السَّرطُ

٦٧ نَبا بي مقامُ الجاهلينَ فَعِفتُهُ
وقد نَضْنَضَتْ للنهش حيّاتُهُ الرُّقطُ(٥)

٦٨ همُ مَنَعوا رِفْدَيْ قبولٍ ونائلٍ
وذا وَشَلٌ بَرِضٌ وذا أُكُلٌ خَمطُ(٦)

---

(١) يريد الخارجين على صلاح الدين في الشام والموصل والجزيرة .
(٢) لطوا : جحدوا .
(٣) الزط : قبيل من الهند .
(٤) طلت : تفضلت وأنعمت . فلا مدى : يريد أنه ليس له مدى في تفضله .
(٥) نضنضت الحيات : حركت ألسنتها .
(٦) الوشل البارض : الماء القليل . الأكل الخمط : الذي فيه طعم من مرارة .

٦٩ وكم مُطْمعٍ في خيره بشرُ وجهه
ومشتملٍ منه على شَرِّهِ الإبْطُ (١)

٧٠ لأبدى بلا عذر حظوظَ فضائلي
نفارُ العَذارى من عذارٍ به وَخْطُ(٢)

٧١ وجئتكَ ألقى العزَّ عندك مُلْقِياً
قلائدَ للأسماع من دُرِّها لَقْطُ

٧٢ أعِرْني جميلاً واصطنعنيَ واصفُ لي
جميلَكَ حتى يشمتَ الحاسدُ المِلْطُ(٣)

٧٣ أعنّي فعينُ الفضل عانٍ مُقيَّدٌ
بعُقلةِ حرمانٍ نداكَ لها نَشْطُ (٤)

٧٤ وأوْعزْ بتشريفي ورسمي فإنّهُ
لحمدي جزاءٌ قد تقدَّمَهُ الشَّرْطُ

٧٥ إلامَ زماني لايزالُ مُسَلّطاً
على نابهٍ من أهلهِ نابُهُ السَّلْطُ(٥)

٧٦ سَعَتْ نحوكم منّي مطايا مطالب
لأنْسُعِها في النّجح عندكم مَغْطُ(٦)

٧٧ فَدُمْ ظافراً أبا المظفر بالعِدَى
حليفَ قبولٍ لايكون لها حَبْطُ (٧)

---

(١) الإبط : باطن المنكب ، يريد العماد أنه يبطن الشر ، وقد استخدم الكناية من قصة تأبط شراً الشاعر الجاهلي ، وهي قصة مشهورة .
(٢) الوخط : الشيب .
(٣) الملط : الخبيث .
(٤) عان : أسير .
(٥) السلط : الشديد .
(٦) الأنسع : جمع نسع وهو سير عريض تشد به الرحال . المغط : الإغراق والجري والامتداد
(٧) الحبط : الاحباط والابطال .

٧٨ بقيتَ ولا زالتْ عداكَ مُفيـــــدةً
سعوداً ولا تُحْسنْ صعوداً ولا هَبْطُ

٧٩ ولو كنتَ جاراً للمعريِّ لم يقـــــل:
(لمن جيرةٌ سيموا النوالَ فلم يُنْطوا(١)

---

(١) يشير إلى قصيدة المعري الطائية التي عارضها . وقد استشهد بأول شطر فيها ، فختم طائيته. والمعري في شطره يستفهم عن قوم طلب منهم النوال والعطاء فلم ينطوا ، والإنطاء : العطاء بلغة أهل اليمن (انظر سقط الزند ص١٧٧)

(حرف العين)

(١١٨)

أنشد العمادُ نورَ الدين سنة ٥٦٤ للهجرة قصيدة * :

(من المنسرح)

١ اسْلَمْ لبكرِ الفُتوحِ مُفْترِعا
ودُمْ لمُلْكِ البلادِ مُنتزِعا

٢ فإنَّ أولى الورى بها ملكٌ
غدا بعبءِ الخطوبِ مُضطلعا

٣ إنْ ضاقَ أمرٌ فغيرُ همتهِ
لكشفِ ضيقِ الأُمورِ لن يسعا

٤ يا محييَ العدلِ بعدَ ميتته
ورافعَ الحقِّ بعدما اتَّضعا

٥ ونورَ دينِ الهُدى الذي قمعَ الشِّـ
ـركَ ، وعفّى الضّلالَ والبِدَعا

٦ أنتَ سليمانُ في العفافِ وفي الـ
ـمُلكِ ، وتحكي بزُهدِكَ اليَسَعا (١)

٧ حُزتَ البقا ، والحياءَ ، والكرمَ الـ
ـمحضَ ، وحسنَ اليقينِ ، والورعا

---

* الروضتين ١:٣٨٧ ، الأبيات ١٧، ١٨، ١٩ في سنا البرق ١:٧٣ .

(١) اليسع : اسم نبي .

٨ أسقطتَ أقساطَ ما وجدتَ من الـ
مكسِ بعدلٍ ، والقاسط ارتدعا (١)

٩ ولم تدعْ في ابتغاءِ مصلحةِ الـ
دِّينِ لنا باقياً ، ولن تَدعا

١٠ وكلُّ ما في الملوك مُفْترقٌ
من المعالي لملكك اجتمعا

١١ همتُكَ الرُّبْطُ والمدارسُ تبـ
نيها ثواباً وتهدمُ البِيَعا

١٢ ما زلتَ ذا فطنةٍ مؤيَّدة
على غُيوبِ الأسرارِ مطلعا

١٣ ببأسكَ البيضُ والطُّلَى اصطبحتْ
بعدلكَ الذِّئبُ والطَّلا رتعا (٢)

١٤ كم صائدٍ لم يقعْ له قنصٌ
في شَرَكٍ وهو فيه قد وقعا

١٥ ومالكٍ حين رُمتَ قلعتَهُ
غدا مطيعاً للأمرِ متَّبعا

١٦ عنا خشوعاً لربِّ مملكة
لغيرِ ربِّ السماءِ ما خَشَعا

١٧ كان مقيماً بها على الفلكِ الـ
أعلى شهاباً بنورِهِ سَطَعا

١٨ لكنَّما الشُّهبُ ماتنيرُ إذا
لاحَ عمودُ الصَّباحِ فانْصَدَعا

---

(١) المكس : الجباية ، الضريبة .

(٢) الطلا : ولد الظبية ساعة تصنعه

١٩ يدفعُها طائعاً إليكَ ، وكـــم
عنها إبـاءً بجهـده دفعـا

٢٠ هي التي في علـوِّهـا زُحَـــل
كرَّ على وِرْدهـا ومـا كرعـا

٢١ وهي التي قاربتْ عطاردَ فـي الـ
أُفقِ فلاحـاً والفرقـديـن معـا

٢٢ كـأنَّ منها السُّها إذا استرقَ السَّـ
ـمعَ أتاها في خيفـةٍ ودعـا

٢٣ هضبـةُ عزٍّ لولاكَ مـاارتُقيـت
وطودُ ملكٍ لولاكَ مافرعـا

٢٤ ماقبلت في ارتقـاءِ ذروتهـا
من ملِـكٍ لارُقـي ولا خُـدَعـا

٢٥ عزت علـى المالك الشّهيـد واعْـ
ـطتكَ قيـاداً مـازالَ ممتنعـا

٢٦ للأَبِ لـو جـلَّ خطبهـا لغـدا
محرَّمـاً لابنـه ومـا شرعـا

٢٧ مازلت «محمودُ» في أمـورك محـ
ـموداً بثوبِ الإقبـالِ مدَّرعـا

(١١٩)

كتب العماد سنة ٥٧٠ للهجرة تهنئة إلى المظفر تقي الدين عمر بن أخي السلطان صلاح الدين * :

(من الكامل)

١ لاتفنِ من فـرَق الفراق الأدمعـا
فهي الشُّهودُ على الغرامِ المدَّعَى

* الروضتين ١:٦٣٦ ، مفرج الكروب ٢:٣٣ .

٢ واستبقِ صبرَكَ ماااسْتطعتَ ، فإنّه
عونٌ لقلبِكَ إنْ هُما ثبتا معـا

٣ قلبٌ أَصابته العيونُ ، ولم يـزلْ
من مسِّها بـالهاجساتِ مـروَّعا

٤ مـا بالُه قد صدّ عـنـد صدودهم
عنّي ، ولمّا ودّعـوني ودعـا

٥ ومن التحيّرِ أنّني أَبـصرتُـهُ
في ظَعْنهم ، وسأَلتُ عنه الأَضلُعا(١)

٦ أَصبحتْ إذ شيّعتُهمْ لـثلاثـةٍ :
صبرى ، وغُمضي ، والفؤاد ، مُشيِّعا

٧ أَوما اتّقيتم حين رُعتمُ سـربَـهُ
فيه تقيّ الدِّينِ ، ذاكَ الأَروعـا

٨ عمر بن شاهنشاه مَنْ هـو عـامرٌ
أَركانَ ملكِ الشّامِ حين تضعضعا

٩ خضعَ الـعدو ، بعدَ تـعـززٍ
لكم ، وحـقٌ عدوّكُم أنْ يـخضعا

١٠ من معشرٍ غُرٍّ يرَوْنَ جميعَ مـا
لم يبذلوه في السّماحِ مُضيِّـعا

١١ في مصرَ واليـمـنِ اجـتـلينـا منهُم
في عصرِنا تبعاً ليوسفَ تُبّـعـا

١٢ الحاويان بملكِ مصرَ ومـكّـةٍ
والشّامِ واليمنِ الحظـايـا الأَربعا

١٣ لما عصى الأَعداءُ «بالعاصي» جـرى
بدمـائهم طوعاً سيولاً دُفّـعـا

---

(١) في مفرج الكروب : ومن التجبر ... عنه الأربعا .

(١٢٠)

كتب العماد سنة ٥٧٦ للهجرة على لسان صلاح الدين الى شمس الدولة توران شاه* : (من الطويل)

١ بنفسي وما أحوى وروحي ومُهجتي
كتابٌ لأسبابِ الفضائلِ جامعٌ

٢ يُخبّرُ عن قلبٍ حوتْه أضالعٌ
ويومَ النّوى قلبي نفَتْهُ الأضالعُ

٣ ومن عجبٍ إنسانُ عينيَ ظاميا
وقد غرّقَتْهُ في المياهِ المدامعُ

(١٢١)

كتب العماد سنة ٥٧٦ للهجرة على لسان صلاح الدين إلى شمس الدولة توران شاه ** :

(من الطويل)

١ تألّقَ برقٌ مِن تهامةَ لامعُ
يبشّرُ أنّ اللهَ للشملِ جامعُ

٢ يحاكي خفوقُ القلبِ منّي خفوقَهُ
فهل راعَهُ مثلي من البينِ رائعُ

٣ لقد طالَ ليلي لانتظارِ صباحكم
فهل لتباشيرِ الصّباح طلائعُ

٤ صفتْ وضفتْ في الجودِ منكَ وفي العُلى
مشارعُ بالحسنى لنا ومدارعُ

٥ كأنّكَ شمسُ الدّولةِ البدرُ بيننا
ونحنُ حواليكَ النّجومُ الطّوالعُ

---

* سنا البرق الشامي ١:٣٥١ .
** سنا البرق الشامي ١ :٣٥١

(١٢٢)

كتب العماد على لسان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة إلى شمس الدولة توران شاه قصيدة منها *

(من الكامل)

١ صبٌّ تولى حالتيه في الهوى
جلدٌ له عاصٍ ودمعٌ طيّعُ

٢ ذو ناظرٍ ربعُ الكرى في جفنه
خالٍ وحوضُ الدّمعِ منه مُترعُ

٣ مولاي شمسَ الدّولة الملك الذي
شمس السّيادة من سناه تَطْلُعُ (١)

٤ لولا أُرجّي قربَ عودكَ لم يكن
لي في الحياة لأَجل بعدكَ مطمعُ

٥ قسماً ببيتٍ أمّهُ زُوّارُهُ
والطائفونَ السّاجدونَ الرُّكّعُ

٦ مالي سواكَ من الحوادثِ ملجأٌ
مالي سواكَ من النوائبِ مفزَعُ

٧ ولأَنتَ فخرُ الدّين فخري في العُلى
وملاذُ آمالي، وركني الأَمنعُ

٨ إلاّ بخدمتكَ المجلّة موقعي
والله ما للملكِ عندي موقعُ

٩ وبغيرِ قُربكَ كلُّ ما أرجوهُ من
دركَ المنى متعذّرٌ متمنّعُ

* الروضتين ١:٦٧١ ، سنا البرق ١:٢٢١ ، مفرج الكروب ٢:٤٩ .

(١) سنا البرق : صبح السيادة .

١٠ النّصرُ، إن أقبلتَ نحوى، مُـقبلٌ
والیُمنُ، إن أسرعتَ نحوى، مسرعُ(١)

(١٢٣)

(دوبيت)

١ بالله عرفت ما بقلبي صنعوا
خلوه بنار شوقهم ينصدع(٢)

٢ مالم أر شملي بهم يجتمع
ماأحسبني بعيشتي انتفع

(١٢٤)

قال العماد وهو في طريقه الى مصر صحبة السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة وقد نزل بالفقيع للراحة*:

(من المنسرح)

١ رأيتني بالفقيعِ مُنفرداً
أضيعَ من فقعِ قاعِها الضائعِ(٣)

٢ بعتُ بمصرٍ دمشقَ عن غَررٍ
منّي، فيا غبنَ صفقةِ البائعِ

٣ صبريَ والقلبُ عاصيانِ وما
غيرُ همومي وأدْمعي طائعي

(١٢٥)

قال العماد: كان شمس الدولة توران شاه أخو السلطان صلاح الدين مقبلاً عليّ، ومائلاً إليّ، ولي فيه مدائح، ومنها مدحة خدمته بها عند وصوله من اليمن ولقائه للسلطان في حماة يوم الثلاثاء ثاني صفر سنة اثنين وسبعين

---

(١) الروضتين : للنصر ، مفرج الكروب : النصر .
(٢) انظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠ .
* الروضتين ١ : ٦٨١ .
(٣) الفقع من أردأ أنواع الكمأة .

وخمسمائة، وأنشدت يوم السبت سادسه بالمخيم في الميدان وهي التي أوّلها* :

(من البسيط)

١ صَبٌّ لتذكارِ أهلِ الجزْعِ ذو جزَعِ
أطاعَهُ دمعُهُ والصّبرُ لم يُطعِ

٢ وكانَ يطمعُ في طيفٍ يُلمُّ وقد
بانَ الرُّقادُ فما في الطّيفِ من طمعِ

٣ يالائماً يدَّعي نُصحَ المحبِّ ولم
يترك له وجدُه سمعاً ولم يدعِ

٤ أتعبتَ نفسكَ تنهى غيرَ مُتّبعٍ
حكمَ المَلامِ وتُلحي غيرَ مستمعِ

٥ إنْ يُجدِ لومي في الجودِ عاشقهُ
توران شاه، كلانا غيرُ مُرتدعِ

٦ هو الجوادُ الذي عشقَ السّماحَ، به
أفضى الى أمدٍ في الجودِ مخترعِ

٧ ياراثدَ الخصبِ إنْ تقصدْ ذُراهُ تجدْ
في ظلّهِ خيرَ مُصطافٍ ومُرتبعِ

(١٢٦)

بعث العمادُ سنة ٥٦٤ للهجرة الأبيات الاتية من دمشق الى صلاح الدين في مصر** :

(من الكامل)

١ ياهلْ لسالفِ عيشتي بفنائكمْ
من عودةٍ محمودةٍ ورجوعِ

٢ قد غبتمُ عن ناظري ما أذنتْ
للقلبِ شمسٌ مَرةً بطلوعِ

---

* سنا البرق الشامي ١:٣٥٠ .

** الروضتين ١:٤٥٥ .

٣ كنتُ المشفَّعَ في المطالبِ عندكم
فغدوتُ أطلبُ طيفكم بشفيعِ

٤ أصبحتُ أقنعُ بالسّلامِ على النّوى
وبقربكم كم بتُّ غيرَ قنوعِ

(١٢٧)

كتب العماد سنة ٥٦٣ للهجرة إلى ابن أبي عصرون *:

(من المتقارب)

١ أيا مَنْ له همّةٌ في العُلى
لذروتها أبداً فارِعَهْ

٢ ومَن كفُّه ديمةٌ ماتزا
لُ بالعرفِ هاميةٌ هامعَهْ

٣ وللفضلِ في سوقِ أفضاله
بضائعٌ نافقةٌ نافعَهْ

٤ وهل كابنِ عَصْرون في عصرِنا
إمامٌ أدلّتُهُ قاطعَهْ

٥ فخيرُ فوائدهِ جمّةٌ
وبحرُ مواردهِ واسعَهْ

٦ أياشرفَ الدّينِ شرّفتني
بإهداءِ رائقةٍ رائعَهْ (١)

٧ أطعتُ أوامرَكَ السّامياتِ
وما برِحتْ همّتي طائعَهْ

٨ أرى كلَّ جارحةٍ لي تودْ
دُ لو أنّها أذنٌ سامعَهْ

---

* الروضتين ١: ٣٨٠ .

(١) انظر إلى أبيات شرف الدين عبد الله بن محمد بن أبي عصرون في خريدة الشام ٢: ٣٥١.

٩ وأمـا الشّتـاءُ وكـافـاتُـه
وكفُّـكَ عـن كفّـهِ الرابعَهْ

١٠ فنفسـي تُطيـقُ اذا لم تكـنْ
بميسـورِ سيّـدِنـا قانعَـهْ

(١٢٨)

كتب العماد الى الخليفة المستنجد بالله سنة ٥٦٠ للهجرة *:

(من الكامل)

١ مقصودُهُ أعصي الهوى وأُطيعُهُ
هذا، لعمرُ هواكَ، لا أسطيعُـهُ

٢ سمعي أصَمُّ عن العذولِ وعـذله
فعلامَ يقرعُ مسمعي تقـريعُهُ؟

٣ غلبَ النّزاعُ الى الحسانِ تجلُّـدي
والقلبُ مغلوبُ العزا منزوعُـهُ (١)

٤ لاتنزِعَنَّ الى مـلامِ متيّـمٍ
لايستتبُّ عن النّزاعِ نـزوعُهُ

٥ وملاحةُ الرشأِ المليـحِ تـروقُهُ
وملامةُ اللاحي الملحِّ تـروعُـهُ

٦ ياعزَهُ لو لم يعـزُّ عـزاؤه
ياذلّهُ إنْ لم تُعنـه دمـوعُهُ

٧ وبمهجتي حلـو الشّمائـلِ عذبُهـا
لكنّه مُرُّ الصُّدودِ شنيعُـهُ

٨ نشوانُ من خمرِ الصبـا قلبـي بـه
ـ أفديهِ ـ مخمورُ الغرامِ صريعُهُ

---

* الخريدة، قسم العراق، ١:٦٠.

(١) النزاع: يقال نزع إلى الشيءُ نزاعاً ونزاعة ونزوعاً، اذا مال اليه.

٩ غصن عـلى حقفٍ يميلُ ويستـوي
فكأنّما يعصيهِ حينَ يطيعُـهُ (١)

١٠ رئمٌ وفي قلبِ المحبِّ كناسُـهُ
قمرٌ وفي ليلِ العذارِ طلوعُـه

١١ وكأنَّ قلبَ محبِّه إقطـاعُـهُ
وكأنَّ خطَّ عذارهِ توقيعُـهُ (٢)

١٢ مساوبُ سهمِ اللّحظِ منه محبُّـه
ملسوبُ عقربِ صدغهِ ملسوغُهُ (٣)

١٣ للهِ عيشٌ بالحمى أسلفتـه
والشّمـلُ غير مفرّقٍ مجموعُهُ

١٤ أيامَ دارتْ للشّبابِ كؤوسُـهُ
فينـا ،ودرّتْ بالسُّرورِ ضروعُهُ

١٥ رويتْ بأنـواءِ العهادِ عهودُهُ
وزهتْ بأنـوارِ الرّبيعِ ربوعُهُ

١٦ أفراجـعٌ مامرَّ من أيامـه ؟
هيهاتَ! لايُرجى إليَّ رجوعُهُ!

١٧ وجـدي مقيمٌ مايزالُ بظاعـنٍ
تـوديعُ قلبي أُنسه توديعُـهُ

١١ مُـلاّكُ مهجتهِ! عليكم حفظهـا
فالملكُ ليس لمالكٍ تضييعُـهُ

---

(١) الحقف : المعوج من الرمل .

(٢) التوقيع : اسم لما يكتبه الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كاتب الدست ومن جرى مجراهم على مايرفع اليهم من القضايا ، فيكون هو الأصل الذي يبني عليه المنشيء (انظر صبح الأعشى ١:٥٢ و١١:١١٤) .

(٣) الملسوب : الملدوغ .

١٩ لاتنسبوا قلبي إليّ، فإنّه
لكمُ، وفيكمْ جرحُهُ وصدوعُهُ

٢٠ وبيوسفِ المستنجدِ بنِ المقتفي
دينُ الهدى سامي العمادِ رفيعُهُ

٢١ ضافي رداء الفخرِ، صافٍ روحه
نامي ضياءِ البشرِ، زاكٍ رُوعُهُ(١)

٢٢ حالي الضّمائر بالعَفافِ وبالتُّقى
لله ماتحنو عليه ضلوعُهُ !

٢٣ محمرٌّ نصلِ النّصرِ في يومِ الوغى الـ
ـمغبرِّ ،مبيضٌّ العطاءِ نصوعُهُ

٢٤ في الأَمن إلا ماله وعدوّه
فكلاهما في الحالتينِ مروعُهُ

٢٥ لله أَصلٌ هاشميٌّ طاهرٌ
طابتْ وطالتْ في العلاءِ فروعُهُ

٢٦ لكَ نائلٌ محيٍ ،وبأسٌ مهلكٌ
فلأَنت ضرّار الزّمان نضوعه

٢٧ ياأَفضَل الخلفاءِ! دعوةَ قانعٍ
برضاكَ ماكشف القناع قنوعُهُ

٢٨ أَيكونُ مثلي في زمانكَ ضائعاً
هيهاتَ – يامولايَ – لستَ تضيعُهُ!

٢٩ أَودعْ جميلاً لي، أُذعْهُ، فخيرُ مَنْ
أَوْدَعْتَهُ منكَ الجميلَ مذيعُهُ

٣٠ حسبُ المؤمِّل منجحاً في قصده
أَن الرَّجاءَ إلى نداكَ شفيعُهُ

---

(١) الروع بضم الراء : القلب والعقل .

(حرف الفاء)

(١٢٩)

من قصيدة في مدح الملك الظاهر غازي (١) سنة ٥٨٣ للهجرة* :

(من البسيط)

١ همُ الملوكُ ذوو بأْسٍ ومكرمـــــةٍ
إنْ سالوا أَمنوا، أوحاربوا خيفوا

٢ أغناهمُ القدسُ عن قولِ الورى فتحتْ
عكا وصيدا وبيروتُ وأرسوفُ

٣ جيشُ الفرنجِ إذا لاقى سوابقَـــهـــم
كأنَّـــهُ جبـلٌ بالرِّيحِ منسوفُ

(١٣٠)

في مدح الملك الكامل محمد بن أبي بكر العادل سنة ٥٩٦ للهجرة ** :

(من مجزوء الخفيف)

١ مغــرمُ الـقــلبِ مــدنـــــــفُ
وجـــدُهُ ليـس يــوصــفُ

٢ وَعَــــدُونـــا وأخـــلفـــــوا
وَوَفـيـنـــا ولم يَـــفُــــوا

---

(١) الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب حلب المتوفى سنة ٦١٣هـ (مرآة الزمان ٨: ٥٧٩، مفرج الكروب ٣: ٢٣٧، شفاء القلوب ص٢٥٢) .

* الروضتين ٢: ١٠٧ .

** الروضتين ٢: ٢٣٩.

(١٣١)

قال العماد وهو على فراش الموت *:

(من مجزوء الخفيف)

١ أَنــا ضيفٌ بـــــربعكــمْ
أيــنَ ايــنَ المضيِّــف

أَنكرتْنــي معـــارفــي
ماتَ مَنْ كنــتُ أَعــرفُ

(١٣٢)

رثى العمادُ سنة ٥٦٤ للهجرة أسدَ الدين شيركوه وعزّى أخاه نجم الدين أَيوب (١) وولده ناصر الدين محمداً بقصيدة **:

(من الكامل)

١ ما بعدَ يومكَ للمعنَّــى المُدْنـفِ
غيرُ العويلِ وحسرةِ المتأسّــفِ

٢ ما أَجرأَ الحدثانِ : كيف سطا على الـ
أَسدِ المخوفِ ، سطا ولم يتخوَّفِ (٢)

٣ من ذا رأَى الأَسدَ الهصورَ فـــريسةً
أَم أَبصرَ الصبحَ المنيرَ وقد خفَي ؟

٤ مـــن ثابــتُ دون الكُماةِ ســواه إنْ
زلّتْ بهم أَقدامُهم في المــوقفِ ؟

* وفيات الأعيان ٥:١٥٢ .

(١) أيوب بن شاذي ، والد صلاح الدين ، توفي بالقاهرة سنة ٥٦٨ ، نقل ودفن بالمدينة سنة ٥٨٠ (النوادر السلطانية ص ٤٦ ، سنا البرق ١٢٩ ، شفاء القلوب ص٤٤).

** الروضتين ١:٤١١ ، مفرج الكروب ١:١٧١ ، الأبيات ١، ٢، ١٦ في كنز الدرر ٧:٤٠ .

(٢) مفرج الكروب : كيف عدا ... ولم يتوقف .

٥ ما كان أسنى البدءَ لو لم يستتر !
ما كان أبهى الشمسَ لو لم تكسفِ !

٦ ما كنتُ أخشى أن تُلم ملمةٌ
يوماً ،وأنتَ لكربها لم تكشفِ (١)

٧ أيامُ عمرِكَ لم تزلْ مقسومةً
لله بين تعبُّدٍ وتعرُّفِ

٨ متهجِّداً لعبادةٍ ، أو تالياً
من آيةٍ ، أو ناظراً في مصحفِ

٩ فُجِعَ النَّدا والبأسُ منك بحاتمٍ
وبحيدرٍ ،والحلمُ منك بأحنفِ (٢)

١٠ بالملكِ فُزتَ، وحُزْتَهُ عن قُدرةٍ
ومضيتَ عنه بسيرةِ المتعفِّفِ

١١ وُوصفتَ ، يا أسداً لدين محمد
مدحاً بما مَلَكٌ به لم يُوصَفِ

١٢ وقفوتَ آثارَ الشّريعةِ كلّها
وقد اهتدى من للشريعةِ يقتفي

١٣ أأنِفْتَ من دنياكَ حين عرَفْتَها
فلويتَ وجهَ العارفِ المتنكفِ(٣)

١٤ ياناصرَ الدّين استعذْ بتصبُّرٍ
مُدْنٍ الى مرضاةِ ربٍّ مزلفِ

---

(١) هذا البيت ساقط من مفرج الكروب .

(٢) حلم الأحنف بن قيس مشهور عند الخاصة والعامة ، وكان سيد بني تميم ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ووفد على عمر رضي الله عنه ، وشهد الفتوح في خراسان ، وتوفي بالكوفة سنة ٥٧٣ (طبقات ابن سعد ٧:٦٦ ، تهذيب تاريخ دمشق ٧:١٠) .

(٣) مفرج الكروب : المستنكف .

١٥ وتَعزّ نجمَ الدّين عنه مُهنّأً
أبدَ الزّمان بمُلْكِ مصرَ، ويوسفِ

١٦ لا تستطيعُ سوى الدّعاءِ، فكلُّنا
إلاّ بما في الوسعِ، غيرُ مُكلّفِ

(١٣٣)

قال العماد في كتبه*:

(من الخفيف)

١ هي كُتبي، فليس تصلحُ من بعـ
ـدي لغيرِ العطّارِ والإسكافي

٢ هي إمّا مزاوِدٌ للعقاقيـ
ـرِ وإمّا بطائنٌ للخفافِ(١)

(١٣٤)

كتب العماد الى أبي العباس محمد بن القاسم الملقب بزين الإسلام الحريري(٢) الأبيات الآتية جواباً على أبيات شعرية**:

(من البسيط)

١ يا مُهدياً فقَراً، جلّتْ قلائدُها
عن وصفِ مُطْرٍ لها أو رَصفِ رَصّافِ(٣)

٢ ومن فضائله، عن حَصْرِها حَصرتْ
في العصرِ ألْسُنُ مُدّاحٍ ووُصّافِ(٤)

---

* الوافي بالوفيات ١:١٣٦ ، الغيث المسجم ١:١٥ .
(١) مزاود : جمع مزود ، وهو الوعاء .
(٢) توفي سنة ٥٥٦هـ (انظر الخريدة ، قسم العراق ، ٤/٢:٦٧٦) .
** الخريدة ، قسم العراق ، ٤/٢:٦٧٧ .
(٣) المطري : المادح المبالغ في الثناء .
(٤) حصر اللسان : عي في منطقه ولم يقدر على الكلام .

٣ رِواقُهُ في العُلى ضافٍ، ومـــورِدهُ
في الفضلِ للمُرتجي إفضاله ضافِ(١)

٤ تَرومُ منّيَ إنصافاً، وهـل عـرَفَـتْ
خلائقي غيرَ إحسانٍ وإنصافِ؟

(١٣٥)

قال العماد: ومن مدائحي في السلطان صلاح الدين ماأنشدته إياه سادس شوال سنة ٥٧٢ للهجرة*.

(من المتقارب)

١ فديتـكَ مــن ظالمٍ منصـــفِ
وناهيـكَ مـن باخـلٍ مُسْعفِ

٢ بلقياكَ يُشفى سقامي الممـــضُّ
ولكن بسفـكِ دمـي تشتـفـي

٣ وتخلـفُ وعـدَكَ لي بـالـوصـال
حـنـانيـكَ من واعـدٍ مُخلفِ

٤ وتستحسـنُ الـعـذرَ طبعاً ومَـنْ
وَفَى مــن ذوي الحُسنِ حتى تفي!

٥ أمثْلكَ كلُّ حـبيـبٍ جـفـا
ومثـلِيَ كـلُّ حبيبٍ جُفي ؟

٦ أيـا ليّـنَ العطفِ قاسي الفــؤادِ
بعيشكَ بـاللهِ لـنْ واعطــفِ

٧ فمـا تـركَ الوجدُ لي مُسْكَـــةً
ولامنّـةً ليَ لمْ تَضْعُـــفِ

---

(١) رواقه ضاف :واسع سابغ . مورده ضاف : فائض ، كلاهما بالضاد المعجمة .

* الخريدة ، قسم مصر ، ١:١٥ والبيتان الأولان والأربعة الأخيرة في الروضتين ١:٦٩١، ومفرج الكروب ٢:٥٦ .

٧ تلافَ، تصدُّكَ لي متلفٌ
فؤادي من الأَسفِ المتلفِ

٩ وإن كنتَ لابدَّ لي قاتلاً
بما صنعَ الوجدُ بي فاكتفِ

١٠ تناهيتَ في قتلتي عامداً
فحيثُ انتهيتَ بقتلي قفِ

١١ ثناياكَ بُرئيَ في رَشْفها
وقد طالَ سُقمي ولم أَرشُفِ (١)

١٢ أَنجو ومن قدِّك السّمهريُّ
لحَيْني وفي جفنكَ المَشْرَفي

١٣ أَيا مسرفاً في عذابي اقتصدْ
أُعيذكَ من شَطَطِ المُسرفِ

١٤ نحوليَ من خصرِكَ النّاحلِ
السّقيمِ كعاشقكَ المُدْنَفِ

١٥ ومن سُقمِ لحظكَ ذاكَ المريضِ
شفائي وأُشفى أَنا لو شُفي (٢)

١٦ على خَطْفِ قلبي يحلُ الشّبا
كَ عقدُ وشاحكَ في مُخْطَفِ (٣)

١٧ أَنا المستهامُ بذاكَ القوام
وذاكَ الموشّحِ والمعْطَفِ

١٨ وذاك المقبّلِ والمبسم الـ
ـمفدّى المقدّمِ والقرقفِ (٤)

---

(١) السمهري : الرمح الصلب . المشرفي : السيف .
(٢) أشفى : من أشفى على الهلاك اذا أشرف عليه .
(٣) مخطف : صفة لموصوف ، أي خصر مخطف ،وهو الضامر .
(٤) المقدم : الأحمر المشبع حمرة : القرقف : الخمر ، ويوصف به الماء البارد ذو الصفاء.

١٩ بخدِّكَ من وَهَــجٍ شعلــةٌ
أَحاطتْ بقلبي فمـا تنطفـي

٢٠ فإنْ تُخْفِ الحاظُكَ القاتـلاتُ
دمي فبخديـكَ ما يختفـي

٢١ غـدا عاذلي عـاذراً مـنْ رأى
عـذاركَ كالقمـرِ الأكلـفِ

٢٢ وقال أرى خـدّه مـرهفاً
ولا عيبَ في خَصْرِه المُرهـفِ

٢٣ أقاحٍ وآسٌ وردٌ لهـا اجـ
تماعٌ على غُصن أهيف

٢٤ ترفّقْ رفيقي فليسـتَ الـذي
يعنِّفُ في الحـبِّ لـم يَعْنُفِ

٢٥ عرامٌ عـرا ، وزمـانٌ عَـدا
فهـل ظالمٌ منهمـا منصفـي ؟

٢٦ زمـانٌ خـلا مـن جميـلٍ فليس
لـغيـر ذوي نـقـصه يَصْطفي

٢٧ جنـى ظـلمـةَ الفضلِ حظي المنيـرُ
ولـولا سنـا الشّمسِ لم تُكْسَفِ

٢٨ ويـاليـتَ دهـري اذا لم يـكـنْ
بسؤلِيَ يُسْعفُ لم يَعْسُفِ (١)

٣٩ أيبلغُ دهريَ قـصـدي وقـد
قصـدتُ بمصـرَ ذُرَى يوسفِ (٢)

---

(١) يعسف : يظلم .
(٢) يقال أنا في ذرى فلان أي في ظله وفي نعمه .

٣٠ ويـوسفُ مصـر بغيـرِ التُّـقـى
وبـذلُ الصَّنـائع لم يـوصـفِ

٣١ فَسرْ وافتحِ القدسَ واسفكْ بـه
دمـاءً متى تجـرهـا ينظـفِ

٣٢ وأهـدِ إلى الأَسْبتـار البتـار
وهُدّ السُّقوفَ على الأسقفِ (١)

٣٤ وخلّصْ من الكفرِ تـلكَ البـلادَ
يُخلّصُكَ اللهُ في المـوقـفِ

(١٣٦)

(دوبيت)

١ القلب كمـا عهـدتـم ذو لـهـف
والجسـم كما عهدتم ذو دنـفِ(٢)

٢ ماأعـلم مـقصـودكـم من تـلفـي
من بعدكـمُ يـاأسـفي يـاأسـفي

(١٣٧)

كتب العماد سنة ٥٥٤ للهجرة إلى الكمال أبي عبيدالله الحسين بن عبد الباقي بن حرّاز القصيدة الآتية جواباً على قصيدة طويلة له*:

(من الكامل)

١ إنَّ الخطـوبَ على عـداكَ مخوفُها
وكـذا الليـالي سالمتكَ صرُوفُها

---

(١) الأسبتار : طائفة من رجال الدين ، كان هدفها مساعدة الصليبيين من جهة ، والدعاية لنشر الدين من جهة أخرى (النجوم الزاهرة ٦:٣٣ حاشية ٢) .
(٢) انظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠ .
* الخريدة ، قسم العراق ، ٤/٢:٤٦١ .

٢ وقضى القضاءُ برتبةٍ لكَ في العُلى
شمّاءَ، لم يُفْرَعْ إليكَ مُنيفُها(١)

٣ وأتتكَ أقدارُ السّماءِ، أتتكَ من
خيراتها أنواعُها وصُنوفُها

٤ وتحمّلي ريحَ الشمالِ، تحيّةً
عنّي، حَكاكِ رقيقُها ولطيفُها

٥ ليَعُودَ في ريح الجَنُوبِ جوابُها
إن كان يحتملُ القويَّ ضعيفُها

٦ وصفِ «الحسينَ» تجدْ وراه محاسناً
- ياصاحِ - يُكْرَمُ ضيفُها ومُضيفُها

٧ مَنْ هَمُّهُ في المكرماتِ حريصُها
مَنْ نفسُهُ في المخزياتِ عَيُوفُها(٢)

٨ واذا حوى عشراتِ آدابٍ فتىً
فله على رُغْمِ الحسودِ أُلُوفُها

٩ كن ، يا«ابنَ حرّازٍ» لودّي مُحرِزاً
لك في العهودِ تَليدُها وطريفُها

١٠ أنا«أحنفٌ» في الحلمِ عن أمثالهم
وشريعتي - ما عشتُ - فيه حنيفُها(٣)

١١ لي همّةٌ، تأْبى الدّنايا، قد سمتْ
وأعزَّ نفسي بأسُها وعُزوفُها

---

(١) فرعه : علاه . المنيف : المشرف على غيره .
(٢) العيوف : الكاره التارك .
(٣) الأحنف بن قيس ، سيد تميم ، واحد الفصحاء الشجعان ، يضرب به المثل في الحلم ،أخباره كثيرة ، وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان ، توفي سنة ٧٣ للهجرة (طبقات ابن سعد ٧:٨٣ ، تهذيب ابن عساكر ٧:١٠ ، وفيات الأعيان ٢:٤٩٩).

١٢ ولكم عراني حادثٌ، ثم انـــجلى
عنّي، كما يعرو البدورَ خُسوفُها

١٣ أهدى السّقامَ الى النّحافةِ بُعْدُكم
والسُّمرُ يُحسَدُ في الطّعانِ نحيفُها

١٤ ماذا تَسُرُّ ولايةٌ، عُـمّـالُها
في ذلّة وعزيزُها مصروفُـها ؟

١٥ في الحظِّ منصرفٌ حكى متُصرِّفاً
هي لفظةٌ، وبنقطةٍ تصحيفُها

(١٣٨)

قال العماد في مدح صلاح الدين سنة ٥٦٥ للهجرة*:

١ يروقُني في المها مُهَفْهَفُها
ومن قدودِ الحسانِ أهيفُها(١)

٢ ومن عيون الظّباءِ أفترُها
ومن خصورِ الملاحِ أنحفُها

٣ ماسقمي غيرُ سُقمِ أعيُنها
ثم شِفائي الشِّفاهُ أرشُفُها

٤ يُسْكرني قَرقفٌ يشعشعُها
لحظُ الطّلا لا الطّلا وقرقفُها(٢)

٥ ياضعفَ قلبي من أعينٍ نُجلٍ
أقتلها بالقلوبِ أضعَفُها

٦ ومن عذارٍ كأنّه حلَقٌ
واحكَمَ في سروهِ مُضعِّفُها

---

* الخريدة، قسم مصر، ١:٩–١٣، وأبيات متفرقة في الروضتين ١:٤٦١، مفرج الكروب ١:١٨٤ .

(١) المها : البقر الوحش، ويريد النساء على سبيل الاستعارة .

(٢) الطلا : بكسر الطاء الخمر وبفتحها ولد الظبية .

٧ ومن خدودٍ حُمرٍ مورَّدة
أدومُها للحياءِ أطرَفُها

٨ في سلبِ لُبِّي تلطّفتْ فأتى
نحوي بخطٍّ الصِّبا مُلطِّفُها (١)

٩ يامنكراً من هوىً بُليتُ به
علاقةً مايكادُ يَعْرِفُها

١٠ دَعْ سرَّ وجدي فما أَبوحُ به
وخلٍّ حالي فلستُ أكشفُها

١١ واصرفْ كؤوسَ، الملامِ عن فئة
عن شرعةِ الحبِّ لستَ تصرفُها

١٢ من شُرَفِ الحبِّ حلَّ في مُهَج
أَقبَلُها للغرامِ أَشْرَفُها

١٣ لايستطيبُ السُّلوَّ مُغرمُها
ولايلذُّ الشّفاءَ مُدْنَفُها

١٤ فالقلبُ في لوعةٍ أُعالجُها
والعينُ في عبرةٍ أُكفكفُها

١٥ كأنَّ قلبي وحُبَّ مالكه
مصرٌ وفيها المليكُ يوسفُها

١٦ هذا بسلبِ الفؤادِ يظلمني
وهو بقتلِ الأَعداءِ يُنصفُها

١٧ الملكُ النّاصرُ الذي أبداً
بعزِّ سلطانهِ يُشرِّفُها

---

(١) الصبا : الصبوة إلى الحبيب والغرام .

١٨ قامَ بأحوالها، يُدبّرها
حسناً، وأثقالها يُخفّفُها (١)

١٩ بعدله والصّلاحِ يعمرُها
وبالنَّدى والجميل يكنفُها

٢٠ من دنسِ الغادرين يَرْحَضُها
ومن خباثِ العدا يُنظّفها (٢)

٢١ وإنَّ مصراً بملكِ يوسفها
جنّةُ خُلْدٍ يروقُ زُخرفُها

٢٢ وإنّه في السّماحِ حاتمها
وإنّهُ في الوقارِ أحْنَفُها

٢٣ كم آملٍ بالنّدى يُحقّقُهُ
ومنيّةٍ بالنّجاحِ يُسعفُها

٢٤ وليس يُوليك وَعْدَ عارفة
إلاّ وَعندَ النّجازِ يُضعفُها

٢٥ حكّمَ في مالهِ العُفاةَ فما
يَنْفُذُ فيه إلاّ تصرّفُها

٢٦ وإنَّ شَمْلَ اللُّها يُفَرّقُهُ
لمكرماتٍ له يُؤلّفُها

٢٧ ذو شرفٍ مكرماتُهُ سَرَفُ
ويستحقُّ الثّناءَ مُسرفُها

٢٨ وعزمةٍ بالهدى تكفّلَها
وهمةٍ للعلى تكلّفُها

(١) هذا البيت ساقط من الخريدة .
(٢) هذا البيت ساقط من الخريدة .

٢٩ يوسف مصرَ التي ملاحمُها
جاءَتْ بأوصافهِ تعرِّفُها

٣٠ كُتُبُ التّواريخِ لا يُزيّنُها
الاّ بأوصافهِ تُعرِّفُها

٣١ ومَنْ يميرُ العُفاةَ في سنة
أسمنُها للجّدوبِ أعجفُها (١)

٣٢ آياتُ دين الإلهِ ظاهرةٌ
فيكَ ويُثني عليكَ مُصْحَفُها

٣٣ كم جحفلٍ بالعراءِ ذي لجب
بالصفِّ منهُ يضيفُ صَفْصَفُها

٣٤ كالبحرِ طامي العُبابِ لاعبةٌ
بموجهِ للرِّياحِ أعْصَفُها

٣٥ كتيبةٌ منتضىً مهنّدُها
الى الرّدَى مُشْرَعٌ مُثَقَّفُها

٣٦ غادَرْتَها للنسورِ مأكَلَةً
حيثُ بأشلائها تُضيِّفُها

٣٧ منتصفاً من رؤوسِ طاعنة
بباتراتِ الظُّبى تُنصِّفُها

٣٨ وحُطتَ دمياطَ إذْ أحاطَ بها
مَنْ برجومِ البلاءِ يَقْذِفُها

٣٩ لاقتْ غواةُ الفرنج خيبتَها
فزادَ من حسرةٍ تأسُّفُها

---

(١) يمير : يأتي بالميرة وهي الطعام .

٤٠ فرَّ فريريُّها وأزعجهــــا
نــداء داويِّهــا تلهفُهــا (١)

٤١ يمطرُ مطرانُها العــذابَ كمــا
يُردَى بهدِّ السُّقوفِ أسقُفُها

٤٢ تكسرُ صلبانَهــا وتنكسُهــا
لقصمِ أصْلابهــا وتَقصفهــا

٤٣ أوردتَ قلبَ القلوب أرشيــةً
من القنا للدِّماءِ تنزفُهــا

٤٤ وليتهــا سفكهــا معاملُها
عاملُها ، والسِّنانُ مُشرفُها (٢)

٤٥ تعسَّفَتْ نحوكَ الطَّريقَ فمــا
أجــدى سوى هُلكها تَعسُّفُها

٤٦ وحسبهــا في العمى تهــافتُهــا
بــل لسهــامِ الرَّدى تهدُّفُهــا

٤٧ يُمضى لكَ اللهُ في قتــالهــمُ
عــزيمــةً للجهــادِ تُــرهفُها

٤٨ إن أظلمــتْ سُدْفَــةٌ أنَرْتَ لهــا
أبهـى لـيالي البـدورِ مُسدفُها

٤٩ بشــائرُ الدِّيــن في إزالتــه
مــواعــد اللهِ ليس يُخلفُها

٥٠ أدركتَ ما أعجزَ الملوكَ وقــد
بــاتَ إلى بعضهِ تَشوُّفُها (٣)

---

(١) الداوية : قوم من الأفرنج يحبسون أنفسهم لمحاربة المسلمين ويمنعون أنفسهم عن النكاح وغيره ، ولهم أموال وسلاح (النجوم الزاهرة ٦:٣٣ حاشية ٣) .
(٢) عامل الرمح :صدره ، والعامل :الوالي .
(٣) التشوف : التطلع .

٥١ جاوزتَ غاياتِ كلّ منقبة
يعزّ إلاّ عليكَ موقفُها

٥٢ وإنّ طُرْقَ العلاءِ واضحةٌ
آمنُها في السُّلوكِ أخوفُها

٥٣ صلاح دينِ الهدى لقد سَعِدَتْ
مملكةٌ بالصّلاحِ تُتحفُها

٥٤ عندي بشكرِ النُّعمى ثمارُ يد
زاكيةُ الغرسِ أنتَ تَقطفُها

٥٥ فاقبلْ نقوداً من الفضائلِ لا
يصابُ إلاّ لديكَ مَصْرَفُها

٥٦ أصدافُ دُرّي إليكَ أحملُها
وعن جميعِ الملوكِ أصدِفُها (١)

٥٧ إنْ لم تُصخْ لي فهذه دُرري
لأيِّ مَلْكٍ سواكَ أرصفُها

٥٨ وهل لآمالنا سوى مَلِك
ينقدُها برّهُ ويُسْلفُها (٢)

٥٩ دنيا من الفضلِ قد خلَتْ وبدا
للنقص في أهلهِ تَعيُّفُها (٣)

٦٠ وكلّ سوقٍ للفضلِ كاسدةٌ
بانَ لأعدائهِ تحيُّفُها

٦١ وهل يروحُ الرّجاءُ في نَفرٍ
كلهُمُ في العُلى مُزَيّفُها

---

(١) أصدفها : أصرفها ، ويريد أنه يخص صلاح الدين بها .
(٢) يسلفها : يعطيها سلفاً وهي عكس ينقدها أي يعطيها تواً .
(٣) تعيفها : من عافت الإبل الماء أي لم تشربه

٦٢ وقد عـطـفـتْ لي فضائـلي ووفـتْ
لكنْ حظوظي أعيا تـعـطُّـفُها

٦٣ وفضليَ الشّمسُ في مــطــالعها
لكنّ جهلَ الزّمانِ يــكــسفُها

٦٤ قد أعربتْ فيكَ بالثّنا كــلــمي
وحاسدي ضَلّةً يُحرِّفُــهــا

٦٥ أسدى لنا شيــركوه عــارفــةً
يوسفُ من بــعدهما سيخلفُها(١)

٦٦ أنتَ قــمــينٌ بـكلِّ تمــالــدة
إنّكَ ياابنَ الـكــرامِ تُطـرِفُها

(١) شيركوه : هو أسد الدين شيركوه بن شاذي عم صلاح الدين .

(حرف القاف)

(١٣٩)

قال العماد في الشيب* :

(من المجتث)

١ ليلُ الشّبابِ تَولّى
والشّيبُ صبحٌ تألّقْ

ما الشّيبُ إلاّ غبارٌ
من ركضِ عُمري تَعلّقْ

٣ ركبتُ لّما تكهّلْـ
ـتُ بعدَ أدْهَمَ أبلَقْ

٤ وضاعَ مفتاحُ وصلِ الـ
ـحسان فالبابُ مُغلقْ

٥ ولاحِزامي وثيقٌ
ولاعناني مُطلقْ

(١٤٠)

ومن حكمياته ** :

(من الطويل)

١ وماهذه الأيامُ إلاّ صحائفُ
يؤرّخ فيها ثمَّ يُمحى ويُمحقُ

* الخريدة ، قسم الشام ، ١:٥٩ والبيتان الأول والثاني في ريحانة الألبا ١:٨٥ .

** معجم الأدباء ٧:٩٠ ، الوافي بالوفيات ١:١٣٩ ، طبقات الشافعية للسبكي ٦:١٨٣ ، الغيث المسجم ٢:١٦٣ .

٢ ولم أرَ في دهـري كـدائرةِ المنـى
تُـوَسِّـعُـها الآمـالُ والعمرُ ضيقُ (١)

(١٤١)

قال العماد سنة ٥٦٨ للهجرة في وصف دمشق *:

(من مجزوء الرمل)

١ ليـس في الـدُّنـيـا جـميعـاً
بـلـدةٌ مـثـل دمشـقِ

٢ ويسلـيـنـيَ عـنـهـا
في سبـيـلِ اللهِ عـشـقـي

٣ والتُّـقـى الأَصـلُ ومـن يتـ
ـرُكُـهـا يَشْـقَـى ويُشـقـي

٤ كـم رشـيـقٍ شـاغـل عنـ
ـه بسـهـمِ الغَـزْوِ رشقـي

٥ وامتشـاقُ البـيـضِ يُغـنـي
عـنـه بـالأَقـلامِ مشـقي

(١٤٢)

قال العماد في النصح **:

(من الخفيف)

١ دارِ غيـرَ اللّبيـبِ إنْ كنـتَ ذا لـ
ـبّ ولاطفْـهُ حين يـأتي بحذْقِ

٢ فأَخـو السُّكرِ لايخـاطبُهُ الصّـا
حـي إلى أنْ يُفيـق إلاّ بـرِفقِ

---

(١) الغيث المسجم : ولم أر شيئاً مثل دائرة المنى .

* الروضتين ١:٥٢٨ ، الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص١٧ ، والبيتان الأول والثاني في سنا البرق ١:١٢٧ .

** النجوم الزاهرة ٦:١٧٩ .

(١٤٣)

كتب العماد إلى صديقه ببغداد علم الدين أبي الحسن علي بن اسماعيل الجوهري المعروف بالرّكابدار : *

(من الخفيف)

١ جامعُ الشّمْلِ بعدَ طولِ الفراقِ
للمحبّيْنَ كافلٌ بالتلاقِ

٢ ولعلَّ الأيامَ تسمحُ بالوصـ
ـلِ ونَقضي لُبانةَ المشتاقِ

٣ يا أخلائي الكرامَ المضاهيـ
ـنَ بطيبِ العُروقِ طيبَ العِراقِ

٤ ياصبوراً على الصّبابةِ بعدي
لكَ طولُ البقاءِ ما أنا باقِ

٥ فأجرْني من النّوى بالتلاقي
وارثِ لي إذ لاقيتَ ما أنا لاق

(١٤٤)

قال العماد : **

(من السريع)

١ يا ربِّ حتّامَ أعاني الهوى
في ذنب (ذا) المغرب لأرتقي(١)

٢ غارتْ فيَ الشّمسُ فمن أجل ذا
لم تُبقني أطلعُ في المشرقِ

* سنا البرق الشامي ١٠٥:١ .

** كنز الدرر ٣٩١:٧ .

(١) بين المعقوفتين زيادة يقتضيها الوزن والمعنى .

(١٤٥)

بعث نشو الدولة أحمد بن نَفادة (١) سنة ٥٨٨ للهجرة أبياتاً إلى العماد يدعوه فيها إلى دمشق أوان نضوج المشمش ، فكتب العماد في جوابها قصيدة وقد أنشدها للسلطان صلاح الدين ٭ :

(من الطويل)

١ تغنَّمْ زمانَ الجودِ في اللهو واسبقِ
وفُزْ باجتماعِ الشملِ قبلَ التفرُّقِ

٢ هلموا نسابقُ نحوَ مشمس جِلَّقِ
وثم لما نهوى على الأكل نلتقي (٢)

٣ تصفَّرُ شوقاً لانتظارِ قدومنا
ومن يتعشَّقْ ذا الفضائل يشتقِ (٣)

٤ وما رمقَتْ للشوقِ رُمْدُ عيونه
فإنْ تترقَّقْ منه تنظرْ وترفقِ

٥ اذا حضَرتْ أطباقُهُ غابَ رشدُنا
لما يتلاقى من مشوقٍ وشيِّقِ

٦ لأنَّ مذابَ الشَّهدِ فيه مجسَّدٌ
أجدَّ له عهدُ الرَّحيقِ المعتَّقِ

٧ وما اصفرَّ الاَ خوفَ أيدي جناته
فليس له أمنٌ من المتطرِّقِ

٨ حكى جمراتٍ بالفضا قد تعلَّقتْ
فيا عجبي من جمرةِ المتعلِّقِ

---

(١) من شعراء صلاح الدين توفي سنة ٦٠١هـ (الخريدة ، قسم الشام ، ١ : ٢٢٩ والغصون اليانعة ص ٢٦ وفيه شمس الدولة أحمد بن نفادة) .

٭ الروضتين ٢ : ٢١٠ ، الوافي بالوفيات ١ : ١٣٦ .

(٢) الوافي : هلموا الينا .

(٣) الوافي : ومن يتشوق .

٩ كأنّ نجومَ الأرضِ فوقَ غصونهِ
فيا حيرتي من نجة المتألّقِ

١٠ وجنّاتُها محمّرةٌ وَجَناتُها
فَمَنْ يَرَها مثلي يحبُّ ويعشقِ (١)

١١ بدتْ بينَ أوراقِ الغصونِ كأنّها
كراتُ نُضارٍ في لجينٍ مُطرّقِ (٢)

١٢ تساقطُها أشجارُها فكأنّها
دنانيرُ في أيدي الصّيارفِ ترتقي

١٣ ومشمشُ بُستانِ الزّكي بشهده
شهادتُهُ تقضي فَزكٌ وصدّقِ (٣)

١٤ يقولُ رفيقي في دمشقَ تعجباً:
أما لكَ بستانٌ ، مقالة مشفقِ ؟

١٥ فقلتُ : إلى بابِ البريدِ وسوقِه
لأمثالنا تُجنى بساتينُ جِلّقِ

١٦ ولو كانَ لي بالسّهمِ سهمٌ وجدتُ لي
منالي بأيامِ الثّمارِ ومرفقي

١٧ اذا كنتَ مُبتاعاً من السُّوقِ مشمشي
فما ليَ إلاّ لذّةُ المتسوّقِ

١٨ وما لي بأربابِ البساتينِ خلطة
فيصبح في حيطانها مُتسلّقي

---

(١) الوافي : وحبانها .

(٢) قال العماد : فلما أنشدت السلطان صلاح الدين هذا البيت ،قال : تشبيه الورق باللجين غير موافق ، فإن الورق أخضر ، فقلت : كرات نضار بالزمرد محدق .

(٣) الزكي : هو زكي الدين بن محيي الدين قاضي دمشق المتوفى سنة ٥٩٨هـ (مفرج الكروب ٣:١٣٣) .

١٩ كرامٌ وثوقي في الشّتاءِ بودّهم
ولكنّهم في الصّيفِ ينسونَ موثقي

٢٠ وما ثم من يجدي ويقري ويقتني
ثنائي سوى المحبي الكريم الموفّقِ

٢١ وذلكَ يومٌ واحدٌ ليس غيره
أمنْ أجلِ يومٍ واحدٍ قلتَ لي اسبقِ؟

٢٢ على أنّني لو قيلَ بالصّينِ دعوةٌ
أثرتُ إليها لوعةَ المتحرّقِ

٢٣ فإنْ جئتَ قبلي جِلّقاً فارمِ منعماً
حديثي ينادي المنعمينَ وحلّقِ

٢٤ لعلَّ كريماً يَنتخي لضيافتي
بمشمشةٍ عندَ القدومِ وينتقي

٢٥ فلا تنسَ نشوَ الدّينِ نشوةَ خاطري
وقلْ عن صبوحي كيف شئت ورقّقِ

٢٦ وهاتِ وساعدني وخُذْ من قريحتي
لطيمةَ داريٍّ من الحمدِ واعبقِ(١)

(١٤٦)

كتب العماد إلى القاضي الفاضل في شكوى الحال * :

(من المجتث)

١ دمشـــقُ تقصـــدُ عظمـي
بعرقـــةٍ أيَّ عرقـــهْ(٢)

---

(١) اللطيمة : قطعة المسك . الداري : العطار ، يقال : إنه نسب إلى دارين فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل اليها مسك من ناحية الهند .

* سنا البرق الشامي ١ : ٥٥ .

(٢) عرق العظم عرقاً : أكل ماعليه من اللحم وأخذه كله .

٢ إخفـاقُـــهُ لـــرجـائـــــــي
فيها وللقلـــبِ خَفْقَـــهْ

٣ أقمـــتُ فيهـــا وحيــــــداً
كالـدُّرِّ ضمتْنـــهُ حُقَّـــهْ

(حرف الكاف)

(١٤٧)

قال العماد : لما كنت بماردين (١) سنة ٥٦٥ للهجرة كتبت إلى بعض المعارف * :

(من مجزوء الرمل)

١ قد نزلنا في جوارِكْ
وحللنا قربَ دارِكْ

٢ وسرينا في الدّياجي
فهدانا ضوءُ نارِكْ

٣ فتداركْ أمرَنا اليو
مَ بطَولٍ متداركْ

٤ وتفرّدْ باغتنامِ الشُّـ
ـكرِ من غيرِ مشارِكْ

(١٤٨)

قال العماد في رثاء نور الدين محمود سنة ٥٦٩ للهجرة ** :

(من المتقارب)

١ عجبتُ من الموتِ كيف اهتدى
إلى مَلِكٍ في سجايا مَلَكْ !

(١) ماردين : عاصمة أرمينيا الوسطى (معجم البلدان ٥ : ٣٩).

* الروضتين ١ : ٤٦٣ .

** الروضتين ١ : ٥٨١ ، مفرج الكروب ١ : ٢٨٥ .

٢ وكيف ثوى الفلك المستديـ
ـرُ في الأرضِ ،والأرضُ وسط الفلَكْ؟

(١٤٩)

اجتمع العماد الأصبهاني والقاضي الفاضل في موكب السلطان صلاح الدين وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ماسدّ الفضاء ، فتعجبا من ذلك ، فأنشد العماد في الحال * :

(من مجزوء الكامل)

١ أمــا الغبــارُ فإنّــهُ
ممــا أثـارَتْـهُ السّنابـكْ

٢ والجــوُّ منــه مظلــمٌ
لكنْ أنارَ بـه السّنـابلـكْ

٣ يـادهـرُ لـي عبـدُ الرّحيـ
ـمِ فلستُ أخشى مـسّ نابـكْ(١)

(١٥٠)

كتب العماد الأصبهاني القصيدة الآتية وهو بالشام إلى علم الدين أبي الحسن علي بن اسماعيل الجوهري المعروف بالرّكابدار ** :

(من مجزوء الرمل)

١ بانقيـادي لمـرادِكْ
وبِصدقـي فـي وِدادِكْ

٢ وبسُقيـاكَ ، مـن الحِفـ
ـظِ ، عُهـودي بعهـادِكْ(٢)

---

* معجم الأدباء ٧ : ٨٥ ،وفيات الأعيان ٥ : ١٥٠ ،الوافي بالوفيات ١ : ١٣٨ ، طبقات السبكي ٦ : ١٨٢ ، النجوم الزاهرة ٦ : ١٧٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٩٤ ، شذرات الذهب ٤ : ٣٣٢

(١) قال الصفدي : ليس بين الثالث وما قبله علاقة وانما الجناس اضطره إلى ذلك .

** الخريدة ، قسم العراق ، ٣/٢ : ٥٧ .

(٢) العهاد : مطر أول السنة .

٣ لاتحمِّلْ قلبيَ المشـ
ـتاقَ أثقالَ بعادِكْ

٤ ماعلى الوجدِ فؤادي
صابراً مثل فؤادِكْ

٥ ولقد أضحى، على رُغـ
ـمِ العدا طَوْعَ قيادِكْ

٦ واعتقادي، في ودادِيـ
ـكَ صحيحٌ كاعتقادِكْ

٧ واعتضادي بكَ، في كـُ
ـلِّ المعاني، كاعتضادِكْ

٨ لَبَّ مَنْ لو لم يؤمِّلْ
منكَ عُرْفاً، لم يُنادِكْ

٩ وأصِبْ مَرمىً مرامي
فمُرادي من مُرادِكْ

١٠ واعتمدْ ما يُحرزُ الدَّهـ
ـرُ به شكرَ عمادِكْ

١١ أجْرِه، في بعثِكَ الكُتـ
ـبَ، على مشكورِ عادِكْ

(١٥١)

قال العماد وهو في طريقه إلى مصر صحبة السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة وقد عبر المسالك القريبة من الشوبك * :

(من السريع)

١ طريقُ مصر ضيِّق المسالكِ
سالكُهُ لا شكَّ في مهالكِ

---

* الروضتين ١ : ٦٨٠ .

٢ وحبُّ مصر صار جُبّاً لمن
أَوقَعَهُ في شبكِ الشَّوْبَكِ (١)

٣ لكنَّما منْ دُونها كعبةٌ
محجوجةٌ مبرورةُ المنسلكِ

٤ بها صلاحُ الدِّين يُشكى الذي
إليه من أيامه يشتكي

(١٥٢)

قال العماد : ومما قلته في نورالدين – رحمه الله – أنني في مبدأ وصولي إلى جنابه ، تعذّر لقائي له لشدّة حجابه ، فكتبت إليه * (دوبيت) :

١ ما أعلمُ ، والحظُّ عزيزُ الدَّرَكِ
لمْ أُحْرَمُ تقبيلَ يمينِ المَلِكِ

٢ يا مَنْ بمرادهِ مدارُ الفَلَكِ
أبشرْ بوقوعِ شاكرٍ في الشركِ

(١) الشوبك : قلعة حصينة بين عمان وأيلة قرب الكرك (معجم البلدان ٣ : ٣٧٠).

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص٤٢ .

ـ حرف اللام ـ

(١٥٣)

في مدح صلاح الدين سنة ٥٦٤ للهجرة : *

(من مخلع البسيط)

١ بالملكِ النّاصرِ استنارتْ
في عصرنا أوجهُ الفضائلْ

٢ عليَّ من حقّهِ فروضٌ
شكراً لما جادَ من نوافلْ

٣ يوسفُ مصرَ الذي إليه
تشدُّ آمالنا الرّواحلْ

٤ أجريتَ نيلينِ في ثراها:
نيلَ نجيعٍ ونيلَ نائلْ

٥ رأيتَ في الدّهرِ عن رزايا
جلا مهماته الجلائلْ

٦ كم كرمٍ من نداكَ جارٍ
وكم دمٍ من عداك سائلْ

٧ وكم معادٍ بلا معادٍ
ومستطيلٍ بغيرِ طائلْ

٨ وحاسدٍ كاسدِ المساعي
وسائدٍ ناطقِ الوسائلْ

---

* مفرج الكروب ١ : ١٧٨ ، الروضتين ١ : ٤٥٢، الخطط المقريزية ٢ : ١٩

٩ أقررتَ عين الإسلام حتى
لم يبقَ فيها قذًى لباطلْ

١٠ وكيف يزهى بملكِ مصر
من يستقل ذنباً لنائلْ

١١ وما نفيتَ السُّودانَ حتى
حُكِّمتِ البيضُ في المقاتلْ(١)

١٢ صيرتَ رحبَ الفضاءِ ضيقاً
عليهمُ كفة لحابلْ

١٣ وكلٌّ رأي منهم كراء
وأرضُ مصر كلام واصلْ

١٤ وقد خلتْ منهمُ المغاني
وأقفرتْ منهمُ المنازلْ

١٥ وما أُصيبوا الاّ بطلٍّ
فكيف لو أُمطروا بوابلْ

١٦ وقد تجلّى بالحقّ ما بال
باطل في مصر كان عاجلْ

١٧ والسُّودُ بالبيضِ قد أبيحوا
فهي بَوَازٍ بهم نوازلْ

١٨ مؤتمنُ القومِ خانَ حتى
غالتْهُ من شرّه غوائلْ (٢)

---

(١) كان عدد السودان بمصر كثيراً ، وكانوا –كما قال أبو شامة المقدسي– اذا قاموا على وزير قتلوه ،واجتاحوه وذلوه ، واستباحوه واستحلوه . وقد حار بهم صلاح الدين وقطع دابر شرهم (الروضتين ١ : ٤٥١) .

(٢) مؤتمن : هو مؤتمن الخلافة جوهر ، كان مقدم السودان ، ومتحكماً في قصر العاضد لدين الله . قال العماد الأصفهاني :كان له قصر يقال له الخرقانية ، فخلا فيه يوماً للذته ،ولم يدر أنه يوم ذلته ، فأنهض اليه صلاح الدين من أخذ رأسه ونزع من حياته لباسه ، وذلك في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة (سنا البرق الشامي ١ : ٨٣) .

١١ عاملكُمْ بالخنا ، فأضحى
ورأسُه فوقَ رأسِ عاملْ (١)

٢٠ وحالف الذُّل بعد عزٍّ
والدَّهرُ أحواله حوائلْ

٢٢ يا مخجلَ البحرِ بالأيادي
قد آن أن تُفْتحَ السواحلْ

٢٢ فقدِّس القدسَ من خباثِ
أرجاسِ كفر غُتْم أراذل (٢)

(١٥٤)

كتب العماد إلى علم الدين الشاتاني : *

(من المنسرح)

١ لا أوحشَ اللهُ منك يا علم الدّ
ين نَديَّ الكرام والفُضلا

٢ أعَنْ قِلاً ذا الصُّدود أم ملَلٍ
حاشا العُلى من مَلالةٍ وقِلا

٣ هل جائزٌ في العُلى لربٍّ عُلىً
أنْ يَغْتَدي هاجراً لِربِّ عُلى

٤ كنت أخاً إن جَفا الزَّمان وفَى
أو قطع الودَّ أهلهُ وَصَلا

٥ إن أظلمتْ خطّة أضاءَ لنا
أو ظَلَم الخطبُ جائراً عدَلا

(١) الخنا : من قبيح الكلام . العامل : صدر الرمح .
(٢) الأغتم : من لايفصح شيئاً ،والجمع غتم .
* الخريدة ، قسم الشام ، ٢ : ٣٧٩ .

٦ رفيقُ رِفقٍ لنا اذا عَنُفَ الدّ
هرُ وخلاًّ يُسَدِّدُ الخلَلا

٧ صديقُ صِدقٍ مازال إن كذَبَ السُّعاة
للأَصدقاء مُحْتَملا

٨ فما الذي كدَّر الصَّفاءُ منَ الـ
ـودِّ ولم يَرْوِ وِردُه الغُلَلا

٩ فضلُكَ رُوح العُلى وهل بَدَنٌ
من روحهِ الدَّهرَ واجدٌ بَدَلا

١٠ عَذِّبْ بما شئتَ من مُعاتبةٍ
أمّا بهذا الهَجْرِ المُمِضِّ فلا

١١ في العمرِ ضيقٌ فصُنْهُ مُنتهزاً
في سَعة الصّدرِ فُرْصةُ العقلا

١٢ أما كفى نائبُ الزَّمان على
تفريقِ شملِ الأُلاَّفِ مُشتملا

١٣ ما بالنا ما نَرى وإنْ كرموا
لا من الأَصدقاء كلَّ بَلا

١٤ اذا شَعِفْنا بقُرب ذي شَعَفٍ
بقربنا قيل قد نأى وسَلا

١٥ زهدْتَ فينا وسوف تطلبُنا
رُبَّ رخيصٍ بعد الكساد غلا

١٦ إن كان في طبعك المَلالُ من الشـ
ـيءِ فَهَلاَّ مَلَلْتَ ذا المَلَلا

١٧ بعدَ كمالِ الإخاء تنقصُهُ
فحاذِرِ النّقصَ بعدَ ما كَمُلا

١٨ كم صاحبٍ قال لي : ألستَ على
بلاءِ وُدّي تقيمُ ، قلت : بلى

١٩ كفى لِخلّي بيدَيْن خُلّته
مَجْدي وفضلي ومحتدي كَفَلا

٢٠ وكلَّ عِلمٍ لم يكسُ صاحبَهُ
حِلْماً تراه عُطْلاً بغيرِ حُلَى

٢١ لحفظِ قلبِ الصديق أجترع الصَّ
ـابَ وأبقي لكأسهِ العَسلا

٢٢ إنْ أنكرَ الحقَّ كنتُ مُعترفاً
به أو اعوجّ كنتُ مُعتدِلا

٢٣ أو قال ما قال كنتُ مُستمعاً
إليه بالقولِ منهُ مُحتفِلا

٢٤ فضلُكَ في العالمين ليس له
مِثْلٌ وقد سار في الورى مَثَلا

٢٥ فأولِنا الفضلَ يا وليَّ أولي الـ
فضلِ ولا تبغِ حَلَّ عَقْدٍ ولا

٢٦ يا علمَ الدينَ أنتَ علاّمة الـ
ـعِلْم الجليُّ الأوصاف وابنُ جَلا

٢٧ عرّفنيَ العُذْرَ في اجتراحك ذنـ
ـبَ الصدّ واحضر مُستَحيياً خَجِلا

٢٨ وافصل جميلاً هذي القضيّة بالـ
ـعَدْلِ وخلّ التفصيل والجُمَلا

٢٩ واعذُرْ جَهولاً اذا حسدتَ فما
صارَ حسوداً إلاّ لِما جهلا

٣٠ وَجِلْتُ من هجركَ المخوف فصِلْ
واجْلُ عن القلبِ ذلكَ الوَجَلا

٣١ وابخلْ بودّي ياسَمْحُ فالسُّمحاء الـ
ـغرُّ صيدٌ بودّهم بُخلا

٣٢ إنّ الكرام الذين أعرفُهُمْ
قد أوضحوا لي من عُرفهم سُبُلا

٣٣ يسامحون الصديق إن زلّت النّعلُ
ويُغْضون إن رأوا زَلَلا

٣٤ وهم خِفافٌ إلى المكارم لي
لكنهم عن مكارهي ثُقَلا

٣٥ فكن من المرتجى غناؤهُمُ
في صدقِ ودي وحققَ الأَملا

(١٥٥)

في مدح صلاح الدين سنة ٥٦٤ للهجرة : *

(من البسيط)

١ فالشّامُ يغبطُ مصراً مذ حللتَ بها
كما الفراتِ عليكم يحسدُ النيلا

٢ نلتم من الملك عفواً ما الملوك به
عنُوا قديماً وراموه فما نيلا

* الروضتين ١:٤١١ ، مفرج الكروب ١:١٧٣ .

كتب العماد إلى صديقه نشو الدولة أحمد بن نفادة سنة ٥٨٨ للهجرة قصيدة ، وهو في طريقه من القاهرة إلى دمشق ، تناول فيها وصف المشمش: *

(من المنسرح)

١ قد صحَّ عزمي على المسير فلا
أبغي مقامي ، والقلبُ قد رحلا

٢ أمضي إلى دُميةٍ مُقبّلُها
أرشفُ منه المدامَ والعسَلا

٣ مصوَّرٌ ، بل مدورٌ ، عجبٌ
ترى به ، وهو جامدٌ شُعَلا

٤ ففي قلوبِ الأشجارِ منه جُذاً
وفي ظهور الغصون منه كُلَى (١)

٥ طَلوا بماءِ النضارِ ظاهرَهُ
لباطنٍ في حشاهُ نارُ طلا

٦ تخفى اذا ما بدا لعينكَ في
فيكَ ، وفيه النَّوى إذا وصلا

٧ حُليُّ تبرٍ على عرائسَ أغـ
صانٍ تشكت من قبلها عَطَلا

٨ حمرٌ حسانُ الوجوهِ قد لبستْ
من خضرِ أوراقها لها حُلَلا

* الروضتين ٢ : ٢١٠ ، الوافي بالوفيات ١ : ١٣٧ .

(١) القافية في الروضتين : كلى ، وفي مفرج الكروب : حلى . جذاً : جمع جذوة ، وهي القبسة من النار ، وقيل : الجمرة .

٩ عرائسٌ من خدورِهـــــا برزتْ
تحسبُ أشجارَها لها كِلَـــلا

١٠ حلاوةٌ لايملُّ آكلُهــــــــا
إذا الحلاواتُ أحدثتْ ملَـــلا

١١ زهرٌ كشُهبِ السّماءِ راجمـــــةٌ
جِنَّ جُناةٍ بقطفها كفـــلا (١)

١٢ عيونُها الرُّمدُ في تـــرقبـنـــــا
جاحظةٌ أبرزتْ لنا مُقَـــلا

١٣ ماذا التّواني وذا التأخـــــــر والـ
إبطاء قَدِّمْ مسيرنا عـــجــلا

١٤ تغدو خِفافاً الى مـــــواسِمـــهـا
مِن قبل نبلى بصحبة النــقـــلا

١٥ قد انتظرنا مـن الخزانةِ مـــــــا
نُعْطَى فأكدى نوّابها البخـــلا (٢)

١٦ فان عدمنا من عندهم ذهـــبـــــاً
فما عدمنا عنـــه به بــــــدلا

١٧ وكلُّنا في عوارفِ الملكِ النّاصـــرِ
نُرعى ونسلكُ السُّبـــــلا

---

(١) مفرج الكروب : وهي كشهب .
(٢) أكدى : بخل في العطاء .

(١٥٧)

قال العماد : واتفق حضوري بالموصل في ذي القعدة سنة ٥٤٢ للهجرة، فحضرتُ عند جمال الدين (١) بالجامع في جمعتين ، وتكلمتُ عنده مع الفقهاء في مسألتين ، ومما مدحته به من قصيدة ، وذلكَ من أول نظمي ، أولها * :

(من الوافر)

١ أظنهم وقد عزموا ارتحـــالا
ثنوا عنا جَمالا لا جِمـــالا

٢ سروا والصبحُ مبيضٌ الحواشـــي
فلما حالَ عهدُ الوصلِ حـــالا

٣ هم اعتادوا الملالَ ، فكيف ملّـــوا
وصالهم وما ملّوا المـــلالا

٤ أحادي عيسهم ، باللهِ رفـــقـــاً
فانَّ السَّيرَ أورثها الكـــلالا

٥ وعُجْ نحوَ الأراكِ بهـــا ، فإنّي
أراهُ لاجتماعِ الشّملِ فـــالا (٢)

٦ سقى صَوْبُ الحيا تلعاتِ نـــجـــد
وحيّا بالحمى تلكَ التِّـــلالا (٣)

٧ أخلائي ، وهل في النّاسِ خـــلٌ
به أخلي مِن الأحزان بـــالا

---

(١) جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي الأصفهاني وقد سبقت ترجمته .

* الروضتين ١ : ٣٤٦ ، تاريخ دولة آل سلجوق ص١٩٤ .

(٢) فألا : بتسهيل الهمزة .

(٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض ،وما هبط منها ، والجمع تلعات .

٨ لئنْ لم أشفِ صدري مِن حســودي
ولم أُذق العِدا داءً عُضــالا

٩ فلا أدركتُ من أدبي مــــراداً
ولاصادفتُ من حسبي مــنالا

١٠ ولا وخدتْ إليكم بي جِمــالٌ
ولا واليتُ مولانــا الجَمــالا

١١ هو المغني اذا ما المرءُ أقــوى
هو المنجي اذا ما الخطبُ هــالا

١٢ وقائلةٍ : أفي الدنيــا كــريــم
سواه ؟ فقلتُ : لا وأبي العُــلا ، لا

١٣ أطلتَ على الورى كرماً وفخــراً
كذلكَ من حوى هذين طــالا

١٤ وحزتَ المجدَ عــن كســب وارث
فيا صدرَ الورى حزتَ الكمــالا

١٥ خُصِصتَ بكلِّ مَنْقَبَةٍ وفضــلٍ
تعالى من حباكَ بهِ ، تعــالى (١)

(١٥٨)

وقال * :

(من الكامل)

(١) والغصن مهزوزُ القوام كَأنَّمــا
دارت عليه من الشمال شمــولُ

(١) المنقبة : الفعل الكريم .
* الخريدة ، قسم الشام ، ٢ : ٣٧٣ .

(٢) والدهرُ كالليل البهيم وانتـــم
غُرَرٌ تنيرُ ظلامَه وحُجــولُ

(١٥٩)

قال العماد : وكتبتُ عقيب وفاة نور الدين (١) إلى أصدقائي ببغداد قصيدة أتشوقهم فيها ، وأرثي نور الدين * :

(من الهزج)

١ تُرى يجتمـعُ الشّـمـلُ؟
تُرى يَتَفِـقُ الوصـلُ ؟

٢ تُـرى العيـشَ الـذي مرَّ
مريـراً بعـدهُـمْ يحلـو ؟

٣ تُـرى مـن شاغـلِ الهـمِّ
فـؤادي المبتـلى يخلـو ؟

٤ بغيـري شُغـلـوا عـنّي
وعنـدي بهـمُ شُغْـلُ

٥ وكانـوا لا يـملّـونَ
فمـا بالـهـمُ ملّـوا ؟

٦ ورامـوا سلـوةَ المغـرَ
مِ ، والمغـرمُ لايَسْلُـو

٧ إذا ماكنـتُ لا أسلُـو
فمـاذا ينفـعُ العَـذْلُ ؟

---

(١) سنة ٥٦٩هـ .

* الخريدة ، بداية شعراء الشام. ص٦٧ وثمانية أبيات من القصيدة في الروضتين ١ :٥٨٨ ومفرج الكروب ١ :٢٨٦ واثنا عشر بيتاً في سنا البرق ١ :١٦٠ .

٨ أَلا ياقلبُ إنَّ العِزَّ
في شرعِ الهوى ذُلُّ
٩ وما دَلَّ على ذلـ
ـكَ إلاَّ ذللكَ الدَّلُّ
١٠ أَلا ياحبذا بالجِزْ
عِ ذاكَ البانُ والأَثلُ
١١ إذِ الأَبكارُ للآصا
لِ في بهجتها تتلُو
١٢ وأَنفاسُ صبا الأَسحا
رِ بالصِّحَّةِ تعتلُّ
١٣ هديل الوُرْقِ في مُورِ
قةٍ ، أَفنانُها هُدْلُ
١٤ وأَكنافُ الصِّبا خُضْرٌ
وأَفناءُ الحمى خُضْلُ
١٥ وللذَّاتِ أَبوابٌ
وما من دُونها قُفْلُ
١٦ تُرى يرجعُ من طيبِ
زماني ذلكَ الفَصْلُ
١٧ تغرَّبتُ ، فلا دارٌ
ولا جارٌ ، ولا أَهلُ
١١ أَخلائي ببغدادَ
وهل لي غيركمْ خلُّ؟
١٩ سقَى مغناكمُ دمعي
إذا ما احتبسَ الوبلُ

٢٠ عـذابي فيكـم عَـذْبٌ
وقتـلي لكـمُ حِـلٌّ

٢١ وهـذا الدَّمـعُ قـد أعـر
بَ عـن شوقـيَ فاستملـوا

٢٢ وهـذا الديـنُ قـد حَـلّ
فـلِمْ ذا الوعـدُ والمطـلُ

٢٣ أعيـذوني مـن الهجـر
فهجرانكـمُ قَتْـلُ

٢٤ هبـوا لـي لُـقيةً منكـمْ
فبالأرواحِ مـا تغلـو

٢٥ وإن شئتـمْ عـلى قلبـي
وسلـوانكـمُ دُلّـوا

٢٦ لفقـدِ الملـكِ العـاد
لِ يبكـي المُلْـكُ والعَـدْلُ

٢٧ فأيـنَ الكـرمُ العِـدُّ؟
وأين النـائـلُ الجَـزْلُ؟ (١)

٢٨ وقـد أظلمـتِ الآفـا
قُ ، لا شَمـسٌ ولا ظـلّ

٢٩ ولمّـا غـابَ نـورُ الدّيـ
ـنِ عنّـا أظلـمَ الحَفْـلُ

٣٠ وزالَ الخصـبُ والخيـرُ
وزادَ الشـرُّ والمَحْـلُ

---

(١) هذا البيت ساقط من الخريدة وأضيف من سنا البرق .

٣١ ومـاتَ البـأسُ والجـو
دُ ، وعاشَ اليأسُ والبُخـل

٣٢ وعـزَّ النّقـصُ لمـا هـا
نَ أهـلُ الفضـلِ والفَضْلُ

٣٣ وهـل ينفـقُ ذو العِلـم
إذا مـا نَفَـقَ الجَهْـلُ

٣٤ وإنَّ الجـدَّ لا يسـمـ
ـنُ حتى يُسمـنَ الهَـزْلُ

٣٥ ومـذْ فـارقَ أهـلَ الخيـ
ـرِ ماضُـمَّ لـه شَمْـلُ

٣٦ وكـادَ الدِّيـنُ ينحـطُّ
وكـادَ الكفـرُ أنْ يعلـو

٣٧ عـلى قلبـي مـن الأيـا
مِ في خِفَّتِهـا ثِقـلُ

٣٨ وقـد حَـطَّ عـلى الكـرهِ
مـن الهـمِّ بـهِ رَحْـلُ

٣٩ ومَـنْ صُلْـتَ بـهِ فـي الدَّهـ
ـرِ أضحـى وهـو لـي صِلُّ

٤٠ تـولّى دُونَـيَ الـدُّونُ
وأبقَـى العِـزُّ لـي عَـزْلُ

٤١ وأولـى بـي مـن الحليـ
ـةِ مـا بينهـمُ العَطْـلُ

٤٢ ومـاذا ينفـعُ الأعيـ
ـنَ من بعدِ العَمَى كُحْلُ

٤٣ ولولا المَلكُ الصالـ
ـحُ ماشَدُّوا ولاحَلُّوا(١)

٤٤ ولمّا أنْ زكا النَجْرُ
زكا في الكرمِ النَجْلُ (٢)

٤٥ وجاءَ الفرعُ بالمقصو
دِ لمّا ذهبَ الأصْلُ

٤٦ وجودُ البعضِ كافٍ لكلِّ
إذا ما فُقدَ الكلُّ

٤٧ وليثُ الغابِ إن غابَ
حَمَى موضِعَهُ الشِّبْلُ

٤٨ وما كان لسنورِ الديْـ
ـنِ ولا نجلُهُ مثلُ

٤٩ توكّلتُ على اللـه
إذا ضاقتْ بي السُّبْلُ

٥٠ وعلّقتُ بحبلِ اللـه
كفيٍّ ، فهو الحَبْلُ (٣)

(١٦٠)

كتب العمادُ الى القاضي الفاضل سنة ٥٧٩ للهجرة * :

(من الكامل)

١ عُذرُ الزّمانِ بأيِّ وجهٍ يُقبلُ
ومحبُّكم بالصدِّ فيهِ يُقتلُ

(١) الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود وقد سبقت ترجمته .
(٢) زكا : نما . النجر : الأصل .
(٣) الحبل : العهد والميثاق .
* البرق الشامي ٥:١٣٥ب ، الروضتين ٢:٥٤ .

٢ مالي سوى إنسان عيني مُسعداً
بالدَّمعِ ، إنسانٌ عليه أُعَوِّلُ

٣ الدَّهرُ ليلٌ كلُّه في ناظري
لاصبحَ إلا وجهُكَ المتُهلِّلُ

٤ خيرتمُ بينَ المنيَّةِ والنوى
لاتهجروا فالموتُ عنديَ أَسْهَلُ (١)

٥ ماكانَ منكرُ فضل حقِّي جاهلاً
إن كنتُ أُنكر فضلكم أو أجهلُ

٦ ياغائبينَ وهمْ بفكريَ حُضَّرٌ
ياراحلينَ وهمْ بقلبيَ نُزَّلُ

٧ ما للسُّلوِّ الى فؤادي منهجٌ
ماللصبابةِ غيرَ قلبي مَنْهلُ

٨ لاتعدلوا عنّي فما لي معدلٌ
عنكمْ وليس سواكمُ لي موئلُ

٩ كلُّ الخطوبِ دفعتُها بتجلُّدي
إلاَّ التفرُّقَ فهو خطبٌ مُعْضِلُ (٢)

١٠ إذا لم يجدني طيفُكُم في زورة
فلأنني منه أدَقُّ وأنحلُ (٣)

١١ لاصبرَ لي ، لاقلب لي ، لاغمضَ لي
لاعلمَ لي بالبينِ ماذا أفعلُ ؟

١٢ إن تذهلوا عنّي فانّي ذاهلٌ
بهواكم عن ذكركم لا أذهلُ

---

(١) الروضتين : المنى .
(٢) البرق الشامي : دفعته .
(٣) الروضتين : إن لم .

(١٦١)

في رثاء صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ للهجرة * :

(من الكامل)

١ مَنْ للعُلى ،مَنْ للذُّرى ،مَنْ للهُدى
يحميه ، مَنْ للبأسِ ، مَنْ للنائلِ ؟

٢ طلبَ البقاءَ لملكه في آجـــلِ
إذ لم يثقْ ببقاءِ مُلْكِ العاجـــلِ

٣ بحرٌ أعادَ البرَّ بحـــرا بـــــرِّه
وبسيفهِ فُتحتْ بلادُ السّاحـــلِ

٤ مَنْ كان أَهـلُ الحقِّ في أيامـــه
وبعزِّهِ يردونَ أَهـــلَ الباطـلِ

٥ وفتوحُهُ والقدسُ مِن أبكارِهـــا
أبقتْ له فضلاً بغيرِ مُساجـــلِ

٦ ماكنتُ استسقي بغيرِكَ وابـــلاً
ورأيتُ جودَكَ مُخجلاً للـوابلِ

٧ فسقاكَ رضوانُ الإله لأنَّـــنــي
لا أَرتضى سُقيـا الغمامِ الهاطـلِ

---

* الروضتين ٢ : ٢١٧ .

(١٦٢)

في مدح القاضي الفاضل سنة ٥٧٠ للهجرة * :

(من الكامل)

١ قد أهديَ الإثراءُ في الإيفاض لي
مذ فاضَ لي بالرّحبِ بحرُ الفاضلِ (١)

٢ قد عاضَ لي ملقاهُ من فقري غنىً
ما زالَ صَرْفُ الدّهرِ منه عاضلي (٢)

٣ كم من مُنىً ظَلّتْ وعاودتِ الهدى
بلقائهِ حتى غلبتُ مناضلي

٤ عاينتُ طَوْدَ سكينةٍ ورأيتُ شم
س فضيلةٍ ووردتُ بحرَ فواضلِ

٥ ولقيتُ سَحْبانَ البلاغةِ ساحباً
ببيانهِ ثوبَ الفخارِ لوائلِ (٣)

٦ أبصرتُ قُساً في الفصاحةِ معجزاً
فعرفتُ أنيَ في فَهاهةِ باقلِ (٤)

٧ حلفُ الفصاحةِ والحصافةِ والسّما
حةِ والحماسةِ والتُّقى والنائلِ

* الخريدة ، قسم مصر ، ١ : ٣٧ وأبيات متفرقة في الروضتين ١ : ٦٤١ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٧٣ .

(١) الايفاض : من أوفض له ، أي بسط له بساطاً وأكرمه . الرحب : الترحيب .

(٢) عاضلي : مانعي .

(٣) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي ، خطيب يضرب به المثل في البيان ، اشتهر في الجاهلية ، وعاش زمناً في الاسلام ، أسلم في زمن النبي ، وأقام في دمشق أيام معاوية ، وتوفي سنة ٥٤هـ (خزانة الأدب للبغدادي ٤ : ٣٤٧).

(٤) الفهاهة : العي . باقل : اسم رجل يضرب به المثل في العي ، وفي المثل أعيا من باقل (جمهرة الأمثال ٢ : ٧٢) .

٨ بحرٌ من الفضلِ الغزيرِ خِضَمُّهُ
طامي العُبابِ ومالهُ من ساحلِ

٩ وجميع ما في الأرض سبعة أبحر
وبحوره تُسْمى بعشر أنامل(١)

١٠ في كفِّهِ قلمٌ يُعجِّلُ جريُهُ
ماكان من أجلٍ ورزقٍ آجلِ

١١ يجري ولا جَرْيَ الحسام اذا مضى
حدّاهُ بل جَرْيَ القضاء النازلِ

١٢ نابتْ كتابتُهُ منابَ كتيبة
كُفِلَتْ بهزمِ كتائبٍ وجحافلِ

١٣ كم جادَ اسعافاً لعافيهِ وكم
أملى التجاحَ على رجايَ الآملِ

١٤ بيراعهِ أبداً يُراعى عالمٌ
في سِرْبهِ ويُراعُ سربُ الجاهلِ

١٥ فعدوُّهُ في عَدْوهِ ، ووليُّهُ
في عَدْلهِ ، ياحُسْنَ عادٍ عادلِ !(٢)

١٦ ريّانُ من ماءِ التُّقى ، صادٍ إلى
كَسْبِ المحامدِ ،وهي خيرُ مناهلِ

١٧ غَطّتْ فضيلتُهُ نقيصةَ دهرِنا
عنّا وأذهبَ حقُّهُ بالباطلِ

١٨ كفلتْ كفايتُه بكلِّ فضيلة
أكرِمْ بكافٍ للفضائلِ كافلِ !

---

(١) هذا البيت ساقط من الخريدة ، وأضيف من الروضتين .
(٢) الروضتين : أكرم بعاد عادل .

١٩ أكرمْ به من خِدْنِ إفضالِ وذي
فَضْلٍ لأهل الشام شافٍ شاملِ !

٢٠ ما حلَّ في بلدٍ فكانَ مَحَلُّهُ
إلاّ محلَّ حياً بروضٍ ماحلِ

٢١ ففداءُ حزمِكَ كلُّ غاشٍ غاشمٍ
وفداءُ فضلكَ كلُّ غافٍ غافلِ

٢٢ يا أوحدَ العصرِ الذي بزَّ الورى
فضلاً بغيرِ مشاكهٍ ومشاكلِ (١)

٢٣ يا أفضلَ الفصحاءِ بل يا أفصَح الـ
بلغاءِ منفرداً بغيرِ مساجلِ

٢٤ يا حالياً بالفضلِ حلَّ تفضلاً
منِّي بجدِّك جيدَ خطٍّ عاطلِ

٢٥ كم ناقصٍ إدبارُه قد ردَّني
لكنّما إقبالُ فضلكَ قابلي

٢٦ قد كان هذا الشّامُ لولا أنتمُ
روعَ المقيم بهِ وروحَ الرَّاحلِ

٢٧ كيف السّبيلُ إلى نجاحِ مقاصدي
ومحاسني — وهي العيوب— وسائلي

٢٨ ما لي وجاه الجاهلين فأغنني
عنهم ، كفيتَهُمُ ، وجُدْ بالجاهِ لي

٢٩ جُدْلي بمنّتكَ الضعيفة مُنّتي
عنها وأثقلْ من جميلك كاهلي

---

(١) الروضتين : ياواحد ... مشابه مشاكل . مشاكه : مشابه ومقارب .

٣٠ أرجوك معتنياً لدى السُّلطان بي
كرماً فمثلُكَ يَعتني بأماثلي (١)

٣١ تُوفي وليّكَ دَيْنَ مَجْد عاقَهُ
لَيُّ الوعودِ من الزّمانِ الماطلِ

٣٢ قرِّرْ ليَ الشُّغلَ المبجّلَ مخلياً
بالي من الهمّ المقيم الشّاغلِ

٣٣ لازلتَ غيثَ مكارمٍ وبقيتَ غَوْ
ثَ أكارمٍ وسلمتَ كهفَ أفاضلِ

(١٦٣)

كتب العمادُ إلى الملك الناصر محمد بن شيركوه بعد خروجه من دمشق إلى القاهرة سنة ٥٧٢ للهجرة * :

(من المجتث)

١ بمهجتي خَنِثُ العطْ
فِ مستلذُّ الدّلال

٢ يقولُ لي بانكسارٍ
ورقّةٍ واعتلالِ

٣ معاتباً بحديث
أصفى من السّلسالِ :

٤ مامصرُ مثل دمشقٍ
بعثَ الهدى بالضّلالِ

(١) انظر النجوم الزاهرة (٦ : ٧٤) كيف شرح القاضي الفاضل حال العماد لدى السلطان صلاح الدين وكيف أقنعه باستكتابه.

(٢) * الروضتين ١ : ٦٨٣

٥ فقلتُ : عنّتْ أُمورٌ
عجيبةُ الأَشكالِ

٦ أسيرُ في طلبِ العـ
ـزِّ مثلَ سيرِ الهلالِ

٧ لم يبلغ البدرُ لولا الـ
ـمَسيرُ أوجَ الكمالِ

٨ وكيف أَتركُ شغلي
وإنّهُ رأْسُ مالي

٩ صلاحُ حالي صلاحُ الـ
ـدِّينِ الغزيرُ النّوالِ

١٠ مالي أُفارقُ مَلْكاً
ملّكتهُ آمالي

١١ ياناصرَ الدِّين : قلبي
عليهِ في بَلْبالِ

(١٦٤)

قال العماد : ومدحتُ الخليفة المقتفي قبل أن أتولى واسط بقصيدة * : (من الكامل)

١ كُنْ عاذري في حُبِّهم ، لاعاذلي
يافارغاً من شُغلِ قلبي الشّاغلِ

٢ هَبْ أنَّ سمعي للنصيحةِ قابلٌ
مانافعي ، والقلبُ ليس بقابلِ ؟

(١) البلبال: شدة الهم والوسواس

* الخريدة، قسم العراق، ١:٤١ والبيتان ١٠، ١١ في الوافي بالوفيات

٣ أخفيتُ سرَّ الوَجْدِ خيفةَ عُذَّلي
فتعرَّفوا من أدمعي ومخايلي

٤ لم يقبلوا عذرَ المحبِّ ة وقابلوا
حقَّ الهوى من لؤمهم بالباطلِ

٥ مالُوا إلى وصلي ، فحينَ وَصَلْتُهُم
ملُّوا ، وليس يُمَلُّ غير الواصلِ

٦ ياناشداً يبغي فؤاداً ضائعاً
يومَ النَّوى إثرَ الخليطِ الزائلِ

٧ أيــن الفؤادُ ؟ أراحلٌ في إثرهم
أم سائلٌ مابينَ دمعٍ سائلِ؟

٨ وأغنَّ أغنى طَرْفُه في سحرِه
ورُضابُه في سكرِه عن بابلِ

٩ مَنْ وجهُهُ حَسَنٌ وليس بمحسنٍ
والقدُّ معتدلٌ وليس بعادلِ

١٠ متلوِّنٌ كمدامعي ، متعفِّفٌ
كضمائري ، متعذِّرٌ كوسائلي

١١ أنا في الضَّنى كالخصرِ منه أشتكي
من جائرٍ ما يشتكي من جائلِ

١٢ ياقلبه القاسي! تعلَّمْ عطفةً
وتمايلاً من عطْفهِ المتمايلِ

١٣ سقياً لوصلِ الغانياتِ وشربنا
كأْسَ الرُّضابِ على غناءِ خلاخلِ

١٤ بنواظرٍ قد خلتُهُنَّ غوافلاً
لفتورهنَّ وهنَّ غيرُ غوافلِ

١٥ وقدودُهنَّ قدود سمـــرٍ رواعفٍ
وجفونهنَّ جفونُ بيضٍ مناصلِ
١٦ أيامَ لاعهدُ الوفاءِ بحائلٍ
غَدْراً، ولا أُمُّ الصّفاء بحائلِ(١)
١٧ أعقيلةَ الحيِّ اللّقاحِ، ودُونَها
بيضٌ وسُمْرٌ من ظُبىً وذوابلِ(٢)
١٨ بكرتْ تلومُ على لزومِ مواطنٍ
وضعُ الرَّفيعِ بها، ورفعُ الخاملِ
١٩ طالَ التردُّدُ في البلادِ، فلم أفزْ
منها — على رغمِ العدوِّ — بطائلِ
٢٠ أوما رأيتَ البحرَ يُغرِقُ درَّهُ
ويخلِّصُ الأَزبادَ نحوَ الساحلِ
٢١ مضريّةٌ عَذلتْ على حبِّ النّدى
من ليس يسمعُ فيه عذلَ العاذلِ
٢٢ ياهذه! لولا السّماحةُ لم يكنْ
ينميكِ خيرُ عشائرٍ وقبائلِ
٢٣ عنّفت في حبِّ السّماحةِ مُؤثراً
عُدْمَ الكريم على ثراءِ الباخلِ
٢٤ أوهل يخافُ العُدْمَ مَنْ وجدَ الغنى
من جودِ مولانا الإمامِ العادلِ؟
٢٥ ولقد وردتُ فِناءَ بحرٍ للندى
أغنى بهِ عن أنهرٍ وجداولِ

(١) الحائل: الناقة حمل عليها فلم تلقح، والحائل في الشطر الأول: المتغير.
(٢) اللقاح: الحي الذي لايدينون للملوك.

٢٦ في كفِّه للجودِ خمسةُ أبحـــرٍ
فياضةٍ ، تُسْمى بخمسِ أناملِ

٢٧ ممدودُ ظلِّ العدلِ ليس بـــزائلٍ
معمودُ رُكنِ المُلكِ ليس بمائلِ

٢٨ وعَرَمْرَمٍ لَجِبٍ كمنهالِ النّقـــا
مَجْرٍ ومنهلِّ السّحابِ الهاملِ (١)

٢٩ سترَ الغزالةَ بالعجاجـةِ مُطلعـــاً
زُهرَ الأَسنّةِ في سماءِ قساطـلِ (٢)

٣٠ فالشّمسُ ما بينَ العجاجِ كأنّهـــا
بدرٌ تطلّع جُنح ليـلٍ لائـــلِ

٣١ والنقعُ ينْصُلُ بالنُّصُولِ خضابُهُ
فكأنّه لونُ الشباب الناصـلِ (٣)

٣٢ والمُقْرَباتُ بأَنْسُرٍ وقـــوائـم
تحكي قوادِمَ أَنْسُرٍ وأجادلِ (٤)

٣٣ في مأزقٍ لايسمعُ الواغى بـــه
الاّ أنينَ صـوارمٍ وصواهلٍ (٥)

٣٤ والجيشُ مَن مَلَكَ الجيوشَ برأْيـهِ
في صائبٍ وبجأشهِ في صائـلِ

---

(١) العرمرم : الجيش الكثير، وقيل: الشديد. المجر: الجيش العظيم.

(٢) الغزالة: الشمس. قساطل: جمع قسطل، وهو الغبار الساطع في الحرب.

(٣) النقع: الغبار الساطع. ينصل: يثبت .النصول: جمع نصل، وهو حديد السيف.

(٤) المقربات: الخيل. أنسر الأولى: جمع نسر وهو باطن الحافر. وأنسر الثانية: جمع نسر وهو طائر معروف .الأجادل: الصقور

(٥) الصاهل: الفرس، والجمع الصواهل.

٣٥ هزم العدا ، قبلَ اللّقاءِ ، برعبـــه
فغدوا بأُمٍّ في الشّقاوةِ هابلِ (١)

٣٦ طلبوا الفرارَ ولم يزلْ متكفّـــلاً
بهزيمةِ الرّعديدِ بأْسُ الباسلِ (٢)

٣٧ أمـطـوّقَ الأعـنـاقِ من إفضاله
نِعَمـاً تـسامتْ عـن سؤالِ السائلِ

٣٨ مـاذا أقـولُ، ولايقـومُ بشكرِما
تـوليـهِ مـن نُعمـى لسانُ القائلِ

٣٩ أو هل بلوغ مقاصدي بقصائـــدي؟
أم هل قبول وسائلي برسائـــلي ؟

٤٠ أم قـــد كـفى سبباً إلى دركِ المُنى
صدقُ الولاء وحُسنُ ظنِّ الآمل ؟

٤١ الفخـرُ كُلُّ الفخـرِ لي نظمـي لكم
مِدَحاً تزينُ مشاهدي ومحـافلي

٤٢ لكن يقولُ الحاسدونَ: لمِ انثنى
غِرِّيدُ مدحِهِمُ بجيدٍ عاطـلِ؟

٤٣ واذا حظيتُ مـن الإمامِ برتـبـةٍ
فيها الفخارُ على جميعِ النّـاس لي

٤٤ لازلتَ غيثَ مواهبٍ، وبقيتَ غَـوْ
ثَ ممالكٍ ، وسلمتَ كَهْفَ أراملِ!

---

(١) هبلته أمه: ثكلته، فهي هابل.

(٢) الرعديد : الجبان.

(١٦٥)

كتب العماد سنة ٥٦٦ للهجرة إلى أحد وجهاء الموصل قصيدة، منها* :

(من السريع)

١ مايمنعُ الخادمَ من قصْدهِ الـ
خدمةَ غيرُ الطُّرْق والوحلِ

٢ كأنّما موْصلكم مقطعٌ
مايُهتدى فيه إلى وصلِ

٣ وكلُّ معروفٍ بها منكرٌ
كما تراهُ ضيّقُ السُّبلِ

٤ وكلُّ مَنْ حلَّ بها لايرى
في زمنِ الخصبِ سوى المحلِ

٥ ومذ دخلناها حصلنا بها
كرهاً على خرجٍ بلا دخلِ

٦ أصعبُ مانلقاهُ من أهلها
قولٌ بلا أهلٍ ولاسهلِ

٧ وكنتُ أهواها، ولكنّني
لقيتُ منها كلَّ مايسلي

٨ وأنتَ مَنْ أصبحَ إحسانُهُ
حليةَ هذا الزّمنِ العُطلِ

(١٦٦)

قال العماد يوم خروجه من القاهرة سنة ٥٧٢ للهجرة** :

(من الكامل)

١ ياباخلاً عندَ الوَداع بوقفةٍ
لو سامنّي روحي بها لم أبخلِ

* الروضتين ١: ٤٨١

** الروضتين ١: ٦٩٠.

٢ ماكانَ ضرَّكَ لو وقفتَ لسائلٍ
تركَ الفؤادَ بدائه في المنزلِ

٣ هلاّ وقفتَ لقلبِ مَن أحرقتَهُ
مقدارَ إطفاءِ الحريقِ المُشْعَلِ

٤ إنْ أسْرِ مُرتحلاً ففي أسْرِ الهوى
قلبي لديكَ، مُقَيَّداً لم يرحلِ

٥ عَذُبَ العذابُ لدى فؤادِ المبتَلى
إذ كنتَ أنتَ معذّبي والمبتلي

(١٦٧)

قال العماد سنة ٥٨٣ للهجرة في مدح الملك الأفضل *:

(من الكامل)

١ والقدسُ أعضلَ داؤه مِن قبلكم
فوفيتمُ بشفاءِ ذاكَ المعضلِ

٢ درجَ الملوكُ على تَمنّي فتحهِ
زمناً وغلتهمْ بهِ لم تبللِ

٣ وأتى زمانكمُ فأمكن آخراً
ماقد تعذّرَ في الزّمانِ الأوّلِ

٤ ما كان قطُّ ولا يكونُ كفتحكمْ
للقدسِ في الماضي ولا المستقبلِ

٥ أوجدتمُ منه الذي عَدِمَ الورى
وفعلتُم في الفتحِ ما لم يفعلِ

٦ أيدي الملوكِ تقاصرتْ عن مفخرٍ
طلتمْ به فَبلوا لبعضِ الأنملِ

* الروضتين ٢ : ١٠٧. والملك الأفضل هو علي بن صلاح الدين يوسف ،صاحب دمشق، توفي فجأة سنة ٦٢٢هـ وعمره سبع و خمسون سنة (مفرج الكروب ٤ : ١٥٥، شفاء القلوب ص٢٥٦)

٧ أحييتُم فرعَ الكرامِ ولم يـــزلْ
نصرُ المحقّ بكم وقهرُ المبطـلِ

(١٦٨)

قال العماد *:

(من الكامل)

١ باللهِ ياريحَ الشّمـالِ تحمّـلي
منّي التحيةَ نحوَ ذاكَ المنـزلِ

٢ خفّي على حملِ السّلامِ وخفّفي
عن قلب صبٍّ بالصّبابةِ مثقـلِ (١)

٣ قولي لمن شغلَ الفـؤاد بحبّـه :
ويحاكَ إنّ فؤادَهُ منه خلـي (٢)

٤ حلّتْ عقودُ دموعهِ ، وعقـودُهُ
وعهودُهُ معقودةٌ لـم تحللِ

٥ سقياً لأحبابٍ تبـدّلَ وُدُّهـم
بعدي ولم أنقضْ ولـم أتبـدّلِ

٦ الظّاعنينَ وودُّهـم مستوطـنٌ
والرّاحلينَ وذكرُهـم لم يرحـلِ

٧ لي بعدهم حالُ المعنّى المُبتلـى
حُزناً وعينُ السّاهرِ المتملمـلِ

٨ ياراكباً يطوي الفـلا مستعجـلاً
هيّجتَ أحزاني فـلا تستعجـلِ

---

* ذيل الروضتين ص٢٧، مرآة الزمان ٨:٥٥٧

(١) مرآة الزمان: صب بالفضاء.

(٢) الروضتين: ويخال أن فؤاده.

٩ أقفات بابَ مسرّتي وفتحــتَ مــن
دمعي وحُزْني كلَّ بابٍ مقفــلِ

١٠ عَرجْ وعُجْ نحوَ الحمى سُقي الحمى
أعدلْ فليس عن الحمى مِن معدلِ

(١٦٩)

وصل العزيز عثمان (١) إلى القاهرة سنة ٥٧١ للهجرة، فهنّأ العماد أباه صلاح الدين بقدومه* :

(من السريع)

١ يــاأســداً يحمي عــرينَ العُــلى
هنيــتَ جمــعَ الشّمــلِ بالشّبلِ

٢ عثمان ذي النُّوريــنِ بيــنَ الــورى
مِن سـؤددٍ سامٍ ومــن فـضــلِ

٣ يــاطيّــبَ النّــجرِ بلغــتَ المــنى
تمليــاً بــالطّاهرِ النّجـــلِ

٤ يحكيــكَ إقــداماً وبأسـاً فـما
أشــبه هــذا الـفـرع بــالأصلِ !

٥ فحــائـلُ الرُّشـدِ عـلى بِشْــرِهِ
شاهـــدةٌ بــالفضــلِ والنُّبـلِ

٦ مَــلكٌ قَضَى اللهُ لـــه أنّـــه
عــلى مـلوكِ الأرضِ يستعــلي

٧ بالمــلكِ النّــاصــرِ سلطــاننــا
طــالتْ يــدُ الإحسانِ والـعـدلِ

(١) الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف صاحب مصر، توفي سنة ٥٩٥ﻫ وله ثمان وعشرون سنة (مفرج الكروب ٣: ٨٢، شفاء القلوب ص٢٣٤).

* الروضتين ٢: ١٥، سنا البرق ١: ٣٤.

٨ بشمله المجموع آمالنا
بنُجحها مجموعةُ الشملِ

(١٧٠)

قال العماد *:

(من السريع)

١ احملْ إلى مصرَ، ومَنْ يلتمسْ
غناهُ في غربتهِ يحملِ

٢ كتابتي قد كسدتْ سوقُها
وحِليتي بارتْ ولم أعضلِ

(١٧١)

قال العماد** :

(من المتقارب)

١ تحسّنْ بأفعالكَ الصالحاتِ
ولا تُعْجَبَنَّ بحسنٍ جليلِ

٢ فحسنُ النِّساء جمالُ الوجوه
وحسنُ الرِّجال وجوهُ الجميلِ

(١٧٢)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٢ للهجرة: وعملتُ في تلكَ الأيّام أبياتاً يُغنّى بها*** :

(من مجزوء الكاظل)

١ قلبي العليل فكيفَ سُـ
ـوِّغَ وصفُ طرفكَ بالعليلِ

* مرآة الزمان ٨: ٣٦١.

** الخريدة، قسم العراق ،٣/٢: ٥٥.

*** سنا البرق ١: ٢٣٧.

٢ وأنــا المــحــبُّ المــســتــهــا
مُ فــمــا لــخــصرِكَ والنُّــحــولِ

٣ ســلــبــتْ شمــائلُكَ الــعــقــو
لَ فــمــا يــرادُ مــن الشَّمولِ

٤ وســلافُ ثــغــرِكَ لــيــس يشــ
ـــفي غــيــرُ رشــفــتهــا غليلي

٥ ولقد ظمئــتُ فــهــل ســبــيــ
ــلٌ نحوَ ذاكَ السّلسبيــلِ(١)

(١٧٣)

(دوبيت)

١ أنتــم سؤلــي فلــم مــنــعــتــم ســولي
انتــم أمــلي فقربوا مأمــولــي(٢)

٢ مملــوككم بــمــجــده المبذول
يستعطفكــم في دمــه المطلولِ

(١٧٤)

قال العماد في مدح أبي الفضل عبيد الله بن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء * :

(من الطويل)

١ قضَى عمرَهُ في الهجرِ شوقاً الى الوصلِ
وأبلاهُ من ذكرى الأحبَّةِ مايبلي

---

(١) الاصل: سبيلا، ولاوجه للنصب .

(٢) انظر التعليق على الدوبيت رقم ٣٠

* الخريدة ، قسم العراق، ١ : ١٦٢.

٢ وكان خلّي القلبِ من لوعـةِ الهوى
فأَصبحَ من بَرْحِ الصّبابةِ في شغلِ (١)

٣ وأطـربَهُ الـلاحي بـذكرِ حبيبـهِ
فآلى عـليهِ أن يَزيـدَ مـن العذلِ

٤ وإنَّ مـريرَ العيشِ يحلو بـذكـركمْ
وهـل لمريرِ العيشِ غيريَ مُسْتَحْلِ؟

٥ وصالكم الدُّنيا وهجـركم الـرَّدى
وقربكُمُ عـزّي وبُعدكـمُ ذُلّي

٦ ومستحسنٌ حفظ الودادِ، فراقبـوا
لأَجلِ اقتناء الحمدِ ـ عهديَ ـ لاأجْلي

٧ نَفى الصَّبرَ من قلبِ المتيَّمِ خبلُـهُ
وكيف ثباتُ القلبِ في مسكنِ الخبلِ؟

٨ فقلبيَ بينَ الشّوقِ والصبرِ واقـفٌ
على جَدَدٍ بينَ الولايةِ والعزلِ (٢)

٩ اذا مابقـاءٌ المرءِ كان بوصلِ مَـنْ
يحبُّ، فإنَّ الهجرَ نوعٌ من القتلِ

١٠ وهل نافعي عذلٌ ونصحٌ عـلى الهـوى
وعذليَ يُغري بي ونصحيَ لايسلي؟

١١ وماكنتُ مفتونَ الفؤادِ، وإنـمَّـا
عليَّ فتـوني دلّه فاتـنُ الـدلِ

١٢ نحولي ممَّن شدَّ عَقْدَ نطـاقـه
على ناحـلٍ واهٍ من الخصر منحلِ

---

(١) البرح: الشدة.

(٢) الجدد: وجه الأرض، والأرض الصلبة المستوية.

١٣ اذا رامَ للصدِّ القيامَ أبتْ لـــه
رِوادفــه إلاّ القيامَ عـلى وصـلي

١٤ وكيف تجلّى في هَزيعٍ مـن الدُّجى
وغصنٍ تثنّى فوق حقْفٍ من الرَّمل(١)

١٥ وناظرُهُ نشوانُ لامـن سـلافـة
سقيمٌ بلا سقمٍ، كحيلٌ بلا كحلِ

١٦ وأشهدُ أنَّ الحسنَ ماخطَّ خطّـهُ
بعارضـهِ، والسِّحرُ مـاطرفـه يُملي

١٧ وما لحظُـهُ إلاّ عُقارٌ ، فإنّنـي
وجدتُ هوى عينيهِ يذهبُ بالعقلِ

١٨ سقى الله بالزَّوراءِ صبرَ استقامتـي
لإنجازهِ الوعدَ المصونَ من المَطلِ (٢)

١٩ غداةَ نضوتُ الجد أبلـى جـديده
ولا عيشَ الاّ هزَّ عطفي الى الهزلِ (٣)

٢٠ أُنادمُ غرّاً مـن أفاضلِ أهلهـا
كراماً ، وكلٌّ حليةُ الزَّمنِ العطلِ

٢١ وإخوانُ صدقٍ ، للصـداقة بيننـا
صفاءُ صدورٍ طهّروها من الغلِّ (٤)

٢٢ ندارسُ آي العقلِ من سورةِ الهـوى
ونفهمُ معنى العلمِ من صورةِ الجهلِ

---

(١) الحقف :ماعوج واستطال من الرمل.
(٢) الزوراء: لقب بغداد.
(٣) نضا الثوب عنه: خلعه وألقاه.
(٤) الغل: الحقد.

٢٣ وها أنا قد أصبحتُ بالشام شائماً
سنا بارقٍ من غيرِ وَبْلٍ ولا كلٍّ (١)
٢٤ يُؤهلُني للبعدِ من كلِّ حظوة
ويحرمني اللذاتِ بُعدي من الأهلِ
٢٥ ولا صاحبٌ عندي أحاولُ نصرَهُ
بتخفيفِ ما يعروهُ من فادحِ الثِّقلِ
٢٦ وإنّي أرى عينَ الخصاصةِ ثروتي
اذا عجزتْ عن سدِّها خلّةُ الخلِّ
٢٧ أُلاينُ حُسّادي الأشدّاءَ رقبةً
لهم وأُعاني الصّعبَ بالخُلُقِ السّهلِ
٢٨ وأُبقي مداراةَ اللئيمِ لعلّهُ
يبيتُ ولا يطوي الضّميرَ على دغلٍ (٢)
٢٩ سوى السُّوءِ لاتجدي مداراة حاسدي
كما يستفادُ السُّمُّ من صلةِ الصِّلِّ
٣٠ ومن نقصِ دهري قصد فضلي بصرفهِ
ليرخصَ منه ما من الحقِّ أن يغلي
٣١ وإنّي من العلياءِ في الكنفِ الذي
به حظُّ فضلي كلّما انحطَّ يستعلي
٣٢ وماذا بأرضِ الشامِ أبغي تعسفاً
ولا ناقتي فيها ترامُ ولا رحلي ؟
٣٣ ولي حرمٌ منه الأفاضلُ في حمى
من الصّونِ بالمعروفِ ،بالبذلِ في حِلِّ

(١) شام البرق: نظر إلى سحابته أين تمطر.
(٢) الدغل (بفتحتين وسكن الثاني للضرورة): الفساد

٣٤ أبى الفضلَ فيه أنْ يكونَ كمالُـــهُ
لغيرِ كمال الدِّينِ أعني أبا الفضلِ
٣٥ رحيبُ النّوادي والنّدى واسعُ الـذّرا
رفيعُ الذُّرا عالي السّنا وافرُ الظّلِّ (١)
٣٦ نداه حيا المعروف قد شمــل الـــورى
عموماً ، وغيثُ الخصبِ شُرِّدَ بالمحلِ
٣٧ اذا خفيت سُبْلُ الكرام فإنّـــــه
كريمُ المساعي بينهم واضحُ السُّبلِ
٣٨ وفي الجدب إنْ جادتْ سماهُ سماحــةً
بدا زَهَرُ الإسعافِ في الأَملِ العقلِ (٢)
٣٩ تساوى له الإعلانُ والسرُّ في العـــلى
فخلوتُهُ ملء المهابــةِ كالحفــلِ
٤٠ فتى السنّ إلاّ أنّ للملكِ قـــوةً
بما هو يستهديهِ من رأيهِ الكهــلِ
٤١ من القوم :أمّا المالُ منهم فعرضــةُ الـ
ـسّماحِ ، وأمّا العرضُ منهم فللبخلِ
٤٢ أضاءَ زمان (المستضيء) إمامنـــا
بآرائهِ الميمونةِ العقدِ والحــلِّ (٣)
٤٣ فمن رأيه ما يطلعُ السعدُ مـن سنـــا
ومن عزمهِ ما يطبعُ النّصر من نصلِ
٤٤ وما روضةٌ غنـاء مرهوبـــة الثّـــرى
مُضَوَّعة الأَسحارِ طَيِّبــة الفصل (٤)

---

(١) الذرا الاولى (بفتح الذال): كل مااستذريت به، يقال: أنا في ذرا فلان، أي في كنفه وستره ودفئه. والذرا الثانية (بضم الذال): جمع ذروة، وهي أعلى الشيء.
(٢) كذا في الاصل، ولعله «الغفل».
(٣) المستضيء بالله العباس، الحسن بن يوسف بن محمد
(٤) في الأصل :«مرهوبة» ،ولعلها مرهومة، أي ممطورة مطراً ليناً صغير القطر.

٤٥ شمائلُها طابتْ ، وطابَ شمالُها
سقتها شَمُولاً عند مجتمعِ الشّملِ

٤٦ تُردّدُ أنفاسَ النّسيمِ عليلةً
عليها ، فيشفي مرُّها كلَّ معتلِّ

٤٧ تهبُّ الصّبا فيها بليلٍ بليلةً
على زهرٍ من عبرة الطلِّ مبتلِّ

٤٨ لها من ثغورِ الأُقحوانِ تبسّمٌ
وتنظرُ عن أحداقِ نرجسها النُّجلِ

٤٩ كأنّ نُعاماها تبلّغُ نحونا
تحايا قرأناها على ألسنِ الرُّسلِ (١)

٥٠ تُؤرِّجَ أرجاءَ الرضاءِ كأنّما
تجاملُ في حملِ التّحيةِ عن جُمْلِ (٢)

٥١ مرجعةٌ فوقَ الغصونِ حمامُها
فنونَ هديلٍ بينَ أفنانها الهُدلِ (٣)

٥٢ تنوحُ بها الورقاءُ شجواً كأنّها
مفجّعةٌ بينَ الحمائمِ بالشكلِ

٥٣ مطوّقةٌ أبلتْ سوادَ حدادِها
ففي الجيدِ باقٍ منه طوق له كُحْلي

٥٤ بأحسنَ من أخلاقكَ الزُّهرِ بهجةً
وأذكى وأزكى من سجيتك الرِّسلِ (٤)

٥٥ إليكَ سرتْ منّي مطايا مدائحٍ
من الشُّكرِ والاحمادِ موقرةَ الحملِ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب، أو بينه وبين الصبا.
(٢) جمل: من أسماء نساء العرب
(٣) الهدل: الأغصان المتدلية لثقلها بالثمر .
(٤) الرسل (بكسر الراء): الرفق.

٥٦ سوائرُ في الآفـاقِ وهـي مطيفـةٌ
ببابكَ دون الخلقِ مخلوفة العُقلِ (١)

٥٧ تهذَّبَ معناهـا بصقـليَ لفظَهـا
كما بانَ إثرُ المشرفيِّ لدى الصقـلِ

٥٨ وإنْ يجل شعري في مديحك رونقاً
وحسناً، فإنَّ الشَّهدَ من نَحلِ النَّحلِ (٢)

٥٩ سلمتُ ولا لاقتْ عـداكَ سلامـةٌ
ورهطكَ في كُثرٍ وشانيكَ في فَلِّ

٦٠ ودمتَ، ولازالتْ بسطوكَ ديمـةُ الـ
ـوبالِ على الأَعـداءِ دائمةَ الوبل

٦١ ودرَّتْ لكَ النُّعمى على كلِّ آمـلٍ
بقيتَ بقاءَ الذرِّ والحرثِ والنّسلِ

(١٧٥)

كتب العماد في سنة ٥٧٠ للهجرة إلى الأمير نجم الدين ابن مصال * :

(من السريع)

١ لعـلَّ نجمَ الدِّيـن ذا الـفضـل
يُذكِّرُ الفاضلَ في شـغـلي (٣)

٢ إنَّ أَجـلَّ النّاسِ قـدراً فـتـىً
بـفضـلهِ يتـعبُ مـن أَجـلي

(١) الأصل: «مخلوفة» ولعلها: «مخلوعة».

(٢) أي من عطايا النحل وهباته.

* الروضتين ١:٦٤١. وكان الأمير نجم الدين ابن مصال المتوفى سنة ٥٧٤ للهجرة رجلا كريماً، وبطلا شجاعاً وصديقاً لصلاح الدين الأيوبي (البرق الشامي ٣:٩٥أ).

(٣) الفاضل: أي القاضي الفاضل.

٣ ومثلُهُ مَنْ يعتني بالعُلى
ويستديمُ الحمدَ من مثلي

(١٧٦)

حمل العماد سنة ٥٦٩ للهجرة لنور الدين محمود هدية بسيطة ومعها هذه الأبيات :*

(من السريع)

١ عندَ سليمانَ على قدره
هديّةُ النّملةِ مقبولَهْ (١)

٢ ويصغرُ الملوكُ عن نملةٍ
عندكَ، والرّحمةُ مأْمولَهْ (٢)

٣ رِقّي لمولانا، وملكي له
وذِمّتي بالشُّكرِ مشغولَهْ

٤ وكيف يقضي الحقَّ ذو منّةٍ
ضعيفةٍ بالعجزِ معلولَهْ

٥ وإنّما شيمة مولى الورى
طاهرةٌ بالخيرِ مجبولَهْ

(١٧٦)

وقال **:

(من الكامل)

١ سلْ سيفَ ناظرِه لماذا سلَّهُ
وعلى دمي لمَ دَلّهُ قدْ لَهُ

---

* الروضتين ١:٥٥٧ والأبيات الثلاثة الأولى في سنا البرق ١:١٤٥.
(١) سنا البرق: للنملة
(٢) سنا البرق: لاتقصر الملوك.
** الخريدة ،قسم الشام، ٢:٣٦٧

٢ واستفتِ كيف أَباحَ في شرعِ الهـوى
دمَ مَنْ يَهيمُ به وفيمَ أَحَلّهُ

٣ سلْ عَطفَه فعسى لطافةُ عطْفه
تُعدي قساوةَ قلبه ولعلَّهُ

٤ كَثُرَتْ لقسوةِ قلبه جَفَواتُهُ
ياما أَرقَّ وفاءَه وأَقلَّهُ

٥ يا منجداً ناديتُهُ مُستنجداً
في خَلّتي والمرءُ يُنجِدُ خِلَّهُ

٦ سِرْ حاملاً سِرّي فأَنت لحمله
أَهلٌ وخفِّف عن فؤادي ثِقلَهُ

٧ واذا وصلتَ فَغضَّ عن وادي الغضا
طَرْفَ المريبِ وحَيِّ عنّي أَهلَهُ

٨ أَهْدِ السَّلام ، هديتَ ، للرّشأ الذي
أَعطاه قلبي رُشدَه فأَضلَّهُ

(حرف الميم)

(١٧٨)

قال العماد: وكانت بيني وبين الوزير عضدُ الدين خلوص وداد، وخصوص اتحاد ،ولمّا وصلت إلى الشام، زوأحوجني التلبس * بأشغال المملكة إلى المقام، كتبتُ إليه قصيدة أتشوقه فيها وأمدحه بها وذلك عقيب وزارة أبيه، وزهده وتأَبِّيه *:

(من الخفيف)

١ لائمٌ للمحبِّ غيرُ ملائمْ
هامَ قلبي وقلبُه غيرُ هائمْ

٢ لم يزلْ واجداً عليَّ لأنني
بتُّ للوجدِ واجداً، وهو عادمْ(١)

٣ أغتدي للهوى سليباً سليماً
وهو سالٍ من الصَّبابةِ سالمْ

٤ ناصحي غيرُ عالمٍ بالذي بي
ومن الغبْنِ ناصحٌ غيرُ عالمْ

٥ خَلِّ يا خلُّ في الهوى عذلَ صبٍّ
واجدٍ من لواذعِ العذلِ واجمْ

٦ لاتِرعْ بالملامِ مَنْ ليس يخشى
في سبيلِ الغرامِ لومةَ لائمْ

---

* الخريدة، قسم العراق، ١٦٨:١.

(*) وجد عليه موجودة: غضب. الوجد: شدة الحب.

٧ لاتظنَّ الهوى مفارقَ قلبي
فهو وصفٌ ،كما علمتَ، ملائمْ

٨ لفؤادي ضمانةٌ وغرامٌ
أتلَفاهُ بلا ضمينٍ وغارمْ

٩ نارُ وجدي دخانُها في شحوبي
وفؤادي صالٍ ووجهيَ ساهمْ

١٠ قد كتمتُ الهوى وباحَ به الدَّمـ
ـعُ ، فسرِّي مابينَ مُفشٍ وكاتمْ

١١ من لصَبٌّ رَمَتْهُ مُقلةُ رئمٍ
حبُّهُ منْ ضميرهِ غيرُ رائمْ (١)

١٢ بجفونِ البيضِ الصَّوارمِ بيضٌ
لم تزلْ في الجفونِ وهي صوارمْ

١٣ وبوادي العُذيبِ أدْمُ ظباءٍ
فاتكاتٌ لحاظها بالضراغمْ (٢)

١٤ وبنفسي ظامي الوشاحِ على عذ
بِ لماهُ قلبي المعذَّبُ حائمْ

١٥ فحمَى العشقِ آهلُ الرَّبعِ منه
وحمى الصَّبرِ عنه عافي المعالمْ

١٦ ساحرٌ طرفُهُ وساجٍ ، وإنِّي
لتمنِّيهِ ساهرُ الطَّرفِ ساجمْ (٣)

١٧ قرَّبَ الطيفُ وصلَهُ وهو ناءٍ
وأتاني مُستيقظاً وهو نائمْ

---

(١) رائم: اسم فاعل من رام المكان يريمه ريماً اذا زال عنه وفارقه.

(٢) الأدم: جمع الأرماء مؤنث الأرم، والأرمة لون مشرب بياضاً.

(٣) ساجم: ساكن. وساجم: سائل الدمع.

١٨ أنصفاني ! رأيتما قط مظلو
ماً قضى نحبه على حب ظالم ؟

١٩ حبذا والحبيب في الوهل منّي
راغبٌ والحسود بالكره راغم

٢٠ وسقى الله عيشنا المتقضّي
ورعى الله عهدنا المتقادم

٢١ حين عصر الصبا كحالي حال
وهو في مرّه كأحلام حالم (١)

٢٢ فليالي العراق بيض ، من البيـ
ـض غوان ، من الغواني اغونم

٢٣ وزماني مساعد ورفيقي
في الهوى مسعد ودهري مسالم

٢٤ ومنادي المنى مجاوبه الاسـ
ـعاف والسؤول للنجاح منادم

٢٥ ومن الأكرمين كل نديم
لست من قربه مدى الدهر نادم

٢٦ ما فقدنا السرور إلا هدانا
كل هاد لما بنى الهم هادم

٢٧ وبذاك الجناب أوطان أوطا
ري كما أنها مغاني المغانم

٢٨ ومراد المراد بالعرف زاه
ومراح المراح بالعرف فاغم (٢)

---

(١) حال (الثانية): اسم فاعل، متزين بالحلي.

(٢) مراد (بفتح الميم): وهو في الأصل مكان رياد الإبل، أي اختلافها مقبلة في المرعى. ومديرة. والمراد (بفتح الميم): المرغوب والمطلوب. العرف (بضم العين): المعروف .مراح (بفتح الميم): هو الموضع يروح القوم منه أو اليه. والمراح (بكسر الميم): اسم للمرح، وهو شدة الفرح والنشاط. فاغم: اسم فاعل من فغمه الطيب فغماً وفغوماً: شد خياشيمه.

٢٩ ومبيتي ما بينَ كأْسٍ وثغـــر
راشفاً منهما متى شئتُ لاثمْ

٣٠ وردُ خدٍّ نــدٍ وغُصنُ قوامٍ
ذا جنيٌّ غضٌّ وذلكَ ناعمْ

٣١ فأنا اليومَ بالشآمِ وحيــدٌ
لِسنَا البارقِ العراقيِّ شائمْ

٣٢ لا ودودٌ على وفائي مقيـمٌ
لا وفي بشرطِ وُدّيَ قائمْ

٣٣ أبداً بيـن هِمّتي وزمانـي
في اقتراحي وفي اطّراحي ملاحمْ (١)

٣٤ عظُمتْ همّتي ، وها أنا استصـ
ـغرُ في المطلبِ العظيمِ العظائمْ

٣٥ مانجا من مطاعِنِ العجزِ راضٍ
بملاهُ من عيشهِ ومطاعمْ

٣٦ مبتَغى قلبي المشوق ببغدا
دَ ،وجسمي نائي المحلِّ بجاسمْ (٢)

٣٧ ليتَ شعري متى يُبشّرُ عنّي
أصدقائي فيها بأنيَ قادمْ

٣٨ مالشَملي بها سِوى أمرِ مولا
ي عمادِ الدّينِ المملّكِ ناظمْ

٣٩ واحدُ العصرِ، ثالثُ الشّمسِ والبد
رِ، وثاني الحيا بغيرِ مُزاحمْ

---

(١) ملاحم: معارك.

(٢) جاسم: اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية (معجم البلدان ٢: ٩٤)

٤٠ إنْ يـكن مـانح المراحـمِ بالجـو
دِ ، فبـالبـأس مانِـعٌ للمـحارمْ

٤١ شَيَّـدَ المجدَ وهو في المهدِ شـدَّتْ
بتمـامِ العُـلى عـليـه التَّمائـمْ

٤٢ وهـو بـالحزمِ مُدرِكٌ كلَّ سُؤْلٍ
ولَعَمْري كـم حازمـاً رامَ حازِمْ

٤٣ نُطقُ قُسٍ، ورأي قيسٍ، وإقـدا
مُ عـليٍّ، وجودُ كعبٍ وحاتمْ (١)

٤٤ ونـدىً فـرَّقَ الخـزائـنَ مقـتـا
داً إلى المُعدِمِ الغِنـى بـالخـزائمْ

٤٥ بَشَّـرَ البِشـرُ منه كلَّ مُـسـرَّجٍ
ديـمـةَ الخيرِ بالنَّجـاح الـدائمْ

٤٦ طلعـةٌ طلقةٌ، وباعٌ طـويـلٌ
ويدٌ بَسْطَةٌ ، وثغـرٌ بـاسـمْ

٤٧ وعطـايا غُـزْرٌ، وغُـرٌّ أيـادٍ
وسجايـا زُهْـرٌ، وبيـضُ عزائمْ

٤٨ كفـلتْ كفُّـهُ بنُجْحِ الأماني
ونُشـور الآمـالِ وهـي دمائمْ

---

(١) قس بن ساعدة الايادي، أحد حكماء العرب، ومن خطبائهم الجاهلية، كان أسقف نجران، طالت حياته وادركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه في عكاظ (الأغاني ١٢ : ٤٠) قيس: هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، صحابي، من دهاة العرب وذوي الرأي، توفي في آخر خلافة معاوية بالمدينة (الإصابة في تمييز الصحابة ٥ : ٢٥٤، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ : ١٢٨٩). كعب: هو كعب بن مامة بن عمرو الإيادي، جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار، فيقال: أجود من كعب بن مامة، وقال أبو عبيدة: «أجواد العرب ثلاثة: كعب بن مامة، وحاتم طيء، وهرم بن سنان (هبة الأيام للبديعي ص٢٤٩، جمهرة الأمثال ١ : ٩٤).

٤٩ فـلـهُ في التُّـقـى مـآثـرُ نـزَّهْ
ن سجـايـاهُ عـن جـميـع المآثمْ

٥٠ ما رياضٌ فاحتْ : لطائفِ أنـفـا
س صَبَاها لطـائـفٌ ولـطائـمْ(١)

٥١ أظهرَتْ سِرَّ نشرِهـا، فكأنْ قـد
مشت الرِّيـحُ بينهـا بالنَّمائـمْ

٥٢ وشي أنـوارهـا المفـوَّفُ أسـدى
وأنارتْ فيـه أكفُّ الـغـمـائـمْ

٥٣ كقـدودٍ تعلَّقـتْـهـا قـلـوبٌ
ذاتُ شجوٍ غصونُهـا والحـمـائمْ

٥٤ فبِشَدْوِ الغِناءِ للوُرقِ أعـرا
سٌ وبالنَّوحِ للحَمـامِ مـآتـمْ

٥٥ مـن سجـايـا بني المُظـفَّر أبـهـى
ومساعيهمُ الحِسان الـكـرائـمْ

٥٦ مـا استقـامتْ إلاّ بهم سنَّةُ الـشَّـر
عِ ودينُ الهـدى ودولةُ هـاشـمْ

٥٧ واستوتْ في خَضارِمِ الرأي فلكُ الـ
ـملك منهـم على مَراسي المراسمْ

٥٨ أحسنوا الـعفـو والـتجاوزَ حتَّـى
مَهّدوا حـرمةً لأهـلِ الـجرائمْ

٥٩ كـم بكـتْ أعيـنُ اللّيالـي فـعادتْ
وهيَ اليـومَ ضاحكـاتُ المبـاسـمْ

٦٠ وبشمسِ الـورى عليَّ أبـي نَصْـ
ـرٍ تجلّـى عنّـا ظـلامُ المظـالمْ

---

(١) اللطائم: جمع لطيمة، وهي وعاء المسك.

٦١ ذو نوالٍ، لكلِّ عافٍ، معاف
ولسقمِ الرَّجا مداوٍ مداومْ

٦٢ ففداكم بني المظفر عاصٍ
لم يطعْ أمره من الأَمرِ عاصمْ

٦٣ من محا سنَّةَ المحاسن بالشّـ
ـرِّ وما زالَ للمساوي مُساومْ

٦٤ كم رديءٍ رَدٍ وساعٍ كمينٍ
في سعيرٍ وجاحدٍ فيَّ جاحمْ(١)

٦٥ ياابنَ مَنْ حكمهُ على الخَلْقِطرّاً
وعلى ماله مُرجيّه حاكمْ

٦٦ أنا راقٍ في هُضب علياكَ مدحاً
ولطرزِ الثّناءِ بالنظمِ راقمْ

٦٧ غير قاصٍ عن قاصدٍ لكَ عُرفاً
لفقارِ افتقارهِ هو قاصمْ (٢)

٦٨ لم يزلْ فائزاً بصدقِ الأَماني
كلُّ راجٍ لظنّه فيكَ راجمْ

٦٩ بالمُوالين قوّةٌ للموالي
والخوافي بها نهوضُ القَوادمْ

(١) رد: هلك .جحم الرجل النار: أوقدها.
(٢) الفقار (بالفتح): ماتنضد من عضام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب، واحدتها فقارة.

(١٧٩)

قال العماد: دخلت يوماً بغداد قبل نكبة شرف الدين ظفر (١) بن الوزير عون الدين أَبي المظفر ابن هبيرة بسنة، في صفر سنة تسع وخمسين وخمس مئة، فأَنشدني قصيدة (٢) عملها على وزن قصيدة مهيار التي أولها :(٣)

(من الرمل)

بكَــرَ العــارضُ تحــدُوه النُّعامى
فسُقيت الغيثَ يادارَ أُماما (٤)

وسأَلني أَن أَعمل قصيدة على وزنها ورويِّها، فعملتُ قصيدة* :

١ خطــرتْ تحمــلُ مــن سَلْمى سلاما
فانثنى يشكرُ إنعامَ النُّعـامــى

٢ مُغـرمٌ هـاجتْ جـواهُ نَسْمــةٌ
يـالهـا من نسمة هاجتْ غراما!

٣ نفحــةٌ أَذكَتْ بقلبــي لَفْحــةً
كلّما هبّتْ له زادتْ ضِراما ! (٥)

٤ عاتبتْ سلمــى سُميــراً أَمْ تــرى
غازلتْ بالرَّوضِ أَنفاسَ الخُزامى ؟ (٦)

---

(١) في وفيات الأعيان ٦:٢٤٢ رجح المحقق الرواية التي تقول : «مظفر» وأشار في الهامش إلى ثلاث روايات أخرى - وهي الصحيحة - تقول : «ظفر».
(٢) انظرها في الخريدة، قسم العراق، ١:١١٠.
(٣) ديوان مهيار ٣:٣٢٧.
(٤) العارض: السحاب يعترض في الأفق. تحدوه: تسوقه. النعامى: ريح الجنوب.
* الخريدة، قسم العراق، ١:١١٢. والأبيات ١١ -١٧ في الوافي بالوفيات ١: ١٣٥.
(٥) الضرام (بالكسر): اشتعال النار في الحلفاء ونحوها.
(٦) الخزامى: نبت زهرة أطيب الأزهار نفحة.

٥ يا لأَوطارِي ! فقــد أَنشــرها
نشرها مــن بعــدِ ما كانتْ رِماما (١)

٦ ذكّرتْ ريحُ الصّبا رَوْحَ الصِّبـا
وزمانـاً كنـتُ بـل كانَ غلاما (٢)

٧ ونديماً لـيَ لـم أَنـدمْ بـه
يارعاهُ اللّهُ مـن بينِ النُّدامى

٨ أَلهـمَ الدَّوحَ التّثنّـي ، بشَـه
شَجْوَهُ ، بـل علّمَ النَّوْحَ الحَمـاما

٩ قالَ : مـا أَطيـبَ أَيـامَ الصِّبـا !
قلتُ : ما أَطيبَهُ لـو كان دامـا !

١٠ كان وعداً بـالأَمـانـي مُـزنُـهُ
كلّما استسقيتُـهُ عادَ جَهاما

١١ وهضيمُ الكَشْحِ في حبّـي لـه
لم يَزِدْنـي كاشحي إلاّ اهتضاما (٣)

١٢ كَرُمَ العاشـقُ منـه مثلمـا
لؤُمَ العـاذِلُ فيه حينَ لامـا

١٣ بقَـوامٍ علّـمَ الهـزَّ القنـا
ولـحاظٍ تُـودِعُ السُّكرَ المُداما

١٤ أَتـراهُ إذْ تثنّـى ورنـا
سمهريّاً ، أَمْ سـلّ حُساما ؟ (٤)

---

(١) الرمام: العظام البالية
(٢) الروح (بفتح الراء): الراحة، والرحمة ،ونسيم الريح.
(٣) الهضيم: اللطيفة الكشحين، والكشح مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف. الكاشح الذي يضمر لك العداوة. والاهتضام: الظلم.
(٤) السمهري: الرمح.

١٥ خـدُّهُ يجرحُـهُ لحــظُ الـــورى
فلذا عارِضُـــهُ يلبسُ لاما (١)

١٦ ويُــريكَ الخـطّ مـنـه دائـــــراً
هــالةَ البــدرِ اذا حـطّ اللثّاما(٢)

١٧ وكثيــبُ الـرَّمـلِ قــد أَخجلَـهُ
وقضيــبُ البــانِ رِدفاً وقَــواما

١٨ أَنــا مـنــه ومــن العُـذّال فــي
نَصَيَــبٍ، أَشـكو مَلالاً ومــلاما

١٩ لم تــكن تــلكَ وقــد لاحَظْنَــني
لحظــاتٍ، إنّمــا كــانتْ سهاما

٢٠ تــركـتْ في غَمَـراتٍ مُهْجَتـي
غمرات ملكت منها الزِّماما (٣)

٢١ مهجــةٌ أَرخصَها سَوْمُ الـهـــوى
وتسامى عِـزّةً مــن أَنْ تســامــا

٢٢ ومـقـامي بـعــد تــوديعـهــم
بالحِـمى مــاخِلتُهُ الاّ حِـمــاما

٢٣ عَــدِمَ الإصبــاح ليــلي بعـدَكُــمْ
أَسفِروا لي مرّةً تجلُــو الظــلامــا

٢٤ بــتُّ عــن طيـفـكُمُ مُستخبِــراً
مـــن غــرامي بكُمُ من كان ناما

٢٥ وغــرامي رُمْــتُ أَنْ أَكــتـمـــه
فأَبى الدَّمـعُ لأَسـراري اكتتاما

---

(١) العارض: صفحة الخد. اللام: اللأم، جمع لأمه وهي الدرع، أراد به الشعر
(٢) الخط: خط العذراء. الهالة: الدارة حول القمر.
() الغمرة: الشدة. الزمام: المقود.

٢٦ ولماذا ظمئتْ نحوكُمُ
مقلةٌ إنسانُها في الدَّمعِ عاما؟

٢٧ يارفيقَّي، ارفقا بي، فالهوى
عُنْفُهُ يكفي المحبَّ المُستهاما

٢٨ أنجِداني، فبنجدٍ أرَبي
حين غيري شامَ بالغَوْرِ الشآما

٢٩ وانشُرا عنديَ أخبار الحمى
فبأَخبارِ الحمى قلبيَ هاما

٣٠ ناظري من دمعتي في شُغُلٍ
فانظُروا عنّيَ هاتيكَ الخياما

٣١ سارَ قلبي يومَ ساروا وانْثَنَوا
نحوَ نجدٍ وأَقاموا فأَقاما

٣٢ علّلاني بأَحاديثِهِمُ
فأَحاديثُهُم تَشفي الأُواما (١)

٣٣ هذه أَطلالهُمْ تشكو الظّما
فدعا الأَدمُعَ تنهلُّ انسجاما

٣٤ رِفقاً نستَسقِ جَدْوَى ظَفَرٍ
فهو من بَخَّلَ بالجودِ الغَماما (٢)

٣٥ فهو الغيثُ اذا بَثَّ اللُّها
وهو اللّيثُ اذا فَلَّ اللّهاما (٣)

---

(١) عللاني: لهياني وسلياني. الأوام: شدة العطش.
(٢) الجدوى: العطية.
(٣) اللها (بضم اللام): العطايا دراهم كانت أو غيرها، مفردها اللهوة بالضم. اللهام: الجيش العظيم.

٣٦ لم يزِدْ أعداءَه يومَ الوغى
والقنا إلاَّ انحطاطاً وانحِطاما

٣٧ إجتلَى من مَشرِق المجد السّنا
وامتطى من بازلِ المُلك السَّناما (١)

٣٨ وأضاءَتْ بسَنا سُنّتِه
ظُلَمُ الظُّلمِ لأيامِ الأيامى

٣٩ أولدَتْ أنعمُهُ عُقْمَ المُنى
وشفى من يأسِنا الداءَ العُقاما

٤٠ كرمٌ يُحيي ، وبأسٌ مهلِكٌ
وهما ما صَحِبا الاَّ هُماما

٤١ أنتَ عذْرُ الدَّهر يا واحدَهُ
ولقد أعظمَ لولاه اجتراما

٤٢ ببنيهِ ملكاً أو سُوقةً
ملأَ الأرضَ طغاةً وطَغاما (٢)

٤٣ ليس بدْعاً سقَمي من صحتي
فالقنا حُطِّمَ من حيثُ استقاما

٤٤ واذا المرءُ تشكّى خطّةً
كانت الصحّة للنفسِ سقاما

٤٥ صُغتُها منظومةً في مدحِكُمْ
فتلاها الدرُّ فذّاً وتُؤاما (٣)

٤٦ جمعتْ لفظاً، ومعنىً شائقاً
بَعُدا في الحُسن مرّمى ومراما

(١) البازل: الجمل أو الناقة في تاسع سنيه.
(٢) السوقة: الرعية. الطغام (بفتح الطاء): أوغاد الناس
(٣) الفذ: الفرد. التؤام: جمع توأم، المولود مع غيره في بطن، من الاثنين فصاعداً، وقد يستعار في جميع المزدوجات.

٤٧ هيَ راحٌ كيف حلّتْ عَجَباً
وهي سِحرٌ كيف ما كانت حراما

٤٨ فاغتنمها إنّما أوفى الورى
مَنْ يَرى من مثليَ الحمد اغتناما

(١٨٠)

قال أبو شامة المقدسي : نقلتُ من ديوان العماد بخطّه قال : ولما وصل خبر موت العاضد الذي كان بمصر في القصر، موسوماً بالأمر، في ليلة عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة، بعد الخطبة بها للمستضيء بالله أمير المؤمنين، عملت هذه الأبيات* :

(من المنسرح)

١ تُوفي العاضدُ الدّعيُّ، فما
يفتحُ ذو بدعةٍ بمصر فما (١)

٢ وعصرُ فرعونها انقضى، وغَدا
يوسُفُها في الأمورِ محتكما

٣ وانطفأتْ جمرةُ الغواةِ، وقد
باخَ من الشّركِ كلّ ما اضطرما

٤ وصارَ شملُ الصّلاحِ مُلتئماً
بها، وعِقدُ السّدادِ مُنتظما

٥ لما غدا مُعلناً شعارُ بني الـ
ـعبّاسِ حقّاً، والباطل اكتتما

٦ وباتَ داعي التّوحيد منتصراً
ومِنْ دُعاةِ الإشراكِ مُنتقما

---

* الروضتين ١ : ٤٩٦.

(١) العاضد الفاطمي عبدالله بن يوسف صاحب مصر

٧ وظلَّ أهلُ الضَّلالِ في ظُلَلٍ
داجيةٍ من غيابةٍ وعَمَى

٨ وارتبكَ الجاهلونَ في ظُلَمٍ
لما أضاءَتْ منابرُ العُلما

٩ وعادَ بالمستضيءِ مجتهداً
بناءُ حقٍ قد كانَ مُنهدما

١٠ واعتلتِ الدولةُ التي اضطهدتْ
وانتصرَ الدِّينُ بعدما اهتُضما

١١ واهتزَّ عِطفُ الإسلامِ من جَذَلٍ
وافترَّ ثغرُ الإيمانِ وابتسما

١٢ واستبشرتْ أوجهُ الهُدى فَرَحاً
فليقرعِ الكفرُ سنَّهُ نَدَما

١٣ عادَ حريمُ الأعداءِ مُنتهكَ الـ
ـحمى، وفيءُ الطُّغاةِ مُقتَسَما

١٤ قصورُ أهلِ القصورِ أخربها
عامرُ بيتٍ من الكمالِ سَما

١٥ أزعجَ بعدَ السُّكونِ ساكنَها
وماتَ ذُلاًّ وأنفُهُ رُغِمَا

(١٨١)

تسلَّم السلطان صلاح الدين بعلبك في شهر رمضان سنة ٥٧٠ للهجرة، وهنأه العمادُ ،فقال *

(من الكامل)

١ بفتوحِ عصرِكَ يَفْخرُ الإسلامُ
وبنُورِ نصركَ تُشرقُ الأيامُ

* الروضتين ١:٦٣١؛ مفرج الكروب ٢:٣٠، سنا البرق ١:١٨٥.

٢ وبفتحِ قلعةِ بعلبك تهذّبتْ
هذي الممالكُ واستقامَ الشّامُ (١)

٣ وبكى الحسودُ دماً، وثغرُ الثّغرِ ،من
فرحٍ بنصركَ للهدى، بسّامُ

٤ فتحٌ تسنّى في الصّيامِ، كأنّنا
شكراً لما منحَ الإلهُ صيامُ (٢)

٥ من ذا رأى في الصّومِ عيدَ سعادة
حلّتْ لنا ،والفطرُ فيه حرامُ (٣)

٦ باليُمنِ هذا الشّهرُ مشهورٌ كما
قد عمَّ بالبركاتِ هذا العامُ (٤)

٧ أسدى صلاحُ الدّين والدُّنيا يداً
بنوالِها سوقُ الرَّجاءِ تُقامُ (٥)

٨ فتملَّ فتحكَ ، واقصد الفتحَ الذي
بحصولهِ لفتوحكَ الإتمامُ (٦)

٩ دُمْ للعُلى حتى يدوم نظامُها
واسلمْ يعزُّ بنصرِكَ الإسلامُ

---

(١) مفرج الكروب: واستقر الشام.
(٢) سنا البرق: منح الأنام.
(٣) مفرج الكروب: يرى.
(٤) هذا البيت ورد في سنا البرق فقط
(٥) مفرج الكروب: الرخاء.
(٦) مفرج الكروب: واقصد القدس.

(١٨٢)

قال العماد *:

(من الطويل)

١ أيا ساكني مصرٍ عفا اللهُ عنكـــمُ
وعافاكُم مما أُلاقيهِ منكـــمُ

٢ أَبيتُ علـى هجرانكـمْ مُتندِّمـاً
ومَنْ ينأَ عنكمْ كيف لايتَنَدَّمُ

٣ فإنْ كنتمُ لم تعلمـوا مـا لقيتُـهُ
مِن الوجدِ والأَشواقِ فاللهُ يعلمُ

٤ بقيتمْ ، وعشتمْ سالمين مـن الأذى
ومنيةُ قلبي أَنْ تعيشوا وتَسلموا

(١٨٣)

قال العماد ** :

(من الطويل)

١ أَأَحبابنا مـن بعدِنـا كيف أَنتـمُ
فقد بانَ صبري والكرى منذُ بنتمُ

٢ ومـازلتـمُ أَهـلَ المودَّةِ والـوفـا
ولكنّمـا خـانَ الزَّمانُ فخنتم

٣ وإنّي بحـالٍ لسـتُ أذكرُ بعضَهـا
على كـلِّ حـالٍ أَنتمُ كيفَ أَنتمُ

---

* ذيل الروضتين ص٢٧، مرآة الزمان ٨:٥٠٨

** مرآة الزمان ٨:٥٠٨

٤ محبّكمُ من لوعةِ الوجدِ مشتكٍ
وقد كنتمُ تشكونَه لو علمتمُ

٥ أسيركمُ العاني أما تطلقونَهُ
فديتكمُ، ماضرّكُمْ لو مَنَنْتُمُ

(١٨٤)

قال أبو شامة المقدسي: ذكر العماد في ديوانه قصيدة يمدح بها نور الدين محموداً، ويهنئه بملك مصر*:

(من البسيط)

١ بملكِ مصرٍ أهنّي مالكَ الأُمَمِ
فاسعدْ وأبشرْ بنصرِ اللهِ عن أَمَمِ

٢ أضحى بعدلكِ شملُ الملكِ مُلتئماً
وهل بعدلكِ شيءٌ غيرُ ملتئمِ

٣ يافاعلَ الخيرِ عن طبعٍ بلا كلفٍ
ومُولي العرفِ عن خلقٍ بلا سأَمِ

٤ ووامقاً لثمَ ثغرِ الكفرِ تعجبُهُ
لالثمَ ثغرٍ شنيبٍ واضحٍ شبَمِ

٥ للهِ دَرُّكَ نورَ الدّينِ من ملكٍ
بالعزمِ مفتتحٍ بالنّصرِ مُختتمِ

٦ آثارُ عزمكَ في الإسلامِ واضحةٌ
وسرُّهُ لكَ بادٍ غيرُ مكتتمِ

٧ بما من العدلِ والإحسانِ تنشرُهُ
تخافُ ربّكَ خوفَ المذنبِ الأَثِمِ

---

* الروضتين ١:٤٤٣

(١) وامقاً: محباً. شبم: بارد.

٨ أوردتَ مصرَ خيولَ النّصرِ عادمـةً
ثني الأعنّةِ إقداماً على اللُّجمِ

٩ فأقبلتْ في سحابٍ من ذوابلها
وقضبها بدماء الهام منسجمِ (١)

١٠ تمكّنَ الرُّعبُ في قلبِ العدوِّ بها
تمكُّنَ النّارِ بالإحراقِ في الفحمِ

١١ سَرتْ لتقطعَ ماللكفر من سببٍ
واهٍ، وتوصلَ ماللدِّينِ من رحمِ

١٢ مستسهلات وعورَ الطُّرقِ في طلبِ الـ
ـعلياءِ، مقتحمات أصعبَ القحمِ

١٣ وجاعلات من الإفرنجِ غلَّهم
والقيدَ في موضعِ الأطواقِ والحزمِ

١٤ لقد شفتْ غلّةَ الإسلامِ وانتقمتْ
من العدوِّ بحدِّ الصّارمِ الخَذِمِ (٢)

١٥ أعانها اللهُ في إطفاءِ جمرِ أذىً
من شرِّ شاورَ في الإسلامِ مضطرمِ

١٦ وأصبحت بكَ مصر بعد خيفتها
للأمنِ والعزِّ والإقبالِ كالحرمِ

١٧ والسُّنّةُ اتسقتْ، والبدعةُ انمحقتْ
وعاودتْ دولةُ الإحسانِ والكرمِ

١٨ ملوكها لكَ صاروا أعبداً، وغدا
بها عبيدكَ أملاكاً ذوي حُرمِ

(١) الذوابل الرماح.
(٢) الصارم الخذم: السيف القاطع.

١٩ أنبتَ عنكَ بها قرماً ينوبُ بها
في البأْسِ عن عنترٍ في الجودِ عن هرمِ (١)

٢٠ للهِ دُّركَ نورَ الدِّينِ من ملكٍ
عدلٍ لحفظِ أُمورِ الدِّينِ ملتزمِ

٢١ كانتْ ولايةُ مصر قبلَ عزَّتِها
بكشفِ دولتها لحماً على وضمِ (٢)

٢٢ فالنيلُ ملتطمٌ ، جارٍ على خَجَلٍ
جاراً لبحرِ نوالٍ منكَ مُلتطمِ

٢٣ أُغْزُ الفرنجَ ، فهذا وقتُ غزوهمُ
واحطمْ جموعهمُ بالذّابلِ الحطمِ

٢٤ وطهّرِ القدسَ من رِجْسِ الفرنجِ وثبْ
على البغاثِ وثوبَ الأجدلِ القَطمِ

٢٥ فملكُ مصر وملكُ الشامِ قد نظما
في عِقْدِ عزٍ من الإسلامِ منتظمِ

٢٦ محمودٌ ، الملك الغازي ، يسوسُهما
بالفضلِ ،والعدلِ ، والإفضالِ ،والنعمِ

٢٧ بالشُّكرِ كلٌّ لسانٍ ناطقٍ أبداً
محمودٌ الملْكُ محمودٌ بكلّ فمِ

٢٨ فأشك مصر وأظهر عزّ سنتها
كم تقتضي ، والى كم تشتكي ، وكمِ

---

(١) عنترة بن شداد الشاعر الفارس الجاهلي وقد جاء به العماد مرخماً وهو ليس في موضع نداء.
وهرم بن سنان الجواد العربي الذي أصلح بين عبس وذُبيان وتحمل ديات القتلى.

(٢) الوضم: كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقي به من الأرض.

(١٨٥)

قال العماد وهو في طريقه الى مصر صحبة السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ للهجرة وقد نزل بالزرقاء للراحة * :

(من الطويل)

١ ولم أَنسَ بالزَّرقاءِ يومَ وداعنـا
أَناملَ تدْمى حَيْرةً للتندُّمِ

٢ أَعدتُكِ يا ز قاءُ حمراءَ إنّني
بكيتُكِ حتى شيْبَ ماؤكِ بالدَّمِ

٣ تأخّرَ قلبي عندهمْ مُتخلِّفاً
وخالفتُهمْ في عَزْمتي والتَّقدُّمِ

٤ فيا ليتَ شعري هل أَعودُ إليهم
وهل «ليتَ شِعْري» نافعٌ للمتيّمِ

(١٨٦)

مدح العمادُ القاضي الفاضلَ سنة ٥٧٣ للهجرة ** :

(من مخلع البسيط)

١ ريمٌ هَضيمٌ يَرومُ هَضْمي
مِنْ سُقْمِ عينيهِ عينُ سقمي (١)

٢ وطرفُهُ في فُتورِ صَبْري
وخصرُهُ في نحولِ جسمي

٣ ماجدٌ في ثَلْمِ ثَغْرِ صَبْري
لو جادَ لي ثغرُهُ بلثمِ

---

* الروضتين ١ : ٦٨٠.

** البرق الشامي ٣ : ٢ سنا البرق ١ : ٤٩ الروضتين ١ : ٦٩٦ الخريدة ، قسم مصر ١ : ٥٢

(١) الهضيم: اللطيف ،وقيل: أخمص البطن. هضمي : ظلمي

٤ في عارضيه طِرازُ حُسْنٍ
بهيُّ نَسْجٍ، شَهيُّ رَقْمِ

٥ ووجهُهُ بالعِذارِ بَدْرٌ
أُحيطَ منْ هَالةٍ بتمٍّ

٦ وردُ حياءٍ، ومسْكُ خَطٍّ
ينمُّ هذًا، وذاك يُنْمي

٧ قد نُقِّطَتْ شمسُ وجنتيهِ
للحُسْنِ مِنْ خالهِ بنجمِ

٨ واهي مناطِ الوشاحِ حُلَّتْ
فيه بوَجْدي عُقودُ عَزْمي

٩ نطَاقُه في القياسِ نُطْقٌ
وعطْفُهُ جانحٌ لسلمْي

١٠ وخُلْقُه جَامحٌ لحربي
وعطْفُهُ جانحٌ لسلْمي

١١ إلامَ ظلماً، بصدُّ ألمْي
صادي قلبيَ عن ريمٍ ظَلمِ

١٢ لو أطلق الرَّسمَ من وصالي
لم أبلُ في صدِّه كرسمِ

١٣ أفكرتُ في عزِّهِ وذُلِّي
فهامَ في الحالتينِ فَهْمي

١٤ مِنْ وَهَجِ الوجهِ دمعُ عيني
بذوبِ قلبٍ يهيمُ ،يَهْمي

١٥ اذا غدا الدَّمعُ من وشاتي
فبوحُ سرِّ الهوى بكتمي

١٦ إن رُمـت يـاعاذلي صـلاحـــي
فخـلّـني والـهـوى وزعمـي

١٧ شـاهدْ بعيـني الحبيبَ تشـهـدْ
أنَّ هـواهُ مـن المـهـمّ

١٨ لومُكَ يُذكي الغرامَ قلْ لـــي
أنت نَصيحي أم أنتَ خصْمي ؟

١٩ ولاساءني واللـــومُ لـــومٌ
كلامُ سوءٍ وأسـوُ كلـــمِ (١)

٢٠ يابدرُ ، بـادِرْ بشمـــس راحٍ
يقشعُ منـها غمامُ غـــمّ

٢١ وانقعْ ـ وُقيْتَ الأذى ـ أوامـاً
لابنِ كريمٍ ببنتِ كَـــرْمِ

٢٢ وهُزَّ منّي للأنسِ عِطْفـــاً
وخصَّ جيش الأسى بـهـــزم

٢٣ واجعلْ رضاعي جنَى رضـــاب
بفيكَ منه يعزُّ فَطْمـــي

٢٤ فريقكَ الحلو عَـــذْبُ وردٍ
يروي صدى القلب وهو يُظمـي

٢٥ واشفِ غليلي بَشهْدِ ثَـغْـــرِ
جناهُ ترياقُ كلَّ سُـــمّ

٢٦ بقدّك السّاحرِ التّثـــنـــي
جُدْ ليَ مِنْ غُصْنـهِ بـضمّ

٢٧ بخدّك البـاهرِ التـجلّـــي
جُدْ ليَ مِنْ وَردهِ بـشمّ

---

(١) كذا في الأصل. لعلها: ولاسلاني. وأسو: الأصل وأسوء

٢٨ ياحارمي في الوصال حظّي
مُوَفّراً بالفراق قَسْمي

٢٩ وقاتلي بالصدود ظُلماً
لاتتقلّد دمي واثمي

٣٠ يارامياً قوسَهُ بحتفي
موتَرُهُ مايزال يُصمي

٣١ بالعينِ والحاجبينِ تُغني
عن كلّ قوسٍ وكلّ سَهمِ

٣٢ ياحبّذا بالعراق نُعمى
شكرتها في وصالِ نُعمِ

٣٣ أرمي بطرفي هوًى إليها
وهي لقلبي باللحظ ترمي

٣٤ غداةَ مَغْنى حِمَاي حاوي
حُوٌ ، من الغانيات حُمٌ (١)

٣٥ أيام فوق السَّماء أمري
وَفْقَ مُرادي وتحت حُكمي

٣٦ أيام حلّ دمي المصون الـ
حرام في بذلهِ لأُدمِ

٣٧ أُدمي بلثمي خُدودَ بيضٍ
عيونُها للقلوب تُدمي

٣٨ واجتلي الكأسَ في ندامى
غرٍّ من الأكرمين شُمٌ

---

(١) الحو: جمع أحوى، الحوة سمرة الشفة ،يقال رجل أحوى وامرأة حواء. حم: الحمم مصدر الأحم، والجمع الحم، وهو الأسود من كل شيء.

٣٩ غدا بنسج الغرام فينا
ينسجُ عقلاً لكلِّ فَدْمِ (١)

٤٠ .... نسمو
من نفحات الصبّا لنسمِ (٢)

٤١ ..... لشم دُرِّ
بين عقيقٍ وفضّ ختمِ

٤٢ ... عقود العقول تُلقى
من التصابي بكفِّ فصمِ

٤٣ ... ليالي الوصال زهراً
تبدّلت في النّوى بُسحمِ

٤٤ ...... سواد فودي
مذ عقبت بيضها بدُهمِ

٤٥ يشيبُ في الرأسِ مثلَ نارِ
توقّدتْ من خلالِ فحمِ

٤٦ يزيدُ منّي الهمومَ ذكري
أيامَ عمرٍ مضينَ قُدمِ

٤٧ رضتُ طويلاً جُموحَ حظّي
فلم يلنْ عودُهُ لِعَجمي (٣)

٤٨ ليس يُعادي الزّمان غيري
كأنَّ فضلي إليهِ جُرمي

٤٩ أكظمُ غيظي ، وليس جدّي
لغائظاتِ الأمورِ كظمي

---

(١) الفدم: العيي عن الحجة والكلام مع ثقل وقلة فهم، وقيل: الأحمق.
(٢) في هذه البيت والأبيات الأربعة الآتية طمس في الأصل.
(٣) العجم :العض، يقال: عجمت العود اذا عضضته لتنظر أصلب ام رخو.

٥٠ أيا زماني الغشوم أقصِرْ
إنّكَ لاتستطيعُ غَشْمي

٥١ عبدُ الرّحيمِ الرّحيم أضحى
عوني على خَطبِكَ الملمٍّ

٥٢ ألوذُ منه بذي جَناب
يُلجيْ طُرّاقَهُ وينمي

٥٣ بالسّيدِ الأروعِ المرجّى
لكشفِ إزلٍ وكَفّ أزمِ (٢)

٥٤ بالفاضل الأفضلِ الأجلِّ
المفضّلِ الأشرفِ الأشمّ

٥٥ بحاتمي النّوال سَمْح
ليس يرى الجودَ غيرَ حتم

٥٦ غيثُ غياثٍ ، وجودُ جودٍ
وبحرُ علمٍ ، وطَوْدُ حِلْمِ

٥٧ ذو أنَفٍ ، أنْفُ كلّ خطبِ
يقتادُ منّ بأسهِ بخطمِ

٥٨ زكاءُ نجرٍ ، ورحبُ صدرٍ
وطولُ باعٍ ، وطيبُ جِذْمِ (٣)

٥٩ ومُزْنُ مَنٍ، ووجهُ مَنْحٍ
غيرُ جَهامٍ ، وغيرُ جهمِ (١)

٦٠ محاسَنا الرأي منه عَدْلاً
كلّ ظلامٍ ، وكلّ ظُلم

---

(١) الازل: الداهية. الأزم: الشدة.

(٢) الزكاء: الطيب والنماء. النجر: الأصل والحسب. الجذم: الأصل.

(٣) الجهام: السحاب الذي لاماء فيه. الجهم :رجل جهم الوجه أي كالح الوجه.

٦١ المنعمُ المستحقُّ منّي
جميعَ شكري ببعضِ شكمِ

٦٢ وما بنى المجدَ مثلُ مولىً
خصَّ النَّدى مالَهُ بهزمِ

٦٣ ذو محتدٍ في النِّجار زاكٍ
وسؤددٍ في الفخار ضخمِ

٦٤ نُعماهُ تُرجى لكفِّ بؤسٍ
وفكِّ أسرٍ ، وجَبرِ يُتمِ

٦٥ يراعُهُ في اليمينِ منه
تستخرجُ الدُّرَّ من خضمِّ

٦٦ فهو حسامٌ لم يبقِ داءً
إلاّ وقد خصَّهُ بحسمِ

٦٧ وحدُّهُ حصَّ كلَّ حَصدٍ
من كلِّ ما نائبٍ بثلمِ (١)

٦٨ يُروّضُ الطِّرسُ منه مُزجى
سُحبٍ من المكرماتِ سُحمِ (٢)

٦٩ سطورُهُ للعُلَى نجومٌ
تخفضُ في أوجها وتسمي

٧٠ اِنْ جاءَ عافٍ فنجمُ سَعدٍ
أو جاءَ عاتٍ فنجمُ رجمِ

٧١ أقلامُهُ خاطبتْ خُطوباً
من ظفرها ظفرتْ بقلمِ

٧٢ كم عقدتْ رايةً لرأيٍ
مؤيد عزمه بحزمِ

---

(١) حص: قص.
(٢) سحم: سود.

٧٣ والسَّمعُ والصلبُ للأَعادي
ما بينَ وقرٍ بها ووقم (١)

٧٤ له يدٌ للوليِّ منها
ولي وليٌّ ، ووَسْمُ وسمي

٧٥ ما وابلٌ منجمُ الغوادي
بكلِّ سهلٍ ، وكلِّ حَزْمِ

٧٦ هام ربابٌ بالوشي منه
هامَ الرُّبى في بديعِ وَشْمِ

٧٧ يحوكُ نسج الرَّبيعِ فيه
نمارقَ الزَّهرِ فوقَ أكم

٧٨ أَغزرَ من جودهِ وفصحٍ
في العجزِ عن وَصفْهِ لبكمِ

٧٩ مولايَ حالي كما تراهُ
في نَقْصِ حَظٍّ وَفضْلِ هَمٍّ

٨٠ لم يقضِ ديني ، وكلَّ يومٍ
غريمُ دهري يزيدُ عزمي

٨١ أَهلي مقيمونَ من دمشقٍ
في بلدةٍ نارها بلجمِ

٢ قد طالَ ذيلٌ بهم ، فطوِّل
طُولاً بجاهي العريضِ كمِّي

٨٣ أَصبحتُ في مصرَ ذا رجاء
إلى النَّدَى الجمِّ منكَ جمٍّ

٨٤ أصابَ قصدي ، وتمَّ أمري
وبانَ نُجحي وفازَ أَمي

---

(١) الوقر: وقرت أدنه، ثقلت أوذهب سمعه كله. الوقم: وقم الرجل وقماً، أذله وقهره.

٨٥ وإنّني قد وجدتُ وَجْدي
منكَ ، كما قد عدمتُ عُدمي

٨٦ نَعَشْتَني من عِثارِ دَهْري
فَحُزْتَ حَمْدي وَحازَ ذمّي

٨٧ عندي مواعيدُ للمعالي
يَمْطُلُ دهري بها برُغْمي

٨٨ نتيجةُ النُّجحِ منكَ يقضي
أنَّ المواعيدَ غيرُ عُقمِ

٨٩ ولي مُنى كلّها أراهُ
منكَ على خبرةٍ وعلمِ

٩٠ قضاءُ دَيْني ونَيْلُ سُؤلي
وَحفْظُ جاهي وجريُ رسمي

٩١ وَصنيعةٌ لا يضيعُ فيها
عَزْمي كما لا يفوتُ غُنْمي

٩٢ وحرمةٌ تستنيرُ منها
سعودُ قَدْري في أُفْقِ عُظْمِ

٩٣ يَممتُ أمّاً ، ولستُ أرضى
تيمّماً في جَنابِ يَمِّ

٩٤ لِمْ أمَلي لم يزَنْ بنُجحِ
لِمَّ شَعَثي لم يُعَنْ بلَمِّ

٩٥ رُمْ رَمَّ أمري وحلَّ حالي
ما كَرَمٌ في الورى كَرَمّي (١)

٩٦ رُثَّ ثرائي بكلِّ طَرْزٍ
وغُثَّ جاهي بغيرِ شحْمِ (٢)

---

(١) رم: صلح، والرم: البالي والفاسد.
(٢) رث من رث أي نهض .عث من عث أي نهض أيضاً.

٩٧ مُضارعُ الفعلِ حظٌّ فضلي
وعائقُ الصَّرفِ حرفُ جَزْمِ (١)

٩٨ نَاهيكَ من مُخولٍ مُعَمّ
يَحنو على المُخولِ المُعمِ

٩٩ كلُّ عدوٍّ شَنَاكَ يَلْقى
في الناسِ طَمْسَ اسمه كطسمِ

١٠٠ شَمْلُ العدا والعروضُ منهم
ما بينَ شتٍّ وبينَ شَتمِ (٢)

١٠١ ونلْتَ عزّاً بغيرِ صَرْف
ووَصْلَ مُلْكٍ بغيرِ صُدْمْ

١٠٢ تَمَلَّها فهي بكْرُ فكري
شَهيةٌ من نِتَاجِ شَهْمِ

١٠٣ حَدَوْتُ عيْسي بها فجاءتْ
شَقْشَقَةً من هَديرِ قَرْمِ (٣)

١٠٤ بحركَ طامي والعباب فاغسل
طمي في نظمها ورمي

١٠٥ لي خاطرٌ مُجبِلٌ لهمِّي
فَنَحتُهُ من صَفاً أَصمّ (٤)

١٠٦ أَقدَمَ رَغباً فحامَ رُعباً
لقدرِ فخرٍ لديكَ فَخمِ (٥)

---

(١) البرق الشامي: حظ فضل ... أضرب. الخريدة: حظ فضلي ... الصرف.

(٢) البرق الشامي: الاعادي والعرض .الخريدة : العدا والعروض. العروض: جمع عرض، وهو الجيش

(٣) شقشقة: شقشق الفحل شقشقة: هدر، واذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما يشبه بالفحل. القرم: الفحل.

(٤) مجبل: من أجبل الشاعر اذا أفحم.

(٥) الخريدة: فجاب رغباً

١٠٧ اليكَ ياكعبة المعالي
حَجّ حجاهُ بلُطفِ حَجم
١٠٨ أجْرِ على الوهم عُظْم شاني
واجبرْ على الوَهنِ عظمَ نظمي
١٠٩ بصفحةِ الصَّفحِ منكَ يبدو
جِرمُ قصوري بغيرِ جُرْمِ
١١٠ باسمكَ للشكر باسماتٌ
مِنّي مُنىً سُقتُهنَّ باسمي
١١١أقبلْ وأفضلْ عليَّ وافضل
عُرُبَ معانٍ لديَ عُجمِ
١١٢ مادمتَ عوني فليس يَغدُو
جميلُ رَسْمي قبيحَ وَصمِ

(١٨٧)

قال العماد : وقلت في معنى الجهاد على لسان نور الدين* (دوبيت) :

١ أذْلَلْتُ ذوي الشِّرْكِ بعزِّ العَزْمِ
والكفرَ بهزِّ صارمي في عَزْمِ
٢ شيَّدْتُ بُنَى المُلكِ بأمرِي الجزْمِ
والنّصرَ رايتُهُ قرينَ الحَزم

(١٨٨)

قال في مدح القاضي الفاضل سنة ٥٧٢ للهجرة ** :

(من الخفيف)

١ كيف لايفتدي ليَ الدَّهر عَبْداً
وأنا عَبْدُ عَبْدِ عبدِ الرَّحيمِ

---

* الخريدة، بداية شعراء الشام، ص٤٣.

** الروضتين ١ : ٦٨٣.

٢ بدوامِ الأَجلِّ سيِّدِنا الفـــا
ضلِ ، يادولةَ الأَفاضلِ دُومي

٣ إذْ أراهُ ينوبُ عنِّي لدى المُلْـــ
ـكِ منَابَ الأَرواحِ عندَ الجسومِ

٤ مالكُ الحلِّ في الممالكِ والعَقْـــ
ـدِ وحُكْمِ التّحليلِ والتّحريمِ

٥ مُعْمِلٌ للنَفاذِ في كلِّ قطـــرٍ
قلَماً حاكماً على إقليـــمِ

٦ تتلقّـــى الملـوكُ في كلِّ أرضٍ
كُتُبَــهُ القادماتِ بالتّعظيـــمِ

٧ ناحلُ الجسمِ ، ذو خطابٍ به يَصْـــ
ـغُرُ للدّهرِ كلُّ خَطْبٍ جسيمِ

(١٨٩)

قال العماد : خدمتُ المستنجد بالله سنة تسع وخمسين وخمس مئة بقصيدة طويلة * :

(من الكامل)

١ رَسْمٌ عليَّ لـــذلك الرّســـم
أنّي أُقاسمُهُ ضَنَى الجســـمِ

٢ دارٌ على حَرْبِ الزّمانِ لنـــا
جَنَحَـــتْ بها سَلْمَى إلى سَلمِ

٣ ماللهوى أبـداً يُلازِمُنـــي
فيها ؟ فهل كُتِبَ الهوى باسمي ؟

٤ ياصاحِ ! تعذِلُني على شَغَـــف
مازالَ يَعْذُرُني له خَصْمي (١)

* الخريدة، قسم العراق، ١:٤٨

(١) شعفه الحب شعفاً: أحرق قلبه، وقيل: أمرضه.

٥ إنّي رَضَعْتُ لبانَ حُبِّهِمُ
ويعزُّ عنه – وإنْ جَفَوا – فَطْمي

٦ كَلْمٌ فِراقُهُمُ ، ولومُكَ لي
في حُبِّهِمْ ، كَلْمٌ على كَلْمِ

٧ بَخِلوا عليَّ بوَصْلِ طيفهمُ
ماكان بُخْلُ الطَّيفِ في زَعْمي

٨ أنّى يَطيبُ ، ويستطيبُ كرىً
قَلْبٌ يَهيمُ ، وناظرٌ يَهْمي ؟

٩ أوما سِوَى هَجْري عِقَابهُمُ ؟
أَم ليس غَيْرَ هواهمُ جُرْمي ؟

١٠ أمّا الغرامُ فأدمعي أبداً
يُعرِبْنَ عنه بألسنٍ عُجْمِ

١١ والقلبُ مَسْكنُهمْ ، فكيف رَضُوا
أنْ يجعلوه مسكنَ الهَمِّ ؟

١٢ والسُّقْمُ في جسمِ المحبِّ ، فلمْ
وُصفَتْ عيونُ البيضِ بالسَّقَمِ ؟

١٣ أُدْمٌ سَفَكْنَ دمي بأعينها
ياللرِجالِ من الدُّمى الأُدْمِ ! (١)

١٤ بيْضُ الظُّبَى تَنْبو ، وترشقنا
بيْضُ الظِّباءِ بأعينٍ تُدْمي

١٥ ماكنتُ أعلمُ قبلَ رؤيتها
أنَّ النّواظر أسْهمٌ تُصْمي (٢)

---

(١) الأدم: جمع أدماء، والأدمة في الناس: السمرة، وفي الظباء: لون مشرب بياضاً.
(٢) أصميت الصيد: اذا رميته فقتلته وأنت تراه.

١٦ أقمارُ خَمْرٍ إنْ سَفَرنَ لنا
وإن انتقبنَ أهلّةُ اللّثْمِ

١٧ يَضْعُفنَ عن حملِ الإزارِ ، فلم
يحملنَ أوزاراً منَ الإثمِ؟

١٨ لظباءِ كاظمةٍ مقابلتي
غيظي من الرُّقباءِ بالكظم (١)

١٩ وأغنَّ بالكَشْحِ الهضيمِ له
ياكاشحي أغناكَ عن هَضْمي

٢٠ أَحمي بجُهْدي في الهوَى جلدي
واللّحظُ منه يُبيِحُ ماأحْمي

٢١ مَنْ مُنْصفي مِنْ جَورِ حاجبه
ولحاظُهُ عن قوسهِ تَرْمي ؟

٢٢ وَحَلا ومرَّ وتجنِّياً وجنىً
ياشهدَهُ ، لِمْ شِيْبَ بالسُّمِّ !؟(٢)

٢٣ الخمرُ رِيقتُهُ ، وقد عَذُبَتْ
ماكلُّ خمرٍ مُزَّةُ الطَّعْمِ (٣)

٢٤ وإذا شَفَتْ شَفَةٌ غليلَ صَدٍ
فالظَّلْمُ صدُّكهُ عن الظَّلْمِ (٤)

٢٥ أَقنعْتَ من بَرْقِ الحِمىَ سَحَراً
ونسيمهِ بالشّيمِ والشّمِّ ؟

---

(١) كاظمة: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ،وقد أكثر الشعراء من ذكرها (معجم البلدان ٤ : ٤٣١).
(٢) شيب: خلط.
(٣) المز: بين الحلو والحامض.
(٤) صد: ظمآن. والظلم (الثانية بفتح الطاء) ماء الأسنان وبريقها.

٢٦ ورضيتَ من «نُعمٍ» وإنْ مَطَلَتْ
بِنَعَمْ ، ونُعمى تلكَ من نعمِ؟

٢٧ وبَلَغْتَ من عظمِ الشُّكاة مَدىً
فيه المُدى بَلَغَتْ إلى العَظْمِ؟(١)

٢٨ فإلامَ تشكو الظُّلْمَ من زَمَنٍ
يتهضَّمُ الأحرارَ بالظُّلْمِ ؟(٢)

٢٩ تأتي نوائبُهُ مُنَبِّهَةً
وتمرُّ كالمرئيِّ في الحلمِ

٣٠ لاتَخْفِضِ اسمَكَ ، وارتفعْ حذراً
فعْلاً تصرِّفُهُ يَدُ الحزمِ

٣١ سُمْ نَفْسَكَ العلياءَ واسمُ بها
في بغيةِ الدُّنيا عن الوسمِ (٣)

٣٢ حتى متى تَظْما إلى ثمد
أيقنْتَ أنَّ ورودَهُ يُظْمي

٣٣ فَدَعِ التيمُّمَ بالصّعيدِ ، ففي
كَنَفِ الإمامِ شريعةُ اليمِّ

٣٤ مَلِكٌ ليالي النائباتِ بهِ
تُجلى ، وتخضب أزمنُ الأزمِ (٤)

٣٥ ورأى الورَى الوجدانَ من عدمٍ
في عصرهِ ، والوَجْدَ منْ عُدْمِ

---

(١) المدى (بفتح الميم) : الغاية. والمدى (بضم الميم) جمع مدية، وهي الشفرة. العظم: الكبر
(٢) يتهضم: يظلم.
(٣) سم نفسك العلياء: أردها عليها، واسم بها: ارتفع بها. الوسم: العلامة وأثر الكي.
(٤) الأزم: جمع أزمة، الشدة والقحط.

٣٦ أوصافُهُ بالوحي نعرفُها
فصفاتُهُ جلّتْ عن الوَهْمِ

٣٧ تَسْمو بلثمِ تُرابِ موكبه
فلقد سَمَتْ يَدُهُ عن اللّثمِ !

٣٨ ماكنتَ تبصرُ نَفْعَ موكبه
لولا تواضعُهُ من العظم

٣٩ النّجمُ منزلُهُ ، ومنزلُهُ
للوحي منزلُ «سورة النّجمِ»

٤٠ مِنْ مَعْشَرٍ آساسُ ملكهم
صِينَتْ قواعدُهُا عن الهَدْمِ

٤١ مِن كلِّ سامي الأَصلِ سامقِه
زاكي الخليقةِ طاهرِ الجذمِ (١)

٤٢ شمُّ المعاطسِ ، عزُّهُمْ أَبداً
قمنٌ بذلِّ معاطسِ الشّمِّ (٢)

٤٣ المنهبونَ الوفدَ وفرهُمُ
والمشترونَ الشُّكرَ بالشُّكمِ (٣)

٤٤ قَومٌ يرونَ إذا هُمُ اجتمعوا
تفريقَ ماغنِمُوا من الغنمِ

٤٥ خَفُّوا إلى فعلِ الجميلِ فما
يستثقلونَ تَحمُّلَ الغُرمِ

٤٦ حُمْرُ النِّصالِ جَلَوا ببيضهمُ
ظلماتِ ظُلْمِ الأَزمُنِ الدُّهمِ (٤)

---

(١) سمق البناء: علا وطال. الجذم (بالكسر): أصل الشيء.
(٢) قمن: خليق وجدير. المعاطس: الأنوف. الشم: جمع الأشم، وهو السيد الكريم ذو الأنفة.
(٣) الوفر: المال الكثير. الشكم (بضم الشين): الجزاء.
(٤) الدهم: السود .والأزمن الدهم: يريد بها أزمنة الشدة والقحط.

٤٧ وخطابهُمْ في كلِّ داهيةٍ
يقتادُ أنفَ الخطبِ بالخُطُمِ (١)

٤٨ إرثُ النُّبوّةِ بل خلافتُها
في يوسفِ المستنجدِ القَرْمِ

٤٩ كالبدرِ نوراً ، والهزبْرِ سطاً
يومَ الهياجِ ، وليلةَ التمِّ

٥٠ لا بالجَهَامِ ولا الكَهَامِ إذا
نُوَبُ الزّمانِ عرَتْ ولا الجهمِ (٢)

٥١ لو للسيوفِ مَضاءُ عَزْمتِه
ويراعِهِ أمنتْ مِنَ الثَّلمِ

٥٢ وإذا المُنى عَقُمَتْ فنائلُهُ
شافي العقامِ وناتجُ العُقْمِ (٣)

٥٣ الدِّينُ مرتبطٌ بدولتِه
والدَّهرُ تابعُ أمرِهِ الحزمِ

٥٤ لوليِهِ من فَيْضِ نائلِهِ
فَيْضُ الوليِّ ونائلُ الوسمي (٤)

٥٥ قسماً نصيبُ من الوفاءِ بهِ
أوفى النصيبِ وأوفرَ القسمِ

٥٦ للحقِّ مايرضيكَ مِنْ عَمَلٍ
والحكمِ ماتُمضيهِ من حُكْمِ

---

(١) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير، والجمع خطم (ككتب)، ويسكن ثانية في الشعر لضرورة الوزن.

(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. الكهام: الضعيف لاغناء عنده الجهم: العاجز الضعيف.

(٣) العقام: الداء الذي لايرجى البرء منه.

(٤) وليه: الولي ضد العدو، والولي الثانية: المطر

٥٧ أمّا الطُّغاةُ فقد وسَمتَهُم
ووصَمتهمْ بالذُّلّ والرُّغمِ (١)

٥٨ بينَ الزِّجاجِ تصدّعوا شُعَبا
صَدْعَ الزُّجاجِ لوقعةِ الصَّدمِ (٢)

٥٩ للوقدِ أنفُسُهمْ ، وسمعُهمُ
للوَقْرِ ، والأَعناقُ للوَقمِ (٣)

٦٠ إغمدْ حُسامَكَ في رقابهمُ
فالدّاءُ مفتقرٌ إلى الحَسْمِ

٦١ آزرْتَ ملكَكَ بالوزيرِ ، فَمَنْ
شَرَوا كما في العَزْمِ والحزمِ (٤)

٦٢ يحيى الذي أضحى بسيرته
حيَّ المحامدِ ميِّتَ الذَّمِّ

٦٣ كبرتْ وجلَّتْ فيكَ همّتُهُ
فله بنصحكَ أكبرُ الهمِّ

٦٤ هو حاتميُّ الجودِ ليس يرى
إسْداءَ نائلهِ سوى حَتْمِ

٦٥ فليهننا أنّا لملككَ في
زمنٍ يردُّ شبيبةَ الهمِّ (٥)

٦٦ وهناكَ أنّكَ بينَ أظهرِنا
خلَفُ النَّبيِّ ووارثُ العلمِ

---

(١) وسمه وسماً وسمة: اذا أثر فيه بسمة كي.
(٢) الزجاج (الأولى بكر الزاي): جمع الزج، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح
(٣) الوقم: القهر والاذلال.
(٤) الوزير: يريد به يحيى بن هبيرة. شرواكما: مثلكما.
(٥) الهم: الشيخ الفاني

٦٧ وكما وزَنتَ عيارَ فضلكَ بالـ
إفضالِ زِنْتَ العلمَ بالحِلْمِ

٦٨ بمكارمٍ للكَ عَرْفُها أَبداً
فينا يَنُمُّ وعُرفها يُنْمي (١)

٦٩ ما روضةٌ غَنّاءُ حَاليةٌ
وَشْياً تُحلّيه يَدُ الرَّقمِ

٧٠ فعرائسُ الأغصانِ قد جُليَتْ
في زهرِها بالوشي والوسمِ (٢)

٧١ وتمايلتْ أزهارُها سَحَراً
بنسيمهِ المتمارِضِ النَّسِمِ

٧٢ فلكلِّ نَورٍ نُورُ ثاقبةٍ
ولكلِّ ناجمةٍ سَنَا نَجْمِ (٣)

٧٣ دُرّانِ من طَلٍّ على زَهَرٍ
يا حُسنَهُ نَثْراً على نَظْمِ!

٧٤ إذ كل هاتفةٍ وهاتنة
مَشْغُولةٌ بالسَّجعِ والسَّجْمَ

٧٥ فالوُرقُ في نوح وفي طربٍ
والوَجْدُ في بَوْحٍ وفي كَتْمِ

٧٦ بأتمَّ حُسْناً من صدائحَ لي
فيكم مُنَزَّهة عن الوصمِ (٤)

٧٧ دُريّةُ الإشراقِ، مشرفةُ الـ
ـدُرّيّ، بل مسكيّةُ الخَتْمِ

(١) العرف (بالفتح): الريح الطيبة والعرف (بالضم): المعروف.
(٢) جلا العروس على بعلها جلوة وجلاء: عرضها عليه مجلوة.
(٣) النور (بفتح النون): الزهر.، أو الأبيض منه. ثاقبة: مضيئة. ناجمة: طالعة.
(٤) بأتم: خبر «ما» في البيت ٦٩.

٧٨ تـجـري وتـفـتـحُ مـــن سلاستِها
صُـمَّ الصـّفـا ومسامعَ الصُّــمِّ

٧٩ يـغـنـى الطـــروبُ عـــن الغنـاءِ بها
وابــنُ الكريمِ عــن ابنةِ الكَرْمِ (١)

٨٠ لـطُفَــتْ وطــالــتْ ، فهي جامعةٌ
عظـمَ الحِجا ولطـافـةَ الحَجمِ

٨١ ولـكـم سحبْتُ الـذَّيـلَ مبتهجاً
حيثُ الرَّجاءُ مـطرَّزُ الكُمِّ

٨٢ مــسـتـنـزرٌ جـــمُّ الـثَّنـهاءِ إذا
قـابـلـتـهُ بعطـائِكَ الجمِّ

٨٣ لـم يُخطِ منـذ أصبـبـتُ خِدْمتكم
أغراضَ أغـراضي بـكـم سَهْمي

٨٤ ولـرُبَّ مجـدٍ قـد أضفـتُ إلـى
مـا نِلْـتُ مــنْ خـالٍ ومن عمِّ

٨٥ فـالدَّهـرُ يـصرفُ صرْفَهُ بكـم
ويكُفُّ كفَّ البسطِ عن غَشْمِ (٢)

٨٦ ولَئِنْ نطـقـتُ بـكـم ، فوصفكُمُ
مُحيي الجمـادِ ومُنطِـقُ البُكمِ

---

(١) ابنة الكرم: الخمرة.

(٢) الغشم: الظلم.

(١٩٠)

قال العماد في سنة ٥٧٣ للهجرة : وكنا سائرين في رفقة من أهل الأدب فعبرَ بنا مرموقٌ في صورة مَلَكٍ اسمه شاه مُلْك ، فاقتُرح عليَّ لغز في اسمه ، فارتجلت * :

(من الرمل)

١ اسمُ محبوبي سُداسيٌّ إذا
سَقَطَ الثُّلثُ فعكسُ الكلِمهْ

٢ واذا قُدِّمَ ثاني شَطْرِهِ
فهو سلطانٌ لنا ذو عَظَمَهْ

٣ ومتى ، ينقِصْ ثانيه فلا
نقصَ يبدو في بناهُ المحكمهْ

٤ عرَبيٌّ عَجَميٌّ نِصفُهُ
كلُّهُ معنًى لِمَنْ قد فَهِمَهْ

٥ واذا ساهمَ في تصحيفه
لكَ باقيه فرمْ أن تفهمهْ

٦ وهو إن شاءهمُ لكنَّهُ
فيه إيضاحٌ لهذي المبهمهْ

---

* البرق الشامي ٣: ٢٩ أ، سنا البرق ١: ٢٧٠.

ـ حرف النون ـ

(١٩١)

قال العماد في الأترج * :

(من الطويل)

١ وأُترجَّةٍ صفراءَ لم أَدْرِ لونَـــهـــا
أَمِنْ فَرَقِ السكّينِ أَمفُرقةِ السّكْنِ ؟

٢ بحقٍّ عَلَتْها صفرةٌ بعدَ خُضْـــرةٍ
فمن شَجَرٍ بانتْ وصارتْ الى شَجَنْ (١)

(١٩٢)

قـال العماد ** :

(من مجزوء الرجز)

١ أَبْصَرني مُـــبـــلـــبـــلاً
وفي الغرامِ مُمــــتـــحـــنْ (٢)

٢ فقـــال : مَنْ قـــاتِلُـــــه؟
قلتُ لـــه : قائـــــلُ مـــنْ

* الخريدة، قسم العراق، ١:١٥٤، الوافي بالوفيات ١:١٣٥، الغيث المسجم ٢:٣٤٢.

(١) الوافي بالوفيات، الغيث المسجم: بحق عرتها.

** الوافي بالوفيات ١:١٣٩، طبقات الشافعية للسبكي ٦:١٨٣

(٢) طبقات الشافعية: مكبلا.

(١٩٣)

قال في التشوّق الى مصر سنة ٥٧٣ للهجرة * :

(من المتقارب)

١ تذكرت في جلق داركم
بمصر ، فيا بُعدَ ما بيننا

٢ وما أتمنّى سوى قربكم
وذلك ـ واللهِ ـ كلُّ المُنى

٣ يدل نسيمكم بالأريجِ
عليكم وبرقكم بالسّنا

٤ لكم بالجنابِ وطيبِ المقام
وحسن النّعيم بمصر الهنا (١)

٥ فحثّوا النّسيمَ لإبلاغه
سلامكم في النّوى لا ونَى (٢)

٦ ودُلّوا على الدوحِ قلبي فقد
عناني لأشواقكم ما عنا

٧ وإنّي فقيرٌ الى وصلكم
ومن نالَ ذلكَ نالَ الغِنَى

---

* البرق الشامي ٣: ٣٥ أ، سنا البرق (البيتان ١، ٢) ١: ٢٧١، الروضتين الأبيات ١، ٢، ٤) ١: ٧٠٨.

(١) الروضتين : بالجنان.

(٢) ونى: فتر وضعف وكل وأعيا

(١٩٤)

قال العماد: وقصد نور الدين الموصل بعد موت أخيه قطب الدين مودود (١) ، وأضافها إلى مملكته ، ثم سلّمها إلى ابن أخيه سيف الدين غازي (٢) ، وعاد منها منصوراً محبوراً إلى ولايته ، فقلت ونحن في العَوْدِ قد خيّمنا على حلب ، وفزنا بكلّ طلب ، خامس عشر رجب سنة ست وستين وخمس مئة * :

(من المجتث)

١ الحمدُ للهِ فُزْنَا
وللمطالبِ حُزْنَا

٢ حُزْنَا السُّرورَ وماتَ الـ
ـحسودُ غَمّاً وحُزْنَا

٣ وَعادَ سَهْلاً من الأَمـ
ـرِ كلُّ ماكان حَزْنَا

٤ وأَذْعَنَتْ واستقادتْ
مُنىً لنا قد نَشَزْنَا

٥ مواعدُ اللهِ في كلِّ
سُؤْلِ نَفْسٍ نَجَزْنَا

٦ إنَّ الأَعاديَ ذَلّوا
بنصرِنا وعَزَزْنَا

---

(١) قطب الدين مودود بن زنكي المتوفى سنة ٥٦٥ للهجرة ،حكم الموصل بين سنتي ٥٤٤ – ٥٦٥ (التاريخ الباهر ص١٤٦).

(٢) سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي المتوفى سنة ٥٧٦ للهجرة (التاريخ الباهر ص١٨٠).

* الخريدة ،بداية شعراء الشام، ص٥١ والأبيات ١،٢،٣،٦ في سنا البرق ١:١٠١.

٧ كم ظَهْرِ شركٍ قَصَمنا

وعِطْفِ عِزٍّ هَزَزْنا

٨ وجيشِ باغٍ هَزمنا

ورأْسِ عَاتٍ هَمَزْنا

٩ وفرصةٍ للأَماني

مع النّجاحِ انْتَهَزْنا

١٠ وكم مراكزِ مُلك

فيها الرِّماحَ رَكَزْنا

١١ وكم عدوٍّ سلبنا

هُ ملكَهُ وابْتَزَزْنا

١٢ نِلْنَا الذي قد رَجَونا

بالحَوْطِ مما احترَزْنا

١٣ ولم يَجُزْ من أمورِ الدُّ

نيا سوى ما أَجَزْنا

١٤ ببأْسِ محمودِ المَلْ

كِ للخُطوبِ بَرَزْنا

١٥ وبينَ صَرْفِ العوادي

وبيننا قد حَجَزْنا

١٦ للّهِ جَمٌّ أيادٍ

عَنْ شُكْرِها قد عَجَزْنا

١٧ بكلِّ كَنْزٍ سَمَحْنا

والحمدُ مما كَنَزْنا

١٨ إنّا لأَصْفَى وأَجدَى

في الخيرِ وِرْداً ومُزْنا

١٩ مـاساجَـــلَ النـــاسُ إلاّ
فُتْنَـا مَـداهُـمْ وجُـزْنا

٢٠ لنـا خلائـــقُ غُـــرٌّ
عــلى الوفــاءِ غُـرِزْنـا

٢١ نُــزِّهــنَ عـن كـلِّ سـوءٍ
وبالـخنَـا مـا غُـمِزْنا

٢٢ تَضيـقُ بالحـالِ ذَرْعـاً
ونُوسِـعُ العِرْضَ خَـزْنـا

٢٣ ولـم نَـدعْ للأَعــادي
في موقـفِ الفَـخْـرِ وَزْنـا

(١٩٥)

قال العماد سنة ٥٦٤ للهجرة *:

(من الخفيف)

١ أَيُّهـا الظاعنـونَ عنِّـي ، وقلبي
معهـم لايفـارقُ الأضعانـا (١)

٢ ملكوا مِصْرَ مثلَ قلبي ، وفـي هـ
ـذا وهاتيكَ أصبحـوا سُكّانا (٢)

٣ فاعْدلوا فيهمـا ، فانّكـم السيو
مَ ملكتم عليها سُلطـانـا

٤ لاتَروعُوا بالهجرِ قـلـبَ محـبٍّ
أَورثَتْهُ روعاتُـه الخَفَقانـا (٣)

---

* الروضتين ١: ٣١٠، مفرج الكروب ١: ١٧٢
(١) مفرج الكروب: :عنا .. الأشجانا.
(٢) مفرج الكروب: وفي هذا وفي تلك.
(٣) مفرج الكروب: أورثته أوصابه.

٥ حبّذا معهدٌ قضينـا بـه العيـ
شَ ، فكنّا بـربعهِ جيـرانـا
٦ إذ وجـدنا من الحوادثِ أمـنـاً
وأخذنا من الخطوبِ أمـانـا
٧ ورتعْنا مِن المُنَـى فـي رياضٍ
وسكنّا مِن المغاني جِنانـا

(١٩٦)

بعث صلاح الدين سنة ٥٦٤ للهجرة من مصر خلعاً الى جماعة من الأعيان، وبعث للعماد عمامة ملبوسة . فكتب إليه في هذا المعنى * :

(من الخفيف)

١ ياصلاحَ الدينِ الذي أصلحَ الـفـا
سدَ بالعَدلِ من خطوبِ الزمانِ
٢ أنتَ أجريتَ نيلَ مصـر الى الشّـا
مِ نَوالاً ، أم سالَ نيلٌ ثـاني !
٣ وعلى نيلها لِكفيكَ فـضـلٌ
فهما بالنُّضارِ جاريـتـانِ
٤ وصلتْ أُعطياتُكَ الغرُّ غُـزراً
فتلقّتْ آمالنا بالتهـانـي
٥ خِلَعٌ راقتِ العيونَ ورقّـتْ
وعَلا وصفُها عن الإمكانِ
٦ مُذْهَبات كأنّها خِلَعُ الرّضـ
وانِ قد أهديَتْ لأهلِ الجنانِ
٧ مُشْرقاتٌ بِطَرْزِها الذّهبيّا
تُ الحسانُ الرّفيعةُ الأثمـانِ

---

* الروضتين ١:٤٤٦

٨ فالعِماماتُ كالغماماتِ ، والطـــرو
زُ بروقٌ كثيــرةُ اللّمعـــانِ

٩ والموالي بها مِن التّيــهِ والــفــخـ
ـرِ على الدّهرِ ساحبـو الأردانِ

١٠ كيف خُصَّ العمادُ بـــالأدْوَنِ المخْ
لَقِ من دونِ عُصبةِ الدّيــوانِ

١١ أخليقٌ مــن نسجــهِ لك فـــي المد
حِ جديدٌ بأمْهَنِ الخُلْقانِ (١) !

١٢ وكذا عادةُ اللّيالي تــخــصُّ الـــ
فاضلَ المستحقَّ بـــالحــرمانِ

١٣ لم تزلْ سائراتُ جــودِكَ بـــالشّا
مِ لديهِ غزيرةَ التّهْلَـــــانِ

١٤ فاذا لم تزدْهُ مصرُ كـــمــــالاً
في المُنى فاحْمه من النُّقــصانِ

(١٩٧)

قال العماد في حَوادث سنة ٥٦٨ للهجرة: كنت راكباً في لقاء الفرَنج مع الملك العادل نور الدين محمود وهو يقول : كيف تصف ماجرى ؟ فمدحته بقصيدة * :

(من الكامل)

١ عُقِدَتْ بنصرِكَ رايــةُ الإيــمـانِ
وبَدَتْ لعصرِكَ آيــةُ الإحسانِ

٢ ياغالبَ الغُلْبِ الملوكِ ، وصائـــدَ الـ
ـصِّيدِ اللُّيوثِ ، وفارسَ الفُرسانِ

---

(١) الخلقان: جمع الخلق، أي البالي

* الخريدة ،بداية الشام، ص٥٣ – ٦٢، الروضتين ١:٥٢٩، مفرج الكروب ١:٢٢٧، وأبيات متفرقة في سنا البرق ١:١٢٨، عقد الجمان ١٢:١٧٤ ب.

٣ ياسالبَ التِّيجانِ مِنْ أربـابـهـا
حُزتَ الفَخارَ على ذوي التِّيجانِ

٤ محمودٌ المحمودٌ مابيـنَ الـورى
في كُلِّ إقْليمٍ بكلِّ لـسـانِ

٥ ياواحِداً في الفضلِ غيرَ مُشـارِك
أقسمتُ : مالكَ في البسيطةِ ثـانِ

٦ أحـلـى أمـانيـكَ الـجـهـادُ وإنَّهُ
للـكَ مُؤذِنٌ أبـداً بـكـلِّ أمـانِ

٧ كم بكرِ فتحٍ ولَّدتْهُ ظُباكَ مِنْ
حَرْبٍ لقمعِ المشركينَ عَـوانِ

٨ كـم وقعةٍ للـكَ فـي الـفـرنج، حديثُها
قد سارَ في الآفـاقِ والـبلـدانِ

٩ كـم مُصْعَبٍ عَسِرِ المـقـادَةِ قُدتَهُ
نحوَ الرَّدى بخزائمِ الخُلانِ (١)

١٠ قَمَّصْتَ قـومصَهُـمْ رِداءَ من رَدًى
وقَرَنْتَ رأْسَ بـرِنْسِهِمْ بسنانِ (٢)

١١ وملكـتَ رِقَّ مـلوكِـهـمْ ، وتركتَهُـمْ
بـالذُّلِّ فـي الأقْيادِ والأسْجـانِ

١٢ وجعلتَ في أعناقِهِمْ أغلالَـهُـمْ
وسَحبتَهُمْ هُوْناً على الأذقـانِ

---

(١) المصعب: يقال اصعب الرجل فهو مصعب ،وقيل: المصعب الفحل الذي لم يمسه حبل ولم يركب.

(٢) مفرج الكروب: وضربت رأس. القومص: تعريب حرفي للفظة اللاتينية (Comes) أي الامير، ومعناها الأصلي في اللاتينية «الرفيق» لأنه كان بادىء الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته ثم سمي بالأمير. البرنس: لقب يلقب به كل عضو من الأسر المالكة

١٣ إذْ في السَّوابغِ تُحْطَمُ السُّمرُ القنا
والبيضُ تُخْضَبُ بالنَّجيعِ القاني(١)

١٤ وعلى غناءِ المَشْرِفيّةِ في الطُّلَى
والهامِ رَقْصُ عواملِ المُرّانِ(٢)

١٥ وكأنَّ بينَ النَّقْعِ لَمْعُ حديدِها
نارٌ تألّقُ مِن خلالِ دُخانِ

١٦ في مأْزِقٍ وردُ الوريدِ مكفَّلٌ
فيه بريِّ الصّارمِ الظّمآنِ

١٧ غَطّى العجاجُ بهِ نجومَ سمائه
لتنوبَ عنها أنجُمُ الخُرْصانِ(٣)

١٨ يَمْتاحُ من قلبِ القلوبِ دماءَها
بالسُّمرِ مَتْحَ الماءِ بالأشطانِ

١٩ أوَما كفاهم ذاكَ حتى عاوَدوا
طُرُقَ الضّلالِ ومركبَ الطغيانِ

٢٠ ياخيبةَ الإفرنجِ حينَ تَجَمَّعوا
في حَيْرَةٍ وأتَوْا إلى حَوْرانِ (٤)

٢١ جاؤوا وظنهُمُ يُعجّلُ رِبْحَهم
فأعدتهُمْ بالخزيِ والخُسرانِ

٢٢ وظنونهُمْ وقلوبهُمْ قد أيقَنَتْ
للرُّعبِ بالإخفاقِ والخفَقانِ

---

(١) السوابغ: الدروع الواسعة.
(٢) المران: الرماح
(٣) الخرصان :الدروع.
(٤) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع (معجم البلدان ٢:٣١٧)

٢٣ وجلوتَ ، نورَ الدِّينِ ، ظلمةَ كُفرهم
لمّا صَدَعْتَ بواضحِ البُرهانِ (١)

٢٤ وهزَمْتَهمْ بالرَّأْيِ قبلَ لقائهمْ
(والرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ) (٢)

٢٥ راحوا فباتوا تحتَ كلِّ مَذلَّة
وَضَرَبْتَ منهمْ فوقَ كلِّ بَنانِ (٣)

٢٦ ما في النّصارى الغُتْمِ الاّ مَنْ لـه
في الصُّلبِ، بانَ الكَسْرُ، والصُّلبانِ

٢٧ ولُّوا وقلبُ شجاعهمْ في صدرهِ
كالسَّيفِ يُرعِدُ في يمينِ جبانِ

٢٨ فاروا من الفوّارِ عندَ فِرارِهم
بالفَوْرِ ، وامتدُّوا إلى المَدّانِ (٤)

٢٩ وأزراها الشّلالَةَ الشّلُّ الذي
أهدى لهمْ شَلَلاً إلى الأيمانِ (٥)

٣٠ ولَّى وجوهَهُمُ سوادُ وجوهِهِمْ
نَحو السَّوادِ ، وآذَنُوا بهوانِ

٣١ حَمَلَتْ عليهم من جنودِكَ فتيةٌ
لم تَدْرِ غيرَ حَميَّةِ الفتيانِ

---

(١) الروضتين: لما أتيت.

(٢) عجز البيت من مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني
(ديوان المتنبي ٢: ٤٢٥)

(٣) الغتمة: عجمة في المنطق، ورجل أغتم، وقوم غتم.

(٤) المدان: لم اجد لهذا الموضع شرحاً.

(٥) الشلالة: موقع في ديار الشام نزل فيه الفرنج لمحاربة نورالدين (الروضتين ١: ٥٢٨)

٣٢ زَخَرَتْ بهم أمواجُ آجلكَ في الوغَى
غُزُراً وَطَمَّ بهم عُبابُ طُمانِ (١)

٣٣ وتذمّمُوا من حَرِّ بأس مُحمّد
وتَهيّبُوا الحَمَلاتِ من عُثمانِ (٢)

٣٤ وبسيفِ جُرديكَ المجرّدِ غُودِروا
بدماءِ أهلِ الغَدْرِ في غُدرانِ (٣)

٣٥ وبعينِ دولتكَ الذي قدّمتَه
فُقِئَتْ عيونُ الكُفرِ والكُفرانِ

٣٦ واليارقيّةُ أَرّقَتْهُمْ في الدّجى
بسهامِ كلِّ حَنيّةٍ مِرْنانِ (٤)

٣٧ أجفانُهُمْ نَفَتِ الغِرارَ كما انتفَى
ماضي الغِرارِ بهم منَ الأجفانِ (٥)

٣٨ بعَثُوا معسكرَ بعلبكَ وأبصروا
من جُنْدِ بُصرى برْكَ كلِّ جِرانِ

٣٩ وكأنّما الأكرادُ فوقَ جيادِها
عِقْبانُ مُلْحَمَةٍ على عِقْبانِ (٦)

---

(١) آجلث: لم أقف على تعريف له. طمان: هو الأمير حسام الدين طمان بن عبدالله النوري، كان شجاعاً جواداً، توفي سنة ٥٨٥هـ وحزن عليه السلطان صلاح الدين والمسلمون لحرصه على الجهاد ولمواقفه المشهودة (النجوم الزاهرة ٦: ١٠٩)

(٢) محمد هو الأمير محمد بن عبد الملك بن المقدم، كان من أكابر أمراء الملك نور الدين، وله المواقف المشهورة، وحضر جميع الفتوحات مع السلطان صلاح الدين وتوفي سنة ٥٨٣هـ (النجوم الزاهرة ٦: ١٠٥). وعثمان: هو سابق الدين عثمان بن الداية صاحب قلعة جعبر وتل باشر (النجوم الزاهرة: ٦: ٢٤).

(٣) جرديك بن عبدالله النوري، كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين محمود، ثم خدم السلطان صلاح الدين في جميع غزواته وحروبه وتوفى سنة ٥٩٤هـ (النجوم الزاهرة ٦: ١٣٣).

(٤) الحنية: القوس. مرنان: قوس مرن ومرنان أي لها صوت.

(٥) الغرار الأولى: القليل من نوم وسواه، والغرار الثانية: حد السيف.

(٦) عقبان الأولى: جمع عقاب، والثانية بمعنى الرابية

٤٠ ولطالمـا مَهَرَتْ على نَصْرِ الهُـدَى
أنصارُكَ الأبطالُ مـن مهرانِ

٤١ لم يتركِ الأتراكُ فيهمْ غايـةً
بالفتكِ والإرهاقِ والإثخـانِ

٤٢ مِن كلِّ رامٍ سَهْمُـهُ من وَهْمِـهِ
أهدى إلى إنسانِ عينِ الرّانـي

٤٣ ولكَ المماليكُ الذينَ بهم عنَتْ
أملاكُ مصرَ لمالكي بَغْـدانِ

٤٤ هـم كالصَّحابةِ يومَ بدرٍ حاولـوا
نصرَ النبيِّ ، ونُبتُ عن حَسّانِ (١)

٤٥ الحائزونَ من السّباقِ خِصالَـهُ
في مُلتقَى حَرْبٍ ، وفي مَيْـدانِ

٤٦ من كلِّ مبسوطِ اليدينِ يمينُـهُ
ماتمتـلي إلاّ بقَبْضِ يَمـانِ

٤٧ لمـا رأى الدّاويُّ راوُنْـداءَهُ
ولّى بطاعونٍ بغيرِ طِعـانِ (٢)

٤٨ طلبَ الفِريرِيُّ الفرارَ بِطُلْبـه
مُتباعداً من هُلْكِهِ المُتداني (٣)

---

(١) حسان بن ثابت، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحد المخضرمين، عاش ستين سنة في الجاهلية، ونحوها في الاسلام، توفي في المدينة سنة أربع وخمسين للهجرة (الاصابة ١ : ٣٢٦، تهذيب التهذيب ٢ : ٢٤٧).

(٢) الداوي أحد افراد فرقة الداوية أو الديوية، وهم قوم من الإفرنج وقفوا أنفسهم على محاربة المسلمين.

(٣) الطلب : الأمير الذي يقود مئتي فارس، ويطلق كذلك على قائد المئة أو السبعين، وكان اول ما استعمل هذا اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين، ثم عدل فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش (السلوك ١ : ٢٤٨ حاشية ٢).

٤٩ والهنفرى مذهان فر مسوملا
لسلامة ، والهون شأن الشاني

٥٠ باروا فبارونيهم بفنائه
مود ، وسيدهم أسير عان (١)

٥١ أخلوا بلادهم فحل بأهلها
منك الغداة طوارق الحدثان

٥٢ أنهضت ، حين خلت ، اليها عسكراً
أخلى قواعدها من البنيان

٥٣ وشغلت جأشهم بجيش هدهم
فجنى ثمار النصرة الجيشان

٥٤ وملأت بالنيران أربع أهلها
فتعجلوا الإحراق بالنيران

٥٥ عادوا وحين رأوا خراب بيوتهم
يئسوا من الأوطار والأوطان

٥٦ باؤوا بأحزان ، وخاضوا هولها
مما لقوا بمخاضة الأحزان (٢)

٥٧ وقد استفاد المشركون تعازياً
والمسلمون تهادياً بتهان

٥٨ أصبحت للإسلام ركناً ثابتاً
والكفر منك مضعضع الأركان

٥٩ قوضت آساس الضلال بعزمك الـ
ـماضي ، وشدت مباني الإيمان

---

(١) مود: أودى بمعنى هلك ،فهو مود. عان: عنا له، خضع وذل، فهو عان

(٢) مخاضة الأحزان: موقع حصين يقع بين طبرية وصفد من ناحية ودمشق من ناحية أخرى (كنز الدرر ٧: ٦٤ حاشية ٢).

٦٠ قُلْ أَينَ مثلُكَ في الملُوكِ مجاهدٌ
لله في سرٍّ وفي إعلانِ

٦١ لم تلقَهُمْ ثِقةً بقُوّةِ شوكةٍ
لكنْ وثِقْتَ بنُصرةِ الرّحمانِ

٦٢ مازال عزمُكَ مستقلاً بالذي
لا يستقلُّ بثقلهِ الثّقلان (١)

٦٣ وبلغتَ بالتأييدِ أقصى مَبْلغٍ
ماكان في وسْعٍ ولا إمكانِ

٦٤ دانتْ لكَ الدُّنيا ، فقاصيها إذا
حقّقْتَهُ — لنفاذِ أمرِكَ — دانِ

٦٥ فمنَ العراقِ إلى الشآمِ إلى ذُرَى
مصرٍ إلى قُوصٍ إلى أسْوانِ (٢)

٦٦ لم تَلْهُ عن باقي البلادِ وإنّما
ألهاكَ فَرْضُ الغزوِ عَن هَمَذانِ (٣)

٦٧ للرومِ والإفرنج منكَ مصائبٌ
بالتُّركِ ، والأكرادِ ، والعُربانِ

٦٨ إعزازكَ الدِّينَ الحنيفَ وحزْبَهُ
قد خصَّ أهلَ الشِّركِ بالإهوانِ

٦٩ أذعنتَ لله المُهيمنِ إذْ عَنَتْ
لكَ أوجُهُ الأملاكِ بالإذْعانِ

٧٠ أنتَ الذي دونَ الملوكِ وجَدْتُهُ
ملآنَ من عُرْفٍ ومن عِرْفانِ

---

(١) الثقلان: الجن والإنس.
(٢) قوص : مدينة كبيرة عظيمة واسعة في صعيد مصر (معجم البلدان ٤ : ٤١٣) . أسوان : مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل (معجم البلدان ١ : ١٩١).
(٣) همذان : مدينة كبيرة في بلاد فارس (معجم البلدان ٥ : ٤١٠) .

٧١ في بأْسِ عمروٍ ، في بسالةِ حيدرٍ
في نطقِ قُسٍ ، في تُقى سلمانِ (١)

٧٢ عُمْرانُ عدلِكَ للبلادِ كأنّما
قد عاشَ في أيامكَ العُمرانِ (٢)

٧٣ خلّدْتَ في الآفاقِ ذكراً باقياً
أبدَ الزّمانِ ببذلِ مالٍ فانِ

٧٤ سيَرٌ ، لو ان الوحي ينزل أُنزلتْ
في شأْنها سُوَرٌ منِ القرآنِ

٧٥ فاسلمْ ، طويلَ العمرِ ، ممتدَّ المدى
صافي الحياةِ ، مخلّد السلطانِ

(١٩٨)

أهدى العماد سنة ٥٦٨ للهجرة إلى صديقه الأديب علم الدين الشاتاني (٣) قطائف (٤) وكتب معها : *

(من مجزوء الكامل)

١ ما راقداتٌ في صُحونِ
مستوطناتٌ في سُكونِ

٢ يجلينَ أمثالِ العرا
ئسِ بينَ أبكارٍ وعُونِ

---

(١) عمرو : هو عمرو بن عبدود الذي اجتاز الخندق إلى المسلمين فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام سلمان : هو سلمان الفارسي الصحابي المشهور ، وكان تقياً ورعاً ، جعل أميراً على المدائن ، فأقام فيها إلى أن توفي سنة ٣٦هـ (تهذيب تاريخ دمشق ٦ : ١٨٨ ، حلية الأولياء ، ١ : ١٨٥)

(١) العمران : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ،وقيل : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.

(٢) هو الحسن بن سعيد بن عبدالله الشاتاني الملقب علم الدين ، كان أديباً شاعراً فاضلا ،توفي في سنة ٥٩٩ بالموصل (وفيات الأعيان ٢ : ١١٣).

(٣) القطائف : نوع من الحلواء.

* الروضتين ١ : ٥٣٦

٣ أو كـالعـقـائـلِ فـي الـخـدو
رِ قـد اعتقلـنَ على ديـونِ

٤ هـنَّ اللّـذيـذاتُ اللـوا
ئذُ بالُّسهـولِ من الحـُزونِ

٥ أو كـالتّمـائـمِ لـلصّحـا
فِ ، وما نسبن إلى جنـونِ

٦ الـسكّريـاتُ الـغـريـ
ـقاتُ الـغـلائـلِ والشـُّؤونِ

٧ صـرعـى ومـادارت لـهـا
يومـاً رحى الحـربِ الـزّبّونِ

٨ لُـفّـفـنَ فـي اكـفـانهـ
نّ عـلـى المُنى لا للمـنـونِ

٩ يـحـيـنَ بـالتّغـريـقِ بـل
يَسْمُنَ في ضيـقِ السُّجـونِ

١٠ المـستطـابـاتُ الـظّهـو
رِ المستلـذاتُ البطـونِ

١١ نُضّـدنَ بـالـتّرصيع في الـ
جـامـات كـالـدُّرّ المصونِ

١٢ المستقيمـاتُ الـصُّفـو
فِ وقَفـنَ كالخيـل الـصّفونِ

١٣ وقـد اشـتـملـنَ مـن اللّطـا
ئفِ والصّفـاتِ على فنـونِ

١٤ اسـمعْ حـديثي فـي انبسـا
طـي ، فالحديثُ أخو شجـونِ

(١٩٩)

قال العماد وهو في طريقه إلى الاسكندريه سنة ٥٧٢ للهجرة : ونظمت في الطريق مقطوعات منها :*

(من البسيط)

١ يوماً بجيٌّ ويوماً في دمشق وبا
 لفسطاط يوماً ويوماً بالعراقين (١)

٢ كأنَّ جسمي وقلبي الصبَّ ما خلقا
 إلاّ ليقتسما بالشَّوق والبين

(٢٠٠)

أرسل نور الدين محمود في سنة ٥٦٨ للهجرة القاضي كمال الدين الشهرزوري(٢) إلى الخليفة المستضيء بأمر الله يشرح له ما فتح من البلاد ، وسيّر العمادُ معه قصيدة منها : **

(من الكامل)

بالمستضيء أبي مُحمد الحَسَن
 رَجَعَتْ أُمور المسلمين إلى السُّنَنْ

٢ في أرض مصرَ دعا له خطباؤها
 وأتتْ لتخطبَ بكرَ خطبته عدنْ

٣ فالمغربُ الأقصى بذلكَ مشرقٌ
 وبنصر مصر محققٌ يُمْنَ اليَمنْ

* سنا البرق ص٢٤٢، الروضتين ١:٦٩٠، عقد الجمان ٢:٢٠٧ب

(١) جي: مدينة قديمة عند اصفهان (معجم البلدان ٢:٢٠٢).

(٢) كمال الدين محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري، قاضي دمشق، كان فقيها أديباً شاعراً كاتباً، ولد سنة ٢٩٢ للهجرة وتوفي سنة ٥٧٢ للهجرة بدمشق (المنتظم ١٠:٢٦٨، الخريدة، قسم الشام، ٢:٣٢٢، وفيات الأعيان ٤:٢٣١).

** الروضتين ١:٥٤٨

٤ ورأى الإلــهُ المستضيءَ لشــرعِــه
وعبادِهِ ، نِعْمَ الأمينُ المؤتَـمـنْ

٥ سرٌّ النبوّةِ كامنٌ فيــه ومِــــنْ
فطرِ الإمامةِ مشرقٌ نورُ الفطــنْ

٦ تقوى أبي بكر ، ومن عمر الهـــدى
وحياءُ عثمان ، وعلم أبي الحسنْ (١)

٧ وبجدِّهِ عرفتْ مقالةُ حــيــدرٍ
لامِن دَدٍ أنا ، لا، ولامنّي الددنْ (٢)

٨ كم من عدوٍّ ميت فــي جلــدِه
رُعْباً وخوفاً ، فهو حيٌّ في كَفَنْ

٩ هلْ مثلُ محمود بن زنكي مخلــصٌ
متوحّدٌ يبغي رضاكَ بكلِّ فَــنْ

١٠ وَرِعٌ لدى المحرابِ أروعُ محــربٍ
في حالتيه إن أقام وإن ظَعَـــنْ

١١ يمسي ويصبحُ في الجهادِ ، وغيــرُهُ
يضحى رضيعَ سلافةٍ وضجيعَ دنْ

١٢ وبعزِّهِ الإسلام منتصراً حَـــرٍ
وبذلّة الإشراك منتقـماً قَـمِـنْ

(١) ابو الحسن : هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، كني بأكبر أبنائه الحسن .
(٢) الدد والددن : اللهو واللعب ، وفي الحديث الشريف : ماأنا من دد ولا الدد مني .

(٢٠١)

قال العماد في نوبة الرملة سنة ٥٧٣ للهجرة مادحاً الملك المظفر تقي الدين عمر * :

(من الوافر)

١ جفونُ البيضِ ، أم بيضُ الجفونِ
وسمرُ الخطِّ أم هيفُ الغصونِ

٢ قيانٌ ناظراتٌ عن نصولٍ
أحدَّتْ غربَها أيدي القيونِ

٣ مريضاتُ المعاطفِ والتثني
سقيماتُ اللواحظِ والعيونِ

٤ سوافرُ ، مشرفياتُ التجلّي
سواحرُ ، مشرقياتُ الجفونِ

٥ حللنَ ببابلٍ ، وحللنَ سحراً
عقودَ عقولنا بيدِ الجفونِ

٦ سلبنَ القلبَ حين سكنَّ فيه
منحنَ غرامَهُ بعدَ السكونِ

٧ ألا ياعاذلي دعني وشأني
وما تجري المدامعُ من شؤوني

٨ فإنَّ صبابتي داءٌ دفينٌ
وكم أبقى على الدّاءِ الدّفينِ ؟!

٩ حسبتكَ لي على وجدي معيناً
ألا ما للمعنّى من معينِ

١٠ جعلتُ ضمانتي لهمُ ضماني
ومالي في الضمانة من ضمينِ

(*) البرق الشامي ٣ : ١٩ أ–٢٢ أ ، سنا البرق ١ : ٢٦٣ ، الروضتين ١ : ٧٠٣ ، مفرج الكروب ٢ : ٦٢

١١ أنا الصبُّ الذي لهـواي هانـــــتْ
على قلبي مصاعبُ كلِّ هــــونِ

١٢ بكلِّ خدينـةٍ للحسـنِ مـا لـــي
سوى بلوى هواها من خديــنِ

١٣ كريمٍ أو كغصـنٍ أو كبـــدرٍ
بلحظٍ ، أو بقدٍ ، أو جبيـــنِ

١٤ تبسَّـمَ درُّهـا عـن أُقحـــوانٍ
وأزهـرَ وردُها في ياسميـــنِ

١٥ غريمٌ غرامِها عسرُ التّقاضــــي
وقد علقتْ بحبّيها رهونـــي

١٦ لوتْ دينَ الوصالِ وما قضَتْـــهُ
ولو كانتْ وَفَتْ وَفَّتْ ديونـــي

١٧ سقـى اللـــهُ العـراقَ وساكنيـه
وحيـاهُ حيـا الغيـثِ الهتـــونِ

١٨ وجيرانا أمنتُ الجورَ منـهـــمْ
وما فيهـم سوى وافٍ أميـــنِ

١٩ صفوا ، والدّهرُ ذوكدرٍ ، وقـــدماً
وفوا بالعهد في الزّمنِ الخؤونِ

٢٠ ليالي أشرقتْ منها الدّيـاجـــي
بحورٍ مـن جنانِ الخلـدِ عـينِ

٢١ أرى ربحي اذا أنفقـــتُ مالـــي
وما أنا بالغَبيِّ ولا الغبيـــنِ

٢٢ فلاعيشُ الإخـاءِ بمستكـــنٍ
ولاعيشُ الرّخـاءِ بمستكـينِ

٢٣ وقـد طلعتْ شموسٌ مـــن كؤوسٍ
كما شهرتْ سيوفٌ من جــفونِ

٢٤ يطوفُ بها على النُّدماءِ ساقٍ
شمائلُه مُعَشَّقَةُ الفنونِ

٢٥ ويُطفي جذوةً منها بماءٍ
ويمزجُ شِدَّةً منها بلينِ

٢٦ كأنَّ عذارهُ اللاهيَّ لامٌ
وحاجبَهُ المقوسَ حرفُ نونِ

٢٧ ولما سلَّ عارضُهُ حساماً
وفوَّقَ لحظُه سهمَ المنونِ

٢٨ بدا زردُ العذارِ ، فقلتُ : هذا
يديرُ لنا رحى الحربِ الزَّبونِ

٢٩ وثقتُ الى الزَّمانِ وغابَ عنِّي
بأنَّ الحادثاتِ على كمينِ

٣٠ وشطَّتْ دارُ أحبابٍ كرامٍ
تبدَّلَ وصلُهم بنوىً شطونِ (١)

٣١ فيا شوقاً لكلِّ أخٍ كريمٍ
ضنينٍ بالمودةِ لا ظنينِ (٢)

٣٢ خلصتُ من الشَّبابِ الى شبيبٍ
مشوبٍ عند أحبابي مشينِ

٣٣ وقاربتُ البياضَ فجانبتني
مودةُ بيضِها السُّودِ القرونِ

٣٤ وجائلةِ الوشاحِ رأتْ جماحي
على هوجاءَ جائلةِ الوضينِ (٣)

---

(١) شطت : بعدت . نوى شطون : بعيدة شاقة .
(٢) ضنين : بخيل . الظنين : المتهم .
(٣) الهوجاء : الناقة . الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير .

٣٥ عشيّــةَ ودّعــتْ ، والعيسُ تخذي
نـواحلَ قـد بريـنَ مِن البرينِ (١)

٣٦ بكتْ شجواً ، وأرزمـت المطـايا
وهـاجَ أنينهـا الـشّاجي أنينـي

٣٧ فـلي ولـهـا وللأنضـاءِ شـجـو
حنين في حنيـن في حنينِ (٢)

٣٨ تُنـاشدنـي وتُذْكِـرني بعهـدي
وتبعثنـي عـلـى حـفظِ اليميـنِ

٣٩ وقـالـتْ : ما ظننتك قـطُّ تنـوي
مفـارقتي لـقد سـاءَتْ ظنـونـي

٤٠ قـد استسهلتُ أحـزاني ببيـن
يـردُّ بـلكَ السُّهولَ على الحـزون

٤١ فقلـتُ : سُراي للـعليـا ، وإنّـي
تـخـذتُ لها أَميناً مـن أمـونِ

٤٢ إلى عـمـر بـن شـاهنشـاه قصدي
ثقي بغنـايَ منـه وارقبينـي

٤٣ أُسـافـرُ عنـكَ أَبـغـي العزَّ منـه
مـدلٌّ في الهـدوءِ وفـي الهدونِ

٤٤ حـويتُ فـضيـلةَ الـعـالي ولـكـنْ
رأيـتُ الـدُّونَ يحوي الحظَّ دُوني

٤٥ صفـا وِردُ الـزُّلالِ لـوارديـه
ومثلي لَيس يظفُرُ بالأُجونِ (٣)

---

(١) تخذي : تسرع . برين : هزلن . البرين : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .
(٢) الاصل : شجوا ، والصواب ماأثبتناه . الأنضاء : الإبل المهزولة .
(٣) الأجون : ماء آجن وأجن وأجين والجمع أجون ، وهو الماء المتغير الطعم واللون .

٤٦ لقد جمحت حظوظي بي وماذا
تفيدُ رياضةُ الحظِّ الحزونِ

٤٧ ولا لومٌ إذا لم ألقَ كفواً
إذا أعنستُ أبكاري وعوني

٤٨ وليس سوى تقي الدِّينِ مولىً
زماني في ذراهُ يتّقيني

٤٩ وإنّي بالمدائحِ أصطفيهِ
كما هو بالمنائحِ يصطفيني

٥٠ بنيلِ ظماءِ أهلِ الفضلِ ريّاً
خضمٌّ نوالهِ الصافي المعينِ

٥١ يُبدِّلُ فضلُهُ رثّاً وغثّاً
لحظّي بالجديدِ وبالسّمينِ

٥٢ ويوضحُ منهجَ العليا بجودٍ
يُجدِّدُ منهجَ الحمدِ المبينِ

٥٣ رحيبُ الصّدرِ طلقُ الوجهِ ثبتُ الـ
ـجنانِ نَدِيُّ المحيا واليمين

٥٤ غزيرُ الفضلِ ، جمُّ الجودِ ، مَلْكٌ
عديمُ المثلِ ، مفقودُ القرينِ

٥٥ أخو العزمِ المؤيدِ بالمساعي الـ
ـتي نجحتْ وذو الرأي المتين

٥٦ فعند الجودِ كالجَوْدِ اندفاعاً
وعند الحلمِ كالطّودِ الرَّصينِ (١)

٥٧ له عرضٌ لعافيهِ مذالٌ
يذودُ بهِ عن العرضِ المصونِ

---

(١) الجود (الأولى) : العطاء والسخاء . الجود (الثانية) : المطر الغزير . الطود : الجبل .

٥٨ لـه يوما ندًى ووغى عطـــاءٌ
وكسرٌ للأُلوفِ وللمئينِ

٥٩ صوارمُـهُ صوالجُـهُ إذا مـا
رؤوسُ عداهُ كانتْ كالكُرينِ (١)

٦٠ وما لطيورِ أسهمهِ المواضي
سوى مقلِ الأعادي من وكونِ

٦١ إذا اعتقلَ القنا الخطّيَ سالتْ
لـه أعناقُها بدمِ الوتيـن (٢)

٦٢ ويجمدُ منه بطنُ النّسرِ ماقـد
شكّتْهُ لَبّةُ الذّمرِ الطعينِ (٣)

٦٣ بنو أيوب زانوا الملكَ منهم
بحليةِ سؤددٍ وتُقى وديـنِ

٦٤ ملوكٌ أصبحوا خيرَ البـرايـا
لخيرِ رعيّةٍ في خير حيـنِ

٦٥ أسانيدُ السّيادةِ عـن عُـلاهم
معنعنةٌ مُصحّحة المتـونِ (٤)

٦٦ كأنَّ لدانَ سمرِهم أفـاعٍ
تُصرّفُها القساور فـي العرينِ (٥)

٦٧ عزائمهم متى نهدوا لـغزوٍ
مفاتيحُ المعاقل والحصونِ (٦)

---

(١) صوالج : جمع صولجان ، عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب . الكرين: جمع كرة ، وهي التي يلعب بها .
(٢) الوتين : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه .
(٣) اللبة : موضع الذبح . الذمر : الشجاع .
(٤) معنعنة : عنعن الراوي ، قال روايته : روى فلان عن فلان عن فلان وهلم جرا .
(٥) لدان : جمع لدن ، وهو اللين ، السمر : الرماح . القساور : الأسود .
(٦) نهدوا : قاموا .

٦٨ وتشرقُ في مثار النّقع منهم
اذا ركبوا ، شموسٌ في دجونِ

٦٩ اذا ركبوا ظهورَ الخيلِ ردّوا الـ
ـعُداةَ من القشاعمِ في البطونِ (١)

٧٠ بسطوة بأسهم في كلّ أرضٍ
جبالُ الشّركِ عادتْ كالعهونِ

٧١ غدا الفضلاءُ منهم في مكانٍ
ـ من الإكرام ـ محروسٍ مكينِ

٧٢ بكلّ مبجلٍ لمؤمليه
وللأعداءِ والدُّنيا مُهينِ

٧٣ ضنينٌ بالعلاءِ لمعتفيه
ولكن باللّها غير الضّنينِ

٧٤ براهُ اللهُ من طُهرٍ وطيبٍ
وكل النّاس من حمأٍ وطينِ (٢)

٧٥ فَزيّنَ أمرَ راجيه الموالي
وشيّنَ شانَ شانئه اللّعينِ

٧٦ بنو أيوبَ مثلُ قريشَ مجداً
وأنتَ لهم كأنزعها البَطينِ (٣)

٧٧ فقلْ لملوكِ هذا العصرِ طراً
أروني مثلَهُ فيكم أروني

٧٨ بجدٍ سامَ عالي كلّ فخرٍ
ومجّاناً طَلبتم بالمجونِ

---

(١) القشاعم : النسور .
(٢) حمأ : طين أسود منتن .
(٣) النزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة ، ويقال للرجل انزع والمرأة نزعاء وفي صفة علي رضي الله عنه : البطين الأنزع .

٧٩ اذا خفَّ الملوكُ لكلِّ خطبٍ
حلوماً كُنْتَ ذا حلمٍ رزينِ

٨٠ تزانُ بكلِّ منقبةٍ وفضلٍ
علاكَ فلا مزيدَ على المزينِ

٨١ عدوُّكَ كالذُّبابِ له طنينٌ
وفيه ذبابُ سيفكَ ذو طنينِ (١)

٨٢ أخفتَ الشِّركَ حتى الذُّعرَ منهم
يُرى – قبلَ الولادةِ – في الجنينِ

٨٣ ويومَ الرَّملةِ المرهوبِ بأْساً
تركتَ الشِّركَ منزعجَ القَطينِ

٨٤ وقد غادرتَ أشلاءَ الفرنجِ
كمحصودِ الزُّروعِ على الجرينِ

٨٥ وأضحى الدِّينُ منكَ قريرَ عينٍ
وظلَّ الشِّركُ ذا طرفٍ سخينِ

٨٦ وكنتَ لعسكرِ الإسلامِ كهفاً
أوى منه الى حصنٍ حصينِ

٨٧ وقد عرَفَ الفرنجُ سُطاكَ لمّا
رأوا آثارَها عينَ اليقينِ

٨٨ وأنتَ ثبتَّ دونَ الدِّينِ تحمي
حماهُ أوانَ ولَّى كلٌّ دونِ

٨٩ ولو لبُّوا نداءَ الحزمِ دَرَّتْ
عليهم لِقْحمةُ النّصر اللّبونِ (٢)

---

(١) الذباب (الثانية) : حد السيف .

(٢) اللقحة : الناقة .

٩٠ وليكَ منكَ في ظلٍ ظليلٍ
من الإعزاز في كِنٍ كنينِ (١)

٩١ وتهمي للموالي والمعادي
بسحبٍ للنّدى والباسِ جُونِ (٢)

٩٢ أنهّابُ المحامدِ بالعطايا
ووهّابُ المسرّة للحزينِ؟

٩٣ ألا يا كعبةً للفضلِ أضحى
إلى أركان دولته ركوني

٩٤ حجاهُ وحجرهُ لمساجليه
مقامُ الحِجْر منه والحَجُونِ (٣)

٩٥ تقي الدّين إنّ حديثَ فضلي
لمن يصغي إليه لذو شجونِ

٩٦ فعتبي للزّمانِ على اهتضامي
وشكوى من جنونِ المنجنونِ (٤)

٩٧ ولستُ أرى سوى علياكَ تاجاً
تليقُ بدرِّ مدحتيَ الثّمينِ

---

(١) الكن : وقاء كل شيء وستره ، والكن البيت أيضاً . كنين : مستور .
(٢) الجون (بفتح الجيم) : الأسود والابيض ، وهو من الأضداد ، والجمع الجون (بضم الجيم) .
(٣) الحجر : حجر الكعبة ، وهو ماحواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال .
الحجون : موضع بمكة ناحية من البيت .
(٤) المنجنون : الدولاب التي يستقى عليها .

(٢٠٢)

قال العماد : اقترح عليَّ بعضُ الأكابر في الدولة النورية أن أعمل قصيدة في دمشق على وزن قصيدة أبي الحسين ابن منير (١) التي أولها (٢) :

حيِّ الديارَ على علياء جَيْرون مَهوى الهوى ومغاني الخُرَّد العين

فعملت كلمة طويلة ، منها * :

(من البسيط)

١ أهدَى النَّسيمُ لنا ريّا الرَّياحين
أمْ طيبَ أخلاق جيراني «بجيرونِ»

٢ هبّتْ لنا نفْحةٌ في جلّقٍ سَحَراً
باحَتْ بسرٍّ من الفردوسِ مكنونِ

٣ وفاحَ بالعَرْفِ من أرجائها أرَجٌ
نالَ المسرَّةَ منه كلُّ محزونِ

٤ هبّتْ تُنبِّهُ أطرافي وتبعثُها
منّي وتوجبُ للتهويم تهويني

٥ وما درَينا أ«داريا» لنا أرجَتْ
أم دارَ في دارنا عطّارُ «دارينِ»(٣)

٦ نَشْري ونرتاحُ الاستنشاء رائحة
هبّتْ سُحَيراً على وَرْدٍ ونسرينِ (٤)

---

(١) أبو الحسين أحمد بن منير بن مفلح الطرابلسي ، شاعر مجيد، ولد سنة ٤٧٣ وتوفي سنة ٥٤٨ للهجرة بحلب (الخريدة ، قسم الشام ، ١ : ٧٦، تهذيب ابن عساكر ٢ : ٩٧ ، وفيات الأعيان ١ : ١٥٦) .

(٢) وردت القصيدة في كتاب (أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء- مخطوطة ليدن رقم ٦٣٩) ص ١٨٤ .

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٣٠ ، الأعلاق الخطيرة ٢ : ٣٤٤ .
عيون التواريخ (مخطوطة باريس رقم ١٥٨٧) ٥٦ ب .

(٣) دارين : فرضه بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند (معجم البلدان ، ٤ : ٤٣٢) .

(٤) الاستنشاء : البحث والطلب ، نشيت الريح غير مهموز ، أي شممتها ، والاستنشاء يهمز ولايهمز .

٧ ورُبَّ همٍّ فقدناهُ بربـوتهـا
ورُبَّ قلبٍ أصبناهُ «بقَلْبين» (١)

٨ لولا جسارَةُ قلبي ما ثبتُّ على الـ
ـعبُورِ من طَرَبٍ في جِسرِ «جسرين»

٩ دمشقُ عنديَ لا تُحْصَى فضائلُها
عَدّاً وحَصْراً ويُحْصَى رَمْلُ «يَبْرين» (٢)

١٠ وما أرى بلدةً أخرى تُماثلُهـا
في الحُسْنِ من مصرَ حتى مُنْتَهى الصينِ

١١ في كلِّ قُطرٍ بها وَكْرٌ لِمُنْكَسِـر
ومسكنٌ غيرُ مَمْلولٍ لِمسكينِ

١٢ وإنَّ مَنْ باعَ كلَّ العُمرِ مُقْتَنعاً
بساعةٍ في ذُراها غيرُ مَغْبـونِ

١٣ لمّا علَتْ همّتي صيَّرْتُها وَطني
وليس يقنعُ غيرُ الدُّونِ بالدُّونِ

١٤ يُصْبيكَ مَيْطُورُها طوراً ونَيْرَبُها
طوراً وتُوليكَ إحساناً بتحسينِ (٣)

١٥ ترى جواسِقَهَا في الجوِّ شاهقـةً
كأنّهنَّ قُصورٌ للسّلاطيـن

١٦ دارُ النّعيمِ ومِنْ أدنى محاسنِهـا
ثمارُ تموزُ في أيـامِ كانـونِ

١٧ نعيمُها غيرُ ممنـوعٍ لساكنـها
كالخُلْدِ والمَنُّ فيها غيرُ ممنونِ

---

(١) الربوة : مثلة الراء ، موضع لطيف بسفح الجبل الغربي من دمشق (نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٨٣) قلبين : من قرى غوطة دمشق (معجم البلدان ٤ : ٣٨٦) .

(٢) يبرين : من أصقاع البحرين وهنالك الرمل الموصوف بالكثرة (معجم البلدان ٥ : ٤٢٧).

(٣) ميطور : من قرى دمشق (معجم البلدان ٥ : ٢٤٤) .

١٨ كأنما هي للأبرارِ قد فتحتْ
من الفراديس أبوابَ البساتينِ (١)

١٩ أزهارُها أبداً في الرَّوضِ مُونِقةٌ
فحُسْنُ نَيْسان موصولٌ بتِشرين

٢٠ وأيُّ عينٍ إليها غيرُ ناظرةٍ
وأيُّ قلبٍ عليها غيرُ مَفْتونِ

٢١ أهوى مقرِّي «بِمَقْرَى» والرِّياضُ بها
للزَّهْرِ ما بينَ تفويفٍ وتزيينِ

٢٢ هاجتْ بلابلَ قلبي المستهامِ بها
بلابلُ الأيك غَنَّتْنا بتَلْحينِ

٢٣ تتلو «بسطرَى» أساطيرَ الغرامِ على
صوامعِ الدَّوحِ وُرْقٌ كالرَّهابينِ

٢٤ قُمريُّها مقريءٌ يشدو بنغمته
آياً تعَلَّمها من غير تلقينِ

٢٥ وللحمائمِ في الأسحار أدعيةٌ
مرفوعةٌ شُفِعَتْ مِنّا بتأمينِ

٢٦ خافَتْ على الرَّوضِ من عينٍ مُطَوَّقة
أضحَتْ تُعَوِّذُه منها بياسينِ

٢٧ مِن كلِّ مُطرب صوتٍ غيرِ مضطربٍ
وكلِّ معربِ لفظٍ غير مَلْحونِ

٢٨ وللبساتين أنهارٌ جَداولُها
تَستَنُّ في الجَرْي أمثالَ الثّعابينِ

(١) الفراديس : أحد أبواب دمشق ، والفراديس بلغة الروم البساتين (نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٥) .

٢٩ وقد تراءَتْ بها الأَشجارُ تَحْسَبُها
صُفوفَ خيلٍ صُفونٍ في الميادين (١)

٣٠ كأَنَّهـا شجرُ الرُّمان ذو نَشَـب
مُثْرٍ دنانيرُهُ مِلءُ الهمايين (٢)

٣١ وللخِلافِ لإظهـار الخِـلاف عـلى
أترابه وَرَقٌ شِبْهُ السَّكاكينِ (٣)

٣٢ وكلُّ غصنٍ بعَصْفِ الرِّيحِ مُمْتَحَنٌ
كـأَنَّهُ عاقلٌ مُبلىً بـمجـنونِ

٣٣ للأُقْحُوانِ ثغـورُ الغانيـات كمـا
للنَّرجسِ الغضِّ الحاظُ المها العينِ

٣٤ وللبنفـسج خَـالٌ للعِـذار إذا
ما الخَطُّ بالخال حاكى عَطْفَةَ النُّونِ

٣٥ والوردُ خَدٌّ من التَّوريدِ في خَجَلٍ
والغُصنُ قدٌّ تثَنِّيهِ مِن اللِّـينِ

٣٦ وللنَّسيم ولُوعٌ بـالغـدير فـمـا
يـزالُ مابينَ تفريكٍ وتَغْضينِ (٤)

٣٧ والماءُ من نكبة النَّكباءِ فـي زَرَدٍ
مضاعف السَّرْدِ ضافي النَّسج مَوْضُون(٥)

---

(١) صفون : جمع صافن ، وصفن الفرس ، قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

(٢) النشب : المال . الهمايين : جمع هميان ، وهو كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

(٣) الخلاف : نوع من شجر الصفصاف .

(٤) تغضين : غضن الشيء ، ثناه وجعده .

(٥) النكباء : الريح التي تهب بين الصبا والشمال . زرد : حلق الدرع . موضون : وضن الشيء وضناً ، فهو موضون : ثنى بعضه على بعض ، وفي القرآن الكريم : على سرر موضونة أي منسوجة بالدر والجواهر ، بعضها متداخل في بعض .

٣٨ لكلِّ جاريةٍ في كـلِّ ساقيـة
على التَّواءٍ بها إسراعُ تِنِّينِ (١)

٣٩ إنَّ القلوبَ وألحاظَ الحسان بها
لكالعصافير في أيـدي الشَّواهينِ

٤٠ من كلِّ خاطفةٍ للقلب مُخْطَفَة
بالخَصْرِ تَمْطُلُني دَيْني وتكويني

٤١ من شادنٍ مُتثنِّي العطْف معتدلِ الـ
ـقَوام مُستعذَبِ الأَخلاقِ مَوْزونِ

٤٢ يـاصاحبيَّ أفيقا فالزَّمانُ صَحَا
ولانَ من بعد تشـديدٍ وتَخشينِ

٤٣ حَرَسْتما في «حَرَستا» العيشَ من شظفٍ
دُوما «بدوُماً» على حِفْظِ القوانينِ (٢)

٤٤ دارُ المُقامةِ قد أَضحتْ محلَّكُما
ونِلتُما العِزَّ في أَمنٍ من الهُونِ

٤٥ «وبالمُنيبع» ربْعٌ للوليِّ غـدا
تأْسيسُ بُنيانه العالي، على الدِّينِ

(٢٠٣)

مدح العماد سنة ٥٧١ للهجرة عز الدين فروخ شاه *:

(من الكامل)

١ نَصْرٌ أَنارَ لملككُمْ بُرهانُه
وعَلا لذلَّةِ شانئيكم شانُه

---

(١) التنين : ضرب من الحيات .

(٢) حرستا : من قرى دمشق ، في وسط بساتين على طريق حمص (مراصد الإطلاع ١ : ٢٩٢) دوما : من قرى دمشق في طريق حمص وتعرف بكرومها ومزارعها (مراصد الإطلاع ٢ : ٥٤٢).

* الروضتين ١ : ٦٥٣ .

٢ ما أَسْعَدَ الإسلامَ وهو مظفر
وأبو المظفَّرِ يوسفٌ سلطانُهْ

٣ المُلْكُ مرفوعٌ لكم مقدارُهُ
والعدلُ موضوعٌ بكم ميزانُهْ

٤ والدَّهرُ لايأْتي بغيرِ مرادِكم
فهل القضاءُ لأَجلكم جرَيانُهْ

٥ وكأَنّما للهِ في أحكامه
فَلَكٌ على إيثاركم دَوَرانُهْ

٦ فخرا بنو أيوب، إنَّ فخاركم
بذَّ الملوكَ السابقينَ رِهَانُهْ

٧ يكفي حسودكم اعتقالاً همة
فكأنَّما أشجانُهُ أسجانُهْ

٨ الدِّينُ، عزَّالدِّينِ، عزَّ بنصرِكم
والكفرُ ذلَّ بعونكم أعوانُه

٩ قد كان جيشكُمُ كبحرٍ زاخرٍ
واللابسُون جواشناً حيتانُهْ (١)

١٠ فطَمى لِهُلْكهُمُ عليهم بَحرُكُمْ
بَأْساً وغرّقَ فلكَهُمْ طوفانُهْ

١١ فَضَلَ الملوكَ الأكرمينَ بفضله
فعَلا زمانَهُمُ البهيجَ زَمانُهْ

١٢ في فَضْلهِ، في عَدْلهِ، في حلْمه
صدِّيقُهُ، فاروقُهُ، عثمانُهْ

١٣ هو في السّماحِ، وفي اللقاء، عَلّيه
هو في العفافِ وفي التقى سَلْمانُهْ

---

(١) الجواشن : الدروع .

١٤ مِنْ آلِ شاذي الشائدين لمجده
ببنيه بيتاً عالياً بنيانُهْ (١)

١٥ بَيْتٌ من العلياءِ ، سامٍ ، ساحقٍ
يبني على كيوانها إيوانُهْ (٢)

١٦ ياسالبَ التِّيجانِ من أربابها
ومِنَ الثَنَاءِ مصوغةٌ تيجانُهْ

١٧ والحمدُ مالٌ أنتم بُذَّالُهُ
والمالُ حمدٌ أنتم خُزَّانُهْ

(١) شاذي بن مروان ، جد الأسرة الأيوبية ، قال ابن خلكان : وهذا الاسم عجمي ، ومعناه بالعربي فرحان (وفيات الأعيان ١ : ٢٥٩) .
(٢) كيوان : النجم المعروف بزحل .

(حرف الهاء)

(٢٠٤)

قال العماد : كتب سبط ابن التعاويذي الكاتب (١) من «بغداد» اليَّ رسالة بـ«الشام» في طلب فروة ،وضمّنها شعراً ، ومعاني حلوة ، وذلك في عهد نور الدين محمود بن زنكي – رحمه الله – وأنا متولي مملكته ، فعملت في جوابها هذه الأبيات ، وأنفذتها مع الفروة ، وذلك في شهر رمضان سنة تسع وستين وخمس مئة * :

(من مجزوء الرمل)

١ بأبي مُعْتَدِلُ القا مة ، في عِطْفَيهِ نَشْوَهْ

٢ حاكمٌ في مُهَجِ العُشّا قِ لا يَقبَلُ رِشْوَهْ

٣ متَعدٍّ ، أوَمَا يَخْـ شَى مِنِ المظلومِ دَعْوَهْ ؟

٤ شِبْهُ رِئمٍ، غُصْنُ بانٍ بَدْرُ دَجْنٍ ، شمسُ ضَحْوَهْ

٥ فيهِ تيهٌ ودَلالٌ ولهُ لينٌ وقَسْوَهْ

---

(١) أبو الفتح محمد بن عبيد الله البغدادي ، المعروف بسبط ابن التعاويذي ، شاعر كبير ، وله ديوان مطبوع ، توفي سنة ٥٨٣ للهجرة (وفيات الأعيان ٤ : ٤٦٦ ، الوافي بالوفيات ٤ : ١١) .

* الخريدة ، قسم العراق ، ٢/٣ : ٣٥ .

٦ ثَــمِــلَ العِطْفِ، ومــا دا
رَتْ عليه كأْسُ قَــهْــوَهْ (١)

٧ ســلَّ سَيْــفَ الــلَّــحظ لمّا
رامَ أَخْــذَ القلــبِ عَنْــوَهْ

٨ وعلــى ضَعــفــي لسُلْــطا
نِ هَــواهُ كــلُّ سَطْــوَهْ

٩ أتمنّــى ليــلــةً مِــــنْ
طَيْفِــهِ فــي النَّــومِ خَلْــوَهْ

١٠ ومــتــى أَطــمعُ فــي الــطَّيْــ
ـفِ، ومــا للعيــنِ غَفْوَهْ ؟

١١ ومــتــى أُسعــدُ بــالــوَصْــ
ــلِ ، فإنَّ البيــنَ شِقْــوَهْ

١٢ أيُّــهــا المــثْــبِــتُ بــالــلَّــوْ
مِ هَــوىً يَقْــصِــدُ صَحْــوَهْ

١٣ آه ! والــهِــفــي علــى عَيْــ
شٍ مَضَى فــي دارِ عَلْــوَهْ

١٤ وزمــانٍ كــدَّرَ الــهِــجْــ
ــرانُ بعــدَ الــوَصْــلِ صَفْــوَهْ

١٥ وكــرامٍ صَــيَّــرتْــهُــمْ
نِسْبَــةُ الآدابِ إخْــــوَهْ

١٦ حيــنَ كــانَ الــدَّهــرُ لــلغفْــ
ــلةِ عــن قَــصْدي بِــنَجْــوَهْ

١٧ حيــن لــم أَعقِــدْ ولــم أَحْــ
ــلُلْ لغيــرِ الحــبِّ حُبْوَهْ(٢)

---

(١) القهوة : الخمر .
(٢) الحبوة : مثلث الأول ، احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته ، وقد يحتبي بيديه يقال : حل حبوته .

١٨ أَبْذُلُ الثَّرْوَةَ للحمـ
ـدِ، فإنَّ الحمدَ ثَرْوَهْ

١٩ رافلاً مِنْ مَلْبس العيْـ
ـشةِ في أبهجِ صَفْوَهْ

٢٠ حُقَّ، يا قلبُ، على تَذْ
كارِهِمْ أنْ تتأوَّهْ

٢١ يا أَخِلاّيَ، بِـ «بغدا
دَ» سُقِيتُمْ كلَّ غُدْوَهْ

٢٢ وأَمِنتمْ نائبَ الدَّهْـ
ـرِ، ونِلتُمْ كلَّ حُظوَهْ

٢٣ ماتُسلّينيَ عن «دجـ
ـلةَ» «جيرونُ» و«رَبْوَهْ»

٢٤ لا ولا «جِلَّقُ» تُلْهـ
ـيني وفيها كلُّ شَهْوَهْ

٢٥ أَيُّها المعْرِقُ يُزْجي
بِزِمامِ الشَّوْقِ نِضْوَهْ (١)

٢٦ نافِذاً، كالسَّهْمِ في السيْـ
ـرِ إلى أبعدِ غَلْوَهْ (٢)

٢٧ راكِباً، في دَرَكِ البُغْـ
ـيَةِ للصَّبْوَةِ، صَهْوَهْ (٣)

٢٨ جازَ حَدَّ الوَجْدِ حتى
صارَ ذِكْرُ الجِزْعِ حَدْوَهْ (٤)

---

(١) المعرق : القاصد بلاد العراق . يزجي : يسوق برفق . نضوه : دابته المهزولة .
(٢) الغلوة : مقدار رمية سهم ، وتقدر بثلاث مئة ذراع الى أربع مئة .
(٣) الصهوة : من كل شيء اعلاه .
(٤) الجزع : من الوادي منعطفه . الحدو : سوق الإبل والغناء لها .

٢٩ عُجْ على «نهرِ المُعَلّى»
واصرِفِ الهمَّة نَحْوَهْ (١)

٣٠ لُذْ بأجوادِهمُ أَهـ
ـلِ النَّدَى في كلِّ نَدْوَهْ

٣١ وعن المشتاقِ بَلِّغْ
نَبأً مِنْ غيرِ نَبْوَهْ (٢)

٣٢ ولإشفاقِكَ من شَجْـ
ـوهِمُ لاتُبْدِ شَجْوَهْ(٣)

٣٣ والْهُ عن عَتْبي، فإذْ كا
رُكَ بالجَفْوةِ جَفْوَهْ

٣٤ وأنا المذنبُ، فاطلُبْ
لي من المُحْسنِ عَفْوَهْ

٣٥ يا «أبا الفتحِ» الذي أضـ
ـحَى لأَهلِ الفَضْلِ قُدْوَهْ

٣٦ والذي حلَّ منَ العَلْـ
ـياءِ في أسْمَقِ ذِرْوَهْ

٣٧ وهو في الشِّعر وفي العِلْـ
ـمِ كـ «حسان» و«عُرْوَهْ» (٤)

---

(١) نهر المعلى : نهر كان ببغداد ، اشتقه المعلى بن طريف من كبار قواد الرشيد ، من «الخالص» وكان يسير تحت الأرض ويمر بين الدور الى «باب سوق الثلاثاء» ، ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بـ «الفردوس» ، فيدور فيه ويصب في دجلة .

(٢) النبوة : الخطأ والزلل .

(٣) الشجو : الحزن .

(٤) عروة بن الزبير بن العوام القرشي ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة. كان عالماً صالحاً كريماً ولد سنة ٢٣هـ وتوفي سنة ٩٣ أو ٩٤هـ (صفوة الصفوة ٢ : ٤٧ ، حلية الأولياء ٢ : ١٧٦ وفيات الأعيان ٢ : ٢٥٥) .

٣٨ وهو مِنْ وُدّي لَه مُعـ
ـتلِقٌ أوثقَ عُرْوَهْ

٣٩ لكَ في شكوى اللّيالي
بالكرامِ الغُرِّ أُسْوَهْ

٤٠ فلأحداثِ اللّيالي
غَزْوَةٌ من بعدِ غَزْوَهْ

٤١ نَفَرَ الحظُّ، فقد أوْ
سَعَ عن ذي الفضلِ خُطْوَهْ

٤٢ وبنو الدّهرِ رجالٌ
في معانيهم كِنسوهْ

٤٣ ماترى في أحَدٍ منـ
ـهم لأهلِ الفضلِ نَخْوَهْ

٤٤ هُمْ عن الخيرِ خمودٌ
ولهم في الشّرِّ نَزْوَهْ

٤٥ صُعْرُ الأوجُهِ في الملْـ
ـقَى، كأنَّ الكِبرَ لَقْوَهْ (١)

٤٦ ومُرجيهِمْ كباغي
لَبَنٍ منْ ضَرْعِ لَبْوَهْ

٤٧ فتصبّرْ، فعسى المقـ
ـدارُ أنْ يَلْفِتَ صَغْوَهْ (٢)

٤٨ أنتَ مَنْ يعتذرُ الدّهـ
ـرُ بهِ من كلِّ هَفْوَهْ

---

(١) صعر: جمع أصعر، وهو المعرض بوجهه كبراً وعجباً، اللقوة: داء يعرض للوجه يعوج منه الشدق.

(٢) الصغو: مصدر صغا اليه يصغو صغواً، أي مال اليه، وكان هواه معه.

٤٩ مشرقُ البهجةِ حُسناً
صادقُ اللهجةِ أفْوَهْ (١)

٥٠ خطبتني منكَ عذرا
ءُ ، لها بالمجدِ صبْوَهْ

٥١ عرفتْ بالأنَفِ المُرِّ
لدينا ، وهيَ حُلْوَهْ (٢)

٥٢ وحوتْ في حلْبة السَّبْـ
ـقِ المدى من غيرِ كبْوَهْ

٥٣ حصّل العاري منَ العا
رِ على أفخرِ كُسْوَهْ

٥٤ أنا في النّظم كمن يُهْـ
ـدي الى «البصرةِ» عَجْوَهْ

٥٥ ومتى تُذكَرُ في الحُسْـ
ـنِ مع الطّاووس صعْوَهْ (٣)

٥٦ لا تخف من شتْوةٍ جا
ءَتْ ، فقد جاءتكَ فرْوَهْ

٥٧ غيرَ أني أسبقُ الشتْـ
ـوةَ منْ شعري بشتْوَهْ (٤)

٥٨ خالصُ الزُّبدةِ ، ما فيـ
ـهِ منَ الكُلْفةِ رَغْوَهْ

٥٩ إحْمِ منْ خاطركَ الوقّـ
ـادِ معناهُ بجذْوَهْ

---

(١) الأفوه : أراد المفوه القوال .
(٢) الأنف : الاستنكاف والاستكبار .
(٣) الصعوة : واحدة الصعو ، وهو صغار العصافير .
(٤) بشتوه : يصف شعره بالبرودة ، تواضعاً وهضماً للنفس .

٦٠ وطريقُ الجِدِّ أن تَقْـ
ـبَلَ لي باللُّهو لُهْوَهْ (١)

٦١ هِبَةٌ، ليس عليها
مِن يدِ المِنَّةِ هَبْوَهْ (٢)

(٢٠٥)

قال العماد حينما كان مقيماً بالموصل بعد وفاة نور الدين محمود، وقد ورد الخبر بوصول الملك الناصر صلاح الدين إلى دمشق ونزوله بالكسوة*:

(دوبيت)

١ قد صَحَّ أنَّ صلاحَ الدِّين في الكُسْوَه
ومِنْ سطاهُ رجال الروعِ كالنِسْوَهْ

٢ ولي بِمَنْ أمّهُ في جِلِّقٍ أُسْوَه
والآنَ يَرْفُلُ عاري الحَظِّ في كُسْوَه

(٢٠٦)

قال العماد في حوادث سنة ٥٧٢ للهجرة: خرج السلطان صلاح الدين إلى مرج فاقوس، من أعمال مصر الشرقية، لإرهاب العدو وهو يركب للصيد والقنص، والتطلع إلى أخبار الفرنج لانتهاز الفرص. واقترح عليَّ أن أمدح عز الدين فروخ شاه بقصيدة موسومة، ألزم فيها الشين قبل الهاء، فعملت ذلك في أواخر ذي الحجة، فقلت **:

(من السريع)

١ مولايَ عزَّ الدِّينِ فرُّخْشَه
الدَّهرَ مَنْ يَرْجُكَ لا يَخْشَه

---

(١) اللهو : بضم اللام وتفتح ، العطية ، أو أفضل العطايا وأجزلها .
(٢) الهبوة : الغبرة .
* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٧٣ .
** الروضتين ١ : ٦٩٢ .

٢ تلقاهُ سَمْحَ الكفِّ، دفّاقَها
طَلْقَ المحيّا كرماً، بَشَه

٣ إنْ شئْتَ فوتاً بالرَّدى فالْقَهُ
أو شئْتَ فوزاً بالعلى فاغْشَه

٤ يديمُ بالأَيدي وبالأَيدِ في
خِزي لهاه والعِدا بَطْشَه (١)

٥ كم مَلِكٍ عاداكمُ لم يَبِتْ
إلاّ جَعلتم عرشَهُ نَعْشَه

٦ خوّفتمُ الشِّركَ، فلا «قمصه»
أمّنتُم يوماً ولا «فُنْشَه»

٧ أورثكَ السُّؤدَدَ ياابنَ العُلى
والدُكَ السيِّدُ شاهِنْشَه

(٢٠٧)

قال ابن واصل في حوادث سنة ٥٩٤ للهجرة: وكان عز الدين أُسامة (٢) قد ترك جماعة من الأَجناد في قلعة بيروت يحفظونها، وذلكَ بعد أن خرَّب رَبَضَها، فخافوا من الفرنج وانهزموا ،وبقيت القلعة خالية ليس فيها من يذبّ عنها ، وعلم الفرنج بذلكَ فملكوها واستولوا عليها ، فلعن الناس أُسامة لتفريطه فيها، وقال عماد الدين الكاتب في ذلك*:

(من الخفيف)

١ إنّ بيعَ الحصونِ من غير حَرْبِ
[illegible] ببيروتَ سامَه

(١) الأيد : القوة .
(٢) الأمير عز الدين أسامة من كبار رجال الدولة الصلاحية ، صاحب كوكب وعجلون ، توفي سنة ٦٠٨هـ (مفرج الكروب ٣ : ١٠٨) .
* مفرج الكروب ٣ : ٧٤ .

٢ لَعَنَ اللهُ كلَّ مَنْ بَاعَ ذا البيعَ
وأُخزى بخزيهِ مَنْ سامَه

(٢٠٨)

قال في عزالدين فروخ شاه*:

(من الكامل)

١ جَلَّتْ عنِ الأَوصافِ والأَشباهِ
أَوصافُ عِزِّ الدينِ فرُّخشاهِ

(٢٠٩)

قال العماد: ومما قلته بالرُّها هائية في مدح نور الدين محمود أوّلها **:

(من الكامل)

١ أَدركتَ مِنْ كلِّ المعالي المشْتَهَى
وبَلَغْتَ مِنْ نيْلِ الأَماني المُنتهى

(٢١٠)

طلب عز الدين فرّوخ شاه من العماد الأَصبهاني أن يعمل أبياتاً في صديق له يخضب لحيته، فارتجل ***:

(من الرمل)

١ كان عَهْدي بفلانٍ شائِباً
قد فَشَتْ شَيْبتُهُ في شاربيهِ

٢ وأَراهُ اليومَ في صِبْغِ الصِّبا
لونُهُ الحالكُ قد عادَ إليهِ

٣ ماأَراهُ خَضَبَ اللِّحيةَ، بل
وجهُهُ الأَسودُ أعدَى عارِضَيهِ

---

* الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ١١٩ .
** الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ٤٥ .
*** الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ١١٨ .

قال العماد : خدمت عزالدين فرّوخ شاه ابن أخي صلاح الدين وقت وصولي الى مصر ، أتشوّق فيها الجماعة بالشام ، وأتندّم على مفارقتهم ، سنة ا ثنتين وسبعين وخمس مئة ، وهي *:

(من الكامل)

١ بَيْنٌ أَمَرَّ حـلاوةَ العَيْشِ الشَّهي
وهَوىً أَحالَ غَضارةَ الزَّمنِ البَهي

٢ وَصَبابـةٌ لا أستقـلُّ بشـرحِها
عن حَصْرِها حَصَرُ البليغِ المِدْرَهِ (١)

٣ أأحبّتي إنْ غِبْتُ عنكمْ فالهوى
دانٍ لقلـبٍ بالغـرامِ مولَّـهِ

٤ أُنهي اليكـمْ أنَّ صَبْـرِيَ مُنْتَهٍ
بـلْ مُنْتَـهٍ ، والشّوقُ ليس بمُنْتَهِ

٥ أما عقودُ مـدامعي فلقـدْ وَهَتْ
وأبَتْ عقودُ الوُدِّ منّيَ أنْ تَهي (٢)

٦ ولقد دُهيتُ ببينكـم فاشتقتكُـمْ
يامَنْ لمشتـاقٍ ببينكـمُ دُهِّي

٧ مازِلْتُ عندكمُ بأرخَى عيشَـةٍ
وبَقيتُ بعدَكمُ بعيشٍ أكْـرَهِ (٣)

٨ أبدَتْ دموعي منـهُ مالم أُبـدِه
وبُدِهْتُ منهُ أسىً بما لم أُبْـدَهِ

* البرق الشامي ٥ : ٣٣ ب–٣٦ أ ، الخريدة ، بداية شعراء الشام ، ص ١١٩–١٢٨ ، وفي الروضتين ٢ : ٣٤ سبعة عشر بيتاً متفرقاً .

(١) المدره : زعيم القوم ، وخطيبهم ، والمتكلم عنهم .

(٢) تهى : تضعف .

(٣) الخريدة : بأرضى .

٩ أمّا الهوى فأنا مُدِلٌ عندكُمْ
عُوفيتُمُ منه بقلبِ مُدلَّهِ

١٠ أرعَى نجومَ الليلِ فيكمْ ساهراً
بنجوم دَمْعٍ أوجُها في الأوْجُهِ

١١ خَطْبُ الفِراقِ شُدِهْتُ منه وإنّني
للنائباتِ أشَدّها لم أشْدَهِ

١٢ نظري إليكمْ كانَ إثمدَ ناظري
وبقيتُ أمري خِلْفَ جفنٍ أمرَهِ (١)

١٣ واذا ألمَّ خيالُكُمْ متأوّباً
لاقيتُهُ بتألُّمِ المتأوِّهِ

١٤ في شوقكم أبدَ الزّمانِ تفكُّري
وبذكركمْ عندَ الكرامِ تفكُّهي

١٥ لوقيلَ لي: ماتَشْتَهي من هذه الدُّ
نيا ؟ لقلتُ: سواكمُ لاأشْتَهي

١٦ ماكانَ أرفهَ عيشتي وألذّها
مَنْ ذا الذي يبقَى بعيشٍ أرْفَهِ ؟

١٧ ومنَ السَّفاهةِ أنّني فارقتكُمْ
منْ أينَ ذو الحلْمِ الذي لم يَسْفَهِ ؟

١٨ وعقابُ «أيْلَةَ» مايفارقُ «جِلِّقاً»
أحَدٌ إليها غيرُ غِرٍّ أبلَهِ

١٩ خلَبَتْ غروبَ الشأْنِ منّي غُربةٌ
في بلدةٍ شأْني بها لم يَنْبُهِ

---

(١) الاثمد : الكحل ، مرى الضرع : مسمه ليدر . الخلف : الضرع . أمره : مره عينه ، فسدت ، وابيضت ، فهو مره وأمره .

٢٠ مـالي ومـصرَ وللمطامـع إنّمـا
مَلَكَتْ قيادي حيثُ لم أتنـزهِ

٢١ لاتَنْهَني يـاعـاذلي فـأنـا الـذي
تَبِعَ الهوى وأتى بما عنه نُهـي

٢٢ قـد قلـتُ للحـادي وقد ناديتُـهُ
في مَهْمَةٍ :أقصِرْ وَصَلْتَ مَه مَهِ (١)

٢٣ حَتّـامَ جذبُكَ للزِّمامِ، فأَرْخِهِ
فـلقـد أَنَختَ إلى ذَرَى فَرّخْشَهِ

٢٤ قد لُذْتَ بالمتطوِّلِ المتفضِّـلِ الـ
ـمتكـرِّمِ المتحلِّـمِ المتنبِّـهِ

٢٥ نُجْحُ الرَّجاءِ جوابُ قصـدي بابَـهُ
مهمـا هممتُ لـه بجوبِ المَهْمَهِ

٢٦ مَلِكٌ يجيبُ خطابَ كـلِّ مؤمِّـلِ
ويجيرُ من عَضِّ الخطوبِ العُضّهِ (٢)

٢٧ مَنْ لم يُجِبْ بسوى نَعَمْ سُؤَّالَهُ
ولمُعْتفيهِ بلا ولنْ، لم يَجْبَهِ

٢٨ متكرِّمٌ بالطّبْعِ لا مـتـكـرِّهٌ
شَتّانَ بيـنَ تكـرُّمٍ وتـكـرُّهِ

٢٩ بيديهِ نُجْحُ المُرتجي، وإليه قَصْـ
ـدُ المُلْتَجي، ولديهِ رُشْدُ الأَتْيَهِ

٣٠ إحسانُ ذي مجـدٍ، وهمّةُ مُحسنٍ
مُجْدٍ، وتقوى عابدٍ متألِّهِ (٣)

---

(١) المهمة : الفلاة . مه : اسم فعل معناه اكفف ، وهو مبني على السكون فان وصلت نونت قلت : مه مه .
(٢) العضبه : يقال حية عاضه وعاضهة ، التي تقتل من ساعتها اذا نهشت .
(٣) التألة : التنسك والتعبد .

٣١ ما بارقٌ ذو عارضٍ من وَدْقِـــهِ
ورعودِهِ في نادبٍ ومُقَهقِهِ (١)

٣٢ هامٍ يَظَلُّ الرَّوضُ مِـنْ أمواهِـهِ
في الزَّهْرِ بينَ مُذَهَّبٍ ومُمَـوَّهِ

٣٣ فالرَّوضُ من حُلَلِ الرَّبيعِ أنيـقةٌ
والرَّوضُ من حَلْيِ الشَّقائقِ مُزْدَهِ

٣٤ أجدَى وأسْمَحَ من يَدَيْهِ فَجودُهُا
عند الغيوثِ اذا انتهتْ لا يَنْتهـي

٣٥ لا عِزَّ الاّ عندَ عِـزِّ الـدِّينِ مَـوْ
لايَ الأَجَلِّ أخي الفَخارِ الأَنْبَهِ

٣٦ يَهَبُ الأُلوفَ لمجتـديـهِ وظَنُّـهُ
أَنْ قد حَباهُمْ بالأَقَلِّ الأَتْفَـهِ

٣٧ أنتُمْ بنـي أيـوبَ أكرمُ عُصْبَـةٍ
هذا الزَّمانُ بفخْرِ سُؤْدُدِهِمْ زُهي

٣٨ وأُولو وجوهٍ بـل صدورٍ مـن نَدى
ماءِ البشاشةِ والسَّماحةِ، مُوَّهِ (٢)

٣٩ عَذُبَتْ مواردُكمْ وطابتْ للـوَرَى
وَصَفَتْ، فلم تأْسَنْ، ولم تَتَسنَّهِ (٣)

٤٠ ما يَدَّعـي مَلِكٌ بلـوغَ مَحلِّكـمْ
إلاّ تقولُ له مساعيكُمْ: صَهِ (٤)

---

(١) الودق : المطر كله شديده وهينه .
(٢) موه : الموهة لون الماء ، يقال : ماأحسن موهة وجهه ، ويقال : وجه مموه أي مزين بماء الشباب .
(٣) البرق الشامي : للعدى ، الخريدة : للورى . لم تتسنه : لم تغيره السنون .
(٤) صه : اسم فعل معناه اسكت .

٤١ والناصرُ الملكُ الصلاحُ هو الذي
إلاّ بهِ اللزَباتُ لم تَتَنَهنَهِ (١)

٤٢ لاهٍ عن اللاّهي بدنياهُ وعن
إعزازِ دينِ اللهِ يوماً مالَهي

٤٣ فاقَ الملوكَ علىً وإنْ لم يَظْفَروا
منها بغيرِ تَشَبُّثٍ وتَشَبُّه

٤٤ إنَّ الملوكَ تخلّفوا وسبقتُم
أينَ السَّوامُ من العتاقِ الفُرَّهِ

٤٥ راجيكمُ من داءِ كلِّ مُلمّة
يَشْفَى وَعِدٌ سماحِكُمْ لم يُشْفَهِ

٤٦ وعدوّكُمْ في مَهْرَبٍ لم يُنْجِه
ووليكُمْ في مَطْلَبٍ لم يُنْجَهِ (٢)

٤٧ إنْ يجحدِ الشّاني عُلاكَ فما تَرَى
إشراقَ عينِ الشّمسِ عَيْنُ الأكمهِ (٣)

٤٨ ولرُبَّ مَجْرٍ رائعٍ حَمَلاتُهُ
وتخالُهُ في الزَّحفِ سيلَ مُدَهدهِ (٤)

٤٩ يَقْري العواسلَ من فرائسِ أُسْدِه
لحماً بنارِ البيضِ مُشْعَلَةً طُهي (٥)

٥٠ مَتَحَتْ به قُلْبَ القُلوبِ ذوابلٌ
أَشبهنَ أَشطاناً بأيدي مُتَّهِ (٦)

---

(١) اللزبات : الشدائد . تتنهنه : تكف .
(٢) ينجه : يقال نجهت الرجل نجهاً اذا استقبلته بما ينهنهه عنك فينقدع عنك وفي الحديث بعدما نجهها عمر أي بعدما ردها وانتهرها .
(٣) الأكمة : الذي يولد أعمى .
(٤) مدهده : دهده الشيء حدره من علو الى سفل تدحرجاً .
(٥) العواسل : الرماح .
(٦) متَه : مته الدلو متهاً ، متحها .

٥١ فالأسمرُ العسّالُ يحكي ناحلاً
متلوِّباً مِنْ سُقمهِ لم يَنْقَهِ (١)
٥٢ والأبيضُ الرّعّافُ يُشبهُ مَدْنَفاً
ألفَ الضّنى وأصابهُ جُرْحٌ صَهي (٢)
٥٣ وهو الذي تَرَكَ العدَى من رُعبه
يومَ اللِّقاءِ بصَدْمهِ في وَهْرَهِ (٣)
٥٤ بكَ أصبحتْ راياتُه منصورةً
ياسَيِّداً عَنَتِ الوجوهُ لوجههِ
٥٥ لكَ في الشّهامةِ والصّرامةِ مَوقِفٌ
لصفاته إعجازُ كلِّ مُفَوَّهِ
٥٦ ما الصّارمُ الهنديُّ غيرَ مُكهّمٍ
والباسلُ الصِّنديدُ غيرَ مُنفَّهِ ؟ (٤)
٥٧ واذا عزمتَ تركتَ أعداءَ الهُدى
ما بينَ هُلاّكٍ وحَيْرَى عُمَّهِ (٥)
٥٨ ياحلْفَ جُودٍ للغُيوثِ مُخجِّلٍ
أبداً وبأْسٍ باللُّيوثِ مُجَهْجَهِ (٦)
٥٩ مولايَ من مَدْحي سواكَ توجُّعي
واليكَ من دونِ الملوكِ توجُّهي
٦٠ أهَبُ الثّناءَ لمجدِ بيتكَ طائعاً
وأبيعُهُ لِسواكَ بَيْعَ المُكرَهِ

---

(١) متلوبا : متعطشاً . ينقه : نقه من مرضه أفاق .
(٢) الرعاف : السباق . صهي الجرح : ندي .
(٣) الوهره : الوقعة في ما لامخرج منه .
(٤) مكهم : كهم السيف ، كل ، فهو مكهم . منفه : نفه الرجل ، صار ضعيف الفؤاد جباناً
(٥) عمه : رجل عمه ، أي يتردد متحيراً لايهتدي لطريقة والجمع عمهون وعمه .
(٦) مجهجه : جهجه بالسبع وغيره ، صاح به ليكف .

٦١ مَدْحُ الجميع مُوَجّهٌ ومديحكُمْ
في الصِّدْقِ والإخلاصِ غيرُ مُوَجّهِ

٦٢ يفديكَ مغرورُ الزّمانِ بلَهْوِهِ
ولَهاهُ غرّارُ السّرابِ بلَهْلَهِ (١)

٦٣ مولايَ مصرُ أخملَتْ قَدْري فكُنْ
باسمي ، جُزيتَ الخيرَ ، خيرَ مُنَوِّهِ

٦٤ شَرَهي على العلياءِ جَرَّ معاطبي
أمِنَ المعاطبَ كلُّ مَنْ لم يَشْرَهِ (٢)

٦٥ ولقد تملَّ بالسّعادة ذو غنىً
عن شِقْوَةِ المتطلِّبِ المتطلّهِ (٣)

٦٦ أينَ الكرامةُ للأفاضلِ عندكُمْ
إن لم تكنْ عندَ الكرامِ فأينَ هيَ؟

٦٧ لبّى نداءَ نَداكَ لُبُّ رجائهِ
فازْجُرْ مُلِمَّ اليأسِ عنه واندَهِ (٤)

٦٨ أعليْتَ في مصرٍ مكاني بعدما
خَفَقَتْ به ولقدرِهِ لم يُؤْبَهِ

٦٩ طَلَعَتْ نجومُكُمُ الثّواقبُ للورَى
زُهْراً وإنّي كالسُّهَى عنه سُهِي

٧٠ جبَرَتْ يَدُ الإفضالِ منه كاسراً
من فضليَ المتكسِّرِ المُتَكدِّهِ (٥)

---

(١) لهلهه : بلد لهله ، واسع مستوٍ يضطرب فيه السراب .
(٢) المعاطب : جمع المعطب ، وهو موضع العطب والهلاك .
(٣) المتطلة : طله الرجل في البلاد ، ذهب ودب .
(٤) انده : الندة ، الزجر عن كل شيء والطرد عنه بالصياح .
(٥) المتكده : كده الشيء ، كسره ، وهو متكده .

٧١ عَـرِّفْ بعـر فِكَ منه مالم يَعْرِفـوا
نَبّاً وعن سنـة التغافلِ نَبِّهِ (١)

٧٢ فضلي خَلَوْتُ لأَجلهِ مـن حُظْـوة
هي للأَديبِ كَنَبْتِ مَرْتٍ أجْلَهِ (٢)

٧٣ الفضلُ مشتعـلٌ بنـار بـلائـه
والحظُّ مشتغلٌ بأخرقَ أورَهِ (٣)

٧٤ أَعرِ التأمُّلَ فِقْهَ شِعري مُنْعِمـاً
لايَشْعُرُ الإنسانُ مالم يَفْقَهِ

٧٥ وتَملّهـا غَـرّاءَ جامعةً لـكـم
في النّعْتِ بينَ تَمدُّحٍ وتمدُّهِ (٤)

٧٦ يهتزُّ ذو الـحُـسنى لجلوةِ حُسنها
وتَجِلُّ عن تحسينِ كلِّ مُزَهْزِهِ

٧٧ أَفواهُ أَهلِ الفَضْلِ نـاطـقةٌ لها
بالفَضْلِ إن قيسَتْ بشِعرِ الأَفوهِ (٥)

٧٨ وإنِ العقولُ لَهتْ لـهـا فـلأَنّها
مَحميّةٌ عن كلِّ معنىً لَهْلَهِ (٦)

---

(١) نبأ : نب نبا ، صاح عند الهياج .

(٢) المرت : المفازة ، الأرض التي لانبت فيها . الأجله : الذي ذهب شعر رأسه ، وقد مثل الشاعر الفلاة بالرأس الخالي من الشعر لأنها ليس فيها نبات .

(٣) الأخرق : الأحمق . الأوره : الذي تعرف وتنكر وفيه حمق ، وقيل : هو الذي لايتمالك حمقاً .

(٤) التمده : التمدح ، وقيل : المده في نعت الهيئة والجمال ، والمدح في كل شيء .

(٥) الأفوه الأودي : صلاءة بن عمرو بن مالك ، ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان ، روى الأصبهاني عن الكلبي قال : الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها (معاهد التنصيص ٤ : ١٠٧) .

(٦) اللهله : الرديء .

٧٩ صَهْباءُ تودِعُ سامعيها نَشْوَةً
وتعيرُ عَرْفَ المسكِ للمُسْتَنْكِهِ (١)

٨٠ فوليُّها بتشوُّقٍ وتشوُّف
وحسودُها بتَشَوُّرٍ وتشوُّهِ (٢)

٨١ دُمْ يابنَ شاهنشاهَ مَلْكاً سيِّداً
مُتَوشِّحاً بالسُّؤْدُدِ الشّاهنْشَهي

٨٢ مُتمليّاً بهرامَ شاه مُمَتّعاً
منه بنَدْبٍ سيدٍ شَهْمٍ شَهي (٣)

٨٣ لو شاهَدَ اليَمَنيُّ جَبْهَةَ يُمنكُمْ
ما ظَلَّ مُفتخراً بخيلِ الأَجْبَهِ (٤)

---

(١) المستنكه : نكهه واستنكهه : شم رائحة فمه ، وفي حديث شارب الخمر : استنكهوه أي شموا نكهته ورائحة فمه هل شرب الخمر أم لا .

(٢) التشوف : التطلع . التشور : شوربه ، فعل فعلا يستحيا منه ، وتشور هو : خجل .

(٣) بهرام شاه : هو الملك الأمجد الدين بهرام بن فروخ شاه صاحب بعلبك المتوفي سنة ٦٢٨هـ وهو أشعر بني ، وصل الينا ديوانه ، حققته على أربع نسخ ونلت به درجة الماجستير من جامعة بغداد عام ١٩٧٣ (انظر مصادر ترجمته في شفاء القلوب ص ١٣٣) .

(٤) في هذا البيت يشير العماد الى أنه نظم قصيدته هذه على غرار قصيدة ابن الهبيني اليمني التي يقول في أولها :

العز في صهوات الخيل الأجبه
وطرادها من مهمه في مهمه

(الخريدة ، قسم الشام ، ٣ : ٢٨٥) .

(حرف اليـاء)

(٢١٢)

قال العماد في حوادث سنة ٥٦٥ للهجرة: وكانت الزلزلة بحلب قد خربت دار القاضي محيي الدين أبي حامد محمد الشهرزوري (١)،وسلبت قراره، وغلبت اصطباره ، وحلبت أَفكاره ، فكتبت اليه قصيدة * :

(من الكامل)

١ لوكـــان من شكوى الصَّبابة مشكيـاً
لـعدا عـلى عدوى الصبابـة معديا

٢ مات الـرجاءُ، فإن أَردْتَ حياتَــهُ
ونشورَهُ ، فارجُ الإمام المحيـــيا

٣ أَقضى القضـاةِ، محمدُ بن محـمد
مَنْ لستُ منه للفضائلِ مُحْصيا

٤ قاضٍ به قَضَتِ المظالمُ نَحْبَـهَــا
وغــدا على آثارهِنَّ مُـعـَـفيا

٥ ياكـــاشفاً للحــقِّ في أَيـــامـــــه
غُــرراً يَدومُ لها الزّمانُ مغَطّيا

٦ لم تنعش الشهــباء عنــد عـثارهــا
لــو لم تجــدك لطـرد حلمكَ مرسيا

(١) محيي الديـــن أبـــو حامد محمد بن كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد الله بن القاســم الشهرزوري ، ولي قضاء دمشق نيابة عن والده ، ثم ولي قضاء حلب ، ثم انتقل الى الموصل وولي قضاءها ودرس بمدرسة أبيه وبالمدرسة النظامية . توفي بالموصل سنة ٥٨٦ للهجرة وله اثنتان وستون سنة (الخريدة ، قسم الشام ، ٢ : ٣٢٩ ، وفيات الأعيان ٤ : ٢٤٦).

* الروضتين ١ : ٤٧٠ .

٧ رَجَفَتْ لسطوتكَ التي أرسلْتَها
نحو الطغاةِ لحدِّ عزمِكَ ممهيا (١)

٨ وتظلمتْ من شرِّهم فتململتْ
عجلَ أَرجازَتَها عليها مبقيا

٩ أنفتْ من الثقلاءِ فيها إذ رَمَتْ
أثقالها ورأتكَ منها ملجيا

١٠ حلَبٌ لها حلبُ المدامعِ سُيَّلٌ
أنْ لاقت الخطبَ الفظيعَ المبكيا

١١ وبعدلِ نورِ الدينِ عاودَ أفقها
من بعدِ غيمِ الغمِّ جوّاً مُصحيا

١٢ أضحى لبهجتها معيداً بعدما
ذهبتْ وللمعروفِ فيها مُبديا

١٣ لأُمورِها متدبراً ، لشتاتها
متألفاً ، لصلاحها مُتوليّا

١٤ فالشّرعُ عادَ بعدلهِ مستظهراً
والحقُّ عادَ بظلّهِ مُستذريا

١٥ والدّهرُ لاذَ بعفوهِ مستغفراً
مما جناهُ ، مطرقاً ، مُستحييا

(٢١٣)

قال العماد : ومدحتُ في مستهل شهر ربيع الأول سنة ٥٧١ للهجرة الملك تقي الدين عمر ،وكان قد فوّض اليه ولاية دمشق * :

(من الوافر)

١ أَحاطَ بوردِ وجنتهِ الجنيِّ
بنفسجُ خط عارضهِ الطّري

(١) أمهى الحديدة : أحدها .
(*) سنا البرق ١ : ١٩٩ ، الروضتين ١ : ٦٤٣ . بدائع البدائه (البيتان ٥ ، ٦) ص ١٠٧.

٢ وجالَ وشاحُهُ في الخصرِ منـــه
مجالَ الوهمِ في السرِّ الخفـــيِّ

٣ وجاذبَ حِقْفَهُ غصنٌ قصيـــفٌ
فيا وَيْحَ الضّعيفِ من القــويِّ (١)

٤ يؤاخذُ طرفُهُ بالذّنبِ قلبـــي
فيا جَوْرَ السّقيمِ على البــريِّ !

٥ يفيدُ العاقل اليقــظَ التّغابـــي
ليُدركَ في الغنى حظَّ الغبـــيِّ

٦ ولم تُصب السّهامُ علـى اعتـــدال
بها لولا اعوجاجٌ في القِسِـــيِّ

٧ فقلْ للدّهرِ يُقْصِرُ عــن عنـــادي
أما هو يتّقي بأْسَ التّقـــيِّ

٨ حلفْتُ بربِّ مكّـــةَ والمصلّى
وثاوي ترب طيبـةَ والغـريِّ (٢)

٩ لأَنتم يابنـي أيوب خيـــرُ الـ
ـورى بعدَ الإمـامِ المستضـــيِّ

---

(٢) الحقف : المعوج من الرمل .

(١) ثاوي ترب طيبة : الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . وثاوي الغري : الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه ، والغري : أحد أسماء النجف .

دوبيتات للعماد الكاتب على الحروف *

* نشرها المستشرق شارل بلا بهذا العنوان في حوليات الجامعة التونسية ، العدد ١٢ ، سنة ١٩٧٥ ، عن مخطوط في ليدن برقم ١٥٩٢ ، وأعاد نشرها الأستاذ هلال ناجي في مجلة الشعر المصرية ، العدد ٧ ، سنة ١٩٧٧ ، مستدركاً على صنيع الدكتور كامل مصطفى الشيبي في ديوان الدوبيت . وقد ارتأيت ابقاءها على حالها وعدم توزيعها في الديوان الذي جمعته للعماد حفظاً لكيان المخطوط المذكور .

١ العيش إذا وصلتَ ما أحلاهُ
والأُفقُ اذا طلعتَ ما أضواهُ!
صلْ ذا سقمٍ رجاكَ أنْ تبراهُ
إنْ أنتَ هَديْتَهُ فما أهداهُ

٢ في خدكَ يا مكتّمَ الأهواءِ
والريقةِ من سلافة الصهباءِ
أشياءُ قد اجتمعن في أشياءِ
خدٌ وفمٍ ومقلةٍ نجلاءِ

٣ كم في طلبِ الرّاحةِ قلبي يتعبْ
كم في حرَمِ الأمنِ فؤادي يُرْعَبْ!
بالجدّ أدينُ والهوى بي يلعبْ
كلٌّ صعبٌ وهجرُكم لي أصعبْ

٤ ياصبريَ حسنُ غلبهِ قد غلَبكْ
يا لُبّي سحرُ لحظهِ قد سلبكْ
يا قلبُ على النارِ هواهُ قلبكْ
أرْداكَ، فقلْ: بأيّ ثأرٍ طلبكْ

٥ كم يخلبُ سحرُ مقلتيهِ خلْبَكْ
ما أطيبَ في لعبِ هواه غلْبَكْ
ما كنتَ معرّضاً لبلوى قلبِكْ
لو كنتَ تطيقُ حفظَهُ من غُلبِكْ

٦ يالاحِ أما مللتَ من تهذيبي؟
قد لاحَ العذرُ فكم تهذي بي!
صدّقتكَ في النُّصحِ فدَعْ تكذيبي
ما أعذبَ في هواهمُ تعذيبي!

٧ لا غروَ اذا تنفّسَ المكـــــروبُ
فالوجدُ على فـؤادهِ مـشبـــوبُ
مَنْ ينجدُهُ وصـــبـرُه مغـلـوبُ؟
ما أسعـــدَ مَنْ يُسعـدُه المحبوبُ!

٨ ناديتُ الراحَ، قال: قَبِّل شـفـتي
أفدي شَفَةً لسُـقـمِ قلبي شَفَتِ
ناديتُ الجورَ، قال: هذي صفـتـي
ما أطيبَ عيشتي بـه لـو صَفَتِ

٩ زارتْ وتحطّفتْ وبـالـوعدِ وَفَـتْ
بالوصلِ لـمـن أسقمه الهـجرُ شَفَتْ
أقررتُ لها بذنبٍ وجـــدي فـعـفتْ
ما أسعدَ ليلـةً بهـا لي سَلَـفـتْ

١٠ لا أشرحُ ما فيك مـن الـــوجـد لقيتْ
لولا أملُ الـوصل لما كنتُ بقيتْ
صلني لسعادتي فبالـهـجرِ شقيـــتْ
يا حُبُّ كفيتَ شـرَّ ما بي ووقيتْ

١١ مـاأشـوقَني إلى ليالٍ سَلَفَــتْ
نفسـي أسـفاً عـلى مناها تلفـتْ!
وحشاً مُهـجتـي بـرغمي حـلفتْ
من بعـدكمُ لأُنسها لا ألِفَـتْ!

١٢ عيني سعدتْ ومهجتـــي قد شَقِيـتْ
مَنْ يرحمُ مهجتي لما قد لقيـتْ؟
ماأسلمني لو أنَّ نفســـي وُقيـــتْ
روحي تلفتْ ولـوعتي قد بقيــتْ

١٣ حتامَ إلى المحبِّ لا تلتفتُ
والسُّقْمُ به تصعبُ عنه الصِّفةُ
ماضرَّكَ لو شَفَتْهُ تلكَ الشَّفَةُ
لايحسنُ ،لايجملُ هذا العنتُ

١٤ كم أَصبرُ والعمرُ مع الدَّهرِ يفوتْ
كم أَعرضُ عن نطقِ عذولي بسكوتْ
إن هبَّ نسيمكم فللروحِ يقوتْ
أَحيا وأَموتُ ثم أَحيا وأموتْ

١٥ مولايَ إلى هواك أَشكو بَثِّي
إرحمْ ضعفي وجُدْ بعطفٍ وارثِ
ضدّانِ هما: سهولةٌ في وَعْثِ
أَ بُرئي سَقَمي فيكَ وموتي بعثي

١٦ كانوا حفظوا العهدَ فَلِمْ قد نكثوا؟
ساروا عَجَلاً وساعةً ما مكثوا
كم قد حَلَفوا لي وأَراهُم حنثوا
كانوا بَعَثوني بسلامٍ، بعثوا

١٧ كم قد حلفوا لي وأَراهم حنثوا
شَبُّوا ناراً وهم بقلبي شبثوا
يامَنْ بنسيم وصلهم أنبعثُ
قد جدَّ هواكمُ فماذا العبثُ؟

١٨ قد جدَّ هواهم مذ بقلبي عَبَثوا
واشتدَّ بلائي مُذ لعهدي نكثوا
روحي قصُّوا ومهجتي قد بَعَثوا
والبعثُ بكتبهم إذاما بعثوا

١٩ كـم يُوسعنـي رحيبُ صدري حرَجا
كم تنقصُني حظوظ فضلي دَرَجا
قد حِـرْتُ بما أرى لأمري فرَجـا
كم مِن تعبٍ قاربَ يأساً ورَجـا
٢٠ ماأحسـنَ مـاكنـتُ بكم مُبتهجـا
أرجو طيباً وأستطيبُ الأرجــا
عُودوا دَنِفاً بذكـركم مُلتهجـا
أمسى فرجاً من الهمومِ الفرَجـا
١ الآسُ على وردكَ مَـنْ سبَّحَـهُ ؟
والقلبُ على وجدكَ مَنْ هيَّجَهُ ؟
أفدي بأبي حسنَكَ مـا أبهجَــهُ
من أعجزَهُ الوصلُ فما أزعجَهُ !
٢٢ يابدرَ دُجى أدرْ لنا شمسَ ضُحـى
راحاً تُهدي الى النُّفوس الفرَجا
لاتلحُ على سُكرِ غـرامٍ طفَحـا
ما حيلةُ من لو قلبهُ صحَّ صحَـا ؟
٢٣ ياصاحِ أما تعلمُ أنِّي صاحـي ؟
صَحْوي تعَبي وراحتي في الـراحِ
أهبُبْ ظلمَ الليلِ بـذا المصبــاحِ
فالـراحُ بهــا تكاملُ الأرواح
٢٤ ما أعلمُ مـا أقـولُ للنُّصّــاحِ
ما يأملُ في الهـوى فلاحـي اللاحي
أقصِرْ لأُطيـلَ سُكرتـي ياصـاحِ
لاصُلحكَ ممكـنٌ ولا إصلاحي

٢٥ الشّوقُ على القلب شديدُ البَـــرْحِ
والقلبُ يجلُّ شوقُـهُ عـن شَرْحِ
صبراً فعسى سماؤه أن تُضحـــي
لابدَّ لكلِّ ليلـةٍ مـن صُبْــحِ

٢٦ ما تعلمُ ما حقيقــةُ الأَفـــراح
ما لم تصفِ السُّكرَ بشربِ الـراحِ
إشربْ وامـلأْ بـــراحها أَقـــداحي
فالراحُ تعيـــدُ حــدَّةَ الأَرواح

٢٧ ذا حظُّك مـن أَي كتابٍ نُسخـــا
فالعقلُ عليه شرْعَهُ قد نَسَخـا
سلْ من تهواهُ عَقدُ صبري فُسخـا
لـمْ شَحَّ بوصلهِ وبالطّيفِ سَخا ؟

٢٨ ذا الحسن أَماتَ كلَّ حسنٍ ونســخْ
والبدرُ إذا طغا على النجمِ رَسَخْ
بخٍّ لكَ يامعذِّبَ المهجـــةِ بَـــخْ !
مَنْ دلَّ بحسنهِ تعالى وَشَمَخْ

٢٩ الشّوقُ لعقدِ صبرهِ قـــد فَسَخـا
والهَمُّ لشرعِ أُنسهِ قـــد نَسَخا
لولا شغفٌ بقلبـهِ قـــد رَسَخـا
ما شحَّ بوصله وبالطيفِ سَخَـا

٣٠ في قلبي مـن شوقكَ حُزْنٌ وكمـــدْ
لم يبقَ على الغرام للقلبِ جلَـــدْ
الشوقُ كما بُليت لم يُبلَ أَحـــدْ
عذِّبْ بســوى هجرِكَ فالهجرُ أَشدْ

٣١ يـامَن بـالوصلَ طالَ لي مـوعـدُهُ
لـو أَسعدني لطابَ لي مـوردُه
حتـامَ تقـولُ: في غـد أُسعـدُهُ؟
فالدّهرُ أَراهُ ليس يغني غـدُهُ

٣٢ الـوردُ مُبشّـر بطـردِ الـورْدِ
والقـهـوةُ .... الـوردِ
الـكاسُ تحـاكي زَرَداً فـي سَرْدِ
.... (١)

٣٣ كـم قـد حضـر الراحُ وغابَ الوردُ
حتى عدمَ الراحُ فنابَ الـوردُ!
لما عبـقَ الـراحُ وطـابَ الـوردُ
قـلنـا: جمـدَ الـراحُ وذابَ الوردُ

٣٤ اسمـع مـاقـال عندليـبُ الـوردِ
والبلبلُ في الروض خطيبُ الـوردِ
الشّـربُ عـلى الوردِ نصيبُ الـوردِ
فالحسن أن يضيعَ وقت الـوردِ

٣٥ ماأعلـمُ حكمَ بينكم كيف نَفَـذْ
أعطانـي وحشتـي وللأُنسِ أخذْ
إن أرهـفَ حـدّهُ لقتـلي وشحـذْ
فالموتُ من الحياةِ في الهجـر ألذّ

٣٦ يافجـرُ أَفيكَ أُبتلَى بـالهجـرِ ؟
يـاهجرُ سلبتنـي ضيـاءَ الفجـرِ
صبريَ فانٍ ودمـعُ عينـي يجـري
ياقلبيَ جـلّ فيـكَ منـه أجـري

---

(١) في عجز البيت الأول والثاني طمس في الأصل المخطوط .

٣٧ مَنْ خطَّ لنا على عذارِ القمرِ
خطاً بجمالهِ افتتانُ البشرِ؟
هَبْهُ بيدي نبرّؤاً من خطري
ياناظرهُ السّقيم ماأنتَ بري

٣٨ ياغُلبكَ من صدودكَ النارَ النارْ
ياغُلبكَ ليس لي على النارِ قرارْ
ياغُلبكَ في هواكَ عقلي قد حارْ
من يأخذُ منكَ للمعنّى بالثارْ؟

٣٩ ياقلبُ لقد غرّكَ بالحسنِ غريرْ
القلبُ من الحديدِ والجسمُ حريرْ
حلوٌ وصدودُهُ كبلواكَ مريرْ
ياطرفُ متى تكونُ بالوصلِ قرِيرْ؟

٤٠ ما أطيبَ في وصالهِ أسحاري
ما أوضحَ في عذارهِ إعذاري
ما أسكرني وطرفُهُ خمّاري
ما أسعدَني وهو على إيثاري!

٤١ من رصّعَ حولَ خدّكَ المحمرِّ
يا قوتَكَ بالزمرّدِ المخضرِّ
جُدْ لي برحيقِ درّكِ المفترِّ
فالخمرةُ تستباحُ للمضطرِّ

٤٢ كم يقتُلني بطرفهِ الغمّازِ
كم يأنفُ للعزّةِ من إعزازي!
كم مطّل بالديونِ ذا إعوازِ
ما أبعدَ وعدَهُ من الإنجازِ!

٤٣ لمّا نظرَ الطّرفُ الى السّدرّ أزي

من سهمِ جفونِ حُبّي القلبُ عُزي

ما أسعدَني لو كنتُ بالمحترزِ

من عيني فالقلبُ من العينِ رزي

٤٤ تُفّاحُ الخدّ مَنْ حماهُ بالآس؟

يقظانُ بعينيهِ من الغنجِ نعاسْ

ناديتُ وقد تاه من العجبِ وماسْ:

ما الاسمُ؟ فقال: لا، من الوصلِ إياسْ

٤٥ هبّتْ سحراً فهيّجتْ وسواسي

نشوى خطرتْ عليلةَ الأنفاسِ

أهدتْ أرجَ الرجاءِ بعدَ الياسِ

ما أحسنَ بعد وحشتي إيناسي!

٤٦ مولايَ تريدُ أنْ يقول الناسُ:

هذا رجلٌ خالطَهُ وَسْواسُ؟

حالانِ كلاهما لجرحي ياسُو:

إمّا طمعٌ فيكَ وإمّا ياسُ

٤٧ كم أذكرُه وهو لعهدي ناسي

كم آملُهُ وهو يُريني ياسي

باللهِ ترون مُنصفاً في الباسِ

من أجلي يستكينُ هذا الناسي

٤٨ كم أذكر مَن أراهُ للعهدِ نَسي

كم أُحسنُ في الحبِّ إليه وَيُسي!

فالقلبُ من الرضا به ياتسي

لا بدَّ لكلِّ ظلمةٍ من قَبَسِ

٤٩ لَمَّحتُ لحاجتي حذارَ الواشي
فافترَّ وردُّه بطرفٍ خاشي
أُخفي سري وهو بدمعٍ فاشي
لولا الواشي لكنتُ خلوَ الجاشي

٥٠ البعدُ من الحبيبِ قد أدهشَني
والشّوقُ إلى زلالهِ أعطشَني
ما إن فقد عثرتَ أن تُنعشني
ما أوحشني بعدَكَ ماأوحشني

٥١ الدّهرُ ببيننا لسهميهِ يريشْ
والجاشُ بنارِ وجدهِ البرحَ يجيشْ
إن طِشتُ فذو الحلمِ من الشرب يطيشْ
من فارقَهُ الرّوحُ تُرى كيف يعيشْ؟

٥٢ مامِن أحدٍ يزيدُ إلاّ نَقَصا
إرحمْ أسفي وداوِ هذي الغُصَصا
لم تلق فُديتَ مثلَ قلبي قَنَصا
الشّوقُ أطاعَ فيكَ والصبرُ عَصَى

٥٣ يامَنْ هو في الظّلامِ كالبدرِ يُضي
إرحمْ دَنفاً سيمَ هواناً فرضي
ما أبلُغُ مُنيتي وأقضي غرضي
المسقمُ أنتَ من يُداوي مرضي

٥٤ يامَنْ سلبَ الفؤادَ أين العوضُ ؟
لا بانَ بكيدهِ لكَ المعترضُ
أصميتَ وقلما أُصيبَ الغرضُ
الجوهر أنتَ والأنامُ العرَضُ

٥٥ ياقلب عليه لاتكن معتَرَضا
ما يأمُرهُ فكنْ له مُعترِضا
إنْ كان رضاهُ في دمي فهو رضا
لابدَّ من الرِّضا بما الربُّ قَضَى

٥٦ إنْ ضيَّعني فإنَّني أَحفظُهُ
أُرضيهِ بطاقتي ولا أُحفظُهُ
قد نامَ الحظُّ فمن يوقظُهُ
قد أَفلحَ مَنْ حبيبُهُ يلحظُهُ

٥٧ أشرفتُ فلا تكن غليظاً فظّا
لاأَقبلُ قطُّ في حبيبي وعظا
القلبُ مذ استشارَ فيه اللَّحظا
لم يتركْ للسُّلوِّ فيه حَظّا

٥٨ الدَّهرُ ببيننا كثيرُ الولعِ
مُغرىً بشتاتِ شملنا المجتمعِ
قد سدَّ عليَّ فيكَ بابَ الطمعِ
يابدر تُرى يَعشقكَ الدَّهرُ معي

٥٩ ما أوقعني في الحب غيرُ الطمعِ
ما أَسعدني لوكنتُ بالمقتنعِ
مولايَ لقد عذَّبتني بالخدعِ
كالسَّهمِ مع الغِرِّ وكالقوسِ معي

٦٠ الحبُّ بليَّةٌ جناها الطَّمعُ
ينضرُّ به الفتى ولا ينتفعُ
فالغِرُّ بلمعهِ له ينخدعُ
والشاطرُ في شباكهِ لا يقعُ

٦١ شيطانُ هواكَ مولعٌ بالنَّزْغِ
والعذلُ عليكَ في الحشا كاللَّدْغِ
ويلاه من العذارِ حول الصُّدْغِ
والعاجمِ من سوادِ ذاكَ الصِّبْغِ

٦٢ يا صاحِ على الصبِّ إلى كم تبغي؟
دَعْ لومكَ لي فإنّني لا أصغي
سمعي لسوى حديثِ وجدي ملغي
إلاَّ لحبيبِ قلبهِ لا يبغي

٦٣ ما أكملَ حسنَهُ وما أطرفَهُ
ما أفترَ لحظَهُ وما أضعفَهُ!
ما أنحفَ خصرَهُ وما أهيفَهُ
من قال : هو البدرُ ، فما أنصفَهُ!

٦٤ الوردُ بخدَّيكَ متى أقطفُهُ!
والغصنُ لعطفيكَ متى أعطِفُهُ
والشهدُ بفيكَ أشتهي أرشفُهُ
مَنْ لم يذقِ السكّرَ لا يعرفُهُ

٦٥ هل يتّفقُ الملاحُ والعشّاقُ ؟
أم تصطلحُ القلوبُ والأحداقُ ؟
لم يُؤْثَ الحظَّ قلبي المشتاقُ
والدهرُ حظوظُ أهلهِ أرزاقُ

٦٦ ما أعلمُ والحظوظُ كالأرزاقِ
لِمْ ضنَّ بنظرةٍ على المشتاقِ؟
كم أحجبُ ، والشمس من الإشراقِ
لا يُحجبُ نورُها على الآفاقِ

٦٧ هل أنتَ كما كنتَ على الميثاق ؟
لِمْ ملتَ إلى تلوُّن الأخلاقِ ؟
مِن بَعْدكَ ما أظنُّ أنّي باقي
لا رغبةَ في الحياةِ للمشتاقِ

٦٨ الصَّبرُ عليكَ سترُهُ منهتكُ
يا مَنْ بحبالِ ودِّهِ أمتسكُ
هذا قلبي أعزُّ ما أمتلكُ
عذِّبْهُ فما عليكَ فيه دَرَكُ

٦٩ أَفتاكَ أبو حنيفه أم مالكْ ؟
هل تقتُلني كأنّني من مالِكْ؟ (١)

٧٠ ما يحسن بالحسانِ ما يفعلُهُ
هواكَ وأنتَ بالجفا تقتلُهُ
أخلى لكَ قلبَهُ فكم تشغلُهُ
ما أسعدَ من حبيبُهُ يقبلُهُ

٧١ في حُبِّكَ يا ظلومُ حالتْ حالي
ما العاطلُ في هواكَ مثلُ الحالي
يلجا سَفَهاً عليكَ خِلٌّ خالي
ما هام هوىً بحسنِ ذاكَ الخال

٧٢ مَنْ بلبلَ صدغَ قاتلي من سلسلْ
مَنْ أودعَ ثغرَهُ رحيقاً ساسلْ ؟
مَنْ غلغلني في حُبِّهِ من سلسلْ؟
يا عاذلُ إنْ جهلتَ مابي مل سلْ

٧٣ كم أنتظرُ النجازَ من وعدكمُ
كم أرتقبُ الحفاظَ في عهدكمُ !

---

(١) لم يرد البيت الثاني في المخطوط .

بـا للهِ أجيـرونـي مـن بُعدكمُ
ما أمُلُ أنْ أعيشَ مـن بَعدكمُ

٧٤ الـطُّرَّةُ والجبيـنُ صبحٌ وظـلامْ
والرِّيقـةُ والـوجنةُ وردٌ ومُدامْ
والحاجبُ والمقلـةُ قـوسٌ وسهـامْ
هـذا صَنَمٌ وفيتُه لـلإسلامْ

٧٥ مـا البـدرُ كمن هويـتُ حسناً وَسَنا
لا يَعرِفُ فـي هـواهُ طرفي وَسَنا
غصنٌ عطفَ القلـبُ عليـه وَثَنـا
دع عذلكَ قـد رضيتُـه لي وَثَنا

٧٦ لا زارَ خيـالُ طيفكمْ أحيانـا
وهناً فـأقـامَ سـاعةً أحيانـا
غـبتمْ فحنا رُقـادي الأجـفـانا
نمتـم وسهرتُ ، أيُّنا أجفانا ؟

٧٧ أفدي سَكَناً بـربعِ قلبي سكنـا
من أَجل ثناياهُ عبدتُ الوثنـا
ينوى ظعناً فيورثُ القلـبَ ضنـىً
قد أَودَعَنا السقامَ مذ وَدَّعـنـا

٧٨ يا مَنْ أَدعـو فيـستجيـبُ الـدعوى
هل يحسنُ بي إلى سواكَ الشكوى؟
أنتَ المبْلي فكن مزيـلَ البلـوى
ما يُسعِدُ للضعيفِ إلاَّ الأقـوى

٧٩ أوهـى جلَدي بعقـدِ خصرٍ واهـي
أَصمَى كبدي بسهم لحظ ساهي

بالـخدِّ معذبـي حـبـيـبُ لاهـي
لا يلجيء مِنْ هواهُ غيرُ اللـــّهِ

٨٠ إن كنتَ تريدُ يوسفَ الحسنِ فـهـو
لاأعرفُ في الأنام مَن يُشبـهُـهُ
العسجدَ لايجوزُ فيـه الشبَـــهُ
والخالصُ بالرديْ لايَشتبـــهُ

٨١ القلبُ على غرامهِ قــــد آلـــى
أنْ ليس يطيعُ في هوا كـم آلا
يامَنْ أَضحى ودادهـمْ لــــي آلا
هذا جسَدي إلى البلى قـــد آلا

٨٢ مَنْ علَّمَ أعطافَ الغصونِ الميـــلا؟
من صيَّرَ قلبي رهنَ همٍّ وبـــلا ؟
مَنْ سمَّـع .... لسعـي العـدلا
ما آنَ بأنْ تميلَ من قولك : لا (١)

٨٣ قولا لمُنَى إسـمـا عـيـــلا:
أنْعِمْ بِنَعَمْ ، أَطلتَ إسماعي : لا
شغَّلتَ جوائي بالهوى تشغـيـــلا
أدركْ رمقي فانَّ صبري عيــلا

٨٤ إقنعْ لتُقِرَّ بالقضا مُرتـــضـيـا
لابعدئذٍ من مطمعٍ مُقتضيـــا
لولا طلبُ البدرِ من الشَّمسِ ضـيـا
ماكان زمانُ نورهِ مُنـقـضيـا

٨٥ لما اضطرمتْ على يديْ ساقـيـــها
فارتاعَ لها فهمٌ أنْ يُلقيــــها

(١) موضع النقاط في الأصل المخطوط : «الاد» .

قدَّمتُ إليه الماءَ كــــي يُطفــيــها
ألقاهُ بها فزادَ نارٌ فــيـــهـا

٨٦ ياغايةَ بُغيتي ويـــا أولاهــــا
ياسيِّدَ سادتي ويـــا أولاهــــا
يـــا آخر مُنيتي أولاهـــــا
ما أنصف من يقتلُني قد لاهـــا

المصادر والمراجع

١ ـ الأدب في بلاد الشام : د . عمر موسى باشا . المكتبة العباسية ـ دمشق ١٩٧٢ .

٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ . المط الشرقية ـ القاهرة ١٩٠٧ .

٣ ـ الأصمعيات : عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦هـ . تح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . مط دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٤ ـ الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، ت ٣٥٦هـ . مط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٧ .

٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة : على بن يوسف القفطي ، ت ٦٤٦هـ تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . مط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ .

٦ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : مجير الدين الحنبلي ، ت ٩٢٨هـ . المط الحيدرية ـ النجف ١٩٦٨ .

٧ ـ بدائع البدائه : على بن ظافر الأزدي ، ت ٦٢٣هـ . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . المط الفنية ـ القاهرة ١٩٧٠ .

٨ ـ البداية والنهاية : اسماعيل بن عمر بن كثير ، ت ٧٧٤هـ . مط السعادة ـ مصر ١٩٣٢ .

٩ ـ البرق الشامي : عماد الدين الأصبهاني ، ت ٥٩٧ . الجزءان الثالث والخامس ، مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١١ ، ٤٢٥ (في مكتبتي مصورة للجزأين) .

١٠ ـ تاريخ دولة آل سلجوق : عماد الدين الأصبهاني ، ت ٥٩٧ ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٨٠ .

١١ ـ تاريخ الأدب العربي : بروكلمان ، ت ١٩٥٦ م . ترجمة : د . رمضان عبد التواب . ج ٥ . مط دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٥.

١٢ ـ التاريخ الباهر : ابن الأثير الجزري ، ت ٦٣٠هـ . تحـ : عبد القادر أحمد طليمات . طبع دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٣ .

١٣ ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بذيل الروضتين: أبو شامة المقدسي ، ت ٦٦٥هـ . نشر العطار ـ القاهرة ١٩٤٧ .

١٤ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر : على بن الحسن بن عساكر ، ت ٥٧١هـ ترتيب وتصحيح الشيخ عبد القادر بن بدران ، مط روضة الشام ـ دمشق ١٣٢٩هـ .

١٥ ـ الجامع المختصر : ابن الساعي ، ت ٦٧٤هـ . تحـ : د . مصطفى جواد . المط السريانية الكاثوليكية ـ بغداد ١٩٣٤ .

١٦ ـ جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري ، ت ٣٩٥هـ . تحـ : محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش . المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٦٤ .

١٧ ـ الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام : محمد سيد كيلاني . مط دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٤٩ .

١٨ ـ حلية الأولياء : أبو نعيم الحافظ أحمد بن عبد الله ، ت ٤٣٠هـ . مط السعادة ـ القاهرة ١٣٥١ ـ ١٣٥٧هـ.

١٩ ـ خريدة القصر وجريدة العصر : عماد الدين الأصبهاني ، ت ٥٩٧ هـ. بداية شعراء الشام تحـ : د. شكري فيصل . المط الهاشمية ـ دمشق ١٩٦٨.
شعراء الشام : مط المكتبة الهاشمية ـ دمشق ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤ .

شعراء مصر : تح : أحمد أمين ، شوقي ضيف ، إحسان عباس.
مط لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥١.
شعراء العراق : تح : محمد بهجة الأثري . ج١، ٢ مط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ – ١٩٦٤، ج٣، ٤ مط الحكومة – بغداد ١٩٧٣ – ١٩٧٦ .
شعراء العجم : مصورة المجمع العلمي العراقي رقم ٥١ ، ٥٥ .
٢٠ – خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي ، ت ١٠٩٣هـ. المط الأميرية ببولاق ١٢٩٩هـ.
٢١ – الخطط المقريزية : أحمد بن علي المعروف بالمقريزي، ت ٨٤٥هـ. دار الطباعة المصرية – القاهزة ١٢٧٠هـ .
٢٢ – ديوان المتنبي : شرح عبد الرحمن البرقوقي . المط الرحمانية – مصر ١٩٣٠ .
٢٣ – الروضتين في أخبار الدولتين : أبو شامة المقدسي .ج١ مط لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥٦. ج٢ ، مط وادي النيل – القاهرة ١٢٨٧هـ .
٢٤ – سقط الزند : أبو العلاء المعري ، ت ٤٤٩هـ . مط دار صادر – بيروت ١٩٦٣ .
٢٥ – السلوك لمعرفة دول الملوك : المقريزي ، ت ٨٤٥هـ . مط دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٤ .
٢٦ – سنا البرق : الفتح بن علي البنداري ، ت ٦٤٢هـ . تح : د. رمضان ششن . ج١ . مط دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٧١ .
٢٧ – سير أعلام النبلاء : الحافظ الذهبي ، ت ٧٤٨ هـ. مصورة مخطوطة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩.
٢٨ – شفاء القلوب في مناقب بني أيوب : أحمد بن ابراهيم الحنبلي ، ت ٨٧٦هـ. تح : ناظم رشيد . دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٧٩ .

٢٩ ــ صبح الأعشى : القلقشندي ، ت ٨٢١ هـ. المط الأميرية ــ القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩٢٠ .

٣٠ ــ صفوة الصفوة : ابن الجوزي ، ت ٥٩٧ ، ط حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ.

٣١ ــ طبقات ابن سعد : ابن سعد أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٢٣٠ هـ. ط بيروت ١٣٧٦ ــ ١٣٧٧هـ.

٣٢ ــ طبقات الشافعية : عبد الوهاب بن علي السبكي ، ت ٧٧١ هـ. المط الحسينية ــ القاهرة ١٣٤٤ هـ .

٣٣ ــ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : العيني ، ت ٨٥٥هـ. مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

٣٤ ــ الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة : أبو سعيد الأندلسي ، ت ٦٨٥ هـ . تحـ : ابراهيم الأبياري . مط دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٧ .

٣٥ ــ الغيث المسجم في شرح لامية العجم : خليل بن أيبك الصفدي ، ت ٧٦٤ هـ. دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٧٥ .

٣٦ ــ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : د. مصطفى الشكعة . عالم الكتب ــ بيروت ١٩٨١ .

٣٧ ــ قصص الأنبياء : ابن كثير ، ت ٧٧٤ هـ. تحـ : مصطفى عبد الواحد مط دار التأليف ــ القاهرة ١٩٦٨ .

٣٨ ــ الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، ت ٦٣٠ هـ. مط دار صادر ــ بيروت ١٩٦٥ .

٣٩ ــ كشف الظنون : حاجي خليفة ، ت ١٠٦٨ هـ. المط الاسلامية ــ طهران ١٩٦٥ .

٤٠ ــ كنز الدرر وجامع الغرر : عبد الله بن أيبك الدواداري ، ت ٧٣٦

هـ. جـ٧ . تحـ : د. سعيد عبد الفتاح عاشور . نشر المعهد الألماني للآثار ـ القاهرة ١٩٧٢ .

٤١ ـ لسان العرب : ابن منظور ، ت ٧١١ هـ. مط دار صادر ـ بيروت ١١٦٨ .

٤٢ ـ المختصر في أخبار البشر : أبو الفداء اسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢ هـ. المط الحسينية ـ القاهرة ١٣٣٥ هـ.

٤٣ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي : الذهبي ، ت ٧٤٨ هـ. تحـ : د. مصطفى جواد ـ بغداد ١٩٥١ ـ ١٩٦٣ .

٤٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان : عبد الله بن أسعد اليافعي ، ت ٧٦٨ هـ. مط دائرة المعارف الاسلامية ـ حيدر آباد الدكن ١٣٣٨ هـ.

٤٥ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : سبط ابن الجوزي ، ت ٦٥٤ هـ. مط مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ١٩٥١.

٤٦ ـ مراصد الاطلاع : عبد المؤمن بن عبد الحق ، ت ٧٣٩ . مط بريل ـ ليدن ١٨٥٢ .

٤٧ ـ مطالع البدور في منازل السرور : علي بن عبد الله الغزولي ، ت ٨١٥ هـ. مط ادارة الوطن ـ مصر ١٣٠٠ هـ .

٤٨ ـ معاهد التنصيص : عبد الرحيم العباسي ، ت ٩٦٣ هـ . تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد . مط السعادة ـ مصر ١٩٤٧ .

٤٩ ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦هـ ، تحـ : مرجليوث ، ت ١٩٤٠ م . مط هندية، ـ مصر ١٩٢٣ .

٥٠ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦ هـ. مط دار صادر ـ بيروت ١٩٥٥ .

٥١ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : ابن واصل ، ت ٦٩٧ هـ . جـ١، ٢ ، ٣ تحـ : د. جمال الدين الشيال . جـ١ مط جامعة فؤاد الأول

القاهرة ١٩٥١ ، ج٢ المط الأميرية – القاهرة ١٩٥٧ ، ج٣ مط دار القلم – القاهرة ١٩٦٠ . ج٤ ، تحـ : د . حسنين محمد ربيع مط دار الكتب – القاهرة ١٩٧٢ .

٥٢ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج ابن الجوزي ، ت ٥٩٧ هـ ، ط حيدر آباد الهند ١٣٥٧ – ١٣٥٨ هـ .

٥٣ – النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ، ت ٨٧٤ هـ. مط دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٦ .

٥٤ – نزهة الأنام في محاسن الشام : أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري، من علماء القرن التاسع . المط السلفية – مصر ١٣٤١ .

٥٥ – نهاية الأرب : النويري ، ت ٧٣٣ هـ. مط دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣١ .

٥٦ – الوافي بالوفيات : خليل بن أيبك الصفدي ، ت ٧٦٤ هـ. نشر المستشرقين الألمان باستنبول ١٩٣١ .

٥٧ – وفيات الأعيان : ابن خلكان ، ت ٦٨٤ هـ . تحـ : د. احسان عباس. مط دار صادر – بيروت ١٩٧٢ .

فهرس القوافي

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(ح)			
٣٩	لو أنَّ	صاحْ	سريع	٢	١٠٧
٤١	سكران	راحِ	مجتث	٤٣	١١٤
٤٢	ياطائر	بوحي	دوبيت	٢	١١٨
٤٠	يوم	رواحُهُ	كامل	٦٦	١٠٧
		(خ)			
٤٣	كافورك	أرخه	دوبيت	٢	١١٩
		(د)			
٤٤	ياحاكياً	المبردْ	كامل	١٥	١٢٠
٤٥	وكم لبني	تأكدْ	وافر	٢	١٢٢
٤٦	ومنزلٍ	أحدْ	مجزوء الرجز	٢	١٢٢
٤٧	وسراجٍ	السودا	وافر	٣	١٢٢
٤٨	الروض	غرد	دوبيت	٢	١٢٣
٤٩	هل لعاني	هادِ	خفيف	٤٢	١٢٤
٥٠	أسائلُ	فؤادي	مجتث	٤٣	١٢٧
٥١	أحبكمُ	الوردِ	طويل	٥	١٢٨
٥٢	بحياتكم	عندي	كامل	٧٤	١٢٩
٥٣	وحرمة	العهدِ	سريع	٣	١٣٦
٥٤	عسى	الوعودِ	متقارب	٢	١٣٧
٥٥	أفدي	كبدي	بسيط	٤	١٣٧
٥٦	بالملك	موعودي	سريع	٢٠	١٣٨
٥٧	يافلان	مجدِ	مجزوء الرمل	٢	١٤٠

(ل)

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
١٧٤	قضى	مايبلي	طويل	٦١	٣٥٥
١٧٥	لعل	شغلي	سريع	٣	٣٦١
١٧٦	عند سليمان	مقبوله	سريع	٥	٣٦٢
١٧٧	سل	له	كامل	٨	٣٦٢

(م)

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
١٧٨	لائم	هائم	خفيف	٦٩	٣٦٤
١٧٩	خطرت	النعامي	رمل	٤٨	٣٧١
١٨٠	توفي	بمصر فما	منسرح	١٥	٣٧٦
١٨١	بفتوح	الأيامُ	كامل	٩	٣٧٧
١٨٢	أيا ساكني	منكمُ	طويل	٤	٣٧٩
١٨٣	أأحبابنا	بنتم	طويل	٥	٣٧٩
١٨٤	بملك	أممِ	بسيط	٢٨	٣٨٠
١٨٥	ولم أنس	للتندمِ	طويل	٤	٣٨٣
١٨٦	ريم	سقمي	مخلع البسيط	١١٢	٣٨٣
١٨٧	أذللت	في عزمِ	دوبيت	٢	٣٩٣
١٨٨	كيف	الرحيمِ	خفيف	٧	٣٩٣
١٨٩	رسمٌ	الجسمِ	كامل	٨٦	٣٩٤
١٩٠	اسم	الكلمه	رمل	٦	٤٠٣

(ن)

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
١٩١	وأُترجة	السكنْ	طويل	٢	٤٠٤
١٩٢	أبصرني	ممتحن	مجزوء الرجز	٢	٤٠٤
١٩٣	تذكرت	بيننا	متقارب	٧	٤٠٥

القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
١٩٤	الحمدُ	حُزنا	مجتث	٢٣	٤٠٦
١٩٥	أيها الظاعنون	الاضغانا	خفيف	٧	٤٠٨
١٩٦	ياصلاح الدين	الزمان	خفيف	١٤	٤٠٩
١٩٧	عقدتْ	الاحسانِ	كامل	٧٥	٤١٠
١٩٨	ماراقدات	سكون	مجزوء الكامل	١٤	٤١٨
١٩٩	يوماً	بالعراقين	بسيط	٢	٤٢٠
٢٠٠	بالمستضيءَ	السنن	كامل	١٢	٤٢٠
٢٠١	جفون	الغصون	وافر	٩٧	٤٢٢
٢٠٢	أهدى	بجيرون	بسيط	٤٥	٤٣١
٢٠٣	نصرٌ	شانه	كامل	١٧	٤٣٥
		(ه)			
٢٠٤	بأبي	نشوه	مجزوء الرمل	٦١	٤٣٨
٢٠٥	قد صحً	كالنسوه	دوبيت	٢	٤٤٤
٢٠٦	مولاي	لايخشه	سريع	٧	٤٤٤
٢٠٧	إن بيع	سامه	خفيف	٢	٤٤٥
٢٠٨	جلت	فرخشاهِ	كامل	١	٤٤٦
٢٠٩	أدركت	المنتهى	كامل	ج	٤٤٦
٢١٠	كان عهدي	شاربيهِ	رمل	٣	٤٤٦
٢١١	بينٌ	البهي	كامل	٨٣	٤٤٧
		(ي)			
٢١٢	لو كان	معديا	كامل	١٥	٤٥٦
٢١٣	أحاط	الطريّ	وافر	٩	٤٥٧

فهرس الاعلام

ـ أ ـ

-ح-

-خ-

-ذ-

-ز-

-س-

ـ ظ ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

فهرس البلدان والاماكن

— أ —

— ب —

– ح –

– خ –

– د –

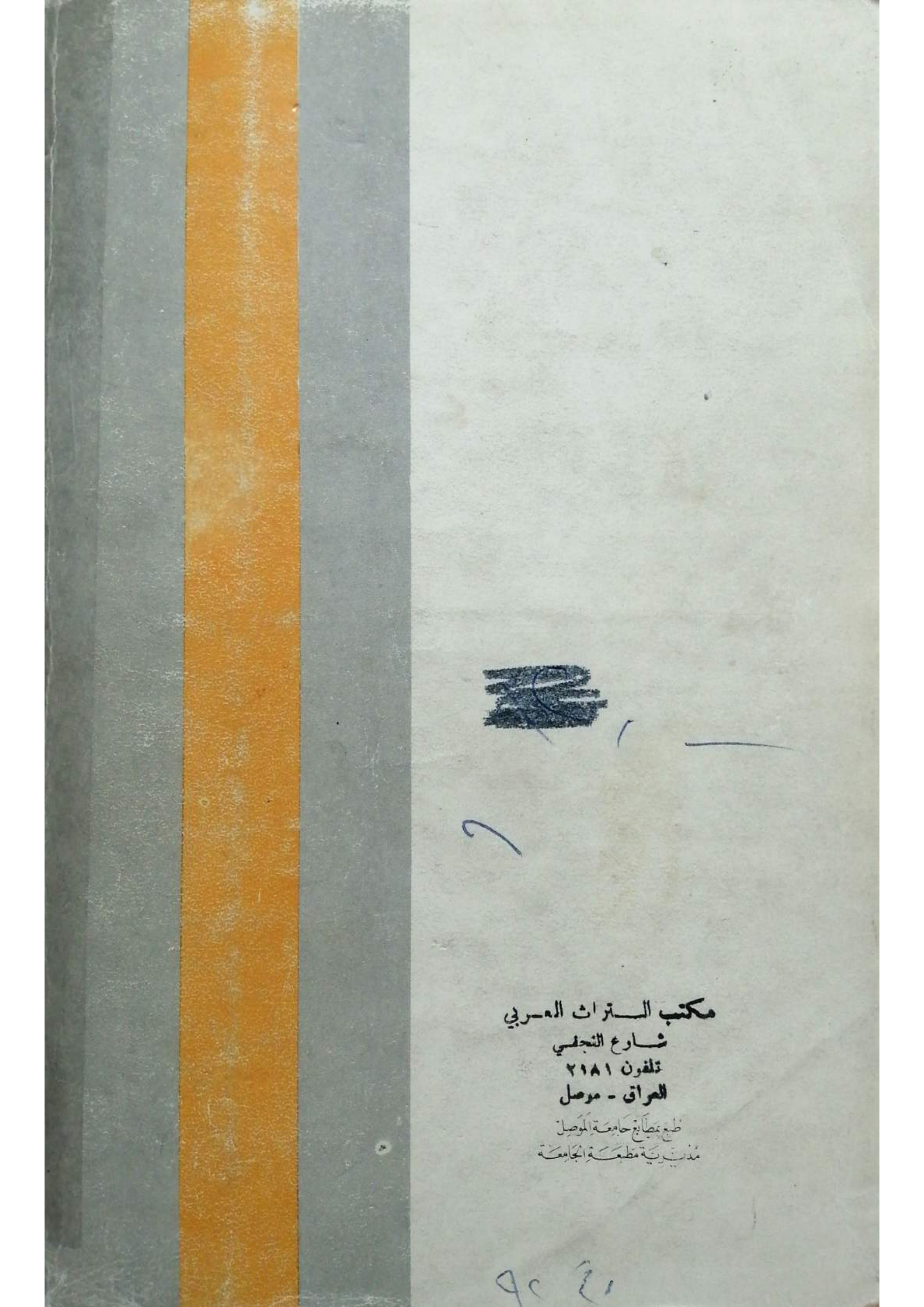
— م —

— ن —

المحتوى

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (١٣٦٦) لسنة ١٩٨٣

طبع بمطابع جامعة الموصل
مديرية مطبعة الجامعة


مكتب التراث العربي
شارع النجفي
تلفون ٢١٨١
العراق - موصل
طبع بمطابع جامعة الموصل
مديرية مطبعة الجامعة